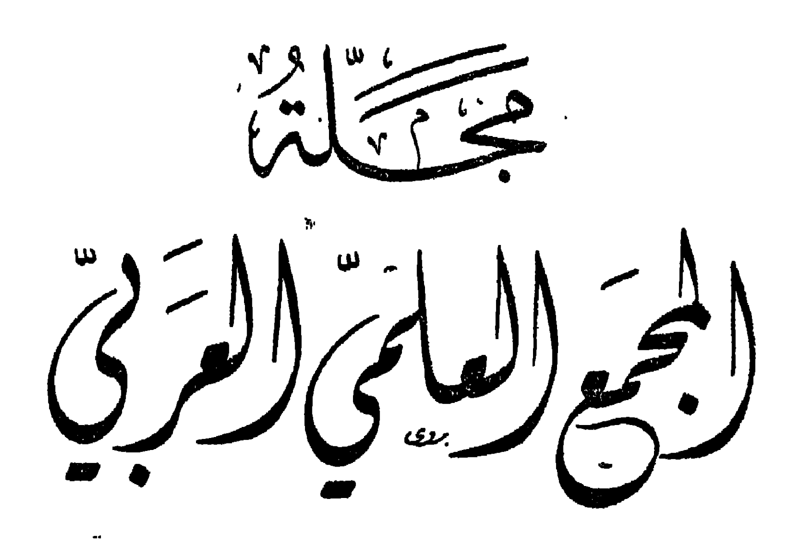
الجزء الأول

المجلد التاسع والعشرون



دمشق



الأول من كانون الثاني سنة ١٩٥٤ م

السادس والعشرون من ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ هـ

الجزء الأول

المجلد التاسع والعشرون



دمشق



الأول من كانون الثاني سنة ١٩٥٤ م

السادس والعشرون من ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ ه

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي ⎫ في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً ⎭ وفي سائر الاقطار ١٠٠٠ قرش سوري

مناظرة عالمين [1]

في مجلس المأمون

أيها السادة !

أحببت أن أقدم بين يدي محاضرتي هذه الكلمة توطئةً لموضوع المحاضرة فأرجو أن تحسن في سمعكم ، وتخفَّ على طبعكم :

* * *

قامت في هذه الآونة بدمشق مناظرة بين بعض الأُساتذة في موضوع أدبي تاريخي ، فكان لأحد الأُستاذين رأي خالفه فيه زميله ، وكان إخوان المتناظرَين وأصدقاؤهم يتنازعون بينهم ، ويرفعون أصواتهم بالتحزّب لهذا أو لذاك . أما هما فكانا آخذين في شأنهما ، عاكفين على بحثهما ، محافظين على هدوئهما وأناتهما ، وصلة الزمالة بينهما . وقد ضرب بعض الفضلاء لهذين الاستاذين مثلاً : مطران لندرة والفيلسوف (راسل) ذلك أن المطران والفيلسوف اختلفا في أيّ الأُمرين أفضل في إصلاح البشر ؟ (التديُّن) أو (الإلحاد) . فكان المطران يقول : إن التدين أضمن لسلامة المجتمع البشري وصلاحه . والفيلسوف راسل يقول العكس . وفي آخر الأُمر عُقد لهما في لندرة مجلس مناظرة ، شهده طائفة من أشياعهما : فكان الأشياع والأنصار في ضجيج وصخب . بل في أوار لهب ، ونار غضب ، من أجل العصبية للمتناظرَين ، والمتناظران في جنّة من أناتهما

(١) محاضرة للشيخ عبد القادر المغربي ألقاهـا في ردهة المجمع العلمي العربي في ٢٨ آذار سنة ١٩٢٥ .

لو أقسم مُقسمٌ بأنه لم تقم في القرون الخالية أمة تضاهي الأمة العربية في حبّ العلم والتفنّي باسم العلم ، والتفنّن في نشر العلم لما كان غالياً ولا حانثاً .

وبديهي ان السببَ في ذلك هو القرآن الكريم : فقد اتفق علماء التفسير على ان أول كلمةٍ أنزلت من السماء على قلب النبي العربي (ﷺ) هي كلمة (اقرأ) : التي افتُتحت بها سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وبعد أن أمره الوحي بالقراءة أرشده الى تمجيد الخالق الذي كان من أكبر نعمه على البشر أن علّمهم ما لم يكونوا يعلمون . ومهّد بين أيديهم السبُل والأسباب لتحصيل العلم . فقال : (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم) .

وانما قال علّم بالقلم لأن القلمَ آلةُ الكتابة المعروفةُ في ذلك العهد . فالوحيُ نبّههم الى الشكر لله على نعمة آلة الكتابة التي يعرفونها ، فلا ينافي هذا أن نشكر له تعالى على أدوات الكتابة التي هدى اليها البشر فيما بعد : كالقلم الحديدي والقلم الرصاصي وآلة الطباعة والآلة الكاتبة التي تسمى بالافرنجية (تايب رايتر) ثم آلة تصوير الكتابة التي اخترعت أخيراً وتسمى (فوتوغرافير) .

وقد سمعتُ مرةً بعض شيوخ الدين المتعصبين للقديم يفضّل كُتُب العلم المخطوطة على الكتب المطبوعة . ويقول إن بالكتب المخطوطة وحدها الفتوحَ والبركة والفائدة : ذلك لأن الكتب المخطوطة كتبت بالقلم الذي نوّه به الوحي الالهي مذ قال تعالى : (علّم بالقلم) ولم يقل علم بالطبع ولا بآلة (تايب ريتر) ويستدل على ذلك أيضاً بتبحر أسلافنا العرب في العلوم ووضعهم المصنفات الكبرى التي كل واحد منها يشبه أن يكون دائرة معارف مما لا يقدر على مثله اليوم إلا الجمعيات المؤلفة من عدة أشخاص . وما ذلك إلا ببركة كتب الخط المكتوبة بقلم القصب ، الكريم الأصل والنسب .

ورزانتها وحسن تناصفها وطيب نفسيها ، غير عابئين بما كان يقومُ ويقعُدُ ، ويبرُق ويرعُدُ ، وراء جدار غرفتها .

* * *

حديث المناظرة هذا ، أوحى إليَّ موضوع محاضرتي هذه ، وأوقع في نفسي ذكرى المناظرات الممتعة التي كانت تقع في تاريخ العرب ، وفي مجالس خلفاء العرب ، والتي تدل على فضل علمائنا ، وسعة صدر خلفائنا ، والاستفادة من الحريتين العلمية والفكرية ، إذا أطلقتا في ما بيننا . هكذا كان شأن السلف حتى كانت أرباب المقالات المذهبية ، وزعماء الفرق والنحل في الاسلام يجلسون في جامع الكوفة ، كل منهم في جانب منه ، وكانت تبلغ حلقاتهم بضع عشرة حلقة ، ولكل منهم أنصار ومريدون يؤيدونه ، ويتبعون قوله . وهناك مخالفون له يردون عليه . ويفيّلون رأيه ، وما كان أحد منهم يجرأ على أن يقول لمناظره اسكت ولا تقل هذا ، أو لا يجوز لك أن تقول هذا أو أبلّغ أمرك الى السلطان ، بل كان لهم من حرية الاسلام وحماية الخلافة ما على أساسه بنى الأوربيون حريتهم الفكرية التي كان من نتاجها مدنيتهم الحديثة . وقد صوّر لنا فيلسوفهم فولتير هذه الحرية ، بألطف تصوير ، وأجمل تعبير مذ قال : (إنني لا أوافقك على ما تقول ، ولكنني أقاوم جهد طاقتي كلَّ من أراد أن يسلبك حريتك في أن تقول) .

دعونا الآن من الأوربيين وعودوا بنا الى ما كان من حرية العلم والفكر ومجالس المناظرة في تاريخ الاسلام ، وعهد خلفاء العرب الكرام .

***

إشارةً الى هذا القانون، ولما كان مبناه على أساس تأدُّب أحد المتناظرين مع رفيقه سموه أيضاً : آداب البحث ·

وقالوا في تعريفه هو :

علم بأصول يُبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين · و (موضوعه) الأدلة من حيث أنه يثبُتُ بها المدّعى على الغير · و (الغرضُ منه) تحصيلُ ملكَة المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث ويضيع الصواب ·

وأشهر المصنفات العربية في هذا الفن (فن آداب المناظرة) هي :

(١) آداب شمس الدين السمرقندي ، المتوفى في حدود (٦٠٠) للهجرة ·

(٢) آداب عضد الدين الايجي ، المتوفى سنة (٧٥٦) ·

(٣) آداب ابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠) ·

(٤) آداب طاشكبرى المتوفى سنة (٩٦٢) ·

وقد جرت بين علمائنا في العصور المختلفة مناظرات ذات شأن يجد المطالع نموذجاتٍ صالحة منها في كتب التراجم ، ولا سيما في كتاب (معجم الأدباء) لياقوت ، وفي كتاب (الطبقات الكبرى) لتاج الدين السبكي ·

أما اهتمام خلفاء العرب وأمرائهم بالمناظرات فحدث عنه ولا حرج ، وأشهرهم في ذلك بل وفي حب العلم والعلماء (المأمون العباسي) ·

سأله يوماً أحد أبناء عمه من بني العباس :

— أيحسن بنا طلب العلم والأدب ؟ (يعني ونحن أبناء ملوك) فأجابه المأمون :

— والله لَأنْ أموتَ طالباً للعلم خيرٌ من أن أعيش قانعاً بالجهل ·

— والى متى يحسن بي طلب العلم ؟

— ما حسنت بك الحياة ·

كأنه يقول : ما دُمتَ ترى الحياة حسنة يكون طلب العلم حسناً ، والحياة

هذا ما كان يقوله ذلك الفقيه الصالح . ولا يتسع معنا الوقت لمجادلتـه ؛ فلنرجئها الى وقت آخر . ولنقبل على الموضوع .

الكلام على (العلم في أمتنا العربية) يشتمل على مسائل كثيرة :

(١) ما ورد من الحضّ على طلب العلم في القرآن والحديث الشريف .

(٢) مسائل العلوم التي امتلأ بها القرآن وفاضت بها كتب السنة .

(٣) ما رُوي عن علماء العرب في مزايا العلم والعلماء .

(٤) اشتغال علماء العرب بالعلوم ووضعهم المصنفات فيها .

(٥) جمع ملوك العرب وعظمائهم للكتب وتشييدهم دوراً خاصةً لها .

(٦) عقدهم مجالسَ المناظراتِ العامةِ بين العلماء لأجل تمحيص الحقائق العلمية .

(٧) العلومُ التي اخترعها علماء العرب أو تناولوها من الأمم القديمة عن كتب فوسعوا دائرتها ، وأصّلوا أصولها ، وفرّعوا مسائلها . ثم استفاد منها الافرنج في نهضتهم ومدنيتهم الحديثة .

* * *

(علم المناظرة)

ومن هذه العلوم (علم المناظرة) .

الداعي لوضع علم المناظرة هو أنه لما كانت العلوم تتزايد يوماً بعد يوم . وكانت مراتبُ أذهان المشتغلين بها متفاوتةً مختلفة . وكان لا يخلو علمٌ من تصادم الآراء ، وتباين الافكار بين أهله - لذلك كله مست الحاجة الى وضع قانون يقف وقفة الحكَم بين الجانبين المتناظرين بشرط أن يُراعى فيه الوصول الى الحق . والاّ كان مكابرة ومشاغبة .

وهذا القانون هو (علم المناظرة) وربما كان في قوله تعالى : (ووضع الميزان)

وذلك لأنها تعلقت بمسألة علمية دينية فلسفية : هي أول مسألة قامت حولها الدنادن والمجادلات بين علماء العرب في عصرهم الأول وشطرتهم شطرين : (معتزلة) و (سُنة) تلك المسألة هي :

(هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق) ؟

وموضع الخطورة في هذه القضية : أننا اذا قلنا إن القرآن مخلوق . يقال لنا : كيف يكون مخلوقاً وهو كلام الله وكلامه قديم كذاته . وإذا قلنا إنه غير مخلوق : كيف تقول انه غير مخلوق ونحن نسمعه أصواتاً ، ونكتبه حروفاً ، ونجلده مصحفاً ، ونحمله بأيدينا من مكان الى آخر . هذا ظاهر الخلاف في هذه المسألة . وربما كان له باطن لا يمكننا التصريح به ، ولا الاشارة اليه في هذا الموطن . وانما نقول بالاختصار : إذا أردنا من القرآن كلامَ الله كان قديماً لأنه يكون إذ ذاك عبارة عن صفة من صفاته تعالى وهي قديمة . وإن أُريد بالقرآن ماعدا الصفة القديمة من صوتٍ مسموع . ومصحف مصنوع كان حادثاً .

هذه المسألة على بساطتها ووضوحها كان لها في تاريخ الاسلام الديني أسوأ الأثر . وآل الأمر فيها الى أن يُسجن مثل الامام أحمد بن حنبل ويقيَّد ويعذَّب . وكان سواد الأمة ومعظم علمائها من الفريق القائل بأن القرآن قديم . أما الفريق القائل بأنه حادث ويسمى المعتزلة فاتفق له من بعض خلفاء بني العباس من يأخذ بقوله . ويحمل الناس عليه . ومِن ثمّ كانت صولته أشدّ . وعاملُ جبروته أنفذ . وكان من هؤلاء الخلفاء الذين أيدوا القول بالحدوث الخليفة (المأمون) . فكان هذا الخليفة على ما فيه من علم صحيح ، وعقل حصيف ، يشدّد على الناس . ويكلفهم القولَ برأيه ومذهبه . فكان الناس لعهده يستترون في بيوتهم . وينقطعون عن شهود الجمعة والجماعة وينسللون

حسنة مستحسنة بالطبع ، فكذلك ينبغي أن يكون طلب العلم ، ومستند المأمون في رأيه قوله (ﷺ) : «اطلب العلم من المهد الى اللحد» .

هذا أثر من آثار حب المأمون للعلم ، أما حبه للمناظرات العلمية واهتمامه بأمرها ، فالشاهد عليه ما قاله المؤرخ المسعودي . ونحن ذاكروه لكم ملخصاً :

«بعد أن قضى المأمون نهمته من العلوم القديمة ودراسة كتبها ، انصرف عنها الى علم الكلام على طريقة المعتزلة ، وجعل يجالس المتكلمين ويقرّب الجدليين والنظّارين : كالنظّام وأبي الهذيل وغيرهما ممن كان يوافقهم أو يخالفهم (أي أن المأمون ما كان يقصرُ عنايته على علماء مذهبه المعتزلة بل كان يفسح صدره ومجلسه لعلماء الفرق على اختلاف آرائهم ومشاربهم) . وكان يستقدم العلماء من الأمصار البعيدة . ويُجري عليهم الأرزاق . فرغب الناس في صناعة النَظَر والمناظرة . وتعلموا البحث والمجادلة . ووضع كل فريقٍ منهم كتباً ينصر فيها مذهبه . ويؤيد نحلته . رافعاً بذلك صوته من دون خوف ولا إحجام . وقد خصص المأمون يوم الثلاثاء من كل أسبوع للمناظرة . ووضع لذلك ترتيباً خاصاً : فاذا حضر المتناظرون من أرباب المقالات أُدخلوا حجرة مفروشة . وقيل لهم : انزعوا نعالكم . ثم تُحضر الموائد ، ويقال لهم : أصيبوا من الطعام والشراب ، وجدّدوا الوضوء ، ومَن خفّه ضيّق فلينزِعه . ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها . فاذا فرغوا أُتوا بالمجامر فبُخروا وطيبوا . ثم يخرجون الى المأمون فيستدنيهم ، حتى يدنون منه ، ويناظرهم أحسنَ مناظرة وأنصفَها وأبعدَها من مناظرة المتجبّرين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس وهو وقت الظهر . ثم تُنصب الموائد مرةً ثانيةً للعشاء فيطعمون وينصرفون» .

* * *

وإني أيها السادة ذاكر لحضراتكم في موقفي هذا إحدى المناظرات العجيبة التي جرت في مجلس المأمون وكان لها دويٌّ عظيم في ذلك الزمان ، وتأثير كبير في نفوس أهله ، بل انها خففت من غلوّ المأمون أيضاً في بعض آرائه ،

ثم ذهب عبد العزيز ومعه ابن له صغير الى جامع الرُّصافة يوم الجمعة ولم يكد ينتهي الإمام من الصلاة حتى سمع الناس من الصفّ الأول حيالَ المنبر صوت رجل مكيِّ الزيِّ ، حجازيِّ اللهجة ، واقفٍ على قدميه · يُنادي بأعلا صوته ابنَه (وكان أقام ابنه قبالته عند الأُسطوانة الأُخرى) قائلاً :

الأب : ما تقول في القرآن يا بُنيَّ ؟

الابن : كلام الله منزل غيرُ مخلوق يا أبتِ ·

فارتاع الناس لهذه المحاورة ، وهربوا على وجوههم خارجين من المسجد فأسرعت الشرطة فاحتملوا عبد العزيز وابنه الى رئيسهم (عمرو بن مسعدة) وهو من أشهر رجال دولة المأمون ، وقد اتفق مجيئه يومئذٍ ليصلي الجمعة في جامع الرُّصافة · (ولما وقف عبد العزيز وابنه بين يديه) سأله :

رئيس الشرطة : أمجنون أنت ؟

عبد العزيز : لا ·

الرئيس : أموسوِس أنت ؟

عبد العزيز : لا ·

الرئيس : معتوه ؟

عبد العزيز : لا ! والحمد لله · واني لصحيح العقل ، جيد الفهم ·

الرئيس : أمظلوم أنت ؟

عبد العزيز : لا ·

فالتفت رئيس الشرطة الى رجاله وقال لهم : مُرُّوا بالرجل وابنه سحبًا الى الدار (أي دار الشرطة) ·

فاحتملها الشرطة وجعلوا يعْدُون بهما عَدْواً شديداً ، وأيديهما في أيديهم يَمْنةً ويَسرةً · حتى صاروا بهما الى (دار الرئيس) على هذه الحالةِ المنكرة ·

من بلد الى بلد خشية الفتنة والإرهاق . وقد مُنع الفقهاء والمحدثون من القعود للناس في المسجد الجامع الواقع في الجانب الشرقي من الرُّصافة وفي غيره من المواضع : إلاّ (بشراً المرّيسيّ) و (محمد بن الجهم) ومن رأى رأيهما من علماء المعتزلة القائلين بحدوث القرآن . وكل من أظهر مخالفتهم ـقيد اليهم . وعُرض قوله عليهم . فان أصرّ نُكّل به أو نفي من الأرض . وكان كثيرون من العلماء يوافقونهم في الظاهر خوفاً على أنفسهم . وفي الباطن يبرأون الى الله مما أعلنوه .

* * *

شاع أمر هذه المحنة في بغداد . وجعل أهل الأمصار الاسلامية يتداولون خبرها . ويتعوّذون بالله من شرّها .

قال (عبد العزيز بن يحيى الكناني) : (وهو من جماعة[1] أهل السنة) : اتصل بي وأنا في مكة ما ابتُلي به الناس في بغداد ، وكيف استطال عليهم بشر المرّيسي ، ولبّس على (المأمون) وخواصّ مملكته ، فأطال همي هذا الخبر ، وأطار نومي ، فخرجت من مكة ، متوجهاً الى ربي . وأسأله سلامتي ، حتى قدمتُ بغداد ، فشاهدتُ من غِلَظ الأمر وامتداده أضعاف ما كان يصل إليّ .

وبعد أن وصل (عبد العزيز الكناني) الى بغداد جعل يبتهل الى الله أن يسدّده ويثبّت قدمه ويرشده الى طريقةٍ يتوصّل بها الى قهر تلك الفئة الجائرة . فبدا له أن يُخفي أمره عن الناس جميعاً خِشية أن يُنكّل به قبل أن يُسمع كلامه . ثم خطر له خاطر عجيب وهو أن يقف بعد صلاة الجمعة في جامع الرُّصافة . ويرفع صوته بمخالفة المعتزلة . وتسفيه آرائهم ، وطلب محاجّتهم . فإن اشهاره نفسه على هذه الصورة يحول دون البطش به ، وقبول مناظرته ، واستماع قوله .

---

(١) توفي سنة « ٢٤٠ هـ » .

قال عبد العزيز : فأخرجوني أنا وابني بين يديه وهو راكب على فرسه ، وجعلوا يعدُون بنا في شوارع بغداد على وجوهنا وأيدينا في أيديهم حتى وصلنا الى قصر الخلافة في الجانب الشرقي من بغداد .

فدخل رئيس الشرطة على المأمون . وبقيت أنا وابني في الدهليز واقفَيْن على أرجلنا ، فأطال . ثم خرج الى حجرةٍ له وأمر أعوانه باحضاري . ثم افتتح الحديث معي قائلاً :

الرئيس : أخبرتُ أمير المؤمنين بخبرك وما فعلته في المسجد وما سألته من الجمع بينك وبين مخالفيك للمناظرة بين يديه ، وقد أمر — أطال الله بقاءه وأعلا أمره — بإجابتك الى ما سألت . وأمرَ بجمع المناظرين من العلماء الى مجلسه — أعلاه الله — في يوم الاثنين الأدنى ، وقال أنه سيحضُر هو بنفسه معكم . فتتناظرون بين يديه ويكون هو الحكَم بينكم .

عبد العزيز : أطال الله بقاء مولانا أمير المؤمنين . وأيّد دولته .

الرئيس : أعطِنا كفيلاً بنفسك حتى تحضُر معهم يوم الاثنين . وليس بنا حاجة الى حبسك .

عبد العزيز : أدام الله عزّك ! أنا رجل غريب ، ولستُ أعرف في هذا البلد أحداً . ولا يعرفني من أهلها أحد . فمن أين لي من يكفُل بي . وعلى الأخص بعد أن أظهرت مقالتي . لو كان أهل بغداد يعرفونني حقّ المعرفة لتبرّأوا مني ، وهربوا من قربي ، وأنكروني .

الرئيس : نوكّل بك من يكون معك حتى يُحضرك في ذلك اليوم وتنصرف الآن فتصلح من شأنك . وتتفكر في أمرك . فلعلك ترجع عن غيك . وتتوب من فعلتك ، فيصفحُ أمير المؤمنين عنك .

عبد العزيز : ذلك اليك أعزّك الله فافعل ما رأيت .

* * *

وكان رئيس الشرطة سبقهم اليها . فأدخلا عليه وهو جالس في صحن الدار على كرسيٍّ من حديد وشَوارِه [1] عليه . فسأله قائلاً :

الرئيس : من أين أنت ؟

عبد العزيز : من مكةَ .

الرئيس : ما حملك على ما صنعتَ بنفسك ؟

عبد العزيز : طلبتُ القُربة الى الله ، ورجوتُ الزلفى لديه .

الرئيس : هلاّ فعلتَ ذلك سرّاً من غير نداء ، ولا اظهار مخالفة لأمير المؤمنين ، ولكن أردتَ الشهرة والرياء والسؤدد ، لتأخذ أموال الناس بالباطل .

عبد العزيز : ما أردتُ إلا الوصول الى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه .

الرئيس : وهل تُقدم على المناظرة بين يدي الخليفة ؟

عبد العزيز : نعم ، وهذا ما قصدته وبلغت بنفسي ما ترى ، وتغريري بنفسي وسلوكي البراري أنا وولدي ، رجاء تأدية حق الله فيما استودعني من العلم والفهم في كتابه ، وما أخذه عليّ وعلى العلماء من البيان (فليتأمل علماء هذا الزمان) .

الرئيس : لعلك جعلتَ هذا سبباً لغيره من المطالب بعد أن تصل الى أمير المؤمنين ، إذا كنت تنوي ذلك فقد حلّ دمك .

عبد العزيز : إن تكلمتُ في شيء غير هذا ، وجعلتُ هذا ذريعةً له فدمي حلال .

فوثب رئيس الشرطة عن كرسيه ، وقال لأعوانه : أخرجوه بين يديّ الى الخليفة .

---

(١) والشَوار بفتح الشين اللباس والزينة ، فشَوار رئيس الشرطة وشوار أمراء الجند : هو اللباس الرسمي ذو الطراز والزركشة الذي يدل على مرتبتهم . أما اذا قالوا أقبل الوزير وسواده عليه فيعنون بالسواد اللباس الأسود الذي كان يلبسه القضاة والوزراء وكبار الكتّاب . فهو لباسهم الرسمي وعنهم أخذ الأتراك العثمانيون لباس السواد الرسمي .

دهليز . حتى وصلت الى (الحاجب) أي صاحب الستر الذي على صحن دار الخلافة .

قال عبد العزيز : ولما بلغت الحاجب سألني إن كنت أحتاج الى تجديد الوضوء ؟ فقلتُ مالي الى ذلك حاجة . فقال : اركع ركعتين . فصلى عبد العزيز أربع ركعات بدل الركعتين ودعا الله بقلب سليم . عندها قال له الحاجب : استخِرِ الله . وقم فادخل .

قال عبد العزيز : ثم أزاح الحاجب الستر ، وتقدّم اليَّ خدام القصر ، فأخذوا بيدي وعضدي . وجعل جماعةٌ منهم أيدِيَهم في ظهري وعلى رقبتي ، وطفقوا يعدون بي عدواً شديداً في صحن الدار ، فنظرني الخليفة المأمون من بعيدٍ ، فسمعت صوته يقول ، خلُّوا عنه ، خلُّوا عنه . وكثر ضجيج الحجاب وقوّاد العسكر ورفعوا أصواتهم مردّدين كلمة الخليفة : (خلوا عنه ، خلوا عنه) . فخلّوا عني . وقد كاد يتغير عقلي من شدة الفزع . ومن كثرة ما رأيت من أنواع السلاح ، الذي ملأ صحن القصر . وكنتُ قليل الخبرة بدار الخلافة . ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتها .

فلما أوصلني الحجّاب الى باب ديوان الخليفة وقفت . فسمعت (المأمون) يقول : أدخلوه وقرّبوه . فلما دخلت من باب الديوان ، وقعتْ عيني عليه . وقبل ذلك لم أكن انتبهتُ اليه من كثرة ما كان على الباب من القوّاد والحجّاب فقلت :

– السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

– وعليكم السلام ورحمته وبركاته . ثم قال : أُدْنُ مني . فدنوتُ منه ، ثم جعل يقول : أُدْنُ مني . فدنوتُ منه . ثم جعل يقول : أُدْنُ ، أُدْنُ . ويكرر ذلك . وأنا أدنو خُطوةً خُطوة . حتى وصلتُ إلى الموضع الذي

ولما جاءت غداة يوم الاثنين . حُمِلَ عبد العزيز مكرَّماً الى دار الخلافة وأُدخل الى حُجرة (رئيس الشرطة) فسأله هذا : عما اذا كان لم يزل مقيماً على رأيه . ثم نصح له وحذَّره . وخوَّفه عاقبة مخالفته أمير المؤمنين فيما إذا ظهر عليه مناظره . وإنه ليس حينئذٍ إلا السيف . وإنه إن كان ندم ورجع عن مقالته فإنه يسأل العفو عنه من أمير المؤمنين . وضمن له جائزة وقضاء ما له من حاجة .

فأجابه عبد العزيز : بانه ما خرج من بلده (مكة) إلا لإقامة الحق .

الرئيس : وقد وقف على رجليه : — قد حرصتُ على خلاصك أيها الرجل جَهدي . وأنت حريصٌ على سفك دمك جهدك .

عبد العزيز : معونةُ الله أعظم وألطف من أن ينساني . وعدْلُ أمير المؤمنين أوسعُ من أن يضيق عني .

وكان قد صدر أمر الخليفة المأمون الى أقاربه أشياخ بني هاشم أن يركبوا الى قصر الخلافة في يوم الاثنين لأجل شهود المناظرة ، والى الفقهاء والقضاة الموافقين للمعتزلة على مذهبهم ، والى سائر المتكلمين والمناظرين أن يحضروا ، والى القوّاد والأولياء [1] أيضاً .

ففي يوم الاثنين هذا ركب المدعوون كلهم بالسلاح لإحداث الهيبة في نفس عبد العزيز وفي نفوس الذين على رأيه ، ومن يوشك أن يفسدهم بعقيدته .

قال عبد العزيز :

ثم أذن لي بالدخول الى الخليفة ، فدخلت ثم لم أزل أنقل من دهليز الى

---

(١) المراد بالأولياء الموالون والمياالون بالحب والاخلاص للخلافة ، وليس المراد بالأولياء ما نفهمه نحن اليوم من انهم اهل الباطن وشيوخ رجال الطريق وكبار المتصوفين والمشهورين بالكرامات .

وسكت المأمون هنيهة لا يتكلم . ثم سأله :

المأمون : ومن أي البلاد أنت ؟

عبد العزيز : من الحجاز .

المأمون : من أيّ الحجاز ؟

عبد العزيز : من مكة .

المأمون : ومَنْ تعرف من أهل مكة ؟

عبد العزيز : يا أمير المؤمنين قلّ من بها من أهلها الا وأنا أعرفه . إلاّ رجل لجأ اليها أو من جاور بها فاني لا أعرفه .

المأمون : أتعرف فلاناً وفلاناً . وجعلَ يعدّد جماعةً من بني هاشم .

عبد العزيز : نعم يا أمير المؤمنين أعرفهم .

المأمون : وأنسابهم وأنسالهم (وذكر شيئاً من ذلك) .

عبد العزيز : نعم . (وأجابه عما سأل) .

قال عبد العزيز : وإنما أراد المأمون إيناسي وإزالة الوحشة عني فأنشطُ للكلام والمناظرة . وبالفعل ذهب عني ما كنت فيه من الجزع . وجاءت المعونة من الله . فقوي بها ظهري . واشتدّ قلبي . واجتمع فهمي .

ثم أقبل المأمون عليّ وقال : يا عبد العزيز ! إنه قد بلغني ما كان منك . وقيامك في المسجد الجامع . وقولك ان القرآن كلام الله غير مخلوق . بحضرة الناس وعلى رؤوس الخلائق . وما كان من مسألتك أن يُجمع بينك وبين مخالفيك لتناظرهم في مجلسي ، ثم أستمعُ منك ومنهم . وها أنا ذا قد جمعت المخالفين لك لتناظرهم بين يديّ . وأكون أنا الحكم بينكم . فان تبينت الحجة لك عليهم وظهر الحق معك اتبعناك . وان تكن لهم الحجة عليك والحق معهم عاقبناك . وان استقلتَ واستعفيتَ أقلناك وعافيناك . ثم أقبل بوجهه على (بشر المريسي) وقال له : يا بشر ! قم الى عبد العزيز فناظره وأنصفه .

يجلس فيه المتناظرون ، ويُسمع كلامهم ، والحاجب معي يقدّمني ، فلما انتهيت الى موضعي ، قال لي المأمون : اجلس فجلست ، ولم أكد أستقر حتى سمعت رجلاً من جلساء الخليفة يقول : يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا الرجل قبحُ وجهه ، فوالله ما رأيتُ أقبح وجهاً منه .

قال عبد العزيز : فسمعتُ قول هذا الرجل وفهمته ، وما رأيت شخصه لكثرة ما أنا عليه من الجزع والرعدة ، وقد لاحظ المأمون مني ذلك الخوف وما قد نزلَ بي من الهول ، فجعل ينظر إليَّ من طرف عينه وأنا أنتفض وأرتعد ، فأحبَّ أن يؤنّسني ويسكّن روعتي ، فطفق يكثر من الكلام مع جلسائه ، ويكلم رئيس الشرطة (عمرو بن مسعدة) ، ويتكلم بأشياء لا مناسبة لها في المجلس ، وهو يريد بذلك كله إيناسي ، وتسكين اضطرابي ، ثم أدار نظره في الديوان وجعل يُطيل التأمل في الجدران ، فوقعت عيناه على موضعٍ من نقش الجصّ قد انتفخ ، فقال مخاطباً رئيس الشرطة (عمرو بن مسعدة) : يا عمرو ! أما ترى هذا النقش في الجصّ قد انتفخ وسيقع ؟ فبادر الى قلعه وعمله ، فقال عمرو : قطع الله يد صانعه : فانه قد استحق العقوبة على عمله هذا .

ثم أقبل المأمون على عبد العزيز يسأله :

المأمون : ما الاسم ؟

عبد العزيز : عبد العزيز .

المأمون : ابن مَنْ ؟

عبد العزيز : ابن يحيى بن مُسلم .

المأمون : وما اسم جدك ؟

عبد العزيز : ميمون الكناني .

المأمون : أوَ أنت من كنانة ؟

عبد العزيز : نعم يا أمير المؤمنين .

فتبسم المأمون حتى وضع يده على فمه . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ! قد رأيتك تنظر الى نقش الجصّ في الحائط وتنكر انتفاخ الجصّ ، وسمعت رئيس الشرطة يعيب الصانع ولا يعيب الجصّ . فقال المأمون : نعم ! العيب لا على الشيء المصنوع ، إنما العيب على صانعه . فقلتُ : صدقتَ يا أمير المؤمنين وقلت الحق . فهذا الرجل الذي عاب وجهي يعيب ربي لمَ خلقني قبيحاً !! فازداد المأمون تبسماً حتى ظهر ذلك عليه . ثم قال : يا عبد العزيز ! ناظر صاحبك ، فقد طال المجلس بغير مناظرة .

عندها دخلا في الجدل وأخذ كلٌّ منهما يسرد النصوص استدلالاً على مذهبه . الى أن سأل بشر المعتزلي عبدَ العزيز سؤالاً وكأنّه الجواب عليه ، ووافقه المأمون قائلاً : هذا يلزمك يا عبد العزيز !!

فلما سمع رفاق بشر الحاضرون في المجلس كابن الجهم وغيره كلام المأمون بالموافقة على طلب بشر جعلوا يضجون ويقولون : ظهر أمر الله وهم كارهون . جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . وطمعوا في أن المأمون يبطش بعبد العزيز .

واستوى بشر في جلسته وجثا على ركبتيه . وجعلوا يقولون : أقرّ والله يا أمير المؤمنين بخلق القرآن .

أما عبد العزيز فأمسك عن الجواب ، ولم يردّ عليهم . فقال له المأمون : مالك لا تتكلم يا عبد العزيز ! فقال : ان الذي يناظرني هو بشر . وقد سألني وانتظر مني الجواب ، فضجيج هؤلاء أيشْ هو ؟ وأنا لم أنقطع ولم أعجز عن الجواب ، ولستُ أتكلم ما لم يسكتوا .

فصاح المأمون بمحمد بن الجهم ومن معه أن يسكتوا فسكتوا ، ثم أقبل عليّ وقال : تكلم يا عبد العزيز واحتج لنفسك . فجعل عبد العزيز يتدفّق في الكلام وسرد الحجج كأنه السيل .

فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب الى الفريسة فرحاً . فانحطَّ علي . ووضع ركبته وفخذه الأيسر على فخذي الأيمن فكاد أن يحطمه . وغمز عليَّ بقوته كلها . فقلتُ له مهلاً : إن أمير المؤمنين لم يأمرك بقتلي ولا بظلمي . وإنما أمرك بمناظرتي وإنصافي . فصاح به المأمون وقال : تنحَّ عنه يا بشر ، وكرَّر ذلك عليه . حتى باعده عني . ثم أقبل المأمون عليَّ وقال : يا عبد العزيز ناظرْه على ما تريد . واحتجَّ عليه ، ويحتج عليك ، وتسأله ويسألك ، وتناصفا في كلامكما ، وتحفظا ألفاظكما . فقلت : السمع والطاعة لأمير المومنين .

قال عبد العزيز : ولكنني لم أرد أن أشرعَ في المناظرة قبل أن أنتقمَ من ذلك الرجل الذي سمعته في المجلس يعيبني ويقول عني : إنني قبيح الوجه مشوَّهُ الخلقة . فقلت في الرد عليه مخاطباً الخليفة :

يا أمير المؤمنين ! إن يوسف الصديق الذي هو أحسن البشر وجهاً كان حسنُه وبالاً عليه ، فظلِمَ وسُجن . ولما وقف ملك مصر على سعة علمه وحسن مهارته في تعبير الرؤيا صيَّره على خزائن الأرض . وفي آخر الأمر اعتزل الملكُ الأمور وصار كأنه من تحت يد يوسف .

وبديهي أن هذه المنزلة التي نالها يوسف ليست الا لعلمه وفضله ، لا لجماله وحسن وجهه ، وقال يوسف للملك : اجعلني على خزائن الأرض ، إني حفيظ عليم . ولم يقل : اجعلني عليها لأني حسَنٌ جميل . فوالله ما أبالي يا أمير المؤمنين إن كان وجهي أقبحَ مما هو الآن ما دام أن ربي أعطاني ولله الحمد من فهم كتابه ، والعلم بتفسيره ما أعطاني .

فتعجب المأمون من قول عبد العزيز ولم يفهم الداعي اليه فسأله :

— أيَّ شيء أردتَ بهذا القول . وما الذي دعاك اليه ؟

فأجابه عبد العزيز : إني سمعت واحداً من جلسائك يقول : (يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا قبح وجهه) فأيُّ عيب يلحقني في صنعة ربي عز وجل .

سرّوا جميعاً بما وهبه الله لم على يديّ من إظهار الحق . وقمع الباطل . وانكشف عن قلوبهم ما كان اكتنفها من الغمّ والحزن . وجعل الناس يجيئون الى زيارتي مهنئين أفواجاً أفواجا . فخشيتُ على نفسي العاقبة . فأغلقت بابي واحتجبت عنهم . خوفاً على نفسي بل خوفاً عليهم من مكروهٍ يلحقهم بسببي . ثم ألحّوا عليّ قائلين : لا بدّ أن تُمليَ علينا ما جرى بينكما من الاحتجاج لنعرفه ونتعلمه . فتهيبتُ ذلك ، وتخوّفت سوء عاقبته . فلما أكثروا من الإلحاح ، قلتُ : أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لا يلحقني ضرر بذكره فرضوا به . فأمليتُ عليهم أوراقاً ، أودعتها نتفاً من أخبار المناظرة ثم وزّعتها بينهم . ليشتغلوا بها عني ، وينقطعوا عن ملازمة بابي .

* * *

هذا أيها السادة ما وسعه الوقت من أخبار هذه المناظرة التاريخية الممتعة ، على أنني لم أذكر من متعلقاتها إلا ما كان فيه دلالةٌ على عادات ذلك العصر ومشارب أهله ، وأخلاق علمائه ، ولا سيما أخلاقَ (المأمون) وحلمَه وإنصافَه .

ولو أنني توسعتُ فذكرتُ لكم مسائلَ المناظرة نفسها وسردتُ المناقشات العلمية والنصوص الدينية التي كان يتداولانها ويبحثان فيها : من جهة اللغة تارةً ، ومن جهة القياس تارةً أخرى — لو سردتُ ذلك لكم ، لضاق منكم الصدر ، ولكان لكم في الانفضاض من حول محاضركم أجمل العذر .

المغربي

فصاح بشر : يا أمير المؤمنين ! لو تركته يتكلم لجاء بالترهات .

فقال عبد العزيز : يا أمير المؤمنين ! قد جئتُ أنا بالحجج ورضي بشر وأصحابه بالضجيج ، وقطع المجلس ، ومحاولة التملص والخلاص ، ولا خلاص من الله حتى يُظهر الحق ويُزهق الباطل . قال عبد العزيز : فتبسم المأمون حتى غطى فمه بيده ، وأطرق ينكت الأرض باصبعه .

ثم صاح المأمون : يا بشر ! أقبل على صاحبك ، ودع هذا الضجيج .

وعادا الى المناظرة بجدٍّ ونشاط . وكان كلما ذكر بشرٌ دليلاً على مذهبه ، نقضه له (عبد العزيز) بأدلةٍ من القرآن ، حتى كأنما آياته كلها مرسومةٌ تحت عينيه .

مثال ذلك : أن (بشراً) استدلَّ على خلق القرآن فقال : لا جدال أن القرآن شيء من الأشياء ، والله تعالى يقول في كتابه العزيز إنه (خالق كل شيء) فيكون القرآن من تلك الأشياء التي خلقها .

فأجابه عبد العزيز بما خلاصته :

قال تعالى : (ويحذّركم الله نفسه) ، فلله نفس . ثم قال في آية أخرى : (كلُّ نفس ذائقة الموت) ، فهل تقول يا بشر ! إن نفس الله داخلة في هذه النفوس التي تذوق الموت ؟

فصاح المأمون بأعلا صوته وكان جهوَريّ الصوت : معاذ الله ! معاذ الله !

وهكذا كانت عبد العزيز يدحضُ حجج خصمه بشر . ويكسر أقواله بالكتاب والسنة والقياس ، حتى قال له المأمون أخيراً أحسنتَ يا عبد العزيز .

ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . فحُملت بين يديه . وانصرف من مجلسه على أحسن حال وأجملها .

قال عبد العزيز : ولم يشع خبر هذه المناظرة بين اخواني أهل السنة حتى

طابخة — يقال : ان ابني الياس طابخة ومدركة طلبا إبلاً لهما ذهبت ، فقعد طابخة يصنع طعاماً ومضى مدركة فأدرك الابل فسميا بذلك [١] .
معبد — اشتق من العَبَد وهو الغضب . يقال : عبد الرجل اذا غضب [٢] .
غزية — اشتق من الغزو . ويقال للقوم اذا غزوا مرّ غزي القوم [٣] .

— من قصيدة أوردها الضبي في مفضلياته مستهلها :

الا أم عمرو أجمعت واستقلت وما ودعت جيرانهــا إذ تولت

والوفضة : الجعبة . وفي القاموس : خريطة الراعي لزاده وأداته . والجعبة من أدم جمعه جعاب . والسيحف السهم العريض النصل الطويل .

(١) القاموس : والطابخة الهاجرة . ولقب عامر بن اليأس بن مضر . وولد الياس عمراً وهو مدركة وعامراً وهو طابخة . وعُميراً وهو قمعة . وأمهم خِندِف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان بن عمران . وكان الياس خرج في نُجعة فنفرت إبله من أرنب فخرج اليها عمرو فأدركها . وخرج عامر فتصيدها وطبخهــا . وانقمع عمير في الخباء ، وخرجت أمهم تُسرع . فقال لها الياس : أين تخندفين ؟ فقالت : مازلت أخندف في إثركم فلقبوا مدركة وطابخة وقمعة وخنــدف . وحسين بن ميمون الخندفي محدث . ومحمد بن عبد الغني الخندفي له ذكر . والخندفة أن يمشي مفاجّاً ويقلب قدميه كأنه يغرف بهما وهو من التبختر .

(٢) القاموس : والعبد بالتحريك الغضب ، والحرب الشديد ، والندامة ، وملامة النفس ، والحرص ، والانكار . عبد كفرح في الكل . وسموا عِباداً ، وعُباداً ، ومَعبَداً ، وعبديداً ، واعبداً ، وعَباداً ، وعابداً ، وعَبيداً .

(٣) مرّ كلام في عدي يتعلق بهذا الحرف . وفي القاموس : وسموا غازية ، وغزية كغنية اهـ قال الشاعر :

وما أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

وفي الأساس : مرّ غزي بني فلان وعَديّهم وهم الذين يعدون على أرجلهم ولم تزل بنو فلان حجيجاً غزياً أي حجاجاً غزاة .

خراش — اشتق من المخارشة مخارشة الكلاب وقتل بعضها بعضاً [1] .
عدي — سمي بالقوم يحملون في القتال . يقال : رأيت عَدِيَّ القوم .
قال الشنفري :

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً اذا أنست أولى العديّ اقشعرت [2]

(١) القاموس : خرّشه يخرِشه خدشه . ولعياله كسب لهم وطلب لهم الرزق كأخرّش فيها . والبعير اجتذبه بالمخروش وهو المحجن . وبعير مخروش وسم سمة الخراش ككتاب وهي مستطيلة . وأبوخراش خُويلد بن مُرة الهُذَلي شاعر . وكلبُ خراشِ مضافاً كهراش . وخراش عن أنس كذاب .

اللسان : الخرش الخدش في الجسد كله . قال الليث : الخرش بالأظفار في الجسد كله . يقال : خرشه يخرشه خرشاً . وكلب خراش . وخرشه الذباب وخرشه اذا عضه ، والخرشة بالتحريك ذبابة . والخرشة الذباب . وبها سمي الرجل وخرشة وخراشة وخراش ومخارش كلها أسماء وسماك بن خرشة الأنصاري .
وأبو خِراش الهذلي بكسر الخاء . وأبو خُراشة بالضم .

(٢) الأساس : مرّ غزيّ بني فلان وعديّهم وهم الذين يعدون على أرجلهم .
ولم يزل بنو فلان حجيجاً غزيّاً : أي حجاجاً غزاة . القاموس : عدا عدواً وعدُواً وعدواناً محركة الى أن قال : وكغنيّ جماعة القوم كالعادية فيهما .
أو هي للفرسان . المخصص : السيحف من النصال الطويل . وقيل : العريض وأنشد البيت ثم قال : وقد تقدم أنه الطويل من الناس . والبيت المستشهد به —

حوشب — وهو العظم الذي في بطن الحافر ، والحوشب المنتفخ الجنبين [١] .
مضر — وأصله من اللبن وهو الحازر [٢] .
ويقال : جحوَش للغلام الذي قد غلظ ولم يحتلم ، قال الشاعر :

قتلنا مخلَداً وابني حراق وآخر جحوشاً فوق الفطيم [٣]

— وأصله فرص . واختار ابن عصفور انه علم مرتجل فيه أصلية . ورده أبو حيان : بان الارتجال لا ينافي الاشتقاق . وجلهم اسم امرأة أنشد سيبويه للأسود بن يعفر :

أودى ابن جلهم عباد بصرمته ان ابن جلهم أمسى حية الوادي

أراد المرأة ولذلك لم يصرفه . قال سيبويه : والعرب يسمون الرجل جلهمة والمرأة جلهم .

(١) القاموس : والحوشب الأرنب ، والعجل والثعلب الذكر والضامر . والمنتفخ الجنبين ضد . وموصل الوظيف في رُسغ الدابة . أو عظم في بطن الحافر بين العصب والوظيف . أو عظم صغير كالسُلامى بين رأس الوظيف ومستقر الحافر . أو عظم الرُسغ . ورجل .

(٢) القاموس : مضَرَ اللبن أو النبيذ مضْراً ويحرك ومضوراً كنصر وفرح وكرم حمض وابيض فهو مضير وماضر . والمَضيرة مريقة تطبخ باللبن المضير وربما خلط بالحليب . ومضارة اللبن بالضم ما سال منه . ومضر بن نزار كزفر أبو قبيلة وهو مضر الحمراء سمي به لولعه بشرب اللبن الماضر . أو لبياض لونه . وأما الحازر فهو الحامض من اللبن والنبيذ . ومن الوجوه العابس والباسر .

(٣) القاموس : والجحوش كجرول الصبي قبل أن يشتد وهذا التفسير عكس ما جاء من معناه في الأصل فان معنى غلظ اشتد . قال في المصباح : وغلظ الرجل اشتد فهو غليظ ، واستغلظ الزرع اشتد . والثعالبي يؤيد هذا المعنى —

السايب — يقال للماء : ساب يسيب سيباً اذا جرى على وجه الأرض[1] .

جُلاح — من الجلَح . والجلح ذهاب شعر مقدم الرأس . يقال : رجل مجلوح وجليح وجلاح كما يقال : طويل وطُوال[2] .

جلهمة : اشتق من جلهمة الوادي وهو ما استقبلك منه اذا تلقيته [وأصله من الجَلَه] فالعرب تزيد الميم في أشباه ذلك . فيقال : فسحم فنرى انه من الانفساح . ويقال للرجل اذا كان عظيم العجيزة ستهم ، فنرى انه اشتق من الاست . ويقال للأزرق : زرقم . ويقال للناقة اذا أسنت فانكسرت أسنانها : دِلقم . ويقال للشديد الذي لا يخرج منه شيء خرز وناقة خرزم[3] .

---

(١) المصباح : ساب الفرس ونحوه يسيب سيباً اذا ذهب على وجهه . وساب الماء جرى فهو سائب . وباسم الفاعل سمي . وسيبته بالتشديد فهو مسيب . وباسم المفعول سمي . ومنه سعيد بن المسيب . وهذا الأشهر فيه ، وقيل : سعيد بن المسيب اسم فاعل .

(٢) المصباح : جلح الرجل جلحاً من باب تعب اذا ذهب الشعر من جانبي مقدم رأسه فهو أجلح . والمرأة جلحاء والجمع جلح مثل أحمر وحمراء وحمر . والجلحة مثل قصبة موضع انحسار الشعر . وأوله النزع ثم الجلح ثم الصلع ثم الجله وشاة جلحاء لا قرن لها . القاموس : وكغراب السيل الجراف . ووالد أُحيحة .

(٣) القاموس : الجُلهمة بالضم حافة الوادي وناحيته ويفتح . والشدة . والخطة . والامر العظيم أو امم . قال أبو هفان المهزمي : جلهمة اسم رجل بالضم منقول من الجلهمة لطرف الوادي . قال : والمحدثون يخطئون ويقولون الجلهمتين . قال ابن الأثير : زيدت فيه الميم كما زيدت في زرقم وستهم . وقال الأزهري : العرب زادت الميم في حروف كثيرة منها قولهم : قصمل الشيء اذا كسره وأصله قصل . وجلمط رأسه اذا حلقه . وفرصم الشعر اذا قطعه —

يحصب — يقال : حصب الرجل يحصب حصباً اذا رمى بالحصي · وتقول اذا رمى الجمرات : قد حصب القوم وهم يُحصِّبون · ومنه سمي المحصب [١] ·

دارم — اشتق من واحد من شيئين · يقال اذا دنا وقوع سنه وذهبت حدته التي تريد أن تقع ـ قد درم وهو قعود دارم · والدارم هو ألاَّ يكون للشيء حد ، ويقال : امرأة درماء المرافق اذا لم يكن لمرفقها حد · ويقال للأرنب اذا مشت فقاربت الخطوة : قد درمت تدرم [٢] ·

---

(١) الأساس : حصبت الريح بالحصباء · وريح حاصب وحصبوه · وفي الحديث : (هل أحصبه لكم) · وحصبوا المسجد بسطوا فيه الحصباء · وأرض محصبة ذات حصىً · وتقول : هذا حاصب وليس بصاحب · وهم حصب جهنم وحصبت النار طرحته فيها · وبتنا بالمحصب وهو موضع الجمار ·

القاموس : ويحصب مثلثة الصاد حي والنسبة يحصبي مثلثة · وكضرب قلعة بالاندلس ·

(٢) القاموس : درم الساق كفرح استوى · والكعب أو العظم واراه اللحم حتى لم يبن له حجم · والأسنان تحاتت ، والبعير ذهبت أسنانه ودنا وقوعها · ودرم القُنفُذ يدرِم دَرْماً ودَرِماً بكسر الراء ودرماً ودرماناً محركتين ودرامة قارب الخطو في عجلة · وامرأة درماء لا تستبين كعوبها ومرافقها وكل ما غطاه الشحم واللحم وخفي حجمه · والأدرم الذي لا أسنان له · وأدرم الصبي تحركت أسنانه ليستخلف أخرى الى أن قال : ودارم بن أبي دارم صحابي وابن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم وكان يسمى بحراً لأن أباه أتاه قوم في حَمالة · فقال له : يا بحر ائتني بخريطة المال فجاءه يحملها وهو يَدرِم تحتها والدرماء الأرنب · وبنو الأدرم من قريش ·

بجاد — سمي بالبجاد من الوبر والبجاد ثوب ينسج من صوف أو من أوبار الابل والجمع البُجُد [١] .

علك — العك ردك الشيء . وردك الكلام على الرجل . يقال : ما زال يعكه بذلك القول حتى أغضبه [٢] .

— في ترتيب أسنان الناس والدواب في كتابه فقه اللغة فيقول : ثم إذا (غلظ الصبي) وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو الجحوش عن الاصمعي . وأنشد للهذلي : قتلنا مخلداً (البيت) . وفي الأساس عزا البيت للمعترض الظفري .

الليث : الجحاش مدافعة الانسان الشيء عن نفسه وعن غيره . وقال غيره ، هو الجحاش والجحاش . وقد سموا جحشاً ومجاحشاً وجحيشاً . وبنو جحاش بطن منهم الشماخ بن ضرار .

الجوهري : جحاش ابو حي من غطفان وهو جحاش بن ثعلبة بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان . قال : وهم قوم الشماخ بن ضرار . قال الشاعر :

وجاءت جحاش قضها بقضيضها وجمع عوال ما أدق وألأما

ويقول الشماخ :

أتتني سليم قضها وقضيضها تمسح حولي بالبقيع سبالها

(١) وفي مبادئ اللغة : بجاد ككتاب كساء مخطط . ومنه عبد الله ذو البجادين دليل النبي (ﷺ) وسمي به جماعة . والبجاد من بيوت العرب وهو المصنوع من الوبر .

(٢) القاموس : وعكه عليه عطفه كعاكه . وفلاناً حدثه بحديث فاستعاده منه مرتين أو ثلاثاً . وماطله بحقه وبشر كرره عليه . وعن حاجته صرفه وحبسه . وبالحجة قهره بها . وبالأمر رده حتى أتعبه . وبالسوط ضربه . والكلام فسره الى أن قال : وعك بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الأزد وليس ابن عدنان أخاً معه .

عروة — فعلة من عروت . يقال : عراه يعروه اذا أتاه . قال أبو خراش :

أوابل بالشد الدليـق وحشني لدى المتن مشبوح الذراعين خلجم
تذكر ذحلاً عندنا وهو فاتك من القوم يعروه اجتراء ومأثم

خلجم طويل [1] .

الأوزاع — القطع المتفرقة . ويقال : بنو فلان أوزاع في الأرض . ويقال : وزع ذلك الأمر بينهم اذا فرقه . قال المسيب بن علس :

أحللت بيتك بالجميع وبعضهم متفرق ليُحـل بالأوزاع [2]

— في نفسه نسبوه اليها . فقالوا : عبقري . (جنوب الاثم) جاء بدله في اللسان (بطون) . وعلى هذه الرواية (الاتم) بالمثناة لا المثلثة كما في الأساس ومن معاني الاتم القطع والاقامة بالمكان . وروى في التهذيب : (بني وجنوب.) منصوباً . (التاج) عن الخليل تركته يفري فريه بالفتح والتخفيف . وكان يقول : التشديد غلط . وفي الحديث : فلم أر عبقرياً يفري فريه . روي بالوجهين .

(١) وفي الأساس (أوائل) بدل (أوابل) لوحشي بدل (حشني) و (بذا) بدل (لدى) وأوائل من واءل مواءلة ووإلاً لجأ وخلص ، ووأل وواءل طلب النجاة ، والى المكان بادر . والحش والحث كلاهما بمعنى السرعة . وأما رواية الأصل أوابل فلعله من وبل الصيد أي طرده شديداً وبالعصا ضربه وكأمير الشديد والعصا الغليظة ، الشد العدو . والدليق الشديد . والمتن الضرب . ومشبوح الذراعين عريضهما .

(٢) هذا البيت من قصيدة له من مختارات الضبي في مفضلياته مستهلها :

أرحلت من سلمى بغير متاع قبل العُطاس ورعتها بوداع

والأوزاع لقب مَرثد بن زيد ابي بطن من همدان منهم الامام عبد الرحمن ابن عبد الرحمن المولود في بعلبك والمدفون في بيروت .

الندب — حي من الأزد . وأصل ذلك الشيء اذا بقي له أثر مشرف قيل : بقي له ندب[1] .

المائن — يصلح أن يكون فاعلاً من المون هائن وخفف فصار مثل المار والمائر[2] .

عبقر — يقال القوم اذا ذكروا بالشدة : كأنهم جن عبقر . قال أبو سعيد : سألت أبا عمرو عن قوله : فلم أر عبقرياً يفري فريه . قال : جلْد قوم ٍ وقويهم . قال رجل من غطفان :

أكلَّفُ أن تحلَّ بنو سُلَيم جنوب الاتم ـ ظلم عبقري[3]

---

(١) القاموس : النُدبة أثر الجرح الباقي (ج) نَدَب وأنداب وندوب . وندبه الى الأمر كنصره دعاه وحثه ووجهه . والميت بكاه وعدد محاسنه والاسم النُدبة . والندْب الخفيف في الحاجة الظريف النجيب جمع ندوب وندباء . وقد ندب كظرف وبالتحريك (نَدَب) الرشق والخطر . وقبيلة منها بشر بن جرير ومحمد بن عبد الرحمن .

(٢) من هار البناء هدمه فهار وهو هائر وهار ٍ .

(٣) الأساس : فلم أر عبقرياً يفري فريه . وقال : ظلم لعمر الله عبقري . وقال رجل من غطفان : أكلف (البيت) . تهذيب الألفاظ : والعبقري من الرجال الذي ليس فوقه شيء . ويقال : ظلم عبقري ليس فوقه شيء . قال شُريح بن بحر الثعلبي :

أكلف أن تحُلَّ بنو سُليم جنوب الإتم ظلم عبقري
ولو أني مليك بني سليم لسد عليهم حجر خفي

وعلى رواية التهذيب حرفا بني سليم وجنوب منصوبان .

النهاية : الأصل في العبقري فيما قيل : إن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون . فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق . أو شيئاً عظيماً —

مرثد – نرى انه اشتق من الرثد . والرثد وضع المتاع بعضه على بعض . ويقال تركت فلاناً مرثداً يريد ناضداً متاعه ما تحمل بعدُ[١] .

بُريد – اشتق من البرد . ويصلح أن يكون تصغير أبرد كما تقول : أزرق وزريق . ومن البرد . وأبرد وبُريد أخوان من بني رياح أحدهما الشاعر .

جشيش – يكون من الجش ومن الجُش وهو مكان مرتفع فيه غلظ نحو النجفة . وقال جريم بن سياب للنابغة الذبياني :

اضطرك الحرز من ليلى الى برد تختاره معقلاً من جش أعيار[٢]

وداعة – اشتق من الثوب يودَّعُ به[٣] .

---

(١) الأساس : رثدت المتاع نضدته ومتاع رثيد ورثد . القاموس : رثد المتاع نضده كارتثده فهو رثيد ومرثود ورثد محركة . والرثد بالكسر الجماعة . وكمسكن الرجل الكريم والأسد . واسم . وملك لليمن . وتركتهم مرتثدين ما تحملوا بعد أي ناضدين متاعهم .

(٢) القاموس : جشه دقه كأجشه . وبالعصا ضربه . والمكان كنسه . والبئر نقاها . والباكي دمعه أمراه والجشيش السويق . وحنطة تطحن جليلاً فتجعل في قدر ويلقى فيها لحم أو تمر فيطبخ . وكأمير اسم وزبير ابن الديلمي ممن أعان على قتل الأسود العنسي وابن مالك في تميم . وابن مُر في مذحج وابن عوف في كنانة . والجشُّ الموضع الخشن الحجارة وجش أعيار موضع أو ماء ملح باكناف شربَّة .

(٣) الأساس : ودع الثوب توديعاً وتودعه صانه في الميدع وهو الصوان ويسمى بوداعة مخلاف ورجال . اللسان : ووادعة قبيلة اما أن تكون من همدان واما أن تكون همدان منها . القاموس : والميدع والميدعة والميداعة بالكسر الثوب المبتذل جمع موادع ووداعة مخلاف باليمن . وابن جذام او حرام وابن أبي زيد ووداعة بن ابي وداعة السهمي صحابيون .

حُجر — اشتق من قول العرب اذا شيئاً يكرهونه حجرا . قال الشاعر :

قالت وفيها حيدةٌ وذعر عوذٌ بربي منكم وحُجر [١]

يحابر — يرى انه جمع اليحبورة وهو طائر [٢] .

رُعين — موضع باليمن . يقال للملك ذو رعين [٣] .

---

(١) القاموس : الحجر مثلثة المنع . وبالكسر العقل . وبالضم أو ضمتين والد امرئ القيس الخ . الأساس : وفي ذلك عبرة لذي حجر وهو اللب . وهذا حجر عليك حرام . وحجر عليه القاضي حجراً . و (عوذ بالله منك وحجر) . وأعوذ بك من الشيطان . المخصص . ابن السكيت : عوذ بالله منك ، أي أعوذ بالله منك وأنشد البيت . تقول العرب عند الأمر تنكره (حجراً له) أي دفعاً وهو استعاذة من الأمر . والعوذ ما ليذ به من كل شيء .

(٢) القاموس : اليحبور طائر أو ذكر الحبارى . واليحابر جمعه .

التهذيب : وقال خداش بن زهير :

وان كلاباً لا كلاب لأهلها وقد جعلت كعب تكون يحابرا

التاج : ويحابر كيقاتل مضارع قاتل . ابن مالك بن ادد ، أو مراد القبيلة المشهورة . ثم سميت القبيلة يحابر قال الشاعر :

وقد أمنتني بعد ذاك يحابر بما كنت أغشى المنديات يحابرا

(٣) الأساس : بدا رعن الجبل ورعانه وهو أنف شاخص منه وبتصغيره سمي الحصن الذي قيل للملك : ذو رعين . القاموس : والرعن أنف يتقدم الجبل جمعه رعون ورعان . والجبل الطويل ذو رعين كزبير ملك حمير . ورعين حصن له أو جبل فيه حصن ومخلاف آخر باليمن .

كلي الحمض بعد المقحمين ورازمي   الى قابل ثم اعذري بعد قابل

يقول : كلي الحمض واخلطيه بشيء آخر من الشجر [١] .

حريش — يصلح أن يكون من الخشنة . يقال : أفعى حرشاء اذا كانت خشنة المس . ودرهم أحرش اذا كان لم تلينه الأيدي . ويصلح أن يكون من البعير يضرب فيبقى به أثر الضرب . فيقال : به حراش . وبعير محروش وحريش مثل قتيل ومقتول . ويصلح أن يكون من حرش الضب . يقال : ضب محروش وحريش [٢] .

---

(١) المخصص : المرازمة كالمعاقبة . وكل خلط بين شيئين في مأكل مرازمة . الأساس : عنده رزمة من الثياب وهي ما شد منها في ثوب واحد . وجاءوا بالسياط رزماً وبالعصي حزماً . وهي من رزمت الشيء اذا جمعته . وفلان يرازم بين المطاعم يخلط بينها فيأكل خبزاً مع لحم ، وأقط مع تمر . وقيل : هو ان يناوب بينها فيتناول مرةً لحماً ، ومرةً لبناً ، ومرةً حاراً . ومارةً بارداً . والابل ترازم بين الحمض والخُلة (الحمض ما ملح وأمرَّ من النبات والخُلة ما حلا) ، تناوب بينها . وبعد ايراده بيت الراعي عقبه بقوله : أي بعد الذين أقحمتهم السنة الى الأمصار . القاموس : والمرازمة في الطعام المعاقبة بأن يأكل يوماً لحماً . ويوماً عسلاً . ويوماً لبناً ونحوه لا يداوم على شيء . وأن يخلط الأكل بالشكر . واللقم بالحمد . أو أكل اللين واليابس . والحلو والحامض . والجشب والمأدوم . وبكل فسر قول عمر (رضي الله عنه) : اذا أكلتم فرازموا . ورزام ككتاب الرجل الشديد والصعب . وابن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم .

(٢) الأساس : حرشت بين القوم . وفلان من عادية التحريش . والضب أحرش أي خشن الجلد . ودينار أحرش فيه خشونة الجدة كقولهم : درع قضاء . وأعطاني فلان دنانير حرشا . ونقبة حرشاء لم تطل بالهناء . القاموس : بعد

قحافة — اشتق من القحف . والقحف أخذك كل ما بقي من الصحفة يقال : اقتحف كل شيء في الاناء [١] .

شجنة — شعبة من الشيء [٢] .

رؤاس — اشتق من الرأس . يقال : رجل رُؤاس وكُباس عظيم الرأس أيضاً [٣] .

رزام — يصلح أن يكون من شيئين من رزم يرزم بالأرض فلا يقوم . ومن ارزام الناقة . ويصلح في جمع الشيئين كما في لقمة من خبز ولحم أو تمر وأقط . أو سمن وتمر . ويقالُ : تركتُ فلاناً يرزم بين طعام كذا وكذا وهو أن يجمع بينهما في لقمة . قال الراعي :

---

(١) القاموس : القحف بالكسر العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة فبان . ولا يدعى قحفاً حتى يبين أو ينكسر منه شيء جمع أقحاف وقحوف وقحيفة . والقدح أو الفِلقة من القصعة اذا انثلمت . وإناء من خشب نحو قِحف الرأس كأنه نصف قدح . وبنو قحافة بطن من خثعم . وأبو قحافة عثمان بن عامر صحابي وان الصدّيق رضي الله عنهما .

(٢) القاموس : الشجن محركة الهم والحزن والغصن المشتبك . والشعبة من كل شيء كالشجنة مثلثة والمتداخلة الحلق من النوق . والحاجة حيث كانت جمع شجون . وشِجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن زيد مناة . والحديث ذو شجون فنون وأغراض .

(٣) القاموس : وبنو رؤاس حي . منهم أبو دُؤاد ، ووكيع ، وحُميد بن عبد الرحمن بن حميد الرؤاسيون . والرؤاسي العظيم الرأس . وفيه في مادة (كبس) وكغراب العظيم الرأس ومن يكبس رأسه في ثيابه وينام . وابن جعفر ابن ثعلبة ، وعلي بن قسم بن كُباس محدث .

حرثان — اشتق من حرث الزرع . أو من حرث الدابة وهو أن تركب حتى يذهب لحمها وتجهد[1] .

هوازن — جمع هوزن . وهوزن حي من اليمن ويقال لهم : هوزن . وأبو عامر الهوزني منهم[2] .

(يتبع) سليمان ظاهر

— وأباد الله غضراءهم وخضراءهم أي طينهم وشجرتهم التي منها تفرعوا اﻫ . وفي تهذيب الألفاظ (لا بد) بدل لا وعي وكلاهما صحيح لأن معنى لا وعي لا بد . وابن أحمر هو عمرو بن أحمر الباهلي من شعراء الحماسة وكان من شعراء الجاهلية وأدرك الاسلام فأسلم وغزا مغازي الروم وأصيب باحدى عينيه ثم نزل الشام وتوفي في زمن عثمان . وعده الجمحي في طبقاته من الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين : وفرج راكس موضع معروف

القاموس : وغاضرة قبيلة من أسد . وحي من صعصعة . وتسمى أرض طف كربلاء حيث قتل الحسين بن علي عليه السلام الغاضرية ولعلها سميت بذلك لنزول حي غاضرة فيها .

(١) المختار : الحرث كسب المال وجمعه احراث[1] وبابه نصر . وفي الحديث (احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً) قلت : تمام الحديث (واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) كذا نقله الفارابي في الديوان . والحرث أيضاً الزرع اﻫ . ويقال : احرث القرآن أي ادرسه . قال الأزهري : والحرث تفتيش الكتاب وتدبره . القاموس : وحرثان بالضم اسم . وأورد أسماء طائفة كبيرة ممن اسموا بمشتقات هذا الحرف .

(٢) القاموس : الهوزن كجوهر الغبار ، وطائر . وأبو بطن . وهوازن قبيلة .

(١) المجمع : قول المختار (وجمعه أحراث) كلة أحراث هنا زائدة، أما قوله (وجمعُه) فهو معطوف على كسب عطف تفسير .

حاشد — يقال للرجل اذا كان يبذل ما عنده من مال : لقد حشد [١] .

غاضرة — يصلح أن يكون من الغضارة غضارة العيش والبهجة . ومن العطف أيضاً غضَر يغضِرُ اذا هو عطف قال ابن احمر :

تواعدن ان لا وعي عن «فرج راكس» فرحن ولم يغضرن عن ذاك مغضرا

أي ما عطفن ولا نصرن . ويقال : حفر بئره في غضراء منكرة اذا أنبط في طينة حرّة تضرب الي الخضرة . وأباد الله غضراءه وخضراءه أي أباد الله خصبه وخيره [٢] .

— ذكر المادة ومتفرعاتها . والحريش دُويبة قدر الاصبع بأرجل كثيرة . أو هي دخّال الاذن . وابن هلال القريعي الشاعر . وابن كعب في قيس . وابن جذيمة في الأزد . وابن عبد الله في كلب الى غيرهم ممن سموا بهذا الحرف .

(١) القاموس : حشد يحشِد ويحشُد جمع . والزرع نبت كله . والقوم خفّوا في التعاون او دُعوا فأجابوا مسرعين واجتمعوا لأمرٍ واحد كاحتشدوا واحتشدوا وتحاشدوا . والناقة حفلت اللبن في ضرعها . والحشد ويحرك الجماعة . وككتف من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والنصرة .

الأساس : حشد القوم واحتشدوا : اجتمعوا وخفوا في التعاون . واحتشدوا وتحشدوا وتحاشدوا على الأمر اجتمعوا عليه متعاونين . وعنده حشد من الناس . ورجل محشود محفود مجتمع عليه مخدوم . واحتشدت لفلان في كذا أعددت له . واحتشد لنا في الضيافة اذا اجتهد وبذل وسعه . واحتشد للضيافة واحتفل لها . وفلان حافل حاشد مجتهد في خدمته وضيافته وسعيه . قال :

والحاشدون على قِرى الأضياف

هذا . وسُمّي حيّ بحاشد .

(٢) الأساس : بنو فلان مغضورون ومغاضير اذا كانوا في غضارة عيش وهوطيبه ونضرته وقد غضرهم الله . وانبط بئره في غضراء أي في طينة طيبة حرة . —

والحقيقة أن الشيخ الذي درس ابن عقيل عليه علم الكلام هو ابن الوليد أبو علي محمد بن احمد الكرخي المعتزلي المتفلسف المتوفى سنة «٤٧٨» المدفون في الشونيزية «مقبرة الشيخ جنيد» بالجانب الغربي من بغداد [١] .

وكانت وفاة العلامة ابن عقيل في جمادى الآخرة سنة «٥١٣» ودفن في دكة الامام احمد بن حنبل في الشمال الغربي من العاظمية . وترجمته مشهورة معروفة في أكثر كتب التاريخ التي ألفت بعد وفاته كالمنتظم لأبي الفرج بن الجوزي ومرآة الزمان لسبطه، وتاريخ الاسلام للذهبي، وطبقات القراء له أيضاً، وغاية النهاية لشمس الدين الجزري، وشذرات الذهب فضلاً عن ذيل الطبقات لابن رجب، قال الذهبي : «تفقه على أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء وأخذ علم الكلام عن أبي علي بن الوليد وأبي القاسم ابن التبان ومن ثم حصلت فيه شائبة تجهم واعتزال وانحراف عن السنة (كذا) وكان إماماً مبرزاً متبحراً في العلوم، يتوقد ذكاءاً . وكان أنظر أهل زمانه . قال أبو طاهر السلفي : ما رأت عيناي مثله، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه وبلاغته وحسن ايراده وقوة حجته . وقد سقت جملة من أخباره في تاريخي الكبير [٢] » .

(١) ابن الجوزي في المنتظم «ج ٨ ص ٢٣٥ ، ٢٤٨» و «ج ٩ ص ٢٠» وابن الأثير في «الكامل حوادث سنة ٤٧٨» والقفطي في «المحمدون من الشعراء» «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ١٠» والشمس الذهبي في تاريخ تاريخ الاسلام «نسخة المتحف البريطانية (٥٠١٥٠) الورقة ١٦٤» وذكر القفطي في ترجمة يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب من تاريخ الحكماء وابن خلكان في ترجمته أيضاً من الوفيات، وابن العبري فيها من مختصر الدول أن يحيى ابن جزلة كان نصرانياً فلازم ابن الوليد المذكور لقراءة المنطق عليه، فحسن له الاسلام ودعاه اليه وذكر له الدلائل الواضحة حتى استجاب له وأسلم وصنف رسالة في الرد على أهل دينه الأول، ووقف كتبه قبل موته على تربة الامام ابي حنيفة النعمان ومدرسته .

(٢) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٨٤ الورقة ١٣٩» .

كتاب الفنون لابن عقيل

أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري الواعظ الفقيه الأصولي المقرئ الحنبلي كان من أعلام الاسلام ونوابغه في القرن الخامس للهجرة ، وقد أدرك القرن السادس . ولد ببغداد سنة « ٤٣١ » ونشأ فيها نشأة المتعلمين ، المتسمين بخدمة الدين ، وقد ذكر هو شيوخه ، كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ج ١ ص ١٧١ – ٢ » وفيهم كثرة ، تشعر بشيء من الافتخار نزا في نفسه عند ذكره لهم ، وهو افتخار شريف الا أنه يُنْبِئُك الباحث عن ذوي الآثار الحسنة في ثقافته الدينية وثقافته الأدبية من شيوخه . هذا الى أن ابن رجب ذكرهم بكناهم وأن اللذين قاما على نشر ذيل الطبقات «المستشرق الفاضل هنري لاووست الفرنسي الباذل مجهوده في نشر الثقافة الحنبلية » ، و « الدكتور الأديب سامي الدهان » لم يستطيعا أن يردّا الكنى الى أسمائها ، ولكنهما خرجا من عهدة النشر العلمي بأن وضعا فهرستين أحدهما « للآباء » والآخر « للأبناء » فضلاً عن فهرست الأسماء وفهرست الأنساب ، فان لم يرض قارئ الكتاب بذلك فليرضخ رأسه به ، فلا يكلف الله نفساً الا وسعها ، ولقد وقفت هماتهما في ذلك عند الاحالة على اختلاف النقول والمنقول ، ولقد جاء في سيرته « ص ١٧٢ » ان شيخه في علم الأصول « أبو الوليد » وهو في فهرست الكنى « ابو الوليد » أيضاً . وأصبح شيخه هذا في ص ١٧٤ ، ص ١٩٠ » « ابن الوليد » وهو في فهرست الأبناء « ابن الوليد » أيضاً . ونقدنا لنشر هـذا الكتاب ، سيظهر في مجلة المجمع العلمي العراقي بشكر كثير ومؤاخذات كثيرة .

عمر[1] بن علي القزويني ببغداد قال : سمعت بعض مشايخنا يقول هو ثمانمائة مجلدة[2]» .

هذا خبر كتاب « الفنون » الذي وسمنا مقالتنا باسمه ، وهذا وصفه ، ولكن خزائن الكتب التي اطلعنا على أثباتها ليست فيها أجزاء من هذا الكتاب ، في ظاهر تسجيلها ، فهل ضاع مع جملةٍ من الكتب الاسلامية العظيمة ؟

إن حاجي خليفة لم يذكر هذا الكتاب في « كشف الظنون » وهو لكبره وكثرة مجلداته كان صعباً اقتناؤه وانتساخه ، والصعوبة من حيث العمل والنفقة ، على أن العلماء ومن كبارهم أبو الفرج بن الجوزي اختاروا منه واختصروا وانتخبوا واستفادوا . وكثيراً ما رأيناهم ينقلون في كتبهم من ذلك الكتاب[3] أو يقولون « قال ابن عقيل » في الأمور العجيبة ، ولكن أين هذه النقول من « سبعين وأربعمائة مجلدة » ؟

نحن لا نظنّ أن الكتاب قد استهلكه النقل أو زال من الوجود بدلالة أننا عثرنا على جزء منه ، في دار الكتب الوطنية بباريس ولعل جزءاً آخر في خزانة أحمد باشا تيمور بدار الكتب المصرية ، وان لم يوسما بأنهما من أجزاء كتاب الفنون ومجلداته . فأما جزء دار الكتب الوطنية بباريس فقد فهرسه مؤلف فهرستها في الرقم « ٧٨٧ » من العربيات بالاسم الذي زوّره عليه أحد المزوّرين وهو « كشف الغمة في المسائل المختلفة في الأربع مذاهب (كذا) للامام المحقق الشعراني » . وفي الحق أن الكتاب لا يقتصر على المسائل المختلفة في المذاهب الأربعة فتصح عليه هذه التزويرة الكبيرة ، بل يحتوي على ما ليس له صلة

(١) هو الشيخ سراج الدين الفقيه الشافعي المدفون في جامع محلة سراج الدين بشرقي بغداد « م : ٧٥ » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة « ج ١ ص ١٨٨ » .

(٣) كما فعل ابن النجار في تاريخه في ترجمة عبد الملك الجوبني قال « قرأت في كتاب الفنون لأبي الوفاء علي بن عقيل » وفي ترجمة ابن المؤلف « عقيل بن علي بن عقيل » ونقل عنه غير ذلك .

وقد ألف ابن عقيل كتباً جليلةً منها كتاب « الفنون » وكتاب « كفاية المفتي » في المذهب الحنبليّ ، قال سبط ابن الجوزي : « وكتاب الفنون وهو مائتا مجلدة ، جمعه طول عمره واختصر منه جدي [ابوالفرج] عشر مجلدات ، فرّقها في تصانيفه ، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية [١] نحواً من سبعين ، وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار » [٢] . ولم يصرّح ابن الجوزي بالاختصار الذي أشار اليه سبطه بل قال : « وجعل كتابه المسمى بالفنون مناظر لخواطره وواقعاته ، ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل [٣] » . وقال الذهبي في الكتاب الذي أشرنا اليه ونقلنا منه « صاحب كتاب الفنون الذي بلغ أربعمائة وسبعين مجلداً » .

وقال ابن رجب : « ولابن عقيل تصانيف كثيرة في أنواع العلوم وأكبر تصانيفه كتاب الفنون وهو كتاب كبير جداً ، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات ، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له ، وخواطرُه ونتائج فكره قيّدها فيه ، قال ابن الجوزي : وهذا الكتاب مائتا مجلدة ، وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة ، وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره : قال لي أبو البقاء اللغوي [العكبري] سمعت الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول : وقفتُ على السفر الرابع بعد الثلاثمائة من كتاب الفنون . وقال الحافظ الذهبي في تاريخه : لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب ، حدثني من رأى المجلد الفلاني بعد الأربعمائة ، قلت : وأخبرني

(١) المأمونية هي محلة عقد القشل والميتاويين وصبابيسغ الآل الحالية في شرقي بغداد ، ووقفها هو خزانة الكتب التي انشأتها السيدة زمرد خاتون الشافعية زوج الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله في رباطها « تكيتها » بالمحلة المذكورة ، وقد زال الرباط وزالت الخزانة من الوجود .

(٢) مرآة الزمان « ج ٨ ص ٨٤ » من طبعة حيدر أباد الدكن .

(٣) المنتظم « ج ٩ ص ٢١٤ » .

و «الرابع» : أن مؤلفه حنبليّ ولا يذكر اسمه في المناظرة وانما يقول : «قال الحنبليّ» تواضعاً وتأدباً .

و «الخامس» : أن مؤلف الكتاب من المحلة الظفرية[1] ببغداد ، بدلالة ذكره لها كما في الورقة «٣٢» ونصه : «وجرى بمجلسنا بالظفرية مسألة آلة اللهو هل يجب ضمان أحراقها ؟» وفيها الورقة «١٢٠» قال : «جرى بمجلس الظفرية مسألة المسلم والأقارب قبل قسمة الميراث» . وهذا لا ينفي أنه سكن أو وعظ في غيرها .

و «السادس» : أن المولف نقل من كلام المعتزلة ، وخصوصاً من كلام شيخه ابن التبّان المقدم ذكرُه وان لم يشر الى تلمذته عليه ، فقال في الورقة (٨٢) : استدلّ بعض أصحاب الحديث ... فأجابه شيخ معتزلي مقدم عليهم بالجانب الغربي يعرف بابن التبان في الكرخ بمجلس عقده ببعض دورها[2]» .

و «السابع» : أنه صرّح بمعونة أبي منصور عبد الملك بن يوسف الحنبلي السريّ له ، كما في الورقة «٢٣٥» من الكتاب ، وهذا السري من الذين يذكرون في ترجمة ابن عقيل من كتب التاريخ ، كما في المنتظم لابن الجوزي قال : «وأقبل عليّ أبو منصور بن يوسف فحظيت منه بأكثر من حظوة وقدّمني في الفتاوى مع حضور من هو أسن مني وأجلسني ...[3]» .

و «الثامن» : هو أن كنيته «أبا الوفاء» وردت في هامش الورقة (٨٨) من نسخة باريس القيمة النسخ .

---

(١) المحلة الظفرية من محال بغداد الشرقية أيام بني العباس ، وكان حدها من جادة سور الظفر التي دفن حيالها الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي الصوفي الكبير القائم قبره الى اليوم ، فهي بين محلة الفضل وخان اللاوند من الشمال وعزات طويلات والجوبة من الجنوب ، وقد خرب كثير منها .

(٢) وسنذكر ما نقله عن معتزلي في باب الحسن والقبيح من حيث الشرع والعقل .

(٣) المنتظم «ج ٩ ص ٢١٣» ونقله ابن رجب في ذيل الطبقات «ج ١ ص ١٧٣» .

بالدين أصلاً ، كما سنذكره منه وما سنشير اليه بذكر اسمه أو وسمه ، ثم إن الشعراني وهو عبد الوهاب بن أحمد المتصوف المشهور ، توفي سنة «٩٧٣هـ» ، وهذا الكتاب قد جاء في آخره ، في الورقة «٢٦٧» ما نصه : «والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلم . وقع الفراغ منه ضحوة نهار يوم الخميس ثامن عشر شوال سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، كاتبه العفيف بن المبارك ابن الحسين بن محمود[1] رحمه الله من دعا له بالعفو ولوالديه بالمغفرة وهو حسبي ونعم الوكيل» ، فكيف تصح نسبة كتاب منسوخ سنة «٥٣٤هـ» الى عالم توفي سنة «٩٧٣» ؟ هذا هو الذي حدانا على تفحصه وتقصي أمره والبحث عن مؤلفه ، فألفينا أنه مجلدة من مجلدات كتاب «الفنون» لأبي الوفاء بن عقيل المذكور بعد التأمل الرشيد والتفكير المديد .

وقد استدللنا على ذلك بعدة أمور :

«أولها» : أن أخبار الكتاب وحوادثه جرت في عصر ابن عقيل .

و «الثاني» : أن مضامين الكتاب من الأنواع التي أشاروا اليها في وصف كتاب الفنون بالتحقيق والتأكيد من موعظة ومناظرة واستفتاء وخبر طريف وشعر حسن .

و «الثالث» : أن الرجال المذكورين فيه كان لابن عقيل اتصال بهم لا شك فيه ، ولا سيما اتصال الدراسة واتصال الاستعانة ، كما جاء في الورقة (١٨) «أخبرنا شيخنا القاضي الامام ابو يعلى محمد بن الحسين ابن عقيل في الفقه الحنبلي ، كما ألمعنا اليه ، كما أنه شيخ غيره فيه .

---

(١) هنا كانت كلمة نسبه وقد محاها المزوّر أو غيره زيادة في التعمية : وهو أبو محمد عفيف بن المبارك بن الحسين بن محمود الخياط الوراق من أهل باب الأزج ببغداد «محلة باب الشيخ ورأس الساقية» . كان صهر الشيخ الزاهد عبد القادر الجيلي الحنبلي ، وكان يورّق للناس توريقاً قليل الضبط بخطه الحسن وسمع الحديث ، توفي سنة «٥٧٠» كما في تاريخ ابن النجار (في باب العين) .

في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء طمعاً في أن يعلق بي طرف من الفضل أبعد به عن الجهل ، لعلي أصل الى بعض ما وصل الرجال قبلي (كذا) ولو لم يكن من فائدته عاجلاً إلا تنظيف الوقت عن الاشتغال برعونات الطباع التي تقطع بها أوقات الرعاع ، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل» . فتأمل هذا التواضع النبيل والتعليل الجميل للاشتغال بما كان هو في سبيله .

شذرة وعظرة «و ١»

ما أشدّ شؤم المعاصي ؟ بينا يسمع قول الله للملائكة : اسجدوا لآدم حتى سمع النداء : اهبطوا منها جميعاً ، بينا يرفل في حلل السندس والاستبرق حتى طفق يخصف على عورته من الورق . إذا أردت أن تتلمح القدر السابق فانظر الى قوله السابق : «إني جاعل في الأرض خليفة . خليفة في الأرض ما يصنع في الجنة ؟ ساقته الكلمة السابقة والعلم السابق الى المستقر «ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين» .

التزويج بأقل من المهر «و ٧»

جرى بمجلس نور الهدى [1] ذي الشرفين الزينبي مسألة «الأب» اذا زوّج

(١) هو ابو طالب الحسين بن محمد بن عبد الوهاب العباسي الزينبي ، نسبة الى جدته الكبرى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس من فضليات العباسيات وراويات الحديث النبوي وهذا معنى تلقيبه بذي الشرفين ، تفقه ابو طالب الزينبي على قاضي قضاة الدولة العباسية أبي عبد الله محمد الدامغاني الحنفية ، جدّ الأسرة الدامغانية ببغداد ، وعلى ابي بكر الرازي ، صاحب القدوري ، وبرع في الفقه الحنفي ، ودرّس في مدرسة الامام ابي حنيفة خمسين سنة ، وولي نقابة النقباء للعباسيين والطالبيين ثم استعفى منها ، ولقب بنور الهدى ، نظام الحضرتين العباسية والسلجوقية ، وكان زاهداً عابداً ما حل ديناراً ولا ادّخره ، توفي سنة «٥١٢» عن «٩٢» سنة ودفن عند الامام ابي حنيفة . «المنتظم ج ١ ص ٢٠١» و «الجواهر المضية في طبقات الحنفية ج ١ ص ٢١٩» وقد تصحف لقبه في الجواهر المضية الى «نظام الحضر» وانما هو «نظام الحضرتين» .

والجزء الآخر محفوظ في الخزانة التيمورية كما ذكرنا آنفاً، وقد كتب عليه «كتاب الجدل في الأصول للعلامة علي بن عقيل البغدادي الحنبلي» وهو مخطوط سنة «٥٦٤»[1] . وما هو عندي إلا مجلدة من كتاب الفنون كما أشرت اليه آنفاً .

[مقتبسات من كتاب الفنون]

قال أبو الوفاء علي بن عقيل في تقديم المجلدة المحفوظة في دار الكتب الوطنية بباريس برقم «٧٨٧» من العربيات :

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم ، أما بعد فان خير ما قطع به الوقت ، وشغلت به النفس ، فتقرُب به الى الرب — جلت عظمته — طلب علم أخرج من ظلمة الجهل الى أنوار الشرع ، وأطلع به على عاقبة محمودة يعمل لها ، وغائلة مذمومة يتجنب ما يوصل اليها وليس ذلك إلا العلم الذي يُصلح الاعتقاد ويخلصه من الأهواء ويصلح الأعمال ويصفّيها من الأدواء وهما علمان :

علم الأصول ومبناه على التأمل والاعتبار ، وعلم الفقه ومبناه استخراج معاني الألفاظ الشرعية وأخذ الأحكام من المنطوق به للمسكوت عنه ، وذلك الذي شغلت به نفسي ، وقطعت به وقتي ، فما أزال أعلّق ما أستفيده من ألفاظ العلماء ، ومن بطون الصحائف ومن صيد الخواطر التي تنثوها[2] ، المناظرات والمقابسات

(١) ذكرى احمد تيمور باشا « ص ٢٣ » وقد ذكر في فهرست الجامعة العربية المخطوطات العربية المصورة « ص ٢٥ » جزء في الأصول صنفه الشيخ أبو الوفا علي ابن عقيل المذكور ، وهو مصور على نسخة المكتبه الظاهرية بدمشق محفوظة مع كتب الحديث ، مع انه مذكور في الفهرست مع التفسير وعلوم القرآن . وقال للفهرس « وهوى القرآن » فتأمل ذلك .

(٢) غير منقوطة في الأصل ولا تزال تحتاج الى تحقيق او هي «تنثرها» من النثر.

فان أرجع فذاك رجوعُ مُنجٍ … وإلا فانعَني أو نُحْ بسرِّي
نجثتُ أفودُهُ والنجمُ عالٍ … وما هي من أبي بكر بنكرِ
وقد كانَ الزبير فتى مَعدٍّ … إذا فزعوا وفارس حيّ فهرِ
وأجودَهم على العلاّت كفاً … وأعودَهم على عُسرٍ بيسرِ
وأقومَهم بأمر الحقّ فيهم … وأتركَهم لشبهة كلِّ أمرِ
وقالوا قد هوت لأبيك أمٌّ … فقلتُ لهم ألا لا لست أدري
أرى أمرين في عُرفٍ ونكرٍ … ولستُ بعاذرٍ إلا بعُذْرِ
فان تكن المنيــة أقصدَتْهُ … فكلُّ فتىً إلى الغايات يجري

أخلاق خالد بن برمك « و ١٢، ١٣ »

... ركب أبو عبيد الله كاتب المهدي ... فعرض له في طريقه مُعاذ ابن مسلم وخالد بن برمك ، فترجّل له مُعاذ ، ولم يفعل ذلك خالد ، فحقدها أبو عبيد الله في نفسه ، فلما نزل أقبل على معاذ وأكرمه ، وجفا خالداً . فلما سخط المهدي على أبي عبيد الله قعد عنه مُعاذ وأتاه خالد بن برمك فبذل له مالاً جليلاً وأعانه بنفسه وماله وجاهه كل المعونة ، ولما رأى خالد أبا عبيد الله قد عجب من ذلك مع ما فعل من جفائه قال : « يا أبا عبيد الله إن النفس التي منعتني النزول لك ذلك اليوم هي التي بعثتني على ما ترى من وفائي لك في هذا الوقت وإن النفس التي بعثت مُعاذاً على نزوله لك هي التي أقعدته عنك الآن . قال حنبلي [يعني أبو الوفاء بن عقيل نفسه] : هذه والله المكارم التي عاش الناس في بحبوحتها قديماً وعدمناها في أواخر أعمارنا لموت الكرماء ، حاشى ظهير الدولة [1] خازن إمامنا .

---

(١) ذكر في الورقة « ٧٠٢ » أنه يلقب أيضاً « مجد الدين » فلعله مجد الدين ابو المظفر هبة الله بن محمد المعروف بابن المطلب البغدادي ، صاحب ديوان الزمام أيام الخليفة المقتدي بأمر الله والخليفة المستظهر بالله ، وقد قلده هذا الأخير الوزارة وتوفي سنة « ٥٠٣ » كما في تلخيص معجم الألقاب .

ابنتيه بدون مهر مثلها ، فاستدل فيها حنبلي بأن النكاح ليس المال فيه أصلياً في القصد بل تابع ، والأصل إنما هو طلب الكفاءة ، والحظ الأكبر ذلك . والأب هو الغاية في الاشفاق ، فلا تذهب نحوه تهمة ، فاذا نقصها من الصداق علم أنه دفع ذلك وسد الخلل فيه بزيادة في الجمال والكمال الذي تدوم به العشرة وتصفو به الألفة ، من أخلاق تنضم الى كرم الأصل وشرف النسب فلا يغيرها ولا يؤذيها ولا ينقصها حقاً من حقوقها ...

شجاعة عبد الله بن الزبير « و ١٤ »

روى ابن دُريد قال أخبرنا السكن بن سعد الجرموزي قال أخبرنا علي بن نصر الجهضمي عن أشياخ من الأزد ممن أدرك مَن شهد الجمل قال : لما رجع ابن الزبير من البصرة الى المدينة مر بمنازل بني مُجاشع من بني تميم ليلاً ، فبينا هو يسير ومعه مولى يقال له «زيد» إذ سمع صهيل البسام فرس الزبير . فقال له مولاه : أشهد بالله إنه لصهيل البسام . وكان ابن جرموز قد أخذه . فقال له ابن الزبير : ويحك والله إنه لصهيل الأشقر ، والله لا أرجع الليلة حتى آخذه أو تعوقني دونه العوائق . فقال له مولاه : أذكرك الله لما تركته وانطلقت فاني أخاف أن تقتل ، والله ما نجوت من الموت إلا بما بقي لك من أجلك وقد عاينته عياناً . فقال عبد الله لمولاه : اثبت لي مكانك وهمك ما بينك وبين نصف الليل فان جئتك فذاك وإلا فانطلق وانعني الى أسماء . ثم ترجل واشتمل بسيفه وصمد لصوت الفرس ، فعرض له رجل من الحي في جنح الليل فضربه ابن الزبير فقتله حتى انتهى الى الفرس فأخذه من رباطه وجاء به يقوده حتى انتهى الى مولاه فانطلقا جميعاً ، فقال ابن الزبير — رضي الله عنه — في ذاك :

يذكّر في الزبير صهيلُ طِرْفٍ   تناوله ابنُ جرموز بغدْرِ
فقلت لصاحبي أروِدْ قليلاً   لأقضي حاجتي ووفاءَ نَذْري

رأيتم قطُّ أحمقَ من شريفٍ يصرُّ على أذى رجلٍ سخيفِ ؟
فكان كمثل عطّارٍ تدلّى فنكّس رأسه جوف الكنيفِ

شعر محمد بن عمر الأنباري « و ١٧ »

قال أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري في ابن بقية الوزير لما صلب [1] :

لم يلحقوا بك عاراً إذ صُلبت بلى باؤوا بعارك ثم استرجعوا ندَما
وأيقنوا أنهم في فعلهم غلطوا وأنهم نصبوا من سؤددٍ عَلَما
فاستدركوه ووارَوا منك طودَ عُلىً بدفنه دفنوا الأفضال والكرما
لئن بليتَ فما تبلى نداكَ ولا يُنسى وكم هالكٍ يُنسى إذا قدُما
تقاسم الخلق حسن الذكر منك كما ما زال مالُكَ بين الخلق مقتسما
بقية الجود فينا كنت فانقرضتْ فليس نعدَم مذ فارقتنا العدَما
وكنت لله فينا أنعُماً سُلبتْ ولو بقيتَ لنا لم نسلب النِعما
وكيف ينساك حرٌّ لم يجد عوضاً مذ مُتَّ عنك ولا يبكي عليك دما؟!

وحشي والراشدان « و ٢٣ »

قال وحشي لما قدمت المدينة وقد وُلي أبو بكر ، سألني كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : غيبْ وجهك عني . فكنت أخالفه الطريق فاذا سلك طريقاً سلكتُ طريقاً أخرى حتى توفي ووُلي ابن حنتمة — يعني عمر بن الخطاب — (قال حنبلي : وقوله ابن حنتمة يدلُّ على ما يدلُّ عند العقلاء) فأرسل إليَّ فدعاني فقال : كيف قتلت حمزة ؟ فأخبرته . فقال : لا تساكنّي في المدينة . فخرجت الى الشام ، فلما ولي أمير المؤمنين معاوية أنزلني داراً وأجرى عليَّ رزقاً من بيت المال ...

---

(١) أري أنه قال ذلك لما أنزل من الخشبة المصلوب — كان — هو عليها ، لأن مرثيته في صلبه هي التي قال فيها ابن الأنباري المذكور :

علو في الحياة وفي الممات لحق أنت احدى المعجزاتِ

شجاعة علي بن أبي طالب وفضله (و ١٣ ، ١٤)

قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام - لِمَ لا تلبس الجديد وأنت تقدر عليه ؟ قال : هو أخشع لقلبي . وقيل له : لِمَ لا تجعل لدرعك ظهراً ؟ قال : لأنّي لم أدخل فأحدث نفسي بالفرار والتولي .

روى الأنباري قال أخبرني أبي قال حدثنا محمد بن عمران الضبي قال : لما كثر أصحاب الحديث على شريك وقالوا له : « يا أبا عبد الله حدثنا حديث رسول الله (ﷺ) : تقتل عماراً الفئة الباغية » . غضب وقال : أترون فخراً لعليّ أن يقتل عمارٌ معه ؟ إنما الفخر لعمار في أن يقتل مع علي - رضي الله عنهما - .

الصلاة على جنازة الرجل والمرأة معاً « ١٣ »

كانت لأم كلثوم بنت علي - عليه السلام - ثلاثة أشياء : زوّجها أبوها من عمر - رضي الله عنه - ولم يستأمرها . واستشهد عمر - رضي الله عنه - فلم ينقلها أبوها من منزله الليلة التي أصيب فيها ، وقال : الدار للمسلمين وليست لعمر ولو كانت ملكا له لنقلتها . وتوفيت وابنها زيد بن عمر في ليلة ، فصلى عليها ابن عمر فجعل الابن مما يليه وجعلها مما وراء الابن . وعُرف بذلك كيف السنّة في الصلاة على المرأة إذا اتفق معها رجل .

شريف [١] سخيف

لابن حجاج [٢] في شريف آذاه :

(١) الشريف يُراد به يومئذ أحد العلويين أو أحد العباسيين كالشريف الرضي والشريف أبي تمام الزينبي ، ولكنه كان على العباسي أشهر، كما جاء في محاضرات السيوطي.

(٢) الحسين ابن حجاج الشاعر الماجن المشهور ، من أهل القرن الرابع للهجرة ، وديوانه لا يزال مخطوطاً وفيه فحش من القول كثير ، وفي اليتيمة للثعالبي نماذج من أقله فحشاً .

وتحسينه وتقبيحه ، فقال إنسان يميل الى مذهب أبي الحسن الأشعري : متى يثق العاقل بعقله وقد علم أنه لو قدّر فيما قبل ورود الشرع كيف حكم إيلام الحيوان وهدم بنيتــه لرآه بالعقل قبيحاً ، ولو قدّر إيصال اللذات الى نفسه بتقبيل الملاح من المُردان ولبس الحرير في الشتاء وسماع ما تحيا به الأنفس والقلوب من القيان لرآه حسناً ، إذ فيه تقوية النفس ورفاهية الجسم ورَوْح القلب ونعيم الجسد . فلما جاءت الشرائع لم يقنع بأن يُبيح إيلام الحيوان حتى جعل ذبحه تقرّباً اليه وقرباناً وحرّم أكثر النعيم وجعله بغياً منه وطغياناً ، فتركتْ هذه الأمور العاقلَ لا يحكم بعقله ولا يقبّح قبيحاً ، حكم العقل بقبحه ، وفوّض الأمور الى الشرع .

وكان بالحضرة رجل ينتحل العدل والتوحيد ، فأجابه : هل استدلالك هذا حسن أم قبيح ؟ فان قلت : حسن أو قبيح سألناك عن طريق تحسينه أو تقبيحه فان أجبت بانه العقل كفانا ذلك أبطالاً لما قررتَ ، وإن قلت : علمت ذلك بالشرع قيل لك أين النصّ في كتاب الله وأين سنة رسول الله مما ذكرت ؟ على أنا نبسط الكلام ونفتح عن مجال الجدال حتى لا نضيّق عليك ، فنقول : أظننت أنّ تحسين إيلام الحيوان بعد تقبيحه بالعقل المجرد كونه إيلاماً ؟ كلا ولكن لما ثبت عندنا بأدلة العقول حكمة واضع الشريعة وانه لا يفعل القبيح ولا يشرعه وأنا لو جوّزنا ذلك لانسد علينا باب العلم بصدق السفراء ، لكننا لما سبق لنا العلم بأن الصانع القديم حكيم لا يفعل القبيح ثبت لنا أنه

— ألف كتاب » . وقال سبطه في حوادث السنة المذكورة في مرآة الزمان « وفي رجب وقفت دار الكتب بشارع ابن ابي عوف من غربي بغداد ونقل اليها ألف كتاب وذلك لأن الدار التي وقفها سابور الوزير بين السورين في الكرخ سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة أحرقت لما دخل طغرلبك بغداد وتمزقت الكتب ونهب الباقي وحمل أكثرها الى خراسان ودرس العلم . والمكان الذي كانت فيه من حساب الكرخ ورواصفه » . وذكر ابن الفوطي في معجم الألقاب أنه وقف نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلم .

من مواعظ ابن عقيل « و ٨٨ »

ما أعجب شأن العارف وأعجب شأن الخلق معه : تبذّل التجار منهم [1] في طلب الأرباح وتعبية الأموال ، ولم يُعابوا ، وتبذّل المحبون والعشاق والمتيّمون في محبة الأشخاص ولم يُلاموا ، وتبذّل قوم في محبة الخيل والطيور والصيد ولم يُعابوا ، وتبذّل قوم في عبادة بارئهم فكثر اللوام والعُذّال واستهجنت منهم الأحوال وقيل فيهم كل مقول ونُسبوا الى كل عظيم من الخطأ ومهول ، وقيل لهم ما لهم عقول ، ومعلوم أن المبتذل في الله لا يُلام عقلاً لأنه ليس فوق إنعامه إنعام ، ولا على إحسانه إحسان ، نعمته تنهال وبرّه لم يزل ولا يزال ، يمدح على القليل وهو المعطي ، ويرضى باليسير وهو الموفق ، إنك لفي قول مختلف ، لا أرى لك ثبات قدم على ندم ولا وجوداً ولا موجوداً ، ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فارجع وأنِبْ ، واستغفر وتُبْ ، فقد رحل إخوانك سابقين وبقيت أنت مع المتخلفين .

نوبة زوزجار « ١٧٨ »

سئلتُ عن نسوة يغزل بعضهن لبعض يسمينه « نوبة روزجار » وصفته أن تخرج كل واحدة قطناً تفرّقه عليهن فتحصل مبادلة بالعمل . قلت وبالله التوفيق : يجوز لأن الأعمال لا يدخلها الرِّبا فأكثر ما فيه أن يكون غزل واحدة أجود من غزل الأخرى فهو ارتفاق بالأعمال .

تحسين العقل وتقبيحه « و ٩٥ »

حضرنا يوماً بدار الكتب [2] بشارع ابن أبي عوف فتذاكرنا أمر العقل

---

(١) أي من الخلق للقدم ذكرهم .

(٢) هي دار الكتب التي اسسها غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال الصابي ، قال ابو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٤٥٢ هـ » « وفي رجب وقف ابو الحسن محمد بن هلال الصابي دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ونقل اليها-

وقلت لعبدي أذكِ نارك معجلاً ... فهـذا وقود حاضر وحريقُ
فان يأتنا أو يهده ضوء نارنا ... بليلتنا هاتي فأنت عتيـقُ
فأثقب ناراً في يفاع محلّق ... وضرّمها ما اسطاع فهي ذلوقُ
ترى شرراً كالقصر منها كأنها ... جمال عليها الزعفران ونوقُ
فأقبل مجهوشاً وقد سلّ جسمه ... فلم يبق إلا أعظمٍ وعروقُ
فقلت له حياك ربك من فتىً ... أنخْ فمحلٌّ واسعٌ وصديقُ
وأبوٌ يرى حقٌّ الأبوّة واجباً ... عليه ومن بعد الحقوق حقوقُ
فأفرخ عنه الروع وارتدّ لونه ... وسكّنت منه القلبُ وهو خفوقُ

(بغداد) الدكتور مصطفى جواد

لا يؤيد كذاباً ، فثبت أنه لما أيد بالاعجاز أشخاصاً ، كانوا صادقين . فلما ثبت ذلك جاءت الشريعة بإيلام الحيوان لوجهٍ من وجوه الحكمة والمصلحة ، وليس في العقل تقبيح الايلام على الإطلاق ، بل بط الدُّبلة وألم الفصد والحجامة وشرْب الأدوية ، كل ذلك إيلام ، وكذلك الردع عن القبيح بالحدود ، فكل ذلك حسن لما عاد به من صلاح الأجلّ وحفظ الكلّ . فالايلام الذي جاءت به الشرائع من هذا القبيل ، فأما من قبيل الايلام الذي وقع لا بحكمة فكلاّ . فسكت الأشعري » .

أنجد بن قيس التميمي « و ٤ »

بعث زياد الى معاوية رجلاً من بني تميم يقال له أنجد بن قيس ، وكان له غناء يوم صفين مع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقال له معاوية : أنت القائم في الفتنة علينا والمكثر عدوّنا ؟ فقال أنجد : يا أمير المؤمنين انها كانت فتنة عمياء ، نزا فيها الوضيع وخفّ الرفيع فاحتدَمتْ وأكلت علينا ثم شربت ، حتى اذا حسرت ظلماؤها وكشف غطاؤها وآل الأمر الى مآله وصرّح الحق عن محضه عرفنا خليفتنا وتركنا فتنتنا ولزمنا عصمتنا ومن يحدث متاباً لم يرد الله به عقاباً . فقرّبه معاوية وأحسن اليه .

مُستَنْبِحة « ٢١٥ »

ومن مستنبحات العرب قول عبد السلام الكناني :

ومستنبح والليلُ مُرْخٍ سدوله ... له رنةٌ تحت الدُّجى ونعيقُ
وقد جاده نوء السماك بودْقهِ ... وريحٌ شمالٌ زفزَفٌ وبروقُ
دعاني وعَرض الدوِّ بيني وبينه ... وفجٌّ بعيد الجانبين عميــقُ
فقلت له لبيك لبيك إنني ... اليك وربِّ العالمين مشوقُ

وجعل لها قبة لدفن أبيه ، ونقل جثته من القلعة اليها سنة (٦١٩) وهي السنة التي تمّ فيها بناؤها واحتفل بافتتاحها .

يعود الفضل في إتمام هذه المدرسة الى الملك المعظم الذي نفذ مشروع سلفه وأوقف عليها الأوقاف العظيمة . وكان مغرماً باللغة العربية وآدابها فأراد تحقيق أفكاره وميوله في هذه المدرسة التي أصبحت سيدة مدارس دمشق ، ولم يشأ أن يغير ما أنشئت من أجله وأن يهدم مشاريع سلفه فجعلها قسمين : (١) قسم للفقه . (٢) قسم للقراءات والعلوم العربية .

الملك المعظم وولعه الشديد باللغة العربية :

أنجب الملك العادل أخو صلاح الدين ستة عشر ولداً [١] كان في طليعتهم الملك الكامل محمد (ملك مصر) والملك المعظم عيسى (ملك دمشق) والملك الأشرف موسى (ملك الجزيرة وبلاد الأرمن ثم دمشق) ورغماً عما كان عليه أولاده من ثقافة عالية ، ومعرفة غزيرة ، وأدب جم ، ونظم للشعر العربي ، فقد كان الملك المعظم عالم البيت الأيوبي غير منازع ، وحامل راية ثقافتهم ، ومفخر دولتهم على ممر الزمان ، ويقول الأستاذ خليل مردم بك : ان الملك المعظم في بني أيوب كالمأمون في بني العباس [٢] .

ولد المعظم بمصر سنة (٥٧٨) على رأي ابن خلكان [٣] أو سنة (٥٧٦) على رأي سبط ابن الجوزي [٣] ونشأ كبقية الملوك الأيوبيين فتعلم الفروسية ، وادارة البلدان ، وأصول الحرب ، وقيادة الجيوش .

وملكت عليه الروح العلمية والأدبية مشاعره فلم يكن له مطامع في التوسع

---

(١) ابن خلكان ١/٥٠١ المطبعة الأميرية .

(٢) ديوان ابن عنين ، المقدمة ١٣ طبع المجمع العلمي العربي .

(٣) ابن خلكان والنجوم الزاهرة ٢٦٧/٦ طبع دار الكتب المصرية .

المدرسة العادلية الكبرى

تقوم برعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف

من دواعي الفخر لمدينة دمشق أن تقوم المدرسة العادلية الكبرى على رعاية اللغة العربية منذ سبعة قرون ونصف ، وأن تكون لها فكرة سامية وهدف عال نحو اللغة العربية ، وهي أهداف لا تختلف بجوهرها عن أهداف المجمع العلمي العربي بدمشق ، بل كان الهدف واحداً منذ احتفل بافتتاحها سنة (٦١٩ هـ) الى يومنا هذا وقد أصبحت مجمعاً علمياً .

أسدل النعيمي حجاباً كثيفاً على هذه الناحية في « تنبيه الطالب » ثم حذا حذوه من اختصر كتابه أو استمد منه ، لأنه ذكر هذه المدرسة مع مدارس الفقهاء الشافعية ولم يشر الى ناحية اللغة العربية . وانما أشار الى ذلك اشارة ضعيفة في باب الترب فجعل الانسان لا ينتبه لهذه الناحية . ولدى استقراء نظام التدريس فيها تبين ان لهذه المدرسة فرعين : فرع للفقه ، وفرع للقراءات واللغة العربية .

وضع أسس هذه المدرسة لدراسة الفقه الشافعي السلطان نور الدين محمود ابن زنكي سنة (٥٦٨) ولم يرتفع من بنائها الا القليل حتى عاجلته المنية [١] وفي سنة (٦١٢) أزال الملك العادل بناء نور الدين وعمل مكانه مدرسة عظيمة للشافعية بعد أن وسع مساحتها ودعيت باسمه [٢] . وتوفي الملك العادل سنة (٦١٥) ودفن في قلعة دمشق ولما يكمل بناؤها ، فقام ابنه الملك المعظم بإكمال بناء هذه المدرسة

---

(١) كتاب الروضتين ١/٢١٤ ؛ خطط الشام للأستاذ محمد كردعلي ٦/٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ؛ البداية والنهاية ١٣/٥٨ ؛ تنبيه الطالب ١/٣٥٩ .

(حارة النوفرة اليوم) والكتاب تحت إبطه [١] وربما كان الطلاب لم ينتهوا من درسهم فيسكتون حين يحضر فيقول الملك المعظم لأستاذه : لا والله ، انما القراءة بالنوبة فليتموا [٢] .

ولعل القارئ يظن ان قراءة الملك المعظم كانت ابتدائية ، ولكننا نذكر أسماء الكتب التي قرأها على الكندي وهي : المفصّل للزمخشري وكان يحفظه غيباً ، كتاب سيبويه وشرحه الكبير للسيرافي ، وشرحه لابن درستويه ، الايضاح لأبي علي الفارسي وكان يحفظه أيضاً ، الحجة في القراءات له أيضاً ، الحماسة ، وحفظ على فخر الدين المسعودي وقرأ عليه الجامع الكبير في الفقه الحنفي ، كما سمع مسند الامام احمد على حنبل وابن طبرزد ، وسيرة ابن هشام على ابن الحلي بمصر .

وهذه دراسة كأرقى ما يمكن دراسته للغة العربية ، والثقافة الاسلامية ، ولا نعلم أحداً اليوم يدرس مثل هذه الكتب .

وقد دفعه حبه لتشجيع الإقبال على تعلم النحو أن أعلن أن كل من يحفظ المفصل للزمخشري له مائة دينار وخلعة ، واجتمع القاضي ابن خلكان بجماعة كثيرة ممن يحفظه لهذا السبب [٣] .

ويقول سبط ابن الجوزي : كان يحب الفقهاء ويحرضهم على الاشتغال بالعلم فيقول : من حفظ نص الجامع الكبير للكرماني أعطيته مئة دينار ومن حفظ الايضاح لأبي علي الفارسي في النحو أعطيته مئتي دينار فحفظ الكتابين جماعة ووفى لهم بما شرطه [٤] .

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة ، والوافي بالوفيات نقله عنه النعيمي في تنبيه الطالب .
(٢) ذيل الروضتين ٩٨ .
(٣) وفيات الأعيان ١/٥٥١ .
(٤) مرآة الزمان ٨/٤٢٧ .

والاستيلاء على أراضي غيره بل قنع بمملكته التي كانت تمتد من حدود حمص الى العريش ، فتشمل دمشق وضواحيها ، وبلدان السواحل الاسلامية ، والغور ، وفلسطين ، والقدس ، والكرك ، والشوبك ، وصرخد وجميع بلاد حوران[١] .

يقول ابن الأثير : نفق العلم في سوقه وقصده العلماء من الآفاق فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقرّبهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم . وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره ، لم يسمع أحد ممن يصحبه منه كلمة سوء[٢] .

ويقول ابن خلكان عنه : إنه كان عاليَ الهمة حازماً ، شجاعاً ، مهيباً ، فاضلاً ، جامعاً شمل أرباب الفضائل ، محباً لهم ، كان يحب الأدب كثيراً ، وله رغبة فيه[٣] .

ويقول أبو المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان : الملك المعظم ، العالم الفقيه ، المجاهد في سبيل الله ، النحوي ، اللغوي ، ويطلق عنان القلم في ذكر محاسنه وترجمته في عدة أوراق . ويعلق ابن تغري بردي على ذلك بقوله : « قلت » ويحق له ذلك فان المعظم كان في غاية ما يكون من الكمال في عدة علوم وفنون ، وهو رجل بني أيوب ، وعالمهم بلا مدافعة ، ومحاسنه أشهر من أن تذكر[٤] .

هذا بعض ما وصفه به المؤرخون ، ولعل القارئ الكريم يأخذه العجب اذا قلنا له ان ملك دمشق وفلسطين وشرقي الأردن وحوران كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتخطى الطرقات الى دار أستاذه تاج الدين الكندي في جيرون

---

(١) ابن خلكان ٥٠١/١ . الانس الجليل ٣٥٥/١ .
(٢) الكامل ١٨٣/١٢ طبع مصر سنة ١٣٠٣ .
(٣) ابن خلكان المصدر المذكور .
(٤) مرآة الزمان ٤٢٥/٨ . النجوم الزاهرة ٣٦٨/٦ و ٣٦٩ .

الآمدي المذكور له كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» وهو يعد من أجل كتب الفقه والتحليل والاستنتاج فقال في مقدمته أنه ألفه : خدمةً لمولانا السلطان الملك المعظم المكرم ، سلطان الأجواد والأمجاد ، أجل عالم ، وأفضل من تمتد اليه أعناق الهمم والعزائم ، ملك أرباب الفضائل ، ناقد خلاص الأفاضل ، باعث أموات الخواطر ، ناشر رفات العلوم الدواثر [١] .

وجاء في عيون الأنباء : ان رشيد الدين الصوري خدم الملك المعظم وكان مكيناً عنده وجيهاً . . . ولم يزل في خدمته الى أن توفي المعظم ، وحرر أدوية الترياق الكبير ، وجمعها على ما ينبغي فظهر نفعه ، وعظمت فائدته ، وقد صنع منها شيئاً كثيراً في أيام الملك المعظم [٢] . وألف كتاب الأدوية المفردة وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة ، وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها لم يذكرها المتقدمون ، وكان يستصحب مصوراً ومعه الأصباغ واللايق على اختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين الصوري الى المواضع التي بها النباتات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النباتات فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها .

ثم انه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، وذلك انه يُري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه اياه أيضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه اياه أيضاً في وقت ذواه ويبسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء ما يمكن أن يراه به في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين [٣] .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ص (٣) مطبعة المعارف .

(٢) عيون الأنباء ٢/٢١٦ .

(٣) المصدر المذكور ٢/٢١٩ .

وأمر أن يجمع له في اللغة كتاب جامع كبير فيه كتاب الصحاح ويضاف اليه ما فات الصحاح من التهذيب للأزهري ، والجمهرة لابن دريد وغيرهما [1]

وأمر بترتيب مسند الامام أحمد على الأبواب وأن يرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه [2] . وهذه فكرة لا تخرج الا من دماغ عالم مفكر غيور على اللغة العربية .

ولم يقف تفكيره عند تأليف معجم كبير جامع للغة العربية بل اتجه نحو الترجمة أيضاً فأمر الفتح بن علي البنداري بترجمة الشاهنامه للفردوسي الى اللغة العربية فعرّبها البنداري فكانت هي الترجمة الوحيدة باللغة العربية [3] .

وأسند وزارة مملكته الى أشهر شعراء عصره وهو ابن عنين فكان عمله هذا أكبر تكريم للأدب العربي والشعر العربي .

وعطف على العلماء والأدباء عطفاً جعل مملكته تزخر بهم ، وشجع حركة التأليف والمؤلفين فألفت عدة مؤلفات في فنون شتى أهدي أكثرها اليه ، فيقول الفتح بن علي بن محمد البنداري في مقدمة كتاب ألفه له : خدمةً للملك اجتمع فيه من الفضائل ما تفرق في جميع سلاطين الأمم ، وصار نظاماً لمحاسن يتزين بأفرادها سائر ملوك العرب والعجم ، مولانا السلطان الملك المعظم ، أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب [4] .

ولما دخل سيف الدين الآمدي دمشق سنة (٦١٧) أنعم عليه الملك المعظم انعاماً كثيراً ، وأكرمه غاية الاكرام ، وولاه التدريس [5] . وقد ألف

(١) الكامل لابن الأثير ١٢/١٨٣ طبع مصر سنة ١٣٠٣ . والبداية والنهاية ١٣/١٢١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مقدمة الشاهنامه للدكتور عبد الوهاب عزام .
(٤) دولة آل سلجوق ص (٣) مطبعة الموسوعات .
(٥) عيون الأنباء ٢/١٧٤ .

المنطق لأبي يوسف بن اسحاق بن السكيت . وقد وقفت على كراسة منه بخط ابن الخشاب ، وعلى ظهر الكراسة الوقف ، وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة عشر وست مئة . وقد دثرت الزاوية المذكورة في عصرنا ولم يبق لها نظام وصارت من المهملات [1] .

(٢) مدرسة للحنفية بالقدس عند باب المسجد الأقصى المعروف بباب الدويدارية [2] .

(٣) وبنى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكاناً يسمى النحوية للاشتغال بعلم العربية ووقف على ذلك أوقافاً حسنة [3] .

(٤) المدرسة العادلية الكبرى بدمشق وهي الآن (مقر المجمع العلمي العربي) ورغماً عن أنها سميت باسم أبيه فاليه يعود الفضل في أكثر بنائها وإتمام عمارتها .

(٥) المدرسة المعظمية في صالحية دمشق وفيها قبره وقبور أهله وأولاده [4] وقد زالت معالمها في عصرنا .

وللمعظم أبنية ومصانع كثيرة في فلسطين وخاصة في جبل الطور يطول بنا تعدادها .

وتتلخص ميول الملك المعظم بما يلي :

١ — سعيه لنشر اللغة العربية بوضع جوائز متعددة لمن يحفظ كتبها .

٢ — دعوته لتأليف معجم كبير جامع للغة العربية .

٣ — بذل المال بسخاء للعلماء وتقليدهم الوظائف الكبيرة كالسيف الآمدي ، والرشيد الصوري ، ويعقوب بن سقلاب النصراني .

---

(١) الانس الجليل ٣٨٦/٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٥٥/١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر خطط الشام للأستاذ محمد كردعلي ، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية .

ولا يخفى ما في هذا العمل من عناء وتطلب نفقات واذا لم يكن ذلك برعاية الملك المعظم فمن المتعذر أن يقوم به شخص بنفسه .

مؤلفات الملك المعظم :

ان اشتغاله بسياسة بلاده ومقارعة جيرانه من الدول الأجنبية وغيرها لم يمنعه ان يقوم بعدة مؤلفات عرفنا منها ما يلي : كتاب في العروض ، شرح الجامع الكبير ، ديوان شعره ، كتاب في الرد على الخطيب البغدادي [1] (طبع في مصر عام ١٣٥١) .

ولا يطالع الانسان هذا الكتاب الا وتأخذه هزة الطرب حينما يقع على الجمل الآتية التي يقول فيها ملك دمشق : أنبأنا شيخنا الامام العلامة حجة العرب أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي مشافهة [2] وأخبرنا الشيخ الامام الأوحد احمد بن عمر بن محمد بن قدامة المقدسي بقراءتي عليه بالبيت المقدس فى صفر من سنة اثنين وعشرين وستمائة [3] . إذ يرى الملك المعظم يسلك طريق المحدثين في رواية الأخبار بالأسانيد .

مؤسساته العلمية :

للمعظم عدة مؤسسات علمية أنشئت لتعزيز العلوم والآداب :

(١) في مدينة القدس بباب الرحمة مدرسة تعرف بالنصرية نسبة للشيخ نصر المقدسي ، ثم عرفت بالغزالية نسبة لأبي حامد الغزالي . ثم أعاد انشاءها المعظم وجعلها زاوية لقراءة القرآن والاشتغال بالنحو ووقف عليها كتباً من جملتها إصلاح

---

(١) النجوم الزاهرة ٢٦٧/٦ ، مرآة الزمان ٤٢٥/٨ .
(٢) ص ١٧٦ .
(٣) ص ١٧٨ .

ثم لما بناها الملك العادل أزال تلك العمارة وبناها هـذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس ، وهي المأوى ، وبها المثوى ، وفيها قدر الله تعالى جمع هذا الكتاب (أي الروضتين في أخبار الدولتين) فلا أقفر ذلك المنزل ولا أقوى [1] .

وبقي قطب الدين الى أن توفي في الأيام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وقد وقف كتبه على طلبة العلم . ونقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها فما فاتها ثمرته إذ فاتها مباشرته [1] .

ويصف لنا أبو شامة الاحتفال بافتتاحها فيقول : حضر السلطان الملك المعظم عيسى بن العادل فجلس في ايوان المدرسة وجلس عن يمينه شيخ الحنفية جمال الدين الحصري ثم فخر الدين بن عساكر ثم القاضي محيي الدين بن الشيرازي ثم القاضي محيي الدين بن يحيي الزكي .

وجلس عن يسار السلطان مدرس المدرسة قاضي القضاة جمال الدين المصري ، ثم سيف الدين الآمدي ، ثم شمس الدين بن سني الدولة ، ثم القاضي نجم الدين خليل قاضي العسكر وجلس مقابل السلطان تقي الدين بن الصلاح ، ودارت حلقة صغيرة فيها أعيان المدرسين والفقهاء والناس وراءهم متصلون ملء الايوان وكان مجلساً جليلاً لم يقع مثله الا في سنة (٦٢٣) واشترك السلطان مع الجماعة في الكلام العلمي [2] .

ومن ذلك الوقت أصبحت التقاليد أن لا يلي التدريس فيها إلا قاضي القضاة وأن تكون محكمة للقضاء الشافعي ، وهذه أسماء من وليها على الترتيب .

---

(١) ابو شامة في الروضتين ٢١٤/١ .

(٢) ذيل الروضتين ١٣٢ .

٤ — تنشيط حركة التأليف في جميع العلوم .
٥ — تنشيط حركة الترجمة .
٦ — تكريمه الأدباء والشعراء بإسناد الوزارة اليهم كابن عنين وفخر الدين الساعاتي .
٧ — إنشاء المدارس للغة العربية ، وهذا مما اختص بها المعظم دون سائر من بنى مدارس في مصر والشام .
٨ — إنشاء المكتبات للمطالعة .

وهذه المبادئ التي قام بها الملك المعظم ، تشابه كثيراً المبادئ التي يقوم بها المجمع العلمي العربي الآن .

قسم الفقه في المدرسة العادلية الكبرى :

كانت بلاد الشام خالية من العلم وأهله ولكنها في زمان نور الدين الشهيد صارت مقراً للعلماء والفقهاء لصرف همته في بناء المدارس وترتيب أمورها والناس آمنون على أموالهم وأنفسهم [١] . وكان ممن استدعاهم من العلماء الى البلاد الشامية قطب الدين النيسابوري [٢] فوصل الى نور الدين في سنة (٥٦٨) وهو فقيه عصره ونسيج وحده ، فسر نور الدين به وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ثم أطلقه الى دمشق فدرّس بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ونزل بمدرسة الجاروق [٣] ، وشرع نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله وهي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين وفيها تربته . وقد رأيت أنا ما كان بناه نور الدين ومن بعده منها ، وهو موضع المسجد والمحراب الآن .

---

(١) الروضتين ١٤/١ .
(٢) المصدر نفسه ١٣/١ .
(٣) هي المدرسة الجاروخية .

١٧ — جمال الدين يوسف بن ابراهيم بن جملة ٠

١٨ — تقي الدين السبكي ٠

١٩ — بهاء الدين احمد بن تقي الدين السبكي ٠

٢٠ — أخوه تاج الدين السبكي ٠

٢١ — سراج الدين الحمصي ٠

٢٢ — شمس الدين الونائي ٠

٢٣ — شرف الدين القزويني معيد المدرسة [1] ٠

ويغيب بعد ذلك في مطاوي الكتب المجهولة أسماء من تولاها بعد ذلك وفضلاً عن كون هؤلاء فقهاء وقضاة فان بينهم أعلاماً في الأدب واللغة كابن خلكان صاحب وفيات الأعيان وكجلال الدين القزويني الذي أصبح كتابه « التلخيص » في علوم المعاني والبديع والبيان كتاباً مدرسياً من عهده الى عصرنا هذا وكتاج الدين السبكي الذي له كتب قيمة في الأدب والتاريخ كجمع الجوامع وكطبقات الشافعية وقد ترجم لأكثرهم السيوطي في طبقات النحاة ٠

وكان يؤمها العلماء واللغويون ويجري فيها مباحثات ومناقشات لغوية وأدبية فقد نقل عن جلال الدين القزويني أنه قال : اجتمعت ببدر الدين ابن النحوية في العادلية بدمشق وسألته عن قول أبي النجم :

قد أصبحت أمُّ الخيار تدّعي عليَّ ذنباً كله لم أصنع

في تقديم حرف السلب وتأخيره فما أجاب بشيء ٠ وقد تكلم على هذا البيت كلاماً جيداً في مؤلفه « إسفار الصباح » والسبب في ذلك أن كل من وضع مصنفاً لا يلزمه أن يستحضر الكلام عليه متى طلب منه لأنه حالة التصنيف يراجع الكتب المدونة في ذلك ويطالع الشروح فيحرر الكلام في ذلك الوقت ثم يسهو عنه [2] ٠

---

(١) ذيل الروضتين ٢٣٩ ويرجع لمعرفة تراجم هؤلاء المذكورين الى تنبيه الطالب للنعيمي ٠
(٢) اللمعات البرقية ٠

١ — جمال الدين المصري [1] ٠
٢ — شمس الدين احمد بن خليل الخويي ٠
٣ — كمال الدين عمر بن بندار بن عمر التفليسي نيابة عن شهاب الدين الخويي ٠
٤ — رفيع الدين الجيلي ٠
٥ — كمال الدين المذكور اصالة عن نفسه ٠
٦ — نجم الدين بن سني الدولة ٠
٧ — شمس الدين بن خلكان ٠
٨ — عز الدين محمد بن الصائغ ٠
٩ — بهاء الدين بن الزكي ٠
١٠ — نجم الدين بن صصرى ٠
١١ — بدر الدين بن جماعة ٠
١٢ — امام الدين القزويني ٠
١٣ — جمال الدين الزرعي ٠
١٤ — جلال الدين القزويني ٠
١٥ — علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي ٠
١٦ — علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الاخنائي ٠

(١) أعطى ابو شامة ملاحظات قيمة عنه . فقال : انه اول من درّس فيها . وكان يذكر بها قبل درس الفقه درساً من تفسير القرآن طويلاً ويجري فيه مباحث حسنة . فانه كان يحضره معنا جماعة من الفضلاء فاتفق أن فرغ من ذكر التفسير من أوله الى آخره فلما تم له ذلك توفي بعد ذلك بقليل أي سنة (٦٢٣) . وقال عن مجلس قضائه : كان ملازماً لمجالس الحكم بالشباك الكمالي بالجامع وغيره . وكان اذا جلس فيه بعد العصر لا يزال الى أن يصلي المغرب ، . وفي بعض الليالي يصلي العشاء الآخرة فكان اذا فرغ من الحكم بين الخصوم تجري بحضرته المذاكرة في العلم الى حين انفصاله . ويجلس بكرة كل يوم جمعة ويوم الثلاثاء بايوان العادلية لاثبات الكتب ويصطف شهود البلد في جوانب الايوان وكان مجلساً عليه جلالة (ذيل الروضتين ١٤٨) ويلبغي أن نشير هنا الى ان اهل دمشق حتى يومنا هذا يسمون المحكمة « بالعادلية » .

وولي مشيختها الكبرى التي من شرطها القراءات والعربية وأظن ولايته لها بعد أبي شامة . فأقام بالعادلية وألف التواليف المفيدة في فنون العربية ...

وحدثني بعض شيوخنا أنه كان يجلس في وظيفة مشيخة الاقراء بشباك التربة العادلية . وينتظر من يحضر يأخذ عنه . فاذا لم يجد أحداً يقوم الى الشباك ويقول : القراءات القراءات ، العربية العربية . ثم يدعو ويذهب ويقول : أنا لا أرى ان ذمتي تبرأ الا بهذا فانه قد لا يعلم اني جالس في هذا المكان لذلك[1] .

ويقول السيوطي : ان ابن مالك كان امام المدرسة العادلية أيضاً فكان اذا صلى يشيعه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان الى بيته تعظيماً له[2] .

وممن تولى مشيخة الاقراء الكبرى والإمامة فيها أبوشامة وبها ألف كتابه القيم « الروضتين في أخبار الدولتين » وأشار لذلك في كتابه المذكور[3] .

ويفيد ابن الجزري بأنه كان بها مشيخة صغرى وممن تولاها محمد بن منصور الحلبي[4] .

وهذه أسماء من عرف ممن تولوا المشيخة الكبرى فيها :

١ — القاسم بن أحمد اللورقي النحوي .

٢ — ابو شامة مؤلف الروضتين .

٣ — محمد بن مالك النحوي .

٤ — احمد بن ابراهيم بن سباع الفزاري .

٥ — محمد بن أبي بكر الحريري .

٦ — محمد بن محمد الجزري مقرئ الممالك الاسلامية ومؤلف النشر في القراءات العشر .

٧ — ابنه فتح الدين .

٨ — ابنه الآخر محمد .

---

(١) غاية النهاية ٢/١٨٠ .
(٢) بغية الوعاة ص ٥٥ .
(٣) أنظر ص (٦١) من هذا المقال .
(٤) غاية النهاية ٢/٢٦٦ .

وممن نزلها وتوفي فيها من الشعراء الفصيح محمد بن أبي النجم بن البطريق الشاعر الجزرى الأديب له شعر حسن فائق [١] .

قسم القراءات واللغة العربية :

علم القراءات من فروع اللغة وهو عبارة عن بيان لهجات بعض القبائل العربية ومذاهب النحاة واللغويين في الألفاظ الواردة في القرآن الكريم . والقراءات والعربية متلازمتان . فلا يكون قارئ ماهر الا وهو نحوي لغوي ، ولا نحوي لغوي الا وهو قارئ .

وأئمة اللغة هم أئمة القراءات وأصحاب المذاهب فيها كأبي عمرو بن العلاء ، والكسائي ، وخلف الأحمر ، وحمزة الزيات ، وأضرابهم كابن مالك ، وابن الحاجب ، وابن هشام ، وأبي حيان من المتأخرين .

أما هذا القسم وهو قسم القرءات واللغة العربية في المدرسة العادلية فقد كان في القسم الخارجي منها في تربة الملك العادل التي أحد أبوابها في دهليز المدرسة يقابله من الجهة الشمالية باب آخر لسكن أستاذ هذا الفن . وقد أفادنا أبو شامة بأنه كان ساكنا في هذه المدرسة هو وأهله .

ويفيدنا أيضاً بأنه كان فيها مجلس للكتب (قاعة مطالعة) في صدر الايوان وهو الموضع الذي كان يجلس فيه غالباً للفتوى وغيرها ومنه يخرج الى الصلاة بالمدرسة [٢] كما يفيدنا ابن العماد : أن أبا شامة وقف كتبه عليها وشرط أن لا تخرج منها فاحترقت جملة [٣] .

المشيخة الكبرى :

يرجع الفضل في معرفة هذه المشيخة الى محمد بن الجزري فقد قال في ترجمته لمحمد بن مالك النحوي الشهير : قدم دمشق مستوطناً ونزل بالعادلية الكبرى .

---

(٤) ذيل الروضتين ١٦٩ وتوفي سنة ٦٣٧ .
(١) المصدر السابق ص ٣٨ .
(٢) شذرات الذهب ٥/٣١٩ .

دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

ألفه أبو خلدون ساطع الحصري

طبعة موسعة صفحاتها (٨ + ٦٥٦ + أربع لوحات اضافية) (١)

منذ عشرة أعوام نشر العالم الاجتماعي ساطع الحصري كتاباً عنوانه « دراسات عن ابن خلدون » يقع في جزأين صدرا في بيروت عام ١٩٤٣ و ١٩٤٤ . ونظراً لأحوال الحرب السائدة يومذاك ولبعد الأستاذ ساطع الحصري عن مكتبته التي كانت في العراق فقد اكتفى بأن يدوّن في ذينك الجزأين خلاصة آرائه مستعيناً بذاكرته الجبارة وبمراجعة مقدمة ابن خلدون من جديد . ومع ذلك كله فقد جاءت تلك الدراسات أوفى ما كتب على ابن خلدون من ناحية عرض الموضوع ومن حيث مقارنة آراء ابن خلدون بآراء علماء التاريخ والاجتماع من الغربيين .

وكان الأستاذ الحصري يمنّي النفس بأن تنتهي الحرب العالمية الثانية ويجمع الله شمله بمكتبته الثمينة وبأوراقه التي دوّن فيها ملاحظاته وأثبت عليها موازناته وقيد شوارد أفكاره . وحقق الله أمنية الأستاذ الحصري ولكن الأيام شغلته عما كان قد عزم عليه ، فان البلاد العربية أرادت أن تستفيد من خبرته الطويلة في التربية والتعليم فكان مستشاراً للمعارف في الجمهورية السورية ثم مستشاراً ثقافياً في جامعة الدول العربية فأدى من المنصبين خدمات جليلة لأمته ولبلاده ،

(١) نشره السيد محمد ناجي الخضيري ببغداد ، وطبعته دار المعارف بمصر ١٩٥٣ .

٩ — صدقة الضرير .

١٠ — عثمان بن الصلف .

١١ — اسماعيل بن ابراهيم البكاري .

١٢ — محمد بن ابراهيم الزنجيلي .

١٣ — نصر الله البابي الجوخي [١] .

ومن طريف ما يذكر أن جماعة من المغرمين بالسبق تجمعوا بها وقرؤا الجزء الأول من تاريخ الحافظ ابن عساكر سنة (٦١٤) أي قبل أن يتم بناؤها بخمس سنين وكان من جملتهم الحافظ البرزالي المؤرخ [٢] ، فكانوا أول من درّس بها .

وقد غاب عنا أسماء من درّس بها منذ القرن التاسع الهجري حتى القرن الثاني عشر الذي ظهر به الشهاب أحمد المنيني صاحب التآليف العديدة فسكنها ودرّس بها وألف . ثم تسلسل التدريس في أحفاده حتى جعلها المجمع العلمي العربي مقراً له في سنة (١٩١٩ م) .

ويقول المرحوم محمد كردعلي : وكأن المولى تعلقت ارادته فقضى أن لا يخلي العادلية والظاهرية من علم ينشر ، وأدب يذكر ، فاختارهما مباءة للمجمع العلمي ، يقيم فيهما سوق العلم والأدب بعد الكساد [٣] .

محمد أحمد دهمان

---

(١) يرجع لمعرفة تراجم هؤلاء الى تنبيه الطالب للنعيمي ج٢ التربة العادلية ، والى غاية النهاية لابن الجزري ، وطبقات النحاة للسيوطي .

(٢) انظر الجزء الأول من تاريخ ابن عساكر تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد من ٦٣٢ ٦٣٤ و ٦٥٢ و ٦٦٣ و ٦٧١ و ٦٨٢ و ٦٩٢ و ٧٠٨ و ٧١٩ .

(٣) خطط الشام ٦/٨٥ .

الفكرية العصرية ، بل يجب أن تقدر بموازين تاريخية خاصة .... وهذه الموازين الخاصة لا يمكن أن تتقرر الا بتتبع الفكر البشري بوجه عام» .
من أجل ذلك لا ينكر الأستاذ الحصري أن يكون ابن خلدون قد أخطأ في بعض ما كتب كما أخطأ أرسطو وسوى أرسطو . على أن ابن خلدون قد عري في آرائه عن السفسطات التي أتى بها أرسطو نفسه .

أما النقطة القيمة الثانية فهي اننا نحن العرب نطلع عادة على كل ما كتب أسلافنا ، الغث منه والسمين ، فنرى دائماً المآخذ عليهم ، بينما الغربيون لا يقدمون الى جمهور قرائهم الا المقتطفات . فاذا نحن رأينا تلك المقتطفات المختارة ظننا ان المفكرين الغربيين لا سقطات لهم البتة .

بمثل هذه الروح يتقدم الأستاذ الحصري الى مقدمة ابن خلدون بالدراسة فيتناولها من ست زوايا .

١ ـــ المدخل الاول : على هامش المقدمة :

يقول الأستاذ الحصري إن المؤرخين الغربيين كلهم اهتموا بالخرافات ودونوا أقوال الكهان منذ أقدم الأزمان . حتى هرودوت اليوناني «أبو التاريخ» فعل ذلك ثم سار على آثاره مؤرخو الرومان الى القرن السابع للميلاد . وكذلك القول بتأثير النجوم في الحوادث وفي أعمال البشر سيطر في أوروبة على أذهان العوام والمفكرين على السواء حتى القرن السابع عشر . ولعل أبرز الأمثلة على التصديق بالتنجيم ماجاء في مؤلفات المؤرخ المفكر المشهور جان بودَن J. Bodin المتوفى في آخر القرن السادس عشر (١٥٩٤) . هذا المؤرخ يعد في آباء فلسفة التاريخ ويقال عنه أنه أول من ألقى نظرة فلسفية الى التاريخ من بين الفرنسيين . ان بودن هذا قد قال في كتابه «الجمهورية» : لا يوجد شخص ذو عقل سليم لا يعترف بتأثير الأجرام السماوية في الحوادث الطبيعية والبشرية . ثم هو يمضي

ولكن لم يستطع أن يوفر وقته على استتمام البحث في مقدمة ابن خلدون . غير أنه استطاع أن يوسع دراسته الأولى فجعلها ستمائة وأربعا وستين صفحة . بعد أن كانت نحو خمسمائة . هذا بالاضافة الى أربع لوحات تمثل اثنتان منها رسمين خياليين لابن خلدون وتمثل اثنتان أخريان مشاهد من بيئة ابن خلدون (بيته وبناء مدرسته) .

على أن هذه الدراسات لا تزال في رأي الأستاذ ساطع الحصري نفسه غير وافية بمراده ، كما أن شواهدها من المراجع الأجنبية لا تزال تحتاج الى توسيع في بعض نواحيها والى تقييدها بأرقام صفحات الكتب في بعض نواحيها الأخرى . وكذلك كان الأستاذ الحصري يأمل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية فيتاح له أن يطلع على مخطوطة قيل إنها محفوظة في تونس . ولقد سافر الأستاذ ساطع الحصري الى تونس عام ١٩٤٥ ولكنه لم يعثر على تلك المخطوطة المرجوة فلم يكن له بد بعد ذلك من أن يوسع «دراساته عن ابن خلدون» على منهاجه القديم ، ومع هذا فقد قطع الطريق على كل باحث جديد في مقدمة ابن خلدون . ولن يتاح لأحد أن يزيد شيئا على ما جاء به الأستاذ الحصري في هذا الموضوع الا اذا وقع على مخطوطة جديدة لمقدمة ابن خلدون .

* * *

يمس الأستاذ ساطع الحصري في توطئة دراساته (ص ١ — ٩) نقطتين مهمتين جداً في تأريخ العلم ، إذ يرى أن العلماء عادة يشركون أقوامهم في بعض أخطائهم الشائعة . غير انه يدافع عن العلماء ، كلهم لا عن ابن خلدون وحده ، فيقول : «ان أصول البحوث العلمية تتطلب من كل باحث يقدم على مطالعة كتاب قديم أن يتأمل فى مواضيعه ... وأن يعرف حق المعرفة بأن خطورة الأخطاء التي تلغى (١) في الكتب القديمة لا يجوز أن توزن بالمقاييس

(١) في الأصل تلق (بالقاف) وهو خطأ مطبعي .

وفيكو نفسه يبدو بالاضافة الى ابن خلدون ، كما قال الأستاذ الحصري في فصل آخر ، طفلاً صغيراً (راجع ص ١٨٣ وما بعدها) فقد كان في بعض الأحيان خيالياً الى أبعد درجات الخيال كما سخف أحياناً أخرى في تعليلاته ، ذلك لأنه كان يريد أن يبرر شذوذ الملوك لا أن يعلل سير التاريخ (ص ١٩٣ س).

٢ — المدخل الثاني : حول مؤلف المقدمة :

بعدئذ يتكلم الأستاذ الحصري على بيئة ابن خلدون وعلى حياته بالتفصيل (ص ٤١ — ١٠٨) وعلى ما في عصره من الاضطراب الشديد ومن تقهقر الحياة السياسية في الأندلس خاصة وفي المغرب ، ثم على ما نزل بابن خلدون من المصائب وما لقيه من المصاعب في أسفاره الكثيرة ، ويفرد الأستاذ الحصري في هذا القسم بحثاً لآثار ابن خلدون .

٣ — القسم الأول : نظرات وملاحظات عامة (في المقدمة) :

يكشف الأستاذ الحصري في هذا الفصل عن أمر مهم جداً ، هو أن ابن خلدون كتب الجزء الأول من كتابه في التاريخ (المقدمة) « قبل أن جاء الى المشرق ؛ ثم انه نقح هذا الجزء « بعد » أن جاء الى المشرق . وينتهي الأستاذ الحصري الى القول بأن ابن خلدون قد زاد بعد رحلته الى المشرق نقولاً برمتها على « المقدمة » أو زاد أشياء في الفصول التي كان قد كتبها . ثم ان ابن خلدون كان يعلق ، على النسخة التي كانت بين يديه ، حواشيَ مختلفة . دخلت مع الزمن ، وعلى أيدي النساخ ، في متن المقدمة . أما النسخة القديمة فتعرف بالنسخة التونسية لأنها كتبها وهو لا يزال بالبلاد التونسية . وأما النسخة الجديدة فتعرف باسم الفاسية أو الفارسية لأنه كتبها بعد أربع عشرة سنة في مصر ثم أهداها الى مكتبة السلطان ابي فارس عنان سلطان فاس بمراكش .

في تعليل جميع حوادث التاريخ الكبرى على أساس التنجيم والتنبؤ بالنظر الى
جميع حوادث التاريخ الكبرى على أساس التنجيم والتنبؤ بالنظر الى النجوم »
« ان العرب مثلاً ، لما حدث القران[1] العظيم سنة ٦٣٠ م ، نشروا دين
محمد وثاروا (كذا) ضد أباطرة القسطنطينية وغيروا الدول واللغات والأخلاق
والدين (ص ٢٣ — ٣٠) .

وكذلك ظل المؤرخون والمفكرون الأوروبيون حتى منتصف القرن الثامن عشر
يعتقدون بالسحر ويضعون أصول المحاكمات التي يحكمون بموجبها على السحرة .
ولم يتأخر بودن نفسه عن أن يقول ان الموسيقى تطرد الشياطين (ص ٣١ — ٣٤) .
ولقد ظل المؤرخون الأوروبيون الى أوائل القرن التاسع عشر يعللون التاريخ
تعليلاً دينياً ويرفضون فيه مقام العقل .

أما ابن خلدون الذي عاش في القرن الثامن للهجرة (والرابع عشر للميلاد)
فلم يمزج وقائع التاريخ بأخبار الكهانة كما فعل « أبو التاريخ » هيرودوت ،
ولا هو حاول تفسير التاريخ بتأثيرات النجوم كما فعل جان بودن ؛ وكذلك لم
يكتف ابن خلدون برد عوامل التاريخ الى مشيئة الله كما فعل بوسسوئه ولا حاول
اتخاذ التاريخ وسيلة لإثبات قدرة الله كما فعل فيكو ؛ مع انه كتب ما كتبه
في هذا الصدد قبل أن جاء بودن بمدة تناهز القرنين ، وقبل بوسسوئه بمدة
تزيد على ثلاثة قرون ، وقبل فيكو بمدة تقرب من ثلاثة قرون ونصف قرن
(ص ٣٨) . ان ابن خلدون قد علل التاريخ تعليلاً عقلياً علمياً وبنى آراءه
على مشاهداته واستقراءاته فكانت طرائق البحث التي اختارها وسلكها في هذا
المضمار أكثر قرباً وأشد شبهاً بالخطط العلمية الحالية من الطرائق التي اتبعها
بعض المشاهير الأوروبيين الذين جاءوا بعده مثل بودن وبوسسوئه وفيكو (ص ٣٩) .

---

(١) القران وقوع كوكبين على خط نظر واحد .

التاريخية والاجتماعية بوجه خاص اقترابا واضحاً (ص ١٩٥ – ١٩٩) . من أجل ذلك كان ابن خلدون أجدر بلقب مؤسس علم التاريخ في رأي الباحثين (ص ٢٠٠) .

واذا نحن جئنا الى مونتسكيو (ت ١٧٥٥ م) رأينا بعض المؤلفين ينسبون اليه ابتكار نظرية « تأثير الأحوال الاقتصادية في الوقائع التاريخية » . والصواب أن ابن خلدون ربط بين الوقائع التاريخية وبين الأحوال الاقتصادية قبل مونتسكيو بثلاثة قرون ونصف قرن أيضاً . ومع أن مونتسكيو يستحق مقاماً ممتازاً جداً في « تاريخ فلسفة التاريخ » بفضل المباحث التي كتبها عن الجباية والتجارة والنقود والنفوس ، فان التعميمات الخاطئة ، كثيرة عنده كثرة التعميمات الصائبة ، بينما معظم نظرياته الاقتصادية البحتة مليئة بالأغلاط ، وكان هو يشعر أن فيها تناقضاً (ص ٢٠٥ — ٢٠٧) . ويجب أن نعلم أن ابن خلدون لم يسبق مونتسكيو الى « صلة الاقتصاد بالتاريخ » سبقاً زمنياً فحسب ، بل فاقه أيضاً في عمق التفكير ودقة النظر وحسن التعليل (٢٠٦ — ٢٢٠) .

وفي علم الاجتماع أيضاً كان لابن خلدون فضل الابتكار والنبوغ والتفوق . ان الدعوى بأن أوغوست كونت هو مؤسس علم الاجتماع لا تثبت عند البحث والتدقيق . إن حق ابن خلدون بلقب « مؤسس علم الاجتماع » أقوى من حق كونت (ت ١٨٤٣ م) لأنه « درس الحادثات الاجتماعية » ثم تخيل علم الاجتماع علماً مستقلاً قائماً بذاته ووضع له الأسس واستنتج منها النتائج واكتشف القوانين قبل أوغوست كونت بنحو أربعمائة عام . وبحوث ابن خلدون في « الاجتماع » لا تجعله مؤسس علم الاجتماع فقط ، بل ترفعه الى مصاف علماء الاجتماع الذين نبغوا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحاضر (ص ٢٣٥ — ٢٤١) . ثم ان الأستاذ الحصري ينهي هذا الفصل برأي العالم توينبي وهو : « إن ابن خلدون ، في المقدمة التي كتبها لتاريخه العام ، قد أدرك وتصور وأنشأ فلسفة للتاريخ هي بلا شك أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في زمان ومكان » (ص ٢٦٠) .

وفي هذا القسم يدرس الأستاذ الحصري لغة المقدمة ويشير بحق الى أن الكلمات تتبدل معانيها مع الزمن . ولذلك يجب على دارس الكتب القديمة ان يتفطن الى المعاني التي كانت للكلمات يوم كتبت تلك الكتب . وبعد أن يستعرض الأستاذ الحصري عدداً من هذه الكلمات التي تقلب معناها مع الزمن يقف وقفة طويلة على كلمة «عرب» ويقول ان ابن خلدون حينما كان يقول «العرب» كان يعني البدو . ولقد أفاض الأستاذ الحصري في مناقشة الأدلة على رأيه هذا حتى جاء رأيه مقنعاً جداً . وهنالك دليل آخر غفل عنه الأستاذ الحصري ، هو ان ابن خلدون حينما كان يقول ان العرب اذا تغلبوا على بلاد أسرع اليها الخراب وأشباه ذلك كانت تراود خياله أفاعيل بني سُليم (بضم السين) بن منصور وبني هلال بن عامر الذين هاجروا في القرن الخامس للهجرة من شبه جزيرة العرب (أو من مصر على الأصح بعد أن جاءوا اليها من شبه الجزيرة) الى المغرب وما نشأ بينهم وبين قبائل زناتة من الحروب وما جرى على أيديهم من الخراب .

٤ — القسم الثاني : مكانة ابن خلدون في تاريخ فلسفة التاريخ وفي علم الاجتماع

سبق ابن خلدون بمقدمته جميع فلاسفة التاريخ وجميع علماء الاجتماع . يريد المؤلفون الغربيون أن يجعلوا فيكو الايطالي (ت ١٧٤٤ م) مؤسس علم التاريخ مع أنه كان يؤمن بالسحر والخرافات ، ثم هو لم يتبع في (بحوثه) طريقة استقراء الحوادث ولم يتقيد في تفكيره بقيود الواقعات (ص ١٨٠ — ١٨٨ ، ١٨٩) بينما ابن خلدون الذي جاء قبل فيكو بنحو ثلاثة قرون ونصف قرن لم يؤمن بهذه الخرافات ولم يأخذ بالروايات التي لا يصدقها العقل ، ثم انه تفوق على فيكو تفوقاً كبيراً من حيث شمول النظر ونزعة التعمق وطريقة البحث والاستقراء ؛ وهو يقترب من طرائق (البحوث) العلمية الحديثة بوجه عام وطرائق (البحوث)

(ب) طبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم :

لاحظ ابن خلدون قبل علماء الاجتماع المعاصرين ان « الحوادث الاجتماعية » تجري بتقليد بعض الأفراد لبعض وللضغط أو القسر الحاصل في المجتمع على أفراده لحملهم على أن يسلكوا مسلكاً معيناً . ان الذين يستشعرون من أنفسهم الضعف أو الجهل أو التأخر يقلدون من هم أقوى منهم أو أعلمُ أو أوجهُ طوعاً أو انسياقاً ، حتى إن الجماعات الضعيفة تقلد جيرانها الأقوياء أو أعداءها المجاورين لها أو المتغلبين عليها (ص ٩٤ وما بعدها) .

(ج) التطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات :

يتبنى ابن خلدون رأي اخوان الصفا في « التطور الطبيعي للأحياء » ثم يوسعه قليلاً ويطبقه على المجتمعات ، فهو يرى بأن المجتمعات وان كان المتأخر منها يحرص على محاكاته المتقدمَ في أحواله ، فانها تتطور في الحقيقة تطوراً غير ملموح في أكثر الأحيان ولكنه مستمر . وهذا التبدل البطيء المستمر هو الذي يخلق المجتمعات المستجدة . على أن التبدل في المجتمعات يكون أحياناً تبدلاً كلياً مفاجئاً . ويلاحظ ابن خلدون عندئذ بأنه « اذا تبدلت الأحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره كأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدَث (ص ٣٠١ وما بعدها) .

(د) طبائع الأمم وسجاياها (ص ٣٠٧ — ٣٣٢) :

لا ينكر ابن خلدون تأثير الوراثة العرقية في صفات الأقوام ، ولكنه يرى أنها أقل خطراً مما يظهر للوهلة الأولى وأضيق نطاقاً مما ظن الباحثون من قبل . حتى الصفاتُ التي تظهر مشتركةً بين الآباء والأولاد ليست كلها — فيما يتعلق بالانسان — عرقية ذلك لأن الأولاد يأخذون معظم صفاتهم من « احتكاكهم » بالذين ولدوهم وعايشوهم وخالطوهم . ومع ذلك فانه يجب علينا أن نفرق بين

هـ — القسم الثالث : آراء ابن خلدون ونظرياته :

يقع هذا القسم في مائتين وتسعين صفحة ، ويصعب تلخيصه لأنه هو في الحقيقة تلخيص لمقدمة ابن خلدون كلها . إلا أنه لا بد من إثبات بعض الآراء والنظريات البارزة والخالدة في تاريخ العلم مما سبق ابنُ خلدون به أندادَه من فلاسفة التاريخ أو علماء الاجتماع .

ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع

(أ) موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ :

يرى ابن خلدون أن حقيقة التاريخ إنما هي الاجتماع الانساني الذي هو عُمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع ... والتاريخ لا يتناول عند ابن خلدون أخبار الملوك ووصف الحروب فقط ، بل هو يتناول أيضاً كل ما حدث من التحول في الحياة الاجتماعية على اختلاف مظاهرها وفي المؤسسات الاجتماعية على اختلاف أنواعها . فالاقتصاد والصناعات والعلوم كلها تدخل في التاريخ . ثم ان مهمة المؤرخ ليست سرد أخبار الماضين ولا وصف أحوال الاجتماع فحسب ، بل في حقيقتها « تمحيص الأخبار لتمييز الحق من الباطل والصدق من الكذب فيها وللتأكد من مطابقتها للواقع ، ثم تعليل الوقائع لمعرفة كيفية حدوثها وأسباب تزاحمها وتعاقبها » . فابن خلدون في ذلك اذن « يتفوق بنظرته هذه على جميع المؤرخين الذين سبقوه في الشرق والغرب بوجه عام ، وعلى جميع الذين أتوا بعده خلال أربعة قرون على أقل تقدير » (ص ٢٦٤ — ٢٦٥) .

فضل الثنائية على المعجمية

— ٢ —

ث — أنف

المعنى الاولي الحقيقي لهذه المادة الثلاثية نجده في العبرية في فعل ânaf . ومعناه : تنفّس ، ومنه جاء «الأُنف» ، وهو آلة الشم والتنفّس . بيد التنفس يقتضي هواء . وهذا لا مدلول له من المادة المذكورة الا في العربية وحدها . وذلك في « نَفْتَنَف » الثنائي الخفيف المكرّر المراد به « الهواء ، والمهوى » وقد زيدت الهمزة تتويجاً على هذا الثنائي الخفيف « نَفْ » فأصبح « أنَف » .

ومقابل « الأنف » العربيه ، في العبرية ap . وفي الأكدية appu . وفي السريانية appâ . وفي الارمية appîm . وفي الحبشية anef . وفي غالب هذه الألسن تدل كلمة « أنف » على الوجه أيضاً . لأنه هو الظاهر منه لأول وهلة . وفي العربية يصاغ من « الأنف » الفعل « أنَف » ارتجالاً . واذ كان الأنف أول ما يرى في الوجه ، دلت اللفظة على مداليل الابتداء مجازاً . واذ كان الأنف ينتفخ عند الغضب ، جاء الفعل بمعنى اغتاظ . واذ كان الانسان المتكبر يشمخ بأنفه ، ورد فعل « أنف » دالاً على الكره والنفور ، والاشمئزاز والاحتقار . وهذه لخاويه على اختلاف أحواله .

أنَفَه أنفاً : ضرب أنفه . و — الرجلَ الماء : بلغ أنفه . وأنِف أنَفاً : اشتكى أنفه . و — الإبلُ : وقع الذباب على أنوفها . وكلها ارتجالية من الاسم « أنف » .

الصفات التي تنتقل من الآباء الى الأبناء من طريق الدم وبين الصفات التي تنتقل من طريق المخالطة الاجتماعية . ثم ان الأعمال المعاشية (الزراعة ، التجـارة ، النجارة ...) التي يقوم بها البشر تأثيراً كبيراً في نشوء صفاتهم . كل هذا ذكره ابن خلدون في مقدمته قبل أن يذكره العلماء الغربيون بأربعة قرون أو خمسة . والأمثلة التي يضربها ابن خلدون على ذلك كثيرة طريفة صائبة ، ولكن المجال هنا لا يتسع لذكرها .

(هـ) نظرية العصبية (ص ٣٣٣ — ٣٥٣) :

العصبية عند ابن خلدون هي « النُعْرة » على ذوي الأرحام أن يصيبهم هلكة أو ينزل بهم أذى . وتتولد العصبية من القرابة في الدرجة الأولى . وكلما كانت القرابة أدنى كانت العصبية الناشئة منها أقوى . ولذلك كانت العصبية في البدو أعظم خطراً من العصبية في الحضر لصفاء الانسان في البدو واختلاطها في الحضر . ولكن « حقيقة العصبية » أنها « الشعور » بوحدة النسب وبوحدة المصلحة ، اذ النسب في نفسه أمر وهمي ، وما نشأة العصبية وقوتهـا الا ثمرة للعشرة وطول الممارسة والصحبة بالمربى والرضاع وسائر أحوال الموت والحياة » .

والعصبية ضرورية لقيام الدول والانتصار في الحروب ولبقاء الملك وللقيـام بالحركات المختلفة ، حتى الدعوة الدينية فانها لا تتم بلا عصبية ، فلو لم يبعث محمد ﷺ في منعة من قومه وعصبية من آله لما انتشر الاسلام بمثل هـذه السرعة . ثم ان الأوطان الكثيرة العصائب قلّ أن تستحكم فيها دولة أو تستقر طويلاً . والعصبية التي هي أساس نشوء الدول عند ابن خلدون هي غير العصبية التي هي الحمية الجاهلية والتفاخر بالأنساب والتشدق بالأفعال . فالأولى محمودة والأخرى مذمومة .

(يتبع) الدكتور عمر فروخ

ج — أهل

الرس الثنائي الخفيف لهذا الثلاثي هو « هَلْ » ومثقله « هَلّ » الدال على رفع الصوت . وانصباب المطر من علو السماء الى الأرض ، وظهور القمر مرتفعاً ومتلألئاً في العلاء .

والفكرة الشاملة في كل هذه الدلالات هي فكرة الحركة والهزّ الظاهرة أيضاً في مكرّر الثنائي الخفيف « هَلْهَلْ » المراد به : الرجوع عن الشيء ، وترجيع الصوت ، وفي الصوت وترجيعه حركة وارتفاع . والألفاظ الناظرة الى « هَلْ » العربية هي ، في العبرية : hâlal : برق ، لمع ، تلألأ ، أشرق . وفي الأكدية éllu (هلّو) : لمع ، أضاء ، أشرق . و alâlu (هَلالو) : صوّت ، هتف . وفي السريانية hal : هلّل ، رتل . و hallèl هلّل ، مدح ، عظم . وقد زيدت الهمزة على « هَلْ » الثنائي ، فأصبح « أهَلَ » الثلاثي . وتوسعت متطوّرة معاني « أهَلَ » تطوراً متناسقاً ، في العبرية ، والأكدية ، والعربية ، دون أن ترد المادة في الارمية والحبشية . فجاءت في العبرية أولاً : الصيغة الفعلية ، في كلمة âhal مطلقةً على الاقامة تحت الخيمة . والعيشة عيشة أهل الوبر ، أي بالتخييم عند حل الرحال ، وقلع الخيم عند الترحال ، طلباً للمراعي والموارد . ووردت كذلك في العبرية : الصيغة الاسمية ، في لفظة ôhèl المراد بها : الخيمة ، ولا سيا قسمها الأعلى المركّب من شمائر من وبر الإبل ، أو من شعر المعزى ، مما تولد من فكرة الارتفاع المتضمنة في الثنائي « هَلَ » وقد تفرعت لخاويه ، فدلت المفردة على المسكن ، من باب الاطلاق ، وعلى سكان الخيمة ؛ ثم على الخيمة المقدسة ، عند اليهود . أي قبة الشهادة ، أو الهيكل المتنقّل معهم في البرية . ثم على الهيكل الثابت ، هيكل أورشليم .

أَنَفَ فلانٌ : وطأ كلأً أُنُفاً ، لم يرعَ . وأنِف من الشيء : استنكف وتنزه عنه . و — من قوله أشدّ الأنف : كرهه . و — أنفاً وأنَفَةً : سار في أول الليل (مجاز) . آنفه : جعله يشتكي أنفه . وأنَّف الشيءَ : حدّده . و — فلاناً : حمله على الأنفة . و — الراعي طلب أُنُفَ الكلأ ، أي الذي لم يرع . تأنّف الطعامُ : لم يؤكل منه شيء . وتأنّف الإخوانَ : طلبهم آنفين ، لم يعاشروا أحداً . إئتنف الشيءَ واستأنفه ، أخذ فيه وابتدأه . الآنِف : المأنوف الذي يشتكي أنفه . آنِفةُ الصبا : ميعته وأوّليّته . الأُنافيّ : العظيم الأنف . — الأنف في الانسان وغيره من الحيوان : يطلق على مجموع المنخرين والحاجز والقصبة . وهو آلة الشم والتنفس . ويقال مجازاً . الأنف : سيدُ القوم . و — ثنية الجبل . و — من كل شيء أوله أو أشده . يقال : أنفُ الشد : أول العدو . وأنف البرد : أوله وأشده . و — من المطر : أول ما انبت . و — من الأرض : ما استقبل الشمس من الجلد . و — من الرغيف : الكسرة . و — من الجبل : النادر والشاخص منه . و — من النبات : طرفه . و — من اللحية : جانبها . ورجل حميّ الأنف : يكره أن يُضام . — الأُنُف : كلأٌ بحاله لم يرعه أحد . و — المشية الحسنة . و — الخمر لم يستخرج شيء مثلها من الدن . يقال للمتغيّظ : ورم أنفه : لأن الغضبان ينتفخ أنفه ويحمرّ . — الأنوف : الكاره اتيان الدنايا . — والأنيف : اللين من الحديد . مثل الأنيث . المئناف السائر في أول النهار . — المتأنّف والمؤتنف من الأماكن : الذي لم يؤكل منه شيء . المؤتنِف : الذي هو في مقتبل الشباب . المستأنَف من الأمر : هو الذي لم يسبَق اليه .

* * *

أهلاً وسهلاً : ترحُّب . تقديره : صادفت أقرباء لا غرباء . ووطئت سهلاً ، لا خشناً .

الإهالة : اسم للشحم ، وكل ذائب من زيت وغيره . و — كل ما أؤتدم به من الأدهان . المأهولة من الثريد : ما كانت كثيرة الإهالة .

هذه الكلمة أيضاً ، مع ما هناك من ظاهر التناقض بينها وبين بقية فحاوي «أهَل» هي من عين الرس الثنائي «هَلْ» . واشتقاقها منه مفعول متساوق . اذ من معاني «هَلْ» انصباب المطر من السماء على الأرض . وهذا ما يستبين بجلاء في فحوى «الإهالة» لأنها دالة على ما يذوب أي يسيل وينصبّ من شحم وسمن وزيت وغيره .

ح : سلم

هذه المادة سامية كل السامية ، لورودها في عامة الساميات ولهجاتها ، دون استثناء ، مع هذا الفرق وهو أن حرفها الأول سينٌ في الساميات الجنوبية ، أي العربية ، والحبشية ، والسبئية ، وتوابعها ؛ وشينٌ في الساميات الشرقية والشمالية ، أي الأكدية ، والارمية ، والسريانية ، والعبرية ولواحقها .

ان المعنى الأوّلي لهذه المادة سلبي . أي معنى السلامة والتنزه عن النقص والضعف والآفات البدنية ، وايجابي ، أي الوجود في حال الصحة والعافية والرفاه والأمان والسلام . ومن فكرة الصحة ، أي امتلاك كل ما تتطلبه الحياة — نشأت فكرة الكمال ، والاتمام ، والانهاء ، ثم الزوال .

هذه أنواع معانيها في مختلف هذه اللغات :

في الاكدية : Shâlamu : تنزّه عن العلة والاذى . كمل . و Shulmu : الرفاه والرغد .

وأخيراً على قصر الملك داود ، والملك سليمان . — وفي الاكدية ، لم يبدأ التطور أو التوسع من أول مرحلة ، وهي الدلالة على الخيمة والتنجيم ، بل أرتجل من فحوى المسكن مطلقاً . فشمل الحلة ، والمثوى ، والقرية ، والمدينة ؛ ولا سيما مقر أو مدينة الآلهة أو الملك . أما في العربية فشرع التفرع من مرحلة متوسطة . إذ لم تعن «أهل» لا الخيمة والتخييم ، ولا المسكن والسكنى ، بل أرتجلت من مفهوم المقيمين في المكان ، وأطلقت على قطان البيت ، والمدينة ؛ وعلى الأقارب وغيرهم من ذوي العلاقات ؛ ثم على كل شيء له صلة من الصلات بغيره . وهذا تفصيل الفحاوي للمادة العربية .

أهِل المكانُ : صار مأهولاً ، أي عمر بسكانه . وأهَل الرجلُ : اتخذ أهلاً ، أي تزوج . أهِل الرجلُ : أنس . أهَّل فلاناً للأمرِ : رآه مستحقاً ، أو جعله لائقاً به ، أي رأى العلاقة مناسبة بين الرجل والأمرِ . و — به : قال له : أهلاً وسهلاً .

آهله للأمر : جعله لائقاً به . و — زوّجه . — تأهّل واتّهل : اتخذ أهلاً أو امرأة . تأهّل للأمر : جعل ذاته مستحقاً له . — استأهل الشيء : استوجبه . و — فلاناً : وجده مستحقاً . — أخذ الإهالة أو أكلها .

الآهل : المكان العامر بالسكان . الأهلي والأهِل : ما ألف المنازل من الحيوانات وغيرها . الأهِلة : الأنعام والمواشي .

الأهل : من باب الاطلاق : كل من أو ما له علاقة من العلاقات بغيره . أهلُ الرجل : زوجته . و — عشيرته وأقاربه . و — البيت أو البلد : سكانه . و — المذهب : مَن يعتقده ويدين به . و — الأمر : ولاته . و — كل نبي : أمّته . و — الوَبر : سكان الخيام . و — المدر والحضر : قطان المنازل المبنية . و — الكتاب : المسيحيون واليهود .

وتطور الدلالات ، لا يدل البتة على «لدغ الحية» . بيد ان هذا الفحوى يستعمل من باب التفاؤل . لأن لفظة «لديغ أو ملسوع» ينفر منها السمع والشعور . ولذا يتخذ عوضها كلمة تعاكس ذلك . وهي «سليم» وفي العربية من هذا القبيل شيء كثير . من ذلك مفردة «البصير» أي الحادّ النظر ، تطلق على «الأعمى» تفاؤلاً . وقس على ذلك : «كريم العين» تقال عن الأعور . و «المكوكب» عن الذي في عينه نكتة . و «أبا البيضاء» عن الحبشي . و «المفازة» عن الفلاة والمهلكة ، تفاؤلاً بالفوز بالنجاة . و «الخفيف على القلب» عن الثقيل الدم . و «ترحّم» بمعنى لعن [1] .

---

(١) لا بأس أن نورد هنا ما وقع تحت نظرنا يوماً ، ونحن نتصفح ، من باب المصادفة ، العدد ٢٣ من المجلة الفرنسية « Dieu Vivant » « الله الحي » . وهو مقال بقلم السيد « بواكيم مبارك » ، موضوعه Islam et paix « الاسلام والسلام » . وقد بحث واضعه (ص ٨٠ ي ي) عن الفعل المجرد « سلِم » . الذي نحن في صدده . ولكنه بالحقيقة لم يوفق في ادراك معانيه وتطوّرها وتسلسلها . وقد اضاف في الحاشية (ص ٨١) ما هذا نصه الفرنسي :

« Autre sens curieux qui nous a été signalé par le professeur Massignon : « Etre piqué par un serpent ».

وهذه ترجمته : « هناك معنى آخر (لهذه المفردة) غريب في بابه ، دلنا عليه الأستاذ ماسليون . وهو « لدغته الحية » . أما نحن فنقول : الغريب كل الغرابة عندنا هو كيف ان صاحب هذه المقالة وهو لبناني ، أو سوري ، لغته العربية ، قد جهل وجود هذا المدلول ، فدله عليه رجل اجنبي . مع ان هذا الفحوى وارد في أصغر المعاجم المدرسية ، مثل معجم Belot العربي — الفرنسي . واما الأستاذ الأجنبي الذي نبهه عليه ، فقد سها عن الفرق الواقع بين مداليل « سلِم » . وقد فاته السر الذي كشفناه في كلامنا الوارد في المتن وهو ان « سليم » لايدل على «لدغ الحية» من باب الاشتقاق ، او تطور المعاني ، بل من باب التعريض ، والتفاؤل (اللسان ١٥/١٨٤ . والتاج ٨/٣٣٩ و ٣٤٣) . وهذا دليل على ما ابديناه من ان هذه البحوث المعجمية غير مألوفة عند كل احد ، سواء كان عربياً ، ام اعجمياً ، ام صوفياً . لأن هؤلاء المستعربين ، او المستسيمين ، او المستشرقين ، لكونهم أغراباً ذوي عقليات مغايرة لعقليتنا الشرقية السامية ، وخلوهم من الالهام اللغوي ، السامي ، العربي ، الغريزي فينا ، فيما ينوط باسرار وخصائص لغاتنا السامية ، ولا سيا —

في العبرية : Shâlam : صح ، كان في سلام ، سلم . كمل . وفى .
Shallèm : أتم . وفى . أدّى . كافى . أراح . أسعد .
في السريانية : Shlèm : سلِم . برئ . انتهى . انقرض . مات .
Shallèm : سلّم . أودع . أتمّ . كافى .
في الحبشية : Salâm : سلام . نجاة . خلاص . تحيه .
(لا وزن مجرد . من الاسم أرتجل Tâsalama : تسالموا ـ
سلّم بعضهم على بعض asalasûlama ـ صالح . سالم) .
في العربية : سلِم : نجا وبرئ من العيوب والآفات . تمتع بالصحة .
وسلمته الحية : لدغته .

قلت : ان الفحوى الاولي سلبي ، وهو النجاة والخلاص من كل آفة وأذى .
وهذا ما يبين في الرس الثنائي الصادر عنه هذا الثلاثي ، وهو « سلْ » ومثقله
« سَلّ » الشيء من الشيء : انتزعه وأخرجه برفق . مثلاً : سَلّ السيف من
غمده ، والشعرة من العجين . وسلّ : مسرق . لأنه ينزع الشيء من صاحبه .
بخفية ومهارة . وينظر الى هذا الثنائي في السريانية « شَلْ » : سلّ ، نزع ،
سلخ ، أسال ، نهب . وفي العبرية : « شالَل » : نزع ، استل السيف .
سلب ، شلّ . وفي الاكدية « شَلالُو » : سلب .

على أن في العربية لهذا الفعل معناة أخرى لا وجود لما يشبهها في بقية
الساميات : وهي « لدغة الحية » فكيف التوفيق بين هذه المتضادات ؟ التوفيق
سهل اذا عرفت أن من عادة العرب ، قديماً وحديثاً ، لا بل عند كل الأمم ،
وفي سائر اللغات ، استعمال « التعريض » ، للكراهية تسمية الشيء السمج ،
أو المزعج ، أو المرهب ، باسمه ؛ لما ينشئ من النفور في آذان السامعين ،
لسوء تأثيره في شعورهم ومخيلتهم وذهنهم . ان « سليم » من حيث الاشتقاق

السلام وهو التنزه عن القلق والاضطراب · وتسالمت الخيلُ : تسايرت ، لا يهيج بعضها بعضاً ·

سلَّمَهُ الحيةُ : لدغته · من باب المعاكسة ، أو التعريض ، أو التفاؤل · و — الدلوَ : فرغ من عملها وأحكمها · من Shallèm السريانية : أكمل ، أنجز · وسلم الجلد : دبغه بالسَلَم · والسَلَم شجر من العضاه يدبغ به · وغاية الدبغ حفظ الجلد من الفساد ·

استلمَ الحجر الأسود الذي في حائط الكعبة : لمسه بالقبلة ، أو اليد ، أو الصولجان · واللفظة من مقلوب « سلِم » وهو « لَمس » وهذا الثلاثي مشتق من الثنائي « مَسْ » ومثقله « مسّ » بزيادة اللام تنويجاً · والمسّ هو المسح أي الافضاء باليد دون حائل ·

السَلام : اسم من التسليم · و — الانقياد · و — اللديغ ، من باب التفاؤل · و — التحية ، أي تمني الراحة والاطمئنان · والسلام : من أسماء الله تعالى ، لسلامته من النقص والعيب والفناء · وهو مصدر · هذا هو التأويل الجاري · لكنه غير صائب · والأصوب أن يقال : لأنه عزّ وجلّ يسلِّم أي ينزّه الغيرَ ، أعني خلائقَه من الآفات · اذ ان السلامة تُطلق على من يتوقّع له الآفات · والقابل لذلك بطبعه الضعيف · وأما الله فلا يتوقّع له مثل ذلك · لكونه من طبعه منزّهاً عن الآفات · فلا يتمنى له السلامة أو النجاة منها ·

السُّلَّم : المرقاة ، من خشب ، أو حجر ، أو مدَر · لأنه يسلِّمك الى حيث تريد من الأمكنة العالية ، فترجي به السلامة والأمان · و — السبب الى الشيء ·

السليم : اللديغ والجريح المشرف على الهلاك · من باب التفاؤل ·

* * *

بعد هذا البسط والتمييز بين مختلف معاني «سلم» في اللغات السامية، ينبغي لنا عرض مفاهيمها في العربية، والملاءمة بينها.

«سلِم» (سلبياً): برئ من الآفات والعيوب. و(ايجابياً): كان صحيحاً، معافاً. و — له الضيعة: خلصت، أي نُزع كل مانع عن ملكيتها.

«سلَّم»: خلَّص وأنجى. و — الشيء: أسلفه، أي قدَّم سابقاً من السلعة وغيرها الى أجل مسمى. وفي كل تسليم يفترض، من الجهة الواحدة، النزع؛ ومن الجهة الأخرى، التقديم. لأنه اذا قدِّم الشيء الى واحد، فقد سبق نزعه عن الآخر. وسلَّم فلاناً وعليه: قال له: سلام عليك، أي تمنى له التنزه عن كل آفة، ومن ثم الوجود في حالة الصحة والوفاء الناجم عنها الاطمئنان والأمان. وسلَّمه اللهُ: وقاه من الآفات. وسلَّم اليه: انقاد. والانقياد قائم على تجرد المرء من ارادته أو حريته، ووضعها تحت تصرف الغير. وسلَّم فلاناً: اذا أخلى بينه وبين من يريد النكاية به، أي خانه. وذلك متوقف على نزع الشخص من مكان أو حال الأمان، والقائه في موطن الخطر والتهلكة. أسلَم: أسلف. وأسلَم: دان بالدين الاسلامي. ومعنى الاسلام: الكفران بالذات، وتقديمها لله تعالى بالطاعة والخضوع لإرادته الإلهية. وتسلَّم منه: تبرأ، أعني نزع ذاته عنه. وتسالم الرجلان: تصالحا، أي وضعا بينهما

ـــ العربية، نُرام أحياناً، مع غزارة معارفهم، وتفنن أساليبهم العلمية، التي نستحسنها ونقدرها حق قدرها. نُرام احياناً، أقول، «يغرقون في طاسة، أو قدح من الماء»، حسب قول علامتنا المرحوم الأب انستاس الكرملي العراقي. وعلى هذه الشاكلة حال ناشري «القصائد الوأوائية» ذوي «الارادة الدمّانية»، في القصور المظلمة، الدمشقية، فان المعجميات، والثنائيات، والأسليات، والساميات، لمن الأمور التي لا يعلمون، في شأنها «من أين تؤكل الكتف».. ولا عجب في ذلك فان لكل امرئ مهنته واختصاصه، فعلى كل واحد اذاً أن يهتم بما يعنيه، لئلا يضطر غيره، عن كره منه، الى ان يسمعه ما لا يرضيه. كالمثل القائل: «هذا ليس بمشك فادرجي ...».

الماء ، جاء « سبح » بمعنى : سكن وهدأ . ودل أيضاً على النوم : لأنه في النوم هدوء وسكينة . ولما كان من جملة أعمال السابح أن يحرك أحياناً أخرى يديه ورجليه ، ويضرب على الماء ، تولد من ذلك دلالة « سبح » على الضرب والجلد . وعلى التقلب ، والتصرف في الحياة والمعاش ، وعلى الاكثار من الكلام ، لأن الثرثار يظهر كأنه يسبح في الخطل ، كالسابح في الماء . ولكون السابح يسير في الماء الى مسافات شاسعة ، أطلقت « سبح » على السير ، والابتعاد ، ومن ثم على الإبعاد . والسَبْحة : ثياب من جلود . لأن الجلود تسحي وتقشط . وكساء مسبَّح : قوي شديد . لأنه من جلود . وفي الجلود قوة وصلابة .

سبَّح فلانٌ : صلّى . و — اللهَ : نزَّهه . والسابح : العائم في الماء . وفرسٌ سابح : سريع . والسوابح : الخيل لمضاهاتها السبّاح . السبّوح : من صفاته تعالى . لأنه ينزَّه من كل سوء . سبحانَ الله : أي أُبرئُ الله براءةً من كل سوء .

السُبْحة : الدعاء . و — صلاة التطوع ، أي النافلة . لأنه يُسبِّح فيها .

السَبوح : فرس غير مضطرب في جريه .

قلنا : انه ليس في اللغات السامية الأخر ثلاثي مجرد يقابل « سبح » بمعانيه التي تدل على العوم والسير والسرعة وأمثالها . لكن قد ورد فيهـا ما يضاهي المزيد « سبَّح » ويقارب فحاويه : أي سبَّح ، رتل ، مجَّد ، حمد . وفي السريانية ، يضاف مدلول اعتقد . ولربما دخل هذا الوزن وتوابعه من العربية في السريانية والعبرية . أما العربية ففيها الثلاثي المجرد ، ومزيدان هما : أسبَح وسبَّح .

على أن المشكل متوقف على التضارب بين مدلولات « سبَّح » و « ضبَّح » هذه الصعوبة تزول اذا تتبعنا سير الاشتقاق من الثنائي « سَحْ » الى الثلاثي

خ — سبح

في مداليل هذه المادة يظهر شيء من التناقض . اذ أنه من الناحية الواحدة يدل « سبَح » على العَوم ، أي الحركة والسير في الماء . وفي خارج الماء ، على الانتشار في الأرض . ومن الناحية الأخرى يطلق على السكون والنوم . ثم ان مزيده « سبَّح » يعني تمجيد الله ، والتهليل ، والتعظيم . أما في اللغات السامية الأخر ، فلا دلالة للمادة المذكورة . على السباحة ، والسير ، والسرعة ؛ بل في كلها محصورة الكلمة في محاوي التمجيد والتعظيم والدعاء . ففي العبرية Shâbayah : مجد ، بجّل ، قدر ، أصلح . وفي السريانية Shabbah : سبَّح ، عظَّم ، ارتأى ، اعتقد . وفي الاكدية Suppu : عظمة ، تمجيد . وفي الحبشية Sabba : سبَّح ، مجد .

هذه المادة أو هذا الأصل الثلاثي ناشئ عن الرس الثنائي « سَح » ومثقله « سحّ » وممدود أوله « ساحَ » وممدود ثانيه « سحا » ومكرره « سَحْسَح » ففي « سَحْ » معنى الجريان ، وانصباب الماء والدمع . وفيه أيضاً مدلول الضرب والجلد ، والسمن والامتداد والانتشار . وفي « سحا » دلالة القشر ، والحلق ، والجرف . والساحية : السيل الجارف . وفي « ساح » معنى جرى الماء على وجه الأرض ، ثم معنى ذهب في الأرض للعبادة . وساح النهرَ : أجراه . وتسَحْسَحَ الماء : سال من فوق . والسَحْساح : الشديد من المطر .

في كل هذه الثنائيات ومتفرعاتها يُرى ان المفهوم الشامل هو « السيلان » سيلان الماء أو الجري فيه . ومن الهين ادراك المدلول في الثلاثي « سبح » أي جرى مع الماء ، وعلى الماء منبسطاً . وكل من انبسط في شيء فقد سبح فيه . والسَبْح : المرُّ السريع في الماء والهواء . ويستعار لمرّ النجوم ، وجري الفرس ، وسرعة الذهاب في العمل . واذا كان السابح ينبسط أحياناً على وجه

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ -- ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

١ — نظرة عامة

مضى[1] الكلام على تاريخ علم الفلك في عهد المغول والتركمان . والآن أتناول علم الفلك في العهد العثماني . وتاريخ هذا العلم متواصل ، وصلاته بالعهود السياسية قليلة . وانما جرى على اطراده بحكم قانون الاستمرار الا أن حالته تكمن أحياناً وتظهر أخرى . وجلّ ماهنالك أن هذا العهد عدمت العلوم فيه من المناصرة عندنا ، ولم تبق الا المدارس وسيرتها المعتادة في التدريس .

ولم يخل العراق من زعازع وحروب طاحنة جداً بينه وبين ايران . فانتهبت الأيدي العابثة ما تمكنت عليه من كتب ، الا أنها في عهد المماليك من سنة ١١٦٣ هـ أو من تاريخ وفاة نادر شاه سنة ١١٦٠ هـ هدأت نوعا وان لم تخل مما يتخللها من أيام اضطراب دام الى سنة ١٢٤٧ هـ . ثم حصل تشوش في الحالة تارة وطأنينة أخرى حتى حدث احتلال بغداد سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م ، فانتهى العهد العثماني .

أحاول في هذه العجالة أن أبين ماجرى على علم الفلك خاصة ، فأوضح تاريخه في العراق مع ملاحظة صلاته بأصل الدولة ، وما جاوره من أقطار

---

(١) راجع المجلد (الثامن والعشرين) ص ٧٩ و ص ٢٥٧ و ص ٤٢٠ .

« سبَح » والى مزيده « أسبَح » ومزيده الآخر « سبَّح » فقد رأينا ان « سَح » ، وسَحا ، وساح ، وستحسَح » تحوي معنى عاماً هو معنى الجريان . فهذه الفكرة انتقلت متطورة الى الثلاثي الذي زيد فيه الباء اقحاماً ، فأطلق على جريان الانسان وسيره وانبساطه في الماء . وفي الجريان أو السبح تلقى فكرة الابتعاد : ومن ثم الإبعاد . وهذا بدء مفاهيم « سبّح » . ونقول : « سبَّح الله ونريد بذلك تنزيهه أو ابراءه ، أي ابعاده عن النقص والسوء . وهذه أيضاً دلالة سَبْحن ، وسُبحان ، وسبحل . ومن هذه المنفاة نشأت المداليل الأخر مثل : عظّم ، مدح ، مجّد ، ويشمل جميعها الدعاء والصلاة . ثم ان تمجيد الله وتسبيحه فعل ديني ناشئ عن الايمان به تعالى . لأن من لا يؤمن بالله ، لا يمجده . ولذا دلّت « شبَّح » في السريانية على الاعتقاد ، أو الايمان .

وأنت ترى أيها المطالع والباحث اللبيب ، كيف سهل التوفيق بين هذه المفاهيم المتضاربة ظاهرياً ، وذلك ببدء الاشتقاق من الثنائي « سَح » ومتفرعاته ، وبالتطرق الى الثلاثي « سبَح » بمعنى جرى ، وسار ، وابتعد في الماء ، ثم في البر والجو . وأخيراً بالبلوغ الى المزيد « سبّح » المراد به تنزيه الله ، أي ابعاده عن كل العيوب ، ومن ثم تمجيده وتعظيمه بالايمان والصلاة .

وكل هذه النماذج ، وغيرها كثيرة جداً ، من مواد معجمنا « الثنائي » تبين فضل الثنائية على المعجمية ، وتفوقها على نظرية « الثلاثية » .

الأب مرمرجي الدومنكي

وان كان ذهب أكثرها ولم يبق الا القليل ٠ وصرنا نلتمسها من خزائن الشرق والغرب ٠ وهذا يقال في الشام ومؤلفاته ؛ فلا تزال بقية باقية يجب أن نتدارك أمرها ٠ ولا شك أن غذاءنا العلمي مستمد من هذه الآثار ومن بصيص في المعرفة ٠ ففي أيامنا الأخيرة اشتهر أفاضل وان كان الأمر لا يخلو من نقص في تقليل شأن المعرفة ، وفي العناية بالآلات المطلوبة ٠ وفي هذه كلها حرمنا مما حدث من تجدد ٠ ومع هذا نذكر رجالنا بأطيب الذكر من جراء أنهم حفظوا تراثنا ٠

ولا يكفي هذا الاجمال ٠ ومن الضروري الدخول في التفصيل بقدر مع العلم لأن التتبع يحتاج الى تعاون ولأن الوثائق لا يزال بعضها في طي الخفاء ٠ وجل أملنا أن تظهر ليكشف عن مبهم فينجلي حال العلم بوضوح ٠ وبهذا تتكون صلة الماضي بالحاضر ٠

٢ — المصادر التاريخية (للفلك)

يصعب كثيراً أن نعين مصادر البحث للعهد العثماني بحيث تصلح أن تكون عامة وان كنا طرقنا أكثر ما ينبغي طرقه لمحاولة المعرفة من جميع وجوهها ٠ ويؤسفنا أننا لم نعد الا القليل ، ولم ندرك الا النزر ٠ فهل كان ذلك لنقص في المخلفات أم لأنها مختفية عن الأنظار ، أم أصابها التلف ٠

كل هذه الاحتمالات واردة ٠ ومن المهم أن نقول اننا لم نجد ما نعتمده أو نعوّل عليه من المصادر العامة ٠ وانما كتبنا الموضوع بالاستقاء من مختلف الآثار الخاصة في تواريخ الأشخاص وما قيل في مؤلفاتهم ٠ وهذا غير مسبوق بغيره فليعذر المرء اذا وجد نقصاً ، ولعله يسعى جهده لإكماله ٠٠٠ والغرض تثبيت (التاريخ العلمي في العراق) ومنه (تاريخ علم الفلك) ٠ وقد قيل قديماً

وما شوهد من أثر أو تأثير لنكون على بصيرة من تطوره ومعرفة مجراه في سيرته العلمية . وكفى أن نقف على المعرفة الضرورية المطردة دون توغل ، والاحتفاظ بالموجود من الآثار .

رأينا بعض المؤلفات التي خدمت التدريس ، فلم يتجاوزها المتعلمون ولا العلماء الا قليلاً . نجدهم رعوها بالشرح والتعليق . وليس في هذه تمكن عظيم في التأليف والنبوغ فيه كما هو الشأن في سالف العصور . وفي أوائل هذا العهد خذلت المعرفة البحرية وأصابتها نكسة على يد البرتغال فأثرت في التجارة وأخلت بالحالة الاقتصادية فتحولت الصلة الى الغرب ، وفقدت الرغبة في الفلك وما يتعلق به من علم البحار . وصارت المخلفات السابقة صعبة الأخذ . وانما مال القوم الى مختصرات لا تفي بالغرض .

وفي القرن الثاني عشر حصل تجدد في الفلك والرياضيات ، وصار يقتبس من الغرب بأكمل وجه ، ونقلت أزياج الى التركية وعلوم رياضية وفلكية أخرى . وهذه أثرت في ثقافة القرن الثالث عشر . وتوالت في الدولة بل تجاوزتها فتمكنت في مصر والشام ...

جرى الاصلاح وسار على وتيرة الا انه لم يستفد من هذا العلم كثيراً . وان الأرصاد في اسنتبول ومصر وفي بيروت لم تكن مقرونة بعمل ، فلا تجربة ولا قوة ولا نشاط ...

ولم تفد الرياضيات في العمارات ولا بناء الجسور والقناطر ولا الخزانات ولا تسوية الطرق ولا غير ذلك . وربما استخدمت لمصلحة الجيش بصورة ضئيلة ...

وهذه الفترة قضاها العالم الاسلامي والعربي في تطاحن قضى به على ما عنده ، وصار أقرب الى الجهل . واستعراض حالة مثل هذه أجدها ضرورية في معرفة حالة الثقافة الفلكية مهما كان وضعها فنعلم مجاريها ...

والعراق لايزال يحوي جملة كبيرة من آثار أسلافه لهذه العهود وما قبلها

وكذا المؤلفات السابقة . وكانت المدارس العلمية تمد بالمعرفة المنظمة . وكان مسايراً في نهجه العلمي الا أنه حرم من المناصرة الكبيرة ، ولم يجد بذلاً زائداً في بناء رصد أو مساعدة العلماء .

وجل ما هنالك أن الاتصال العلمي لم ينقطع كما في عهد المغول والتركمان ومن ثم كانت معرفته تحكي ما جرى وتمثل ما كان من تطور . وقد غلب عليها (الطريقة التعليمية) لا الابداعية (العلمية) ، فالمواهب لم تبرز وتظهر ظهورها في تلك الأقطار المناصرة لتقدم هذا العلم . صارت بغداد تابعة للأقطار منقادة لعلومها وتحقيقاتها وان كانت المادة منها . صارت تأخذ عن العثمانيين والايرانيين وتقوي ما عندها ، وتجدد النشاط . لم يصبها الخمول الا أنها لم تكن مرجعاً للأقطار بل صارت تلك الأقطار مرجع المعرفة لها .

نشاهد ذلك من أيام انتشار مؤلفات الطوسي وأضرابه ، ومن نقل بعض كتب الفلك الفارسية مثل تاج المداخل . والصلات بالأقوام أدت الى الاحتفاظ بهذا العلم المتجدد . ولم يغفل العراق هذه الخطة فكان في صلة تطميناً للرغبة العلمية بواسطة المدارس التي لم تنفك عن تدريس هذا العلم .

وفي هذا العهد نذكر علاقاتنا العلمية بالفلك في المدارس والاشتغال العلمي ، والاتصال بمتجددات الفن . وأكثر ما تظهر العلاقة بالعثمانيين ، وكانت سلطتهم واسعة تتناول جميع الأقطار العربية وتتصل بالغرب من جهة ، وبالايرانيين من أخرى . وكانوا يناصرون العلم كدولة مستقلة لها تشكيلاتها العلمية الخاصة وكيانها المعروف .

والسياسة والحروب لم تدع مجالاً للعثمانيين ولا للايرانيين أن تتقدم العلوم في أيامهم . وانما ابتلعت الحروب خزائنهم ، فباؤوا بالفشل وتسلط عليهم الغرب . وصاروا تلامذة الأمم الأخرى . وهذا الأمر غير مشرف للعراق في الأخذ والاقتباس العلمي . وانما كان ذلك تابعاً للأصل وهو كذلك .

«العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك» . بذلنا جهوداً كثيرة . والأمل أن نقطع مرحلة في طريقنا نوضحها للسالك .

ومن أهم ما يعدّ مرجعاً لخزائن الكتب بوجه عام ، ومن أجلّ ما هنالك (كتاب عثمانلي مؤلفلري) تعرض للتاريخ العلمي وبصّر بالأشخاص . ومثله لعهد قصير كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية . وما جاء بعده من كتب الطبقات العثمانية ، وكتب التاريخ للتعرف بالمؤلفين ومن بينها كتاب سجل عثماني . وكل هذه لم تفرد موضوعاً الا أننا وجدنا بعض التراجم مفرقة فيها ورأينا كل الصعوبة في معرفتها .

ويصعب تعداد جميع المؤلفات . والغرض تاريخي لاعلاقة له بتفصيل (مادة الفلك) والرياضيات فقد توسعت كثيراً ، وزادت المؤلفات فيها . وكلها تكشف صفحات نافعة . ومطلبنا محدد في التاريخ وعلاقتنا به قليلة جداً فيما يخص الموضوع . وان ذكر الأمثلة والتوسع فيها خروج عن المطلب التاريخي وذلك يحتاج الى تبسط يخص أهل الفن كما فعل الأستاذ طوقان في كتابه (تراث العرب العلمي) أو كما فعل الأستاذ صالح زكي في كتابه (قاموس الرياضيات) وكتابه الآخر (آثار باقية) .

ومن المصادر الصالحة للأخذ (تحفة الكبار في أسفار البحار) لكاتب چلبي ، و (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي ، وأوليا چلبي في رحلته ... ومؤلفات (سيدي علي رئيس) .

٣ — علم الفلك في العراق

ان هذا العلم له صلة أكيدة بالعلوم الأخرى . فقد مضى في سبيله باستمرار . وكان غذاءه في الدرجة الأولى (كتب الهيأة) في عهد المغول والتركمان ،

للتدوين لنكون على بيّنة من ماضينا • ولا شك أن العلوم المتداولة مثل ملخص الهيأة للچغميني وشروحه معروفة كثيراً وكذا الحواشي على تلك الشروح •

ومن مراجعة خزائن الكتب الموقوفة نشاهد مؤلفات كثيرة منها مدرسية ومنها علمية ، فلا يقال ان العراق جمد جموداً كبيراً ، فصار لا حراك به ، بل ان انتشار مؤلفات الفلك بين ظهرانينا تعين قيمة الاشتغال والرغبة فيه •

سيدي علي رئيس الفلكي البحري في بغداد

يعدّ من الأحداث المهمة في بغداد ورود سيدي علي رئيس في سنة ٩٦١ هـ — ١٥٥٣ م • وورد بغداد ليتولى ادارة الأسطول العثماني الراسي في البصرة ، ويقوم بمنصب قائد الأسطول المصري ، فذهب بعد وصوله الى البصرة فحدثت بعض الوقائع في شط العرب وما جاوره من تلك الأنحاء • ثم انه أصلح السفن الموجودة وسار الى مصر وفي طريقه اصطدم باسطول البرتغال في معارك طوحت به الى ساحل الهند فساعدت العدوّ زوابع قوية كانت أشد صولة فأغرقت سفنه أو ضعضعتها ، فالتجأ الى من هناك من المسلمين •••

عثر على رسائل في علم البحار وما يتعلق بالفلك شاهدها في تلك الأصقاع • فوجد ضالته فيها ، فنقلها الى التركية في مجموعة سماها بكتاب (محيط) حوى رسائل العرب وكان يأمل أن تعود دولته الى تلك الأنحاء فتكون على بصيرة من السير في تلك البحار لمقارعة البرتغال ، ولكن سفرته هذه كانت الأخيرة • وبقي أثره خالداً • ولم يطبع لأن دولته لم تجد حاجة اليه للدوام في حروب تلك الأنحاء مع أن ترجمته الى الألمانية من الأستاذ همّر الألماني قد طبعت ، فبينت (ثقافة العرب البحرية) في تلك الأنحاء واتصال الترك العثمانيين بها •

وكان مسبوقاً ببحارة عثمانيين الا أنه فاق بما خلّد من هذا الأثر العظيم • وله مؤلفات عديدة في علم الفلك منها :

وهذا لم يمنع من الاتصال والمعرفة ولو قليلاً . والغرض الاطلاع على ماجرى . وليس من شأننا العويل أو البكاء على الوضع العلمي والأيام دول . والضرورة التاريخية تدعو أن ندون هذه الصفحة بآلامها للاطراد في المباحث ، ومعرفة المكانة العلمية لهذا العلم خاصة في العراق وما أمكن معرفته من اتصاله بالفلك وعلومه .

وأكثر ما نحاول تدوين العلاقة بنا ، المتصلة اتصالها الأكيد . فاذا بحثنا عما عندنا توضح أكثر . والملحوظ ان المعرفة العلمية متمكنة لا تشوبها شائبة تعصب . ولم يمنع العلماء أن يأخذوا عن علماء الدولتين وان كان العثمانيون أكثر صلة بنا ، وهم أهل الدولة الحاكمة المتسلطة . والايرانيون مجاورون ومتداخلون من جراء الاتصال بالعتبات المباركة وبطريق الحج .

وفي هذا العهد نراعي الأدوار التاريخية على ترتيبها السياسي في تاريخ العراق لنكون على صلة بالأوضاع .

١ — العهد الاول : (الفلك في العراق)

من سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م الى سنة ١١٦٣ هـ — ١٧٥٠ م

يهمنا اتصالنا العلمي بالفلك . وان التأثير الخارجي لا يؤثر التأثير التام كتأثير المدارس وخزائن الكتب والاتصالات المباشرة في (المجالس العلمية) والبحوث رأساً في الموضوع . وان المؤلفات المنتشرة بين ظهرانينا من اعظم الدلائل على الاتصال العلمي . ولم نقف مكتوفي الأيدي من مؤلفات المعاصرين التي أصبح لها شأن .

ولعل أحد الأسباب المهمة في ضياع الاشتغال أو عدم الامكان من المعرفة هو كون بعض الآثار واختفائها ، ولم نجد من آثار زعزع هذا العلم ، أو تصدى

أثرت هذه الغلبة في التجارة ، فوقفت مدة . فتأثرت الحالة الاقتصادية وأصابها ركود عظيم بل اختلت . ولم يستعد العرب العلاقة بالهند الا من طريق الغربيين ، فكان ذلك ضربة قوية على التجارة في الشرق . وبهذا الكلام على البحرية وهذه ماتت عند العثمانيين في بحر الهند ، ونشطت للبرتغال ، ثم خلفتها بحرية الهولانديين والانكليز وغيرهما .

والفلك لم يتقدم في هذا العهد الا تقدماً قليلاً عند العثمانيين . وفقد عندنا مزايا كثيرة منها أننا لم نر حاجة اليه . وليس لدينا رصد . وفي الجوامع بعض موقتين جروا على تقليد من سبقهم وغالبهم يراعي موضوعه الا أن هذا تابع للقدرة الشخصية ولم يظهر عندنا من تلتفت الأنظار اليه ، فيؤلف تآليف نافعة تعدّل في الوضع أو تبدل فيه تبديلاً مهماً . وقد قيل الحاجة أم الاختراع .

دام ذلك بالحطاط لما أعقب الوضع من اضطرابات عديدة داخلية وخارجية ، والخلال في الادارة ، فشغل الناس بأنفسهم ، ولم نجد مدونات الى أن دخل السلطان مراد الرابع بغداد ، واستعادها من ايران بعد حروب قاسية وتدمير ماحق حتى سنة ١٠٤٨ هـ — ١٣٦٨ م . واذا كانت هناك مؤلفات فهذه انتهبتها الايدي العادية ، فلم تظهر أو لا تزال في زوايا الخفاء .

وجل ما علمنا أن العلم انحط . ونرى في البصرة من كتب لحسين باشا آل افراسياب كتاباً في الطالع عندي مخطوطة منه ناقصة الورقة الأولى وليس فيه من القدرة العلمية ما يستحق بها الذكر الا أنه صفحة من عقلية ذلك العصر .

وعندي مخطوط يسمى (بلوغ الأفهام في معرفة أقسام العام) كتبه باسم حسين باشا آل افراسياب كتب في شوال سنة ١١٢٢ هـ ولم أقف على اسم مؤلفه . ولم يبق ببغداد من كان له الشأن الكبير في تدريس هذا العلم ، فنرى الأستاذ الشيخ عبد الله السويدي لم يستطع أن يبرّد غلته

١ — اسطرلاب .

٢ — ربع المجيب .

٣ — عمل الضرب بالجيب .

٤ — المقنطرات .

٥ — دائرة المعدل .

٦ — ذات الكرسي .

٧ — كل هذه جمعها في كتاب (مرآة الكائنات) في خمس مقالات و ١٢٠ باباً وكتبه باللغة التركية ، ومنه نسخة في خزانة أياصوفيا .

٨ — ترجمة فتحية في الهيأة نقلها من الفارسية الى التركية . منها نسخة في خزانة بشير أفندي .

٩ — محيط في علم البحار . مرّت الاشارة اليه . ومنه نسخة في خزانة روان وأخرى في عثمانية .

١٠ — خلاصه الهيأة . ترجمة ملخص الهيأة الى التركية . منها نسخة في دار الكتب المصرية .

هذا ولابن سيدي علي رئيس (مرآة الكائنات في العمل بالآلات الفلكية) شرحه محمد أمين ابن الحاج عبد الرحيم في ٢٧ مقصداً ، سماه (المقاصد الجلية في حل الآلات الارتفاعية) . وبيان الوضع البحري وعلاقته بعلم البحار[١] .

والملحوظ أنه بعد أن اتصل سيدي علي رئيس بملوك الهند ، ونقل الى التركية (رسائل العرب)[٢] في علم البحار في (محيطه) استمدّ لاحضار ما يلزم من معرفة عملية لعل دولته تميد الكرة ، وكتب رحلته (مرآة الممالك) وفيها قصّ حياته ، وهي مهمة جداً[٣] .

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين المجلد الرابع في صفحات عديدة منه . وفيه تفصيل .
(٢) هذه طبعت في مجلدين في باريس عدا الترجمة الى الفرنسية .
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٨ وفيه تفصيل .

من خزانة كوپريلي . كتبها باللغة التركية تبعاً لرغبته الأدبية في التدوين والا فان التدريس كان باللغة العربية .

ومرتضى آل نظمي مؤرخ عراقي معروف . جاءت ترجمته في تاريخ العراق بين احتلالين وتوفي سنة ١١٢٦ هـ [1] .

ومن هذا كانت معرفتنا بعلم الفلك ورجاله قليلة جداً ، فعرفنا من مدرسيه والآخذين عنهم والمؤلفين فيه جماعة . والطريقة في التدريس جارية على ما هو متبع ومنقول من الرحلة أو ما يشبهها الا أن شيوع التدريس حدث فيه تبدل قليل . والملحوظ أن هناك كثيرين لم يشتهروا بأكثر من التدريس وبوجه عام لم نشاهد من انصرف لهذا العلم ، وانما صار يلتمس من الموصل لبقايا عهدت في رجالها ، وهذه صفحة مهمة أماط اللثام عنها (الشيخ عبد الله السويدي) على أنه لم ينعدم منا هذا العلم بل كما قلت (ضعف) .

٢ — عهد المماليك في العراق

من سنة ١١٦٣ هـ — ١٧٥٠ م الى سنة ١١٤٧ هـ — ١٨٣١ م

ان تقدم العلوم وتكاملها مقرون بالطمأنينة والراحة . وان ما حدث من تبدل في الحكم وانتقاله الى المماليك ، وكذا ما حدث بعد ذلك من نزاع على الولاية لم يهمّ الا رجال الدولة والجيش . ولم يتأثر بذلك الأهلون الا قليلاً . ولذا لم يطرأ اضطراب قويّ يؤثر على حالة العلماء . والعلوم ومنها الفلك هذا شأنه .

ويهمنا الاشارة الى أن الولاة في بغداد لم يعنوا بهذا العلم . وانما سار في تقدمه من طريق المدرسة ، وان الرغبة فيه من أكبر المسهلات لتقدمه . وان الدولة العثمانية شرعت في الاصلاح لضرورة حربية فأنشأت (المهندسخانة) أي دار الهندسة أو (كلية الهندسة) فظهر علماء في الرياضيات والفلك . ولا ينكر

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ في صفحات متعددة منه .

من علم الفلك ممن كان في بغداد من العلماء ، فاضطر أن يذهب الى الموصل ليدرس الحكمة والفلك كما تنطق بذلك رحلته . قال : « سافرت الى الموصل سنة ١١٢٧ هـ لتحصيل علم الحكمة والهيأة فبقيت في الموصل ١٣ شهراً حتى أكملت جميع الفنون . » اهـ [١] .

ومما قرأه من كتب الدرس في الفلك ما أشار اليه في رحلته . قال :

« وأخذت علم الهيأة ، ورسائل الاصطرلاب ، وربع المجيب ، وذات الكرسي عن البحر الجامع ، والغيث الهامع عن سيدي (سليم افندي الموصلي) . وأخذت الحساب عن أخينا (الشيخ حسين) قراءة عليه (شرح الزمزمية) . وعن (الشيخ سلطان) قرأت عليه وعلى غيره خلاصة الحساب للبهائي . وأخذت الهندسة عن المصريين ... » [٢] .

ومن هذه نعلم أن علماء ذلك العصر (سليم أفندي الموصلي) ، و (الشيخ حسين أفندي) ، و (الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري) وغيرهم ولم يستقص اسماءهم وهم مدرسون ولم يكونوا فلكيين . فلا شك ان هؤلاء علماء الفلك والرياضيات ، وان الكتب المقروءة التي سردها منها كتب البهاء العاملي ، وشرح الزمزمية ولم يعين باقي أسماء مؤلفيها . وبعضها لا يمكن بيان اسم مؤلفه لوجود نسخ عديدة لمؤلفين مختلفين في نفس الموضوع . ولا تتضمن هذه المؤلفات أكثر من تكرار المعروف الا أن بعضها أهملت جادة تدريسه في مدارسنا . وكتب البهاء العاملي كانت تدرس في هذا الحين .

ومن المؤلفين في هذه الحقبة (مرتضى آل نظمي) . وله (رسالة المقنطرات والجيوب) . ومن هذا الكتاب نسخة مذهبة مجدولة في مكتبة محمد عاصم بك

---

(١) النفحة المسكية في الرحلة المكية ص ١٢ .
(٢) كذا » » » ص ٢٦ .

فقد احتفظوا بدرسه وتدريسه ووقفوا عند ذلك . ولعلّ هذا مما مكن هذا العلم فصار يقرأ ويؤخذ من العلماء ، فدبّ النشاط وتوالى التأليف ... وذلك في عهد ما قبل المماليك . ثم تمكن في أيامهم وظهر الاشتغال به والتأليف في مطالبه ...

ومن علماء هذ العهد من قد تبع رغبته ودوّن بعض المؤلفات غير من ذكروا :

١ — السيد عبد الله الفخري :

هو أبو محمد من آل الفخري الأسرة الموصلية المعروفة كان كاتب الانشاء ببغداد في أيام المماليك ومقدماً عند الوزراء بعيد الصيت في الآداب العربية والتركية . جاءت ترجمته في الروض النضر ، وفي منهل الأولياء ، فهو أديب كامل . ومثله ابنه اسعد الفخري . قال صاحب منهل الأولياء : « وقفت له على شرح رسالة البهاء العاملي في علم الهيأة ، فوجدت علماً عظيماً وفطنةً وقّادةً وأسراراً غريبة » اهـ . ذكرت ترجمته في التاريخ الأدبي .

ومن مؤلفاته :

١ — شرح تشريح الافلاك . منه نسخة في خزانة الأوقاف من بين كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي .

وعليها :

١) حاشية . للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله السويدي المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ أولها : سبحانك ما أجل صفاتك . أثنى فيها على السيد عبد الله الفخري ولعلها مسودة المؤلف .

٢ — سوانح القريحة في شرح الصفيحة في الاسطرلاب للعاملي . أولها : تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ... وهذه النسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي . كتبت سنة ١٢٤٠ هـ بقلم الأستاذ السيد محمود الألوسي . ومنها نسخة أخرى في الخزانة المذكورة ليس لها تاريخ .

في هذه الحالة أن ينال العراق نصيب من هذه المعرفة ولو من طريق الاتصال بما نشر من مؤلفات .

ومما لا ريب فيه أن تقدمه الكبير لم يظهر في العراق حتى ولا في أصل الدولة . وان المماليك قطعوا أكبر العلاقات من الدولة ، فلم يلتفتوا الى تقدم الفلك والرياضيات . وان الاشتغالات في الفلك جرت على سيرتها السابقة . ومع هذا ظهر بعض الافاضل فدوّنوا بعض الرسائل أو المباحث ، فلم يكونوا بعيدين عن هذا العلم الا أن ذلك محدود .

ونذكر علماء هذه الحقبة ونبين مؤلفاتهم ، وفي ذلك صفحة واضحة للمعرفة على اننا لم نقطع أملنا في العثور على مؤلفات أخرى . ولكنها لا تزيد بأكثر من الأمثلة ولم يكن هناك ما يحقق تعديلاً كبيراً ، ولا ما يدعو لظهور نوابغ خدموا هذا العلم .

ومن البيوت المعروفة بالعلم في هذا العهد (بيت الحيدري) ورد بغداد صبغة الله الكبير بن ابراهيم . وكان يدرس علوم الهيأة ولاخوته علم وفضل ومنهم اسماعيل له شرح على الاسطرلاب للبهاء العاملي . ولابنه صالح بن اسماعيل حواش على خلاصة الحساب . ولعبد الله بن صبغة الله المذكور حواش على الجغميني في الهيأة .

وذكر في عنوان المجد ان لابراهيم بن حيدر والد صبغة الله الكبير من المؤلفات (شرح تشريح الأفلاك) في الهيأة . وذكر لوالده حيدر المذكور (حاشية على أشكال التأسيس) في الهندسة .

وفي هذه المؤلفات ما يعين الوضع بالوجه المذكور فلم يحصل تقدم يذكر في علم الهيأة وما يتعلق به . ومن الضروري التحري عن هذه المؤلفات ومحل وجودها .

وهنا لا نمضي دون الاشارة الى أن الشيخ عبد الله السويدي أخذ علم الفلك عن علماء الموصل وذكر من أخذ عنهم في رحلته . ولكنه لم يعرف لهؤلاء الا تدريس هذا العلم . وهو أيضاً أخذ الا انه لم يبد له تأليف في موضوعه .

٤ — محمد أمين السويدي :

ذكرته في التاريخ الأدبي . وله من المؤلفات :

١ — الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت .

٥ — صالح السعدي الموصلي :

أديب كامل ، وهو عارف بالفلك متقن لمطالبه . ذكرته في التاريخ الأدبي وفي تاريخ الخط العربي في العراق . ومواهبه جمة ، وعلمه غزير .

وله من المؤلفات في الفلك :

١ — حاشية على الجغميني في الهيأة . وهذه حاشية على شرح الملخص في الهيأة لقاضي زاده الرومي .

توفي شهيداً سنة ١٢٤٥ هـ .

٦ — محمد بن عبد الله الزيارتي :

أخذ عن أستاذه المشهور يحيى المزوري وكان قرأ عليه الملخص في الهيأة . وشاهد المسألة الشعيرية من أعوص المسائل . فكتب فيها رسالة أولها : الحمد لله الذي أقام السماوات بأمره ... قدمها الى داود باشا والي بغداد . وعندي مخطوطتها برقم ١٤٩ .

وهو صاحب كتاب (توحيد الصانع ببرهان التانع) . ذكرناه في كتب العقائد . قدمه الى داود باشا وأطرى أيضاً أستاذه المزوري .

(يتبع) عباس العزاوي

٣ — رسالة في كيفية العمل بالصفيحة ٠ منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الآلوسي ٠

توفي سنة ١١٨٨ هـ — ١٧٧٤ م ٠

٢ — الشيخ عبد الرحمن السويدي :

هو ابن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي ٠ ذكرته في التاريخ الأدبي ٠ ولد سنة ١١٣٤ هـ — ١٧٢٢ م ٠ وله من المؤلفات في الفلك :

١ — حاشية على شرح تشريح الأفلاك للسيد عبد الله الفخري ٠ منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة كما أشير الى ذلك ٠

٢ — حاشية على شرح الملخص في الهيأة ٠ ولم يتعين لنا صاحب الشرح ٠ ولا شك أنه شرح قاضي زاده فهو المتداول ٠ أولها : الحمد لله الذي جعل لنا الأرض مهاداً ٠٠٠ وهي تعليقات على بعض المباحث المغلقة ٠ كتبها بطلب من أخيه الأصغر شهاب الدين أحمد بن أبي البركات الشيخ عبد الله السويدي ٠ منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الآلوسي ٠

وتوفي في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٢٠٠ هـ — ١٧٨٦ م ٠ وترجمته في المسك الأذفر (١) وفي سلك الدرر (٢) وفي التاريخ الأدبي ٠

٣ — أحمد بن محمد بن خضر البغدادي :

لا نعلم عن حياته أكثر من معرفة اسمه ، وانه كان في أيام داود باشا ٠ وله :

١ — نقش الصفيحة ٠ شرح الصفيحة في الاسطرلاب للعاملي ٠ قدمها الى داود باشا وزير بغداد وأطرافه ٠ كتبت بقلم المؤلف سنة ١٢٣٨ هـ — ١٨٢٢ م ونسختها الأصلية في خزانة الأوقاف العامة بين كتب السيد نعمان خير الدين الالوسي ٠

(١) ص ٦٥ ٠

(٢) ج ٢ ص ٣٣٠ ٠

ويتبين لنا من هذا النص الواضح أنه ينكر الصرفة لأنه ليس في استطاعة العرب أن يحيطوا بالألفاظ والمعاني إحاطة الله ثم هو يجعل النظم دليل الإعجاز ويعلل بلوغه الغاية في النظم وصحة المعاني وتلاؤم الألفاظ بأنه كلام الله فهو لا يلجأ إلى مقارنته بكلام الناس وإنما يجعل الدليل مدلولاً والمدلول دليلاً فيدور في حلقة مفرغة ثم يرجع ما لا ندرك فيه الغاية في البلاغة من القرآن الى قصورنا لا الى أن في القرآن فصيحاً وأفصح منه كما يرى ابن حزم والخفاجي ثم هو يرى أن العرب زمن النبي كانوا أفصح ممن جاء بعدهم وأبين وأقدر على القول وأعرف بجميله وهذا ما لا أقره عليه كما ذكرت في بدء البحث أثناء الحديث عما دار بين العرب والقرآن .

٥ — ابن رشد :

قال الرافعي في كتابه الإعجاز : «لفيلسوف الإسلام القاضي أبي الوليد ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هـ كلام حسن في آخر كتابه (فصل المقال) لم نر مثله لأحد من العلماء بين فيه كيف احتوى القرآن الكريم على طرق التعليم المنطقية بجملتها تصوراً وتصديقاً وقد جعل الفيلسوف ذلك من إعجازه وهو وجه لو كان بسطه واستوفاه واستبرأ معانيه لجاء منه بكل عجيب غير أنه رحمه الله أشار اليه في الكلام إشارةً وجاء به عرضاً لا غرضاً» ويفصل الرافعي ذلك في ص ٢٨١ من كتابه .

وقول ابن رشد هذا هو من باب مذهب الغزالي القائل بأن القرآن قد حوى مبادئ العلوم كلها ويتصل من قرب بالنظرية العلمية في الإعجاز وليس في هذا القول مؤيد للإعجاز لأنه مجرد تمحك واصطناع للأدلة لما نعلم من أن القرآن لم يأت ليشرح العلوم أو يعدد نظريات المنطق وإذا كان قد استعمل في براهينه طرقاً شرحها المناطقة في كتبهم فذلك لا يعني أنه قصد الى ذكرها

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

— ٦ —

٤ — ابن عطية :

يتكلم ابن عطية المفسر (٥٤٢ هـ) في تفسيره (Ms Berlin Spr 408) عن الإعجاز وقد ذكر رأيه السيوطي (الإتقان ج ٢ ، ص ١٩٨) فقال : «وقال ابن عطية : «الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله فاذا أراد ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبيّن المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن الى آخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن لا أحد من البشر يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرّا وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة احسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنّة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحرة وفي معجزة عيسى بالأطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون في زمن النبي الذي أراد إظهاره» .

« نهاية الايجاز في دراية الإعجاز » الذي جاء برأي الجرجاني في صورة أوضح .
ويتعرض الرازي لهذه المسألة في تفسيره وفي كتابيه في علم الكلام : « معالم أصول الدين » و « محصل أفكار المتقدمين » .

أما كتاب نهاية الايجاز فيمكن تلخيصه بما يلي :

١ً — ذكر الرازي أن الدليل على إعجاز القرآن عجز العرب عن معارضته مع أنهم تحدوا اليهـا .

٢ً — ثم يقول إن للناس أربعة مذاهب في وجه كونه معجزاً :

آ) مذهب الصرفة ، وبعد أن يشرحه كما قال به النظام ينقضه بأنه لو كان صحيحاً لما تعجب العرب من فصاحة القرآن ولكان نسيان العرب للصيغ المعلومة في مدة يسيرة دالاً على زوال العقل ومعلوم أن العرب لم تزُل عقولهم بعد التحدي .

ب) مذهب مخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر والخطب والرسائل لا سيما في مقاطع الآيات مثل يعلمون وتعلمون ويراه باطلاً لخمسة وجوه :

١ً) لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً .

٢ً) الابتداء بالأسلوب لا يمنع من الاتيان بمثله .

٣ً) يكون ما ألفه مسيلمة على الأسلوب نفسه معجزاً .

٤ً) لا يقع تفاوت حينئذٍ بين « ولكم في القصاص حياة » وبين « القتل أنفى للقتل » .

٥ً) وصف بعض العرب له بأن له حلاوةً وأن عليه لطلاوة لا يليق بالأسلوب حينئذ .

ج) مذهب أن الإعجاز في عدم التناقض ويرد عليه بأنه يلزم حينئذ عدُّ كثير من الكلام غيره معجزاً لخلو كثير من الكلام منه .

د) مذهب جعل الإعجاز في الإخبار عن الغيوب وهو عنده باطل لأن الغيوب لا توجد في كل سورة وآية . ولم يبق في رأيه من كون القرآن معجزاً إلا الفصاحة :

فيه باعتبارها مبادئ علم المنطق وإنما لأن للفكر الإنساني في البرهنة في كل عصر وبيئة طرقه العقلية العامة التي هي قدر مشترك بين الناس والتي وجدت قبل أن يوجد علم المنطق وكان من الطبيعي أن يعرفها غير المناطقة بالبديهة وممارسة الدفاع عن الرأي والاحتجاج له .

تلخيص ونقد :

أختتم هذا العصر بملاحظة أن النظرية العلمية في الإعجاز ذكرت فيه لأول مرة على لسان الغزالي فيمن اطلعت على آرائهم حتى زمنه من الباحثين ثم تلاه في القول بها القاضي عياض ثم ابن رشد الذي وجد في هذا العصر نفسه وتكلم في ناحية منها . ونلاحظ أن الباقين كانوا مقلدين أو جامعين لآراء من قبلهم وأن الزمخشري منهم يقول بإعجاز القرآن من حيث البيان ويسرد رأيه هذا في تفسيره الكشاف ولكنه يقول بأن القرآن حادث ومن غير ذلك لا يكون معجزاً لأن التحدي يبطل حينئذ ولا يصح لاستحالة الإتيان بمثل القديم .

* * *

القرن السابع الهجري

أشهر من تكلم على فكرة الإعجاز في هذا العصر فخر الدين الرازي المفسر المتكلم والسكاكي الأديب أحد علماء البلاغة وابن العربي الصوفي المتكلم وعلي الآمدي وحازم القرطاجني المتكلمان . وفيما يلي كلمة في كلٍّ منهم .

١ — فخر الدين الرازي :

تحدّث الإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) عن الإعجاز في عدة كتب له ويقول عبد العليم الهندي أنه لم يأت بجديد من عنده ويذكر أنه إنما اختصر كتابي الجرجاني : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ونظمهما من جديد في كتابه

في العبادات وأحكام الدين والآخرة والكلام فيها يوجب نقص الفصاحة وهو مع ذلك فصيح . ٦ً) كل شاعر ينبغ ويحسن شعره في فن والقرآن كان فصيحاً في كل فن يتكلم فيه . ٧ً) القرآن أصل العلوم كلها ، ولكنه حين عددها عدّ منها علم الكلام والفقه وأصول الفقه واللغة والزهد وأخبار الآخرة ومكارم الأخلاق .

ونلاحظ أنه في الوجوه الستة الأولى يكرر ما قاله الباقلاّني قبله أما في الوجه السابع فيذهب مذهب الغزالي وقد ذكر الأستاذ أمين الخولي أن الرازي هذا قد عرض لقضية الإعجاز العلمي أثناء تفسيره (التفسير : معالم حياته ومنهجه اليوم ، الخولي ص ٢٠) .

ب) الطريق الثاني للبرهان على الإعجاز أن القرآن إذا لم يكن معجزاً ولكن العرب مع توفر دواعيهم لم يستطيعوا معارضته فعجزهم أمر خارق للعادة فكان ذلك معجزاً وهذا الطريق في نظر المؤلف أقرب للصواب وهنا نراه يناقض ما جاء به في كتابه « نهاية الايجاز » فقد نقض الصرفة هناك وأخذ بها هنا .

٣ً — يذكر اعتراض العرب زمن النبي على أن القرآن من جنس كلامهم فهو ينزل بحسب المناسبات وردّه عليهم بتحديهم بمثله إن استطاعوا ذلك .

٤ً — يذكر أن التحدي في القرآن وقع على وجوه ثم يذكر التدرج في هذا التحدي وهو يرى أن القرآن تحداهم بالأكثر فالاقل حتى انتهى الى التحدي بسورة ثم يقول إنه ربما ادّعى مدّعٍ أن الإتيان بمثل سورة الكوثر غير معجز فاذا ادعيتم انه معجز كابرتم فهو في مقدور البشر فيردّ المؤلف أنه لهذا فضل الصرفة وجمع القول بالصرفة الى القول بالإعجاز من حيث الفصاحة . وهنا نلاحظ كيف أصبح المتأخرون من المؤلفين يجمعون بين النقيضين في البرهنة على قضية الإعجاز وقد سبقه الى ذلك الرمانيّ من المؤلفين الذين درسناهم .

٥ً — يتعرض لقضية الجبر في مناقشة مسألة الإعجاز فيقول : قال القاضي

هذا هو رأيه موجزاً ونلاحظ عليه أنه نقض كل المذاهب التي ذكرها وقصر الإعجاز على الفصاحة وسنرى أنه يناقض رأيه هذا في تفسيره كما نلاحظ أنه لا ينظر الى الإعجاز الا من جهة واحدة ويقع فيما وقع فيه غيره من أنه يقدم وجهاً وينكر ما عداه ولا ينظر الى القرآن نظرةً عامةً جامعة ليرى أنه معجز لعدة أمور اجتمعت بعضها الى بعض فكونت جماله ؛ فلا شك في أن للأسلوب وعدم التناقض وجمال المعنى أثراً كبيراً في جمال الكلام . ثم لا بد هنا من ملاحظة أن السيوطي ذكر رأي الرازي في الإعجاز فقال إنه الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب وقد رأينا هنا أنه يرفض أن تكون غرابة الأسلوب وجهاً في الإعجاز فيتبين في ذلك خطأ السيوطي في نقله رأي الرازي .

وأما ما ذكره الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب عند تفسير آية التحدي في سورة البقرة « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الخ » فيمكن تلخيصه فيما يلي :

١ً — إن ذكر هذه الآية في القرآن هو للبرهان على صحة النبوة .

٢ً — يمكن بيان كونه معجزاً من طريقين : آ) القرآن معجز لأنه زائد على سائر كلام الفصحاء بقدر ينقض العادة ودليل ذلك عجز العرب عن معارضته بعد أن تحداهم برغم دواعيهم وعداوتهم وحميتهم ثم يقول إنه اجتمع في القرآن وجوه كثيرة تقتضي نقصان فصاحته وهو مع ذلك في النهاية من الفصاحة ؛ منها : ١ً) ان فصاحة العرب فيما تقع عليه مشاهدهم وأحاسيسهم من بعير وجمل ... ولم يتكلم القرآن في شيء منها فكان يجب ألاّ تحصل فيه الألفاظ الفصيحة التي اتفق العرب عليها في كلامهم . ٢ً) إن القرآن تجنب الكذب ومع ذلك فهو فصيح والشعر أعذبه أكذبه ولهذا نزلت قيمة شعر حسان ولبيد بعد الإسلام لتحريهما الصدق . ٣ً) لا تقع الفصاحة في كل كلام الشاعر أو الخطيب والقرآن كله فصيح . ٤ً) كل فصيح إذا كرر الكلام في موضوع واحد لم يحافظ على فصاحته الأولى والقرآن فصيح في تكراراته الكثيرة . ٥ً) إنه يتكلم

أولاً بإمكان تعليل الإعجاز وبيان وجهه واندفع مع القائلين بذلك ثم نكب عن هذه الطريقة ورفض القول بها وفي ذلك يقول : « واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا وطريقة الذوق خدمة هذين العلمين (مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٧٦) .

ثم يتصدى السكاكي لبيان بطلان ما يذكره معللو الإعجاز من الأوجه وجهاً وجهاً ويقول بعد ردها كلها : « فهذه أقوال أربعة يخمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ولا طريق لك الى هذا الخامس إلاّ طول خدمة هذين العلمين بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمه من يشاء وهي النفس المستعدة لذلك فكل ميسّر لما خلق له ولا استبعاد في إنكار هذا الوجه ممن ليس معه ما يطلع عليه فلكم سحبنا الذيل في إنكاره ثم ضممنا الذيل ما إن نذكره فلله الشكر على جزيل ما أولى وله الحمد في الآخرة والأولى» (ص ٢١٦ من المرجع نفسه) .

وبهذا يكون السكاكي قد اهتدى الى الطريقة الصحيحة المعقولة في القدرة على فهم الإعجاز دون تعليله بقواعد جافة يناقض بعضها بعضاً ولا سيما وأن مقومات القول الجميل لم تكن قد فصل القول فيها بعد كما هو الأمر في عصرنا حين تمّ امتزاجنا بالثقافات الغربية الحديثة واطلاعنا على آداب أوسع آفاقاً من أفق أدبنا المقصور على أنواع من الكلام دون أخرى .

٣ — ابن العربي :

نرى لابن العربي (المتوفى سنة ٦٢٨ هـ) رأياً في الإعجاز ذكره السيوطي نقلاً عن كتابه الذي وصفه السيوطي بأنه لم يصنف مثله (الاتقان ج ٢ للسيوطي ص ١٩٨ وما بعدها) ويتلخص فيما يلي :

— ولا ندري من يقصد به — ويذكر ما معناه أن القول بالتحدي يبطل الجبر لأن الانسان لا يتحدى الا بشيء قادر عليه فاذا كانت أفعال الإنسان ليست له وإنما هي من صنع الله فيبطل التحدي لأن الله حينئذ يتحدى نفسه والنبي إنما يحتج بكونه معجزاً لأنه من عند الله والجبر يجعل الأفعال كلها من عند الله ولا يكون فرق بينهما ويتساوى المعجز وغير المعجز ويرد على قول هذا القاضي بأن إتيان الخصم بالتحدى موقوف على أن يحصل في قلبه قصداً إليه لا اتفاقاً فإذا كان منه لزم التسلسل وهو محال وإن كان من الله تعالى فحينئذ يعود الجبر ويبطل ما قال القاضي .

ونحن نرى أن مثل هذه المناقضة الكلامية لا تحل هذه المسألة الفلسفية وليس أحدهما بأقوى حجة من الآخر وكل منهما يجعل بنيانه على أساس جدلي وهو أساس هار ينهار به الى سفسطة من الكلام ليس لها نتيجة .

٦ — يذكر أن شدة التحدي في قوله : «وان تفعلوا» دليل على صدق النبي وثقته بنفسه وعلمه بعجز الناس عن معارضة القرآن ثم يقول إنه لم يستطع إنسان معارضته من أيام النبي الى الآن وهذا مؤيد لقوله .

٢ — السكاكي :

جرى السكاكي (٦٢٦ هـ) في كتابه مفتاح العلوم على سنن عبد القاهر الجرجاني وزاد عليه فيه بعض أبحاث في علم البديع لم يطرقها هذا كما استرسل فيه أكثر منه في صبغ البلاغة بالصبغة الفلسفية . وقد بوّب فيه بحوث البلاغة ونظّمها وأعطاها شكل القواعد التي بين أيدينا الآن . وكل من جاء بعد السكاكي فإنما أخذ عنه أو شرحه .

والسكاكي في كتابه مفتاح العلوم يقول بأن القرآن معجز بالنظم على طريقة عبد القاهر ثم يرى ما يراه هذا من أن الإعجاز يدرك بالذوق وطول خدمة علم البلاغة وممارسة الكلام البليغ . وقد قال السكاكي

أما خلاصة رأيه في الاعجاز فقد ذكرها الألوسي في مقدمة تفسيره وهي أن الإعجاز بجملة القرآن وبالنظر الى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب ويقول الألوسي إن رأي الآمدي هذا قد ارتضاه الكثيرون (الألوسي ج ١ من تفسيره ص ٢٩) .

والآمدي في قوله بأن القرآن معجز بجملته إنما يجمع جملة آراء المتقدمين وينظر الى القرآن نظرةً عامةً شاملة لا نظرة ضيقةً من ناحية واحدة كما فعل كثيرون غيره .

٥ – حازم القرطاجني :

ونرى في هذا العصر حازم بن محمد القرطاجني (٦٨٤ هـ) يؤلف كتابه « منهاج البلغاء » ويقول عبد العليم الهندي (في مقالته السابقة) بأنه يوجد كتاب للكاتب نفسه في مكتبة بالمدينة باسم « البرهان القاصف عن إعجاز القرآن » ولعله كتاب منهاج البلغاء نفسه .

أما خلاصة رأيه في الاعجاز فقد أوردها السيوطي (الإتقان ج ٢ بحث الإعجاز) وهي : « وجه الإعجاز في القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه استمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائه في العالي منه إلاّ في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فيتقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه بل توجد في تفاريق وأجزاء منه » .

ويتجلى بذلك أن حازماً هذا لم يعمل أكثر من أن أخذ أحد براهين الباقلاني في الإعجاز وهو « استمرار الفصاحة في كل أقسام القرآن » ووسّعه بدون أن يضيف اليه جديداً غير تعليله بأن تقصير البشر ناتج عن اعتراض الضعف الانساني لهم في فترات الكلام .

١ً — عرّف المعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ثم قسمها الى حسية وعقلية وقال إن معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم ومعجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكاء أبنائها ·

٢ً — معجزة القرآن خالدة أبد الدهر لأن الشريعة الإسلامية خالدة ويذكر بهذه المناسبة حديث النبي : « ما من الأنبياء نبي أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً ، أخرجه البخاري » ·

٣ً — خرق القرآن للعادة هو في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به وقال إن معجزات القرآن تشاهد بالبصيرة — وذلك أثناء شرح الحديث النبوي السابق — فيكون من يتبعه لأجلها أكثر لأن المحسوس ينقرض بانقراض مشاهده بعكس المعقول الذي يبقى فيشاهده كل من جاء بعد الأول ·

وابن العربي هنا لا يأتي بجديد وهو من المؤلفين الذين يأخذون آراء من سبقوهم كما هي بدون ابتكار أو تجديد فيضمون رأياً الى آخر أو يفردون رأياً عن آخر من دون أن يبرهنوا برهاناً مقنعاً أو كافياً على العلة التي فضلوا بها الرأي الذي نصروه ·

٤ً — الآمدي :

تكلّم علي بن أبي علي الآمدي (٦٣١ هـ) في كتابه « أبكار الأفكار » (M S Berlin Pet. 233) على الإعجاز وهو يقصر عمله فيه على شرح وتفصيل أدلة السابقين وشأنه في ذلك شأن غيره من المتكلمين المتأخرين الذين يفيضون في الكتابة ليوضحوا دليلاً من هذه الأدلة وهو يضع أسئلة يتوقع أن تثار في ذهن القارئ ثم يردّ عليها ·

التعريف والنقد

الأمثال العامية اللبنانية من رأس المتن

ألفه أنيس فريحة في جزئين

٧٤٨ صفحة من قطع الوسط

طبع على مطابع المرسلين اللبنانيين في جونية سنة ١٩٥٣

الأستاذ المؤلف من أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت وقد ولد في مقاطعة رأس المتن ولذا كان ثقةً في ما قاله وحققه من أمثال بلده . وقد أشار الى ذلك في عنوان كتابه مذ سماه بهذا الاسم ، مصرحاً بأن أمثاله في كتابه إنما راعى في جمعها بلده الذي نشأ فيه . على أن هذه الأمثال - كما قال في المقدمة - يشارك المتن أو لبنان فيها غيره من الأصقاع العربية كبيروت وحوران وبغداد وغيرها لكنه هو لا يذكر في الكتاب الا ما كان معروفاً من الأمثال في بلده وقد قاسى أتعاباً جمةً في جمع تلك الأمثال وتهذيب ألفاظها وغربلتها ومقارنتها بغيرها .

وما كان يقع في كفه كل هذه الأمثال لولا أنه أعلن بين أبناء قومه أن من جاءه بمثل لا يعرفه فله ثمنه فرنك ، فتساقطت عليه قوائم الأمثال من كل جانب . وقد خدم الأستاذ وطنه بهذا التأليف - وان كان المقصود الأعظم في هذه الخدمة الشعب الانكليزي - فقد قدّم لكتابه مقدمة بالانكليزية وترجم الأمثال الى الانكليزية ، وليس للعربي من كتابه الا قراءة نصوص الأمثال فلا يجد القارئ العربي في الكتاب مقدمةً عربية ولا تعليقاً على مضرب المثل

نقد وتلخيص :

الفكرة العامة التي نأخذها عن مؤلفي هذا العصر الذين تكلمنا عنهم هي أنهم كانوا مجرد ناقلين أو شارحين أو جامعين لآراء من سبقوهم وأن أحدهم وهو الآمدي يصلح أن يكون مثالاً من المتكلمين المتأخرين فهو يأخذ حجج من قبله فيوسعها وقد رأينا انه ينظر الى القرآن نظرة عامة فالقرآن معجز عنده بجملته ولكنه في هذا أيضاً متبع وليس مبتدعاً ورأينا أن فخر الدين الرازي ينكر الصرفة في كتاب وينصرها في آخر وأنه يجمع في هذا الأخير بين النقيضين : الصرفة والبلاغة ، دون أن يرى مانعاً عقلياً من ذلك ·

(يتبع) نعيم الحمصي

محمود سامي البارودي

قد يقال ان الشعر العربي في حديث نهضته وقشيب حلته مدين لمحمود سامي البارودي ، كما ان النثر العربي في مثل ذلك مدين للشيخ محمد عبده وآثار قلمه في (العروة الوثقى) ، وشعر البارودي جمع بين جزالة الشعر العربي القديم وسلامة الشعر الذي يتطلبه أبناء هذا العصر .

يدرك هذا من قرأ (ترجمة البارودي) في كراسة لطيفة الحجم حسنة الترتيب والوضع كتبها الأستاذ عمر الدسوقي وأصدرتها دار المعارف بمصر في التعريف بالشاعر المذكور . وهي الرقم الرابع من سلسلة الرسائل التي يكتبها الأستاذ الدسوقي بعنوان (نوابغ الفكر العربي) . والرسالة في أكثر من مئة صفحة ضمنها مؤلفها أحسن ما يقال في وصف عصر الشاعر وحياته وثقافته ومذهبه الشعري في جوانب المعاني المختلفة وآثاره الشعرية ومميزاتها وغير ذلك مما يحتاج اليه كل طالب فالشكر للمؤلف على هديته هذه الى أبناء أمته .

المغربي

ولا موضع التمثل به ، ولا سيما الأمثال التي يخفى مغزاها على العربي من غير أبناء المتن .

ولا يخفى أن أمثال كل شعب إنما هي مرآة تُريك من أمر حياته ما يخفى على غيره وخاصةً أخلاقه ولهجته التي يتميز بها عن أصحاب اللهجات الأُخرى . فاذا سمعت من يتمثَّل بقوله (إذا شفت أعمى طبُّوا إنت منك أرحم من ربُّو) حكمت أن هذا الشعب قاسي القلب مثلاً .

وفي بعض أمثال الكتاب اختلاف عما هو في لهجة البلاد الأُخرى مثل : (أكل فول ورجع للأُصول) . ولما كان الشعب اللبناني مسلماً مسيحياً كانت أمثال الكتاب مَشيجاً من لهجة الفريقين ومعبِّرة عن أخلاقهما وطباعهما : فبينا نسمع المسيحي يقول : (الخوري بيغلط بالانجيل) إذ أنت تسمع المسلم بجانبه يقول : (أمك داعية لك في ليلة القدر) غير أن هذا المثل المسلم أغار عليه المسيحي فاستبدل تعبير (مصلاّية لك) المسيحي بتعبير (داعية لك) المسلم . وهذا كالبيتين من الشعر كنا نسمع شباب المسلمين في طرابلس يغنون بهما هكذا :

(كسرَ الجرَّة عمداً وسقى الأرض شرابا)

(صحتُ والاسلامُ ديني ليتني كنتُ تُرابا)

فقوله (والاسلام ديني) هو الذي يأتلف مع قوله (ليتني كنت ترابا) الآية القرآنية . غير أن الشبان المسيحيين غيروهما الى ما يوافق لهجتهم الدينية فكانوا ينشدونها هكذا : (صحتُ والصهباء ديني) .

وفي الكتاب أغلاط مطبعية طفيفة مثل (خِبز) بكسر الخاء . و (ليلة القدر) بكسر التاء .

وربما كان هذا الكتاب أجمع كتاب للأمثال العامية العربية وأقربها تناولاً وفائدة .

ص	الخطأ	الصواب
٧٩	في الطبقة	في القبة
٨٠	بالثنية	بالبثينة
•	بنسر (؟)	بيسر
٨٦	كيف حيثيتها	كيف جئتها
٩٢	ابو الأسود الديلي	ابو الأسود الدؤلي
٩٧	وخدم	وضم
١١١	قلعة المسطرة	قلعة المنظرة
١١٦	عقبة سحورا	عقبة شحورا
١٢٥	عبد القادر الحنبلي	عبد القادر الجيلي
١٣٠	ورضاً بالأحجار	ورمياً بالأحجار
١٣١	بيت الشام	ست الشام
١٤٠	حماس (؟)	خماس
١٤٩	فطلعت (؟) الشمس	فأظلت الشمس
١٥٢	آمل	آمد
١٧١	باب المرادة	باب الزيادة
٢١٠	بعين الجسر	بعين الجر
•	ارفهم	أوفرهم
٢١٢	صيتاً	صيناً
٢٢٢	بعيون الفار شيئاً	بعيون فاسريا
٢٢٢	النقب	القصب
٢٢٣	وبارز	وبادر
٢٣٠	أهل الاقليم	الى الاقليم
٢٤٢	من القيلة (؟)	من الشرق

مرآة الزمان (الجزء الثامن)

لسبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

وهو في مجلدين عدد صفحاتهما ٧٩٥ صفحة من قطع المتوسط طبع بحيدر اباد الدكن في الهند في سلسلة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية

المجلد الأول — تبدأ حوادثه في سنة ٤٩٥ هـ . وتنتهي بحوادث سنة ٥٨٩ هـ .

المجلد الثاني — تبدأ حوادثه في سنة ٥٩٠ هـ وتنتهي بحوادث سنة ٦٥٤ هـ . أي في السنة التي توفي فيها المؤلف .

وقد عثرت في المجلدين على بعض أخطاء غفل عنها المحقق وغيرها من الأخطاء المطبعية أهمها :

ص	الخطأ	الصواب
٢	الى الاسكندرية عهد اليه (كذا)	الى الاسكندرية و [كان أبوه قد عهد بالخلافة اليه]
٤	ابو ابن يعلى القلانسي	ابو يعلى بن القلانسي
٥ و ٦	توثاً شامياً	توتاً شامياً
١١	صفوة الملوك	صفوة الملك
٢٦	فخر رأسه	لحز رأسه
٢٧	وكذى السواقي	وكري السواقي
٢٨	الصلبة	لصلبه
٣١	حصن الطوفان	حصن الطوبان
٣٢	كوكب الذنب	كوكب المذنب
٤٢	جسر الصبرة	جسر الصنبرة
٤٤	دار الجبل	دار الخيل
٧٧	انبانا (؟)	انبأنا

ص	الخطأ	الصواب
٤٩١	مغفول لكم	مغفور لكم
٤٩٩	حلبس	جلس
٥١٠	الى القصر	الى القصير
•	شيخ الفارسية	شيخ المقادسة
٥٦٤	مغارة الجوخ	مغارة الجوع
٥٨٤	عالين	عالقين
٥٨٥	جزير	جزين
٦٠٢	بار جبس بلد حطيط	بارجيش بلد خلاط
٦١٣	الحصن الأبيض	الجسر الأبيض
٦١٤	عيون الفاسرب	عيون فاسريا
٦١٥	ثوبين	تبنين
٦٢٥	صهير	ضمير
٦٢٦	وكده	ولده
٦٣٤	الف دينار (؟)	الف الف دينار
٦٣٧	البيت المقدس	بيت المقدس
٦٤٢	عين الكرس	عين الكرش
٦٥٠	وزرع	وذرع
•	ودفن	وبنى
٦٥١	الحقوا (؟)	الحقول
٦٥٨	٦٢٨	٦٥٨
•	من بلدان شيء	من بلدان شتى
٦٧٦	البعلاء	العلاء
٦٧٨	وسمى	وتبين

ص	الخطأ	الصواب
٢٩٥	ابن سمدان	ابن مروان
٣٠٥	تحت	تحث
٣١٣	اللوافر	الكوافي
•	الكساكير	السكاكر
٣ ٤	جدي	والدي
٣١٨	قطيا	قطنا
٣٩٢	جدوه (؟)	غدره
•	صفرية	صفورية
٣٩٢	نسبيل	تسيل
•	موى	نوى
٣٩٥	مجدل بابا	مجدل يابا
٤١٤	بالعقيقه	بالعقيبة
٤٣٢	ولا سنقفا	ولا سقفا
٤٦٢	جبل سين	جبل سنير
٤٦٩	عقبة شبزورا	عقبة شحورا
٤٧٤	خشعن	خسفين
٤٧٨	تبرين	تبنين
٤٨٣	مجلدات	مجلدان
٤٨٦	كتاب وصولة (؟) العقل	وكتاب صولة العقل على الهوى
٤٨٧	الثبات عند المات	الثبات عند الملمات
٤٩٠	فبغض	فنغص
•	تبغضنا	تنغصنا

H. Laoust - Les gouverneurs de Damas sous les mamlouks et les premiers ottomans
(658 — 1156 / 1260 — 1744) Damas 1952.

ولاة دمشق في عهد المماليك وأوائل العهد العثماني

(٦٥٨ — ١١٥٦ هـ و ١٢٦٠ — ١٧٤٤ م) لمحمد بن طولون ومحمد بن جمعة
ترجمه الى الافرنسية الأستاذ هنري لاوست
يقع الكتاب في (٢٨٨) صفحة من قطع الوسط
وهو من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق . طبع سنة ١٩٥٢

ضمت هذه الترجمة كتابين الأول كتاب « إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى) لمحمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ نقلاً عن مخطوطة الخزانة التيمورية في القاهرة . تبدأ حوادثه سنة ٦٥٨ هـ . وتنتهي سنة ٩٤٣ هـ . والثاني كتاب (الباشات والقضاة) لمحمد بن جمعة أوله سنة ٩٢٢ ونهايته سنة ١١٥٦ هـ . نقلاً عن نسخة مكتبة برلين .

ان شهرة الكتابين تغني عن البيان فقد أشار الى أهميتها علماء أعلام منهم الأستاذ محمد بك كردعلي (مجلة المجمع العلمي العربي ٣ : ٧٢ — ٧٤) وبروكلمان في تاريخه ٢ : ٣٠٢) وغيرهما وقد جمع فيها مؤلفاهما سيرة ولاة دمشق لمدة ستة قرون من حكم المماليك الأتراك والعثمانيين وقد انفردا في موضوع لم يسبق لغيرهما تدوينه . ويقف القارئ خلال هذه التراجم على كثير من أمور تلك العصور الادارية وشؤونها الاجتماعية ، وتصور له ما كانت تعانيه البلاد من الفوضى السائدة بسبب عدم استقرار الولاة وتعرضهم للعزل والنقل دونما سبب وقلما أكمل أحد منهم سنته ، وما كانت تشفع للمحسن منهم كفاءته كما أنه لم تكن تضر المسيء منهم اساءته أو عجزه .

ومن محاسن هذه الترجمة ضبطها الأعلام وأكثرها أعجمي لا يخضع لقاعدة .
نشكر الأستاذ المترجم على حسن عمله ونحمد للمعهد الافرنسي نبل مقاصده .

ص	الخطأ	الصواب
٦٨٠	متميًا	منتميًا
٦٨١	الخليل	الخيل
٦٩٢	بجرود	جرود
٧٠٦	على الجبال	على أكيال
٧٠٨	حسبين	جنين
٧٠٩	وصار	وسار
«	مليط	ميل
٧١٠	ويقلب	وبلقب
«	على خطة	على خطر
٧١٨	عطن	عقل
٧٢٦	بريد	يريد
«	حسين	حنين
٧٢٧	الرمه	الرمثة
٧٥٠	افته	افقه
٧٥٢	ومنه الى زقاق الرمان العتيقة بأسرها	وامتد الى زقاق الرمان والعقيبة فاحترقت بأسرها ٠
٧٦٤	وأمر بعمارة القدس وذرع	وأمر بعمارة سور القدس وذرعه
٧٧٢	بشش عمله	بشاش عمته
٧٨٥	بدر الدين	عز الدين
٧٩٥	ذيك	ذيل

جزى الله دائرة المعارف العثمانية عن العلم خير الجزاء ٠

وأرجح انه تحريف اسم شقحب وهي قرية في مرج الصفر · وفي (ص : ١٦٥) al-ʿAqaba) العقبة وصوابه العقيبة كانت قرية بضاحية دمشق وأصبحت اليوم من أحيائها · ويتساءل المترجم في (ص : ٢٣٨ ح ٢) عن موقع (حصن الخربة ، وحصن وادى ابن الأحمر) ؟ وقد جاء في معجم البلدان (٢ : ٤٣١) : خربة الفار حصن بساحل بحر الشام ، وجاء فيه أيضاً (١ : ١٥٦ و ٣ : ٦١٦) الأحمر حصن بظواهر بحر الشام وكان يعرف بعثليث · وقد عرّف معجم البلدان (١ : ٧٠٩) مدينة (البلاط) التي التبس على المترجم موقعها (ص : ٢٤٦ ح ١) بأنها مدينة عتيقة بين مرعش وانطاكية يسقيها النهر الأسود (قراسو) الخارج من الثغور وهي مدينة كورة الحُوّار خربت وهي من أعمال حلب · وقال في (ص : ٢٨٣ ح ٣) (عين شواقة مكان في ضاحية دمشق غير معروف) مع انها عين ماء تنبع جنوب غربي قرية داريا وتروي أراضي قرية أشرفية صحناية · وقال في (ص ٣٤٠ ح ٣) (ان قصب المرج هي محلة من القصب في مدينة دمشق) وصوابه هو مرج بحيرة العتيبة ·

نشكر المترجم على جهده كما نشكر المعهد الافرنسي على نشاطه العلمي ·

جعفر الحسني

Damas de 1075 - 1154
par Roger le Tourneau
Traduction annoté d'un fragment de l'Histoire de Damas D'Ibn al Qalanisi. Damas 1952

دمشق من سنة ١٠٧٥ الى ١١٥٤ م

لروجه لتورونو ، يقع في (٣٧٥) صفحة من قطع المتوسط
وهو من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق ، طبع سنة ١٩٥٢

ان هذا الكتاب هو ترجمة افرنسية لقسم من ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي المتعلق بحوادث مدينة دمشق في سني ٤٦٨ — ٥٤٩ هـ ، ويعطينا المعهد الافرنسي بدمشق دليلاً جديداً على مبلغ عنايته بتاريخ بلاد الشام عامة ومدينة دمشق خاصة وحرصه على نقل أخبارها الى مواطنيه عن مصادر أبنائها ، وهذه مأثرة نضيفها الى مآثره العديدة ونسجلها له بالشكر والحمد .

وقد سبق للأستاذ جيب (H. A. R. Gibb) أن ترجم هذا القسم الى اللغة الانكليزية في عام ١٩٣٢ . وقد اعتمد المترجم الافرنسي على النص العربي المطبوع في ليدن عام ١٩٠٨ ، واستهل كتابه بمقدمة قيمة وعلق عليه بملاحظات مفيدة .

قد لا يسلم كتاب من هفوات بسيطة مهما حاول صاحبه تجنبها وهذا لا ينتقص من قيمة الكتاب وفوائده . وقد رأيت في بعض التعليقات ما يستوجب الاشارة الى صحتها . ومن أهمها ما جاء في (ص : ٥ ح ١) في تعريفه المنبر بقوله : (انه مرقاة متنقلة لها درجات) ، مع أن المنبر هو بناء ثابت من خشب أو حجر . وفي (ص : ٦٣ ح ١) قوله : (سواد طبرية هو سهل حول مدينة طبرية) وصوابه ناحية قرب البلقاء إذ لا يوجد حول طبرية سهل بل يحيط بها الماء والجبل . وفي (ص : ١٠٦) (سواد الجبابنة) وصوابه سواد الجبانية وهي كورة جبل جرش قرب الغور . وفي (ص : ١٦٥ و ١٦٧) (Charkhoub) شرخوب

ثم قرأت مواد القسم العربي ، وابتهجت بأني ألفيت ما كتبناه لا يقل فائدة وإمتاعاً مما كتبه الغربيون ، ومن عناوين هذه المواد : ارادة الشعوب للواء محمد نجيب ، والحياة هدف وإرادة لتوفيق الحكيم ، والرجل الحق لشفيق جبري ، واستقرار المرأة للسيدة أمينة السعيد ، وحقائق وأوهام لرضا الشبيبي ، وحدّد أهدافك لاميل زيدان ، ودرهم حكمة لأحمد أمين ....

ونرى ، كالأستاذ أحمد أمين ، ان في ترجمة هذا الكتاب المفيد مكسباً كبيراً للعرب لأنه يتيح لكثير من القراء الأمريكيين أن يفهموا كيف يفكر العرب فهو من الدعايات النافعة للعرب لا دعايات الجرائد والمجلات السافرة التي لم تبلغ هذا المبلغ في السمو ، جزى الله المشرف على هذا الكتـاب الأستاذ أحمد أمين أفضل ما يجزي به .

مجموعة رسائل

للشيخ حسن علي البدر القطيفي

المطبعة الحيدرية بالنجف (١٣٧٢ – ١٩٥٣)

عني بنشر هذه الرسائل الدينية نجل المؤلف الشيخ طاهر البدر ، وهي ست رسائل : أولاها : وسيلة المبتدئين الى فهم عبائر المنطقيين ، وهي أطول الرسائل ، والثانية : رسالة في اعادة الصلوات ، والثالثة : تحقيق الحق وابطال الباطل ، والرابعة : في الاستصحاب والتكليف الشرعي ، والخامسة : في قضاء أولى الأعذار ، والسادسة : وهي دينية سياسية واسمها دعوة الموحدين الى حماية الدين ، صنفها المؤلف أيام هجوم ايطاليا على طرابلس الغرب سنة ١٣٢٩ هـ ، بحمية من دينه وعصبية لقومه العرب ، وقد أقام فيها الأدلة والبراهين على وجوب الجهاد للدفاع عن بيضة الاسلام وحوزة العروبة فدل بذلك على أن الاسلام فوق المذاهب

علمتني الحياة

من سلسلة (كتاب الهلال) الشهرية

عهدت مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر ، وهي مؤسسة ثقافية تضم كبار الناشرين الأمريكيين ، الى الدكتور أحمد امين أن يشرف على ترجمة كتاب « This Ibelieve » أي « هذا ما أعتقد » ، فاختار له الأستاذ أحمد امين عنوان « علمتني الحياة » لأنه رأى أن الاسم الأمريكي مضلّل للقارئين إذ يفهم منه أنه كتاب يبحث في الأديان ، وهو يبحث في صميم الحياة والنجاح فيها ، واختار لترجمته الأستاذ محمد بكير خليل ، والدكتور مختار الوكيل ، والكتاب المترجم كان يحتوي على نحو مائة مقالة اختير منها للعربية ثلاثون ، وضم اليها الأستاذ أحمد امين أربعاً وعشرين مقالة عربية لكتاب من العرب معروفين من النوعين ، فكانت فكرة لطيفة يفرح بها الناقد العربي لمعرفة الفروق بين كتاب العرب وكتاب الأمريكيين .

ويدل على قيمة الكتاب الأمريكي أن الولايات المتحدة تذيعه في الأسبوع الواحد ٢٢٠٠ مرة من ١٩٦ محطة داخلية ، يصل صوتها الى آذان ٩٠ مليون نسمة فيها ، كما يذاع من ١٥٠ محطة خارجية ، وتذيعه محطة (صوت أميركا) اسبوعياً مترجماً الى ست لغات ، ويضاف الى ذلك أن الصحف الأميركية تنشر هذا الكتاب ما يقرب من ٨٠٠٠٠٠٠٠ مرة في الأسبوع في ٨٥ صحيفة يومية ، ويستخدم في مئات من المدارس ، وأين مثل هذا النشر الواسع العظيم مما ينشر من كتبنا !

قرأت مواد القسم الغربي وأفدت منها فوائد جمة ومن عناوينها : اني سعيد بوقتي ، النصر للايمان ، إني أومن بالناس ، الايمان بالعمل ، فضائل الحياة ، أومن بخلود الروح ، وهذا طريقي للنجاح ...

أوائل المقالات ، في المذاهب والمختارات

للشيخ المفيد محمد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ

ولها مقدمات ، وعليها تعليقات بقلم الشيخ فضل الله الزنجاني

ويليها رسالة شرح عقائد « الصدوق » أو تصحيح الاعتقاد له أيضاً

علق عليها ووضع مقدمة لها السيد هبة الله الشهرستاني

صححها واهتم بنشرها وعلق عليها بعض التعاليق الحاج عباس قلي « واعظ چرندابي »

إن الكتاب الأول قد دلّ اسمه على مسماه ، فهو يبحث في مذاهب الفرق وأهلها ، ويختار منها ما للإمامية الاثني عشرية ، وقد رتبه على أبواب ؛ فالباب الأول منه في الفرق بين الشيعة والمعتزلة ، وقد ذكر في هذا الباب معنى التشيع لغةً واصطلاحاً ، ومن يستحق إطلاق هذا الاسم عليه من الفرق المنتحلة للتشيع ، ثم ذكر معنى الاعتزال وتاريخه ، ومن أطلق عليه هذا اللقب ؛ والباب الثاني كما جاء في طليعة الكتاب ، في الفرق بين الإمامية وغيرهم من الشيعة ، وأشار الى الفرقة الزيدية ، وما به يمتازون عن الامامية ؛ وفي الثالث ذكر ما اتفقت عليه الإمامية من القول بالإمامة على خلاف المعتزلة ، ذكر فيه بعض الفروع الخلافية بين الفريقين في باب النبوة والإمامة وغيرهما ؛ وفي الرابع وصف ما اختاره من الأصول نظراً ووفاقاً لما جاءت به الآثار عن أئمة الهدى من آل محمد (ﷺ) وذكر من وافق في هذا الباب مذهبه من أهل المقالات ، وذكر فيه أهم المسائل الاعتقادية في أبواب التوحيد والصفات والعدل واللطف والصلاح والأصلح والنبوة والمسائل المتعلقة بها ، والإمامة ومتعلقاتها وما يتفرع عليها ، والقول في القرآن وجهة إعجازه وتأليفه ، وفي المعاد ، وأبواب الوعد والوعيد ، والأسماء والأحكام ، وسائر المباحث التي يجدها الناظر في أبوابه وفصوله . وخلاصة رأي الإمامية ومخالفيهم في كل منها ، أو من بعض متكلمي الشيعة كآل نوبخت

وانه العروة الوثقى للمتمسكين به ، وانه صفوة العروبة الجاهلية ومصاص اعراقها ومختار أخلاقها ، ومن السياسة القومية التي استنبطها أئمة الشيعة [١] وجهابذة السنة من القرآن : (عدم جواز استيطان المشركين مكة وأرض الحجاز كالمدينة والطائف وما والاهما ، بل قيل : لا يجوز استيطانهم جزيرة العرب لشرفها بكونها منزلاً للعرب الذين منهم النبيّ العربي ، وقد روي عن ابن عباس ان النبي أوصى بإخراج المشركين من جزيرة العرب ، وقال (ﷺ) : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب ...) وفي مثل ذلك الاستنباط الدقيق ذياد عن بيضة الاسلام ، ودفاع عن حوزة العروبة .

وقد وقع في هذه الرسائل أغلاط مطبعية أذكر منها على سبيل المثال ما وقع في سطرين من صفحة واحدة من رسالة الجهاد (ص ٩) قال : « ويجب الجهاد من دهم المسلمين عدو يخشى منه على بيضة الاسلام ، واذا وطأ الكفار دار الاسلام » والصواب : « متى دهم المسلمين عدو ... واذا وطئ الكفار دار الاسلام » . الى غير ذلك من الأخطاء التي لا يحسن السكوت عنها مع جلالة التحقيق في هذه الرسائل التي يجمل بفقهائنا الاطلاع عليها ليروا أن الفروع الفقهية لا تضعضع الأصول الشرعية التي هي حبل الله الوحيد الذي تحيا بالاعتصام به العروبة والاسلام .

عز الدين التنوخي

---

(١) منهم الشيخ احمد الجزائري في كتابه قلائد الدرر في اول كتاب الجهاد ، قال في تفسير : « واقتلوهم حيث ثقفتموهم » الآية . وبها استدل الفقهاء على عدم جواز استيطان المشركين أرض الحجاز خاصة وجزيرة العرب عامة .

في النار مخلدون . اهـ وهذا اتفاق على عكس الآية الكريمة : «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» .

رأيت في هذا الكتاب الذي دفعه المجمع العلمي إليّ لأصفه في باب «التعريف والنقد» بعض ما يراه القارئ في غيره كالكافي والتهذيب والوافي وغيرها ، من لعن وتكفير وتخليد في النار لمن أورثوهم الأرض والديار ، ولم أر انتقاداً ولا اعتراضاً لأحد ممن تعاقبوا على تصحيحه أو تقريظه ، وهم من أشهر مجتهدي الشيعة في هذا العصر ، وعليه صورهم . ولا شك أن هذه الكتب تورث قراءها وغراً وحقداً ، وعداء وبغضاً ، وتنطق ألسنتهم بأفحش القول وأوحشه ، لرجال الصدر الأول للإسلام فمن دونهم ، وفي مقدمتهم الخلفاء الثلاثة ، وبعض أمهات المؤمنين ، ومن معهم من المهاجرين والأنصار ، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه بنص القرآن .

إن هذه الكتب هي منبع الفتن ، فمنها يستقي كل طاعن ، وعنها يصدر كل لاعن ، وقد دلتنا الآن على مكامن الداء ، ليعالجه دعاة الوحدة والوئام ، من المجتهدين الكرام ، ولقد انقضت عصور الأمويين والعباسيين ، وأصحاب الجمل والنهروان وصفين ، وحسابهم على رب العالمين .

على ربي حسابهم إليه　　تناهى علم ذلك لا إليّهْ
وليس بضائري ما قد أتوه　　إذا ما الله أصلح ما لديّهْ

كان حوار السلف مع الفرق الإسلامية التي ظهرت في عصورهم ، وشاعت مقالاتهم في الناس ، كالقدرية والخوارج والجبرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والوعيدية وغيرهم ، وقد انتشرت في زماننا شبه وشكوك في دين الحق لأقوام آخرين ، كدعاة التبشير والتنصير مع الدول التي تمدهم بالمال والرجال ، وقد باعوا أنفسهم وغيرهم للاستعمار ، وكدعاة الإلحاد والفساد ، فأين دعاة الاسلام وحماته

وغيرهم ممن كان لهم آراء في بعض هذه المسائل الكلامية مخالفة لما عليه الجمهور من سائر متكلميهم .

وأما التأليف الثاني وهو (تصحيح الاعتقاد) للشيخ أبي جعفر بن علي بن بابويه القمي ، المعروف بالصدوق المتوفى بالري سنة ٣٨١ ، فقد ذكر فيه «جميع اعتقادات الفرقة الناجية ، الضرورية منها وغير الضرورية ، الوفاقية منها وغير الوفاقية» ومن مباحثه : معنى كشف الساق ، تأويل اليد ، نفخ الأرواح ، معنى المكر والخدعة من الله ، معنى «الله يستهزئ بهم» ، «نسوا الله فنسيهم» وتكلم في صفات الله تعالى ، وفي خلق أفعال العباد ، المشيئة والإرادة ، تفسير آيات القضاء والقدر ، تفسير أخبارهما ، ومعنى «فطرة الله» والاستطاعة ، والبداء والجدال ، وفي اللوح والقلم ، ومعنى «العرش» وفي خلق النفوس والأرواح ، ووقوع الثواب والعقاب ، وما بعده بحث في شؤون الآخرة ، ثم بحث في نزول الوحي والقرآن ، وفي عصمة الأئمة ، وفي الخلق والتفويض و (المفوضة عندهم صنف من الغلاة ، ومن دعواهم أن الله خلق الأئمة خاصة ، ثم فوّض اليهم خلق العالم بما فيه !! ..) وختمه في بحث التقية ، وفي أمور فرعية .

وصف الأستاذ الزنجاني في تعريفه بكتاب (أوائل المقالات) وترجمة مؤلفه الشيخ المفيد بأن حياته العلمية كانت مستغرقة في أغلب الأحيان في ترويج المذهب ، والدفاع عنه ، والجدال مع المخالفين على اختلاف فرقهم ، قلت : وكتابه هذا وشرحه لرسالة شيخه «الصدوق» المطبوعة معه ، وما وضع عليهما من حواش وتقارير ، شهود على ذلك .

وقد جاء في ص ١٠ بعنوان «القول في محاربي أمير المؤمنين (ع)» ما نصه : واتفقت الإمامية والزيدية والخوارج ، على أن الناكثين والقاسطين من أهل البصرة والشام أجمعين ، كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين (ع) وأنهم بذلك

آيات الخالق الكونية والنفسية

تأليف الأستاذ رشيد رشدي العابري

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة (١٢٠ ص ـ قطع صغير)

منشورات جمعية التربية الاسلامية – بغداد ١٩٥٣

نوّهنا من قبلُ بكتاب (بصائر جغرافية) للأستاذ المؤلف الكريم الذي وصفناه بأنه من شيوخ السنّ والعلم ، ومن دعاة النهضة والتجديد ؛ والآن نصف هذه السلسلة الأولى من كتابه الجديد ، تصفحناها فاذا فيها من الآيات البينة في الأنفس وفي الآفاق ما يدعو الى الايمان بالله تعالى وعظمته ، والإذعان القلبي لجلال قدرته ، والى ما يشهد ببديع صنعه وبالغ حكمته ، وهو حجة ناطقة للمؤمنين ، وحسرة ظاهرة على المفرّطين : «أن تقول نفس ، يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله ، وإنْ كنتُ لمن الساخرين » .

ومن أمتع ما قرأناه في هذه الفصول النفيسة : « النظام الرائع في تصريف الرياح » ، « غرائب الغرائز في الحشرات » ، « صقر البحر وخطاف البحر وعجائبهما في الطيران » ، « الموازنة العجيبة في المجموعة الشمسية » ، « الذرة وعظمتها على صغر حجمها » . ولا شك أن هذه السلسلة الذهبية يحتاج اليها جميع الدارسين والدارسات في المعاهد الدينية والمدنية ، أثاب المولى المؤلف على حسن صنيعه ، وبارك في عمره .

محمد بهجة البيطار

لدفع باطلهم ، وكبح جماحهم ؟ والى مثل هذا نوجه أنظار الأئمة المجتهدين ، والله هو الموفق والمعين .

هذا وقد بدت لنا أغلاط نذكرها هنا لتصحح :

في المقدمة (ط) : زينّاه الملاّمتان . (يا) : أن يحسن جوائه ويطيل بقائه .

(يب) : تذكّر هام .

وفي ص ١ من مقدمة الطبعة الثانية : فهممنا على استدراكه — يستحق بالذكر .

(يو) : تصحيحنا الكتاب الثانوي . (ك) : فاكتفيت على تلك . (كا) : ذلك المدة . (كو) : أبيطالب . (ومما كتب متصلاً هكذا : ابيعبد الله . عليخان انشاء الله . انكان . ولعله اصطلاح لهم . (لد) : الذي كانا ينوبان . (له) : تلك الكتاب . (لط) : مولده ومنشائه . (مج) : وأربع وسبعين كتاباً . (مد) : ان له قريب من — على ذلك الجملة — التي سئلها عنه . (مط) : في تلك الزمان . (ن) : سنة ثلث عشر وأربعمائة . (ص ٣) : وانكانوا . (ص ٦) : ممن صحب شيخنا المعتزلة .

هذه أمثلة مما في الكتاب ، ولعلّ الأستاذ الناشر — وهو عالي الهمة ، ماضي العزيمة — يدفعه إلى أحد المشتغلين بالقواعد العربية صرفاً ونحواً وإملاءاً ، ليتولى تصحيحه بدقة وعناية ، حتى لا يشغل المطالع بمثل هذا عن الموضوع والبحث فيه .

مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب

للقاضي ابن واصل — حققه الدكتور جمال الدين الشيال

٣٤ ص مقدمة ومصادر + ٢٨٦ ص النص + ٦ ص فهرس

مطبوعات ادارة احياء التراث القديم بوزارة المعارف المصرية

القاهرة ١٩٥٣

كان القاضي ابن واصل الحموي (جمال الدين محمد بن سالم) من أعلام القرن السابع الهجري (٦٠٤ — ٦٩٧) وهو قرن من القرون الملأى بالحوادث ؛ وقد خلَّف لنا كتاباً ذا شأن كبير في تأريخ الأيوبيين اسمه « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » . ولا شك أن هذا الكتاب من أغنى المصادر المتعلقة بذلك القرن ، وأكثرها أصالة ؛ يزيد في شأنه ان مؤلفه كان من كبار العلماء ، وأنه كتب عن علم وسجّل عن مشاهدة .

وقد عُني الدكتور جمال الدين الشيال بتحقيق الجزء الأول من هذا الكتاب وعارضه بمخطوطات كمبردج وباريس واستانبول . فبذل جهداً مشكوراً في اخراجه صحيحاً ؛ وإن هذا الجهد ليظهر في كل سطر .

قدّم الدكتور لهذا الجزء بمقدمة ترجم فيها لمؤلف الكتاب ترجمة فقيرة ، وقايس بين هذا الكتاب والكتب التي سبقته أو ألفت بعده ـ عن الأيوبيين ـ ووصف المخطوطات التي رجع اليها في التحقيق ، ثم أبان شأن الكتاب وما فيه من أمور انفرد بها ، ووثائق حفظها ، ومصطلحات وردت في ثناياه . وحاول أن يحدّد تأريخ تأليف الكتاب ، ثم ساق بعض أقوال المعاصرين في مفرّج الكروب .

ويلي المقدّمة النص المحقّق . ويبدأ بذكر نسب بني أيوب ، وابتداء أمر نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شيركوه ، وينتهي بموت نور الدين سنة

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم

تأليف : نشوان بن سعيد الحميري

الجزء الأول – القسم الاول ، عني بتحقيقه ونشره : ك . و . ستترستين

طبع في مطبعة بريل بليدن ١٩٥١

كان نشوان بن سعيد الحميرى عالم اليمن ومؤرخها في القرن السادس . ألف تواليف كثيرة من أجلّها شأناً كتاب شمس العلوم . وهو كتاب في اللغة وضعه نشوان ليأمن « كاتبه وقارئه من التصحيف ، يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها ، ويجعلها مع جنسها وشكلها ويردّها الى أصلها » .

جعل فيه « لكل حرف من حروف المعجم باباً ، ثم جعل كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماء وأفعالاً ، ثم جعل لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزناً ومثالاً » . قال : « لحروف المعجم تحرس النقط ، وتحفظ الخط ، والأمثلة حارسة للحركات والشكل ، ورادّة كل كلمة من بنائها الى الأصل ، فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعاً » .

قال : « .. وأودعت كتابي هذا ما سنح من ذكر ملوك العرب أهل الرئاسة والحسب .... وما عرض ذكره من منافع الأشجار وطبائع الأحجار ... وضمّنته شيئاً من علم القرآن والتفسير ... وما وافق من الأخبار والأنساب .. وأصول الأحكام .. وما سنح من أصول عبارة الأحلام .. وما لا بدّ من تفسيره من علم النجوم ... الخ » .

وعلى الجملة فالكتاب في اللغة ، ولكنه يضم وجوه الثقافة الاسلامية في القرن السادس .

وقد عني بتحقيقه المستشرق السويدي الكبير الأستاذ المرحوم ك . و . ستترستين . فأظهر في تحقيقه ، من الدقة والضبط ، ما يعجز عنه أبناء العربية أنفسهم ، ودل بضبطه هذا الكتاب على طول باع في معرفة اللغة العربية ولغتها . وإن من المؤسف أن تفقد العربية هذا الشيخ الجليل الذي أحب العربية وخدمها .

واننا لنذكر لهذا الشيخ الجليل خدمته هذه بكثير من الاجلال والشكر .

الحواشي يتطلب دقةً وفناً . فليس مهمة المحقق أن يشرح الكتاب ، بل عليه أن يقدم نصاً صحيحاً . وهو بقدر ما يحاول تصحيح النص يستطيع وضع الحواشي بلا اخلال . واذا وجد ان الايضاح سيطول ، فعليه ذكر المصادر التي يمكن الرجوع اليها . فالكتاب للعلماء والخواص لا للمبتدئين والعوام . فالدكتور الشيال يورد مثلاً في ص ٢٢٩ صفحة كاملة عن حملة توارنشاه على اليمن من الروضتين . وكتاب الروضتين مطبوع ، وهو في خزانة المشتغلين . فلماذا يُثقل النص بهذه الحواشي ؟ ولو أن النص كان عن كتاب مخطوط لأفاد .

على أن ما صادفنا من ملاحظات ، لا يحول دون التنويه بأن الدكتور الشيال قد بذل جهداً كبيراً ، وأن هذا الكتاب من أثمن الكتب القديمة التي صدرت ، ومن أحسنها تحقيقاً وتصحيحاً . فللدكتور الشيال التهنئة .

الشوارد

أو خطرات عام

كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام

٣٦٥ ص قطع وسط

مطبعة العرب بكراتشي – الباكستان ١٩٥٣

شغلت الدبلوماسية الدكتور عزّام عن التأليف ، وباعدت بينه وبين أسفاره ، فرأى أن يعوّض عن ذلك ، وأن يقيّد ما يخطر له من خاطرات ، وما يسنح من سانحات ، وأن يسجل سلائل الفكر والوجدان ، ويجمع حصائد العلم والتجارب ، ليصيد فيها الشوارد ويقيد الأوابد ، واقترح على نفسه أن يقيّد كل يوم فكرة عابرة ، أو خطرة طائرة ، وأن يمضي في هذا حولاً كاملاً [1] .

(١) انظر مقدمة الكتاب .

٥٦٩ هـ • وهو جزء لا يأتي ابن واصل فيه الا بقليل من الجديد، لأنه لم يعش في تلك الحقبة التي يؤرخها ، ولأنه نقل عمن سبقه • ويجب أن ننتظر الأجزاء المقبلة حتى نصادف الأصالة والجدة ، لأن هذا القسم نجده ، في الروضتين ، وابن الأثير ، وابن شداد ، وابن كثير (وهو مصدر غفل الدكتور الشيال عنه) •

إن فرحنا بظهور هذا الكتاب وإعجابنا بجهود الدكتور الشيال لا يحولان دون ارسالنا بعض الملاحظات المتعلقة بالمقدمة ونهج النشر • فالمقدمة ، مثل الحواشي • لا تناسق ولا اعتدال فيها • فترجمة المؤلف هزيلة جداً ، وابن واصل جدير بترجمة أكثر سعة ، لأن حياته نفسها كانت زاخرة بالحوادث ، وعلمه كان فياضاً • فلا ساق المحقق له ترجمة وافية ، ولا ذكر المصادر التي ترجمت له ليرجع اليها من شاء • وعندما تكلم الدكتور على الذين أرخوا لصدر الدولة الأيوبيـة ليقابل بين مؤلفاتهم وبين الكتاب عدّ فيهم القاضي الفاضل في رسائله • وان من العجب أن يوازن بين كتاب مفرّج الكروب وبين رسائل القاضي • ولكل منهما منهج وغاية • وان من الصعب أن نقايس أيضاً بين كتاب لا يبحث الا في الأيوبيين مثل مفرج الكروب وبين كتـاب يؤرخ لعصور وسلالات مختلفات كابن الأثير ، والأعجب أن يقارن مفرج الكروب وهو تأريخ للحوادث، بشفاء القلوب وهو تأريخ تراجم •

إن المقايسة لا ترد هنا • إذ ينبغي أن تكون بين كتابين في موضوع واحد ، ونهج واحد ، وعصر واحد • تمكن المقايسة مثلاً بين أبي شامة في الروضتين - لا في الذيل عليها - وبين مفرج الكروب • وقد كان يحسن بالمحقق أن يعقد ذيلاً يتضمن كل ما ألف عن بني أيوب مهما كان نوعه ، وأن يقصر المقايسة على ما كان من جنس مفرج الكروب ، وما ألف في عصره •

أما الحواشي ، ففيها اضطراب • بعضها طويل جداً وبعضها قصير • ووضع

الزيارات وما شهده من العجائب والأبنية والعمارات ، وما رآه من الأصنام والآثار والطلسمات في الربع المسكون ، والقطر المعمور .

وقد اتبع في ذكر الزيارات طريق السماع : « ذكرتُ ما شاع خبره وذاع ذكره بطريق الاستفاضة ، والله أعلم بصحته » ، فهو يذكر ما شاع في عصره . غير أنه لا يعمل النقد الا قليلاً . فالكتاب يؤرخ ظاهرةً خاصةً في القرن الذي عاش فيه الهروي تبين عقيدة الناس في الزيارات .

ولا نعتقد أن نص الكتاب نفسه ذو شأن علمي ؛ فشأنه تاريخي ؛ لأنه من أقدم ما كتب عن الزيارات والأماكن المباركة . غير أن السيدة جانين سورديل — طومين عنيت بنشره . ولا يستطيع الباحث الا أن يقدّر الجهد الكبير الذي بذلته في اخراج النص اخراجاً علمياً صحيحاً . ان هذا الكتاب ، من حيث طريقة نشره ، هو أحسن ما أصدره المعهد الفرنسي من نصوص عربية ، فقد اتبعت السيدة سورديل أصول النشر العلمي على طريقة الفرنسيين وطبقتها أحسن تطبيق ، ولا غرو في ذلك فهي تلميذة المستشرق المفقود السيد سوفاجه ، الذي افتقده العلم وهو في نضجه ، وقد كان أشار عليها بنشر الكتاب .

ان هذا الكتاب باكورة جيدة تقدمها السيدة سورديل . ولا يعيبه ما فيه من أخطاء قليلة في ضبط الأماكن . فلقد جعلت السيدة سورديل بأصولها العلمية من هذا الكتاب مرجعاً يمكن الانتفاع به والاستفادة منه . فلها التهنئة .

الدكتور صلاح الدين المنجد

وقد شرع في ذلك ، في جدّة من الحجاز ، وأتمّ كتابة شوارده الحولية في كراتشي من الباكستان .

وهذه الشوارد صور جيدة عن الدكتور عزام نفسه ؛ وستكون يوماً مصدراً لدراسته ؛ ففيها من كل شيء .

والى ذلك فان فيها نظرات صادقات جديرة بالتأمل ؛ وإن بعضها ليفتح آفاقاً واسعة أمام القارئ ؛ وهو إذ يصف في شوارده الواقع ، يبرع في الوصف لأنه صادر عن قلبه ، أما ما يلقاه القارئ من طرائف الأدبين : العربي والفارسي في الكتاب ، فيدل على سعة اطلاع الدكتور عزام بهذين الأدبين .

وفي قراءة الشوارد متعة كبيرة وفائدة . فللكاتب الشكر .

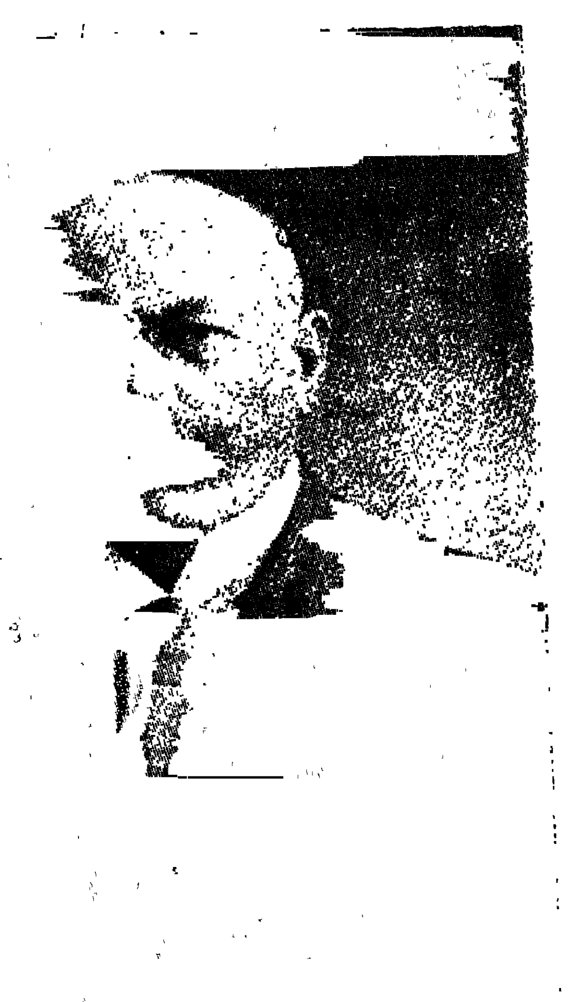
كتاب الإشارات الى معرفة الزيارات

لعلي بن أبي بكر الهروي — عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديل — طومين

١٠٠ ص النص + ٤٠ ص فهارس + ٣٠ ص مقدمة بالفرنسية

مطبوعات للمعهد الفرنسي بدمشق ، ١٩٥٣

الهروي سائح مشهور عاش في النصف الثاني من القرن السادس وأدرك العشر الأول من السابع (مات ٦١٠) أصله من هراة ، وولد في الموصل ، ونزل بحلب فسكن بها ، وله بها مدرسة . وطوّف في الآفاق « حتى لم يترك — كما يقول ابن خلكان — براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها الا رآها » . وألف كتابه الاشارات الى معرفة الزيارات — وفي ابن خلكان : الاشارات في الزيارات — ذكر فيه مازاره من



K. V. Zetterstéen

المستشرق الأستاذ ك . و . سترستين

آراء وأنباء

المستشرق الأستاذ ك . و . ستر ستين

(١٨٦٦ – ١٩٥٣)

مات عضو مشهور من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق لليلة خلت من شهر حزيران سنة (١٩٥٣) . وهو المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . ستر ستين .

حياته :

ولد المترجم في سنة (١٨٦٦) . ولا نعدو الصواب اذا ادعينا أنه نشأ على حب تعلم اللغات الشرقية مذ كان شاباً . وذلك أنا نراه يضيف إذ كان بالمدرسة العالية لغتين إلى الفنون المفروضة على التلامذة ، وهما : العبرانية والعربية . أما الأولى فقد تلقاها على بعض المدرّسين حتى برع فيها وفاق ، وأما الثانية فلم يجد من يعلمه مبادئها فتعلمها ولا معلّم له . وفي ذلك عجب ، فإن من المعلوم أن العربية هي لغة عظيمة لا يبدأ فيها الأجنبي إلا بصعوبة .

وبعد انتهاء الدروس المدرسية رحل سنة (١٨٨٤) الى جامعة أبسالة طمعاً في العلم ، خصوصاً في الفنون اللغوية الشرقية المختلفة . وما زال مجدّاً في ذلك حتى أحرز إجازة الدكتوراه في الآداب سنة (١٨٩٥) . غير أنه لم يقتنع بالتلقي على أساتذة بلده والاستفادة مما عندهم . بل ارتحل هذه السنة الى ألمانية ليتمّ بعض ما فاته من العلوم . وقد اشتغل هناك بلغات مختلفة مثل العربيــة والفارسية والتركية على المشارقة الذين كانوا إذ ذاك يدرّسون بالمدرسة الشرقية

آثاره وتصانيفه :

وتصانيفه عديدة جداً ، تشتمل على كل فنون المشرقيات المتنوعة . ومن أهمها ما قام بنشره وتحقيقه من التراث العربي . فمن ذلك : « الدرة الألفية » لابن معط الزواوي (١٩٠٠) . والجزءان الخامس والسادس من « الطبقات الكبيرة » لابن سعد كاتب الواقدي (١٩٠٥ — ١٩١٩) . وبالاضافة الى ذلك رسالة مفيدة يقابل فيها متن الجزء الخامس من « الطبقات » بنسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة شهيد علي باشا باستانبول (١٩٣٣) . و « تاريخ لسلاطين مصر والشام » اسم مصنفه مجهول (١٩١٩) . و « تهذيب اللغة » لأبي منصور الأزهري (في مجلة Le monde oriental, 1920) . و « طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب » للملك الأشرف ابن رسول الغساني (من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٩) . و « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (١٩٥٠) وكان كما ذكرت مشتغلاً بنشر هذا القاموس الكبير لما أدركته المنية ، وقد نشر منه الجزئين الأول والثاني من القسم الأول ، وقد كلفني أن أقوم باتمام هذا الكتاب وسأفعل إن شاء الله . وله الجزء الثالث من « Glossaire Datinois » (١٩٤٢) ، الذي صنف المستشرق المشهور الكنت لندبرج الجزئين الأولين منه . وله : « اللغات الشرقية » (١٩١٤ ، في السويدية) . وترجم « القرآن الكريم » الى السويدية سنة (١٩١٧) . وكذلك ترجم بعض كتب المتصوفة سنة (١٩٠٨) عن العربية الى السويدية .

الأستاذ الدكتور س . ديدرينغ

بيرلين . وطالع العربية — والشامية القديمة بالاضافة الى ذلك — على المستشرق المشهور الأستاذ أدوارد سخاو .

في أواخر سنة (١٨٩٥) عاد إلى بلده حيث عيّن مدرّساً مساعداً للغات الشرقية بجامعة لندن . وظلّ كذلك حتى كانت سنة (١٩٠٤) فعيّن أستاذاً في اللغات الشرقية بجامعة أبسالة . وكانت الحقبة التي قضاها في ذلك طويلة ، قد امتدّت الى سنة (١٩٣١) حين ترك منصبه وأحيل الى التقاعد . وفي عام ١٩٣٦ رحل الى دمشق وناب عن المستشرقين في المهرجان الدمشقي لأبي الطيب المتنبي فألقى بالعربية كلمةً عن الشاعر الكبير كان لها وقع طيب لدى السامعين . ولم يزل مواظباً على أشغاله العلمية المثمرة حتى أدركتـه المنية سنة (١٩٥٣) وهو مع كبره هامٌ بنشر كتاب ذي شأن من التراث العربي وهو «شمس العلوم» لنشوان الحميري الآتي ذكره .

كان الأستاذ سترستين ذا فطنة جيدة وذكاء مفرط ، مشهوراً باجتهـاد لا نهاية له : قد كان يقضي أكثر ساعات النهار وشطراً طويلاً من الليل في خدمة العلم الأدبي بحثاً أو تدريساً أو تصنيفاً . وكان يشتمل بحثه وتدريسه على فنون المشرقيات كلها . غير أنه قد كان يغلب عليه العربية التي كان ميله اليها أشدّ ، وله فيها مشاركة قوية . وله أيضاً يد طولى في اللغات الدارجة ، في تونس ومصر والشام وغيرها من بلاد العرب التي رحل اليها غير مرة .

وأما تصانيفه الجمة الآتي ذكر بعضها فتدلّ على سعة اطلاعه ، وجودة معرفته بكثرة ألفاظ العربية وأدبها . وكان المترجَم حسن المحاضرة ، محبّاً لأصدقائه وتلامذته ، لا يتخلّف عن معاونتهم ، ويسهّل لهم المدخل الى العلوم الأدبية : قد علم ذلك من خالطه وعاشره . وبالجملة فكان من أجلاء مستشرقي عصرنا وأكابرهم ، المشار اليهم بأخلاق كريمة ، وشمائل حسنة .

٤١	الاستاذ عباس العزاوي	بغداد
٤٢	الشيخ كاظم الدجيلي	〃
٤٣	〃 محمد بهجة الاثري	〃
٤٤	الدكتور مصطفى جواد	〃
٤٥	الاستاذ احمد حامد الصراف	〃
٤٦	〃 كوركيس عواد	〃
٤٧	الدكتور داود الچلبي	الموصل
٤٨	الاستاذ احمد امين	القاهرة
٤٩	〃 احمد حسن الزيات	〃
٥٠	الدكتور احمد زكي	〃
٥١	الاستاذ احمد لطفي السيد	〃
٥٢	〃 خليل ثابت	〃
٥٣	〃 خير الدين الزركلي	〃
٥٤	الدكتور طه حسين	〃
٥٥	الاستاذ عباس محمود العقاد	〃
٥٦	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃
٥٧	الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٥٨	الأمير يوسف كمال	〃
٥٩	الأستاذ عبد الحميد العبادي	الاسكندرية
٦٠	〃 حمد الجاسر	الرياض
٦١	〃 حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٦٢	〃 مارسه	〃
٦٣	〃 عبد الحي الكتاني	فاس
٦٤	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش
٦٥	〃 عباس إقبال	طهران
٦٦	〃 عبد العزيز الميمني الراجكوتي	عليكر
٦٧	〃 أ. كي	فرنسا
٦٨	〃 ماسه	باريس
٦٩	〃 دوسو	〃
٧٠	〃 كولان	〃
٧١	〃 ماسينيون	〃
٧٢	〃 هيس	سويسرا ـ زوريخ
٧٣	〃 ا. ج. اربري	كمبردج
٧٤	〃 ه.ا.ر. جيب	(اوكسفورد)
٧٥	〃 الفرد غليوم	لندن
٧٦	〃 اميليو غارسيا غومز	مدريد
٧٧	〃 فرنسيسكو جبرآلي	روما
٧٨	〃 بروكلمن	المانية
٧٩	〃 هارتمان (ريشار)	برلين
٨٠	〃 ه. ريتر	فرنكفورت
٨١	〃 استروب	كوبنهاغ ـ الدانيمارك
٨٢	〃 بدرسن	〃 〃
٨٣	〃 موجيك	فينا
٨٤	〃 ماهلر	بودابست
٨٥	〃 كرمسكو كانغازولو	فنلاندة
٨٦	〃 فيليب حتي	اميركة ـ پرنستون
٨٧	〃 سعيد ابو جمزة	ساناباولو ـ البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م

١ الأستاذ خليل مردم بك (رئيس المجمع) دمشق
٢ الدكتور اسعد الحكيم 〃
٣ الأمير جعفر الحسني 〃
٤ الدكتور جميل صليبا 〃
٥ 〃 حسني سبح 〃
٦ 〃 حكمة هاشم 〃
٧ 〃 سامي الدهان 〃
٨ الاستاذ سليم الجندي 〃
٩ 〃 شفيق جبري 〃
١٠ الدكتور صلاح الكواكبي 〃
١١ الاستاذ عارف النكدي 〃
١٢ الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس) 〃
١٣ الاستاذ عز الدين التنوخي 〃
١٤ 〃 فارس الخوري 〃
١٥ 〃 محمد البزم 〃
١٦ الشيخ محمد بهجة البيطار 〃
١٧ الدكتور مرشد خاطر 〃
١٨ الأمير مصطفى الشهابي 〃
١٩ الدكتور منير العجلاني 〃
٢٠ الاستاذ هنري لاوست 〃

٢١ الشيخ عبد الحميد الكيالي حلب
٢٢ الدكتور عبد الرحمن الكيالي 〃
٢٣ الاستاذ عمر ابوريشة 〃
٢٤ الشيخ محمد زين العابدين 〃
٢٥ البطريرك مار اغناطيوس افرام حمص
٢٦ الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) اللاذقية
٢٧ الشيخ سعيد العرفي دير الزور
٢٨ الاستاذ أنيس المقدسي بيروت
٢٩ 〃 بشارة الخوري 〃
٣٠ الدكتور صبحي المحمصاني 〃
٣١ 〃 عمر فروخ 〃
٣٢ الشيخ فؤاد الخطيب 〃
٣٣ الفيكونت فيليب دي طرازي 〃
٣٤ الدكتور نقولا فياض 〃
٣٥ الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف زحلة
٣٦ الشيخ سليمان ظاهر جبل عاملة
٣٧ الأب أ. س. مرمرجي الدومنكي القدس
٣٨ الاستاذ محمد الشريقي عمان
٣٩ الشيخ رضا الشبيبي بغداد
٤٠ الاستاذ طه الهاشمي 〃

٥٢ الاستاذ رفيق العظم — القاهرة
٥٣ 〃 مصطفى لطفي المنفلوطي — 〃
٥٤ 〃 احمد تيمور — 〃
٥٥ 〃 احمد زكي — 〃
٥٦ 〃 حافظ ابراهيم — 〃
٥٧ 〃 احمد شوقي — 〃
٥٨ 〃 اسعد خليل داغر — 〃
٥٩ السيد محمد رشيد رضا — 〃
٦٠ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي — 〃
٦١ 〃 احمد كمال — 〃
٦٢ الدكتور يعقوب صروف — 〃
٦٣ الاستاذ اوجينيو غريفيني — 〃
٦٤ 〃 داود بركات — 〃
٦٥ الدكتور امين المعلوف — 〃
٦٦ الشيخ عبد العزيز البشري — 〃
٦٧ الدكتور احمد عيسى — 〃
٦٨ الشيخ مصطفى عبد الرازق — 〃
٦٩ الاستاذ انطون الجميل — 〃
٧٠ 〃 خليل مطران — 〃
٧١ 〃 ابراهيم عبد القادر المازني — 〃
٧٢ 〃 محمد لطفي جمعة — 〃
٧٣ الأمير عمر طوسون — الاسكندرية
٧٤ الشيخ محمد بن ابي شنب — الجزائر
٧٥ الاستاذ رينه باسه — 〃
٧٦ 〃 ميشو بللير — طنجة
٧٧ 〃 زكي مغامز — الاستانة
٧٨ الحكيم محمد أجمل خان — الهند
٧٩ الاستاذ فران — باريس

٨٠ الاستاذ كليمان هوار — باريس
٨١ 〃 بوفا — 〃
٨٢ 〃 جويدي — ايطاليا
٨٣ 〃 نللينو — 〃
٨٤ 〃 هومل — المانيا
٨٥ 〃 ساخاو — 〃
٨٦ 〃 هوروفيتز — 〃
٨٧ 〃 مارتين هارتمان — 〃
٨٨ 〃 ميتفوخ — 〃
٨٩ 〃 مونته — سويسرا
٩٠ 〃 سنوك هوغرنيه — هولاندة
٩١ 〃 اراندونك — 〃
٩٢ 〃 هوتسما — 〃
٩٣ 〃 مرجليوث — انكلترا
٩٤ 〃 بفن — 〃
٩٥ 〃 براون — 〃
٩٦ 〃 كرينكو — كمبردج
٩٧ 〃 بوهل — كوبنهاغ ـ الدانيمارك
٩٨ 〃 اغناطيوس غولدصهير — بودابست
٩٩ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني — زنجان
١٠٠ الاستاذ ماكدونالد — اميركا
١٠١ 〃 هرزفلد — 〃
١٠٢ 〃 آسين بلاسيوس (مجريط) اسبانيا
١٠٣ 〃 لويس (لشبونة) البرتغال
١٠٤ 〃 موزل — تشكوسلوفاكية
١٠٥ 〃 كوفالسكي — بولونية
١٠٦ 〃 كراتشكوفسكي — لينغراد
١٠٧ 〃 سترستين — اوبسالا ـ السويد

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	الاستاذ مسعود الكواكبي	〃
٤	〃 الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 مالنجو	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃
١١	〃 اديب التقي	〃
١٢	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٣	السيد محسن الأمين	〃
١٤	الاستاذ معروف الأرناؤط	〃
١٥	〃 محمد كرد علي	〃
١٦	الأب جرجس شلحت	حلب
١٧	〃 جرجس منش	〃
١٨	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃
١٩	الشيخ كامل الغزي	〃
٢٠	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃
٢١	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٢٢	〃 راغب الطباخ	〃
٢٣	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٤	الدكتور صالح قنباز	حماة
٢٥	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٢٦	الاستاذ ادوار مرقص	〃
٢٧	الاستاذ حسن بيهم	بيروت
٢٨	الأب لويس شيخو	〃
٢٩	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٣٠	الاستاذ جبر ضومط	〃
٣١	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٣٢	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٣٣	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٣٤	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٣٥	〃 بولص الخولي	〃
٣٦	〃 امين الريحاني	لبنان
٣٧	الامير شكيب ارسلان	〃
٣٨	الشيخ ابراهيم منذر	〃
٣٩	الاستاذ جرجي يني	طرابلس الشام
٤٠	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة
٤١	الاستاذ نخلة زريق	القدس
٤٢	الشيخ خليل الخالدي	〃
٤٣	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٤٤	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٤٥	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٤٦	الاستاذ محمود شكري الآلوسي	بغداد
٤٧	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٤٨	〃 معروف الرصافي	〃
٤٩	〃 طه الراوي	〃
٥٠	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٥١	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة

أجزاء جديدة من تاريخ مدينة دمشق

للحافظ ابن عساكر

كنا وصفنا في مقدمة المجلدة الأولى من تاريخ مدينة دمشق مخطوطات هذا التاريخ المعروفة في مكتبات العالم[1] .

ثم علمنا ، أثناء مقامنا بباريز ، أن في المكتبة السعيدية بحيدر آباد الدكن ، بالهند ، — وهي مكتبة جليلة فيها مخطوطات قيمة — مجلدين من هذا التاريخ . أخبرنا بذلك الأستاذ الدكتور محمد حميد الله ، وتكرّم فكتب الى الدكتور يوسف الدين الأستاذ بالجامعة العثمانية بحيدر آباد فوصفها لنا . وها نحن أولاء ننشر موجزاً عنها ، شاكرين للأستاذين صنعهما .

المجلد الأول : رقمه ١٣ تاريخ .

كتب سنة ٥٦٠ هجرية ـ أي في حياة المؤلف ابن عساكر .

عدد صفحاته : ٣٦٦ بقياس (٢٥ × ١٦ عُشيراً) .

يبدأ بالجزء الثاني والأربعين بعد المائة وينتهي بالجزء الخمسين بعد المائة من الأصل .

في أوله ما يلي :

الجزء الثاني والأربعون بعد المائة

من تاريخ مدينة دمشق حماها الله

وضعه (صنّفه ؟) الحافظ ابوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي رحمه الله

سماع ولده القاسم بن علي بن الحسن

اجازة له من بعض الشيوخ رحمهم الله

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ، المقدمة ص ٤٤ — ٤٦ .

انتخاب أعضاء جدد

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في يوم الاثنين ١٩٥٣/١٢/٧ برئاسة الأستاذ خليل مردم بك ثلاثة أعضاء عاملين جدد للمقاعد الشاغرة فيه وهم السادة :

١ — الدكتور سامي الدهان بدلاً من المرحوم الأستاذ معروف الأرناؤط .

٢ — الدكتور صلاح الكواكبي بدلاً من المرحوم الدكتور جميل الخاني .

٣ — الدكتور حكمة هاشم بدلاً من المرحوم السيد محسن الأمين العاملي .

وقد صدرت عن مقام رئاسة الجمهورية المراسيم ذوات الأرقام : ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ . بتاريخ ١٩٥٣/١٢/٢٣ تقرّ هذا الانتخاب .

مخطوطات بدار الكتب

أهدت مديرية الشرطة والأمن العام في ١٩٥٣/١١/٢٢ دار الكتب الظاهرية ثلاثة كتب مخطوطة وهي :

١ — المنح المكية في شرح الهمزية لابن حجر الهيثمي .

٢ — الجزء الأول من الكشّاف للزمخشري .

٣ — التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للزركشي .

فلها الشكر .

على يد العبد الفقير المذنب الخاطئ محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشبيلي ، وفقه الله وشرح صدره وجمع شمله وغفر ذنبه » .

فتكون هذه المجلدة منقولة عن نسخة البرزالي التي نقلها عن نسخة القاسم . ولعل المجمع العلمي بدمشق يصوّر هذين المجلدين ، ويضمها الى ما كان صوّره من مخطوطات هذا التاريخ العظيم .

(دمشق) الدكتور صلاح الدين المنجد

حول ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب

النووي الذي أجاز ابن رجب

كنت كتبت في مجلة المجمع هذه في الجزء الأول من المجلد السابع والعشرين ص (١٥٢) كلمة عنوانها : « نظرة عابرة في ذيل طبقات الحنابلة » انتقدتُ في ضمنها قول الناشرين في ترجمة ابن رجب الحنبلي : « وأنه لازم مجالس الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الى أن مات ، وأن ابن النقيب والنووي أجازاه » . وقلت : إن (النووي) هنا تحريف إلا أن يكون المراد به نوويا آخر غير المشهور ، وبينت ذلك بالموازنة بين وفاةِ النووي وولادةِ ابن رجب ، وقلت أيضاً : إن ابن النقيب هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن لؤلؤ القاهري الشافعي المتوفى سنة ٧٦٩ عن ٦٧ سنة .

وقد هدتني المطالعة في « شذرات الذهب » الى العثور على نووي يصح أن يكون هو شيخ ابن رجب الذي أجازه ، كما هدتني الى أن ابن النقيب الذي أجاز ابن رجب يحتمل أن يكون غير الذي ذكرته ، فكتبت هذه السطور ،

ويشتمل هذا المجلد على ترجمات الأشخاص الآتية اسماؤهم :

حميد بن مالك

من اسمه حنظلة

سماعات

ذكر من اسمه حيان

ذكر من اسمه خارجة

ذكر من اسمه خالد

سماعات

تتمة الخالدين

خالد بن الوليد .

المجلد الثاني : أما المجلد الثاني فهو حديث .

رقمه ١٩ تاريخ .

كتب سنة ١٣٠٥ .

فيه ذكر من اسمه عباد الى ذكر من اسمه عمر .

في آخره ما يلي :

آخر الجزء العاشر بعد الثلاثمائة ، وهو آخر المجلد الحادي والثلاثين من الأصل المنقول منه ، بخط القاسم تجزئة ثمان مائة جزء من الف وثمان مائة كراسة من النسخة الثانية ، وجميعها تشتمل على ثمانين مجلدة . فرحم الله مصنفها وكاتبها وأبقى بيتهم الطاهر متمسكين بالعلم والرواية سلفاً عن خلف وجزاهم خيراً .

صورة ما في الأصل المنقول عنه :

نجزت هذه المجلدة يوم الخميس سلخ ربيع الآخر سنة أربع عشرة وستمائة بدار السنة بدمشق ، حرسها الله . والحمد لله والصلاة على نبيه محمد وآله .

المحتمل أن يكون هو : «شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ابراهيم بن عبد الرحمن ابن محمد بن حمدان بن النقيب الدمشقي الشافعي ، المولود سنة ٦٢٢ ، المتوفى سنة ٧٤٥» ؛ وترجمته في «الشذرات» لابن العماد (٦/١٤٤) إذ كلٌّ من هذين العالمين يعرف بابن النقيب ، وكل منهما ممكن أن يكون شيخاً لابن رجب ، ولم أر فيما قرأت في ترجمتهما ذكر أخذ ابن رجب عن أحدهما .

ولكن يغلب على الظن أن الأول هو شيخ ابن رجب ، لأن الأول من طبقة شيوخ الحافظ الزين العراقي - إن لم يكن منهم - كما يقوله العلامة الطهطاوي في «التنبيه والإيقاظ» بـ (ص ١٠٢) ، وقد كان الحافظ ابن رجب مرافقاً للزين العراقي في الرحلة والسماع والتلقي من الشيوخ كما تقدم ذكره ، فيكون - في غالب الظن - شيخُ زميله العراقيّ شيخاً له والله أعلم .

ولعلنا لا نعدم من الفضلاء الذي رزقهم الله العلم وكتبه والفراغ له من يكشف وجه الحق ، ويزيل الشك والارتياب في هذا الصدد فيكون له من الشاكرين .

بقي بعد هذا كلمة حول مؤلفات ابن رجب ، فقد عَدّ الناشران من مؤلفاته ثلاثةً وثلاثين مولفاً ، وأغفلا ذكر «ذيل طبقات الحنابلة» وهو الكتاب الذي عُنيا بنشره ، ولم أدر سرّ اغفالهما هذا المؤلَّف في تعداد مؤلفات ابن رجب ، وكان الواجب ذكره فيها ، فتكون (٣٤) مؤلفاً . على أنه قد فاتهما ما يأتي :

١ - شرح كتاب العلل للترمذي ، ذكره شيخ شيوخنا الكتاني رحمه الله تعالى في «الرسالة المستطرفة» بـ (ص ١١١) ، وتوجد نسخة منه مخطوطة في دار الكتب المصرية ، وقد صوّرتها الادارة الثقافية لأمانة الجامعة العربية .

٢ - شرح حديث : «بعثت بالسيف بين يدي الساعة» وطبع بمصر بمطبعة المنار سنة ١٩٢٩ بعنوان «الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي بعثت بالسيف بين يدي الساعة» ، وأظن هذا الاسم من صنيع ناشره حامد الفقي .

راجياً موافاة أهل العلم بالكشف عن وجه الحق فيما أكتبه على صفحات هذه المجلة ، وشكري لهم مقدم وجزيل .

قال ابن العماد في « شذرات الذهب » في وفيات سنة ٧٤٩ (٦/١٥٨) : « وفيها مات علاء الدين أحمد بن عبد المؤمن الشافعي ، قال ابن قاضي شهبة : الشيخ الامام السبكي ثم النووي ، نسبة الى نوى من أعمال القليوبية ، وكان خطيباً بها ، تفقه على الشيخ عز الدين النسائي وغيره ، وكتب شرحاً على التنبيه في أربع مجلدات ، وصنف كتاباً آخر فيه ترجيحات مخالفة لما رجحه الرافعي والنووي ، قال الزينُ العراقي : كان رجلاً صالحاً ، صاحب أحوال ومكاشفات ، شاهدت ذلك منه غير مرة ، وكان سليم الصدر ، ناصحاً للخلق ، قانعاً باليسير ، باذلاً للفضل ، بل لقوت يومه مع حاجته اليه » اهـ .

وغالب الظن أن هذا النووي هو الذي أجاز ابن رجب ، ذلك لأن ابن رجب رافق الزين العراقي في السماع كثيراً ، كما ذكره الناشران في ترجمته ، والنووي هذا شيخٌ للزين العراقي كما ذُكر هنا ، فيكون شيخاً لمرافقه في السماع والارتحال الشيخ ابن رجب ، ويكون للعلماء نوويان أحدهما دمشقي ، وثانيهما مصري .

وقد مررت أثناء المطالعة في « الشذرات » بنوويٍّ ثالث ، أذكره هنا إتماماً للفائدة . قال ابن العماد في « الشذرات » في الجزء (٨/١٦) في وفيات سنة ٩٠١ : « وفيها مات علاء الدين علي بن يوسف بن خليل النووي ثم الدمشقي الشافعي ، الإمام العلامة ، وُلد في حادي عشر شوال سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمائة ، واشتغل في العلم فبرع ودرّس وأفتى ، وكان يكتسب بالشهادة في مركز باب الشامية البرانية خارج دمشق ، وتوفي ليلة الخميس عاشر صفر ، ودفن بمقبرة النخلة غربي سوق صاروجا » اهـ .

أما ابن النقيب ، فقد كنت ذكرت أنه « شهاب الدين أبو العباس أحمد بن لؤلؤ المعروف بابن النقيب ، المولود سنة ٧٠٢ ، المتوفى سنة ٧٧٦ » . ومن

أغلاط مطبعية

جاء في آخر نشرة لي من «آراء وتعليقات» ج ٤ مج ٢٨ ص ٦٥٦ : «نهاية المبارك لابن الأثير»، وص ٦٥٧ «الأباده» ، و ص ٦٦٣ «ثلاث وثلاثين» ، و ص ٦٦٤ «ويوفق أهل التحقيق الى الزيادة» ، والأصل : «نهاية المبارك ابن الأثير» ، و «الأدباء» ، و «ثلاثاً وثلاثين» ، و «يوفق أهل التحقيق للزيادة» .

الدكتور مصطفى جواد

وردت في الصفحة ١٢٨ في السطر الثامن من هذا الجزء : «حوذة» بالذال وصوابها «حوزة» بالزاي .

حول (تصحيح سبعة أسطر)

جاءنا من الأستاذ محقق تاريخ داريا ـ رداً على ما نشر في العدد الثاني من المجلد الثامن والعشرين (ص ٣٣٣) بعنوان تصحيح سبعة أسطر من تاريخ داريا ـ بيان نقتطف منه ما يلي بعد تغيير وحذف يسيرين .

١ ـ بدأ المعترض الكلام بقوله : «حينما طالعت تاريخ داريا لابن المهنا ... وبخاصة ص ١٢٦ ... الخ» .

وابن المهنا وتاريخه لا علاقة لهما بهذه الصفحة ، إذ ينتهي تاريخ ابن المهنا في

٣ — تفسير سورة : « اذا جاء نصر الله والفتح » طبع بالهند سنة ١٣٣٩ مع كتاب « تحفة الورود بأحكام المولود » لابن القيم .

٤ — غاية النفع في شرح تمثيل المؤمن بخامة الزرع ، طبع بمصر بمطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٥٨ ، ضمن مجموعة رسائل حديثية ، أولها : « إنعام المنعم الباري بشرح ثلاثيات البخاري » للشيخ عبد الصبور بن عبد التواب الهندي ، وقد شرح الحافظ ابن رجب في هذه الرسالة حديث البخاري ومسلم : « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع » الحديث . فتكون مؤلفات ابن رجب التي وقفنا عليها (٣٨) مؤلفاً .

هذا ، ولما ذكر الناشران في مؤلفات ابن رجب « شرح البخاري » لم يذكرا أنه تام أو ناقص ، وصنيعها يفيد أنه تام ، وقال شيخ شيوخنا الكتاني رحمه الله تعالى في « الرسالة المستطرفة » : و « شرح قطعة من صحيح البخاري » اه . وكذلك قال ابن حجر في « الدرر الكامنة » .

وقال الناشران في « شرح حديث ما ذئبان جائعان » : طبع في لاهور سنة ١٣٢٠ . قلت : وطبع بمصر سنة ١٣٤٦ ضمن الجزء الثالث من مجموعة « الرسائل المنيرية » .

وذكر الناشران أيضاً في الرقم (١٧) من مؤلفات ابن رجب : « شرح حديث من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً » وسكتا عن طبعه ، فأفاد سكوتهما أنه لا يزال مخطوطاً ، وقد طبع بمكة سنة ١٣٤٧ بالمطبعة السلفية قبل تحولها الى مصر ، بعنوان : « شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً » ، وهو في (٦٠) صفحة من القطع الصغير .

(حلب) عبد الفتاح أبو غدة

أما تعليقي فيجعل كون الترجمة ترجمتين (لا ثلاثاً) أحد الأمور المحتملة ، ولم أحتم ذلك تجنباً خشية أن يكون هناك كلام سقط (لا ندري ما هو) يربط آخر النص بأوله . والصفحة كما أسلفت ليست من كتاب ابن المهنا وإنما هي زيادة قارئ متأخر ، ومن طالت ممارسته تراثنا المخطوط تأنى وتحفظ واحتاط .

وليستقيم للمعترض ادعاء ترجمات ثلاث قام بما يأتي :

٣ — أولاً : ادعى وجود بياض في المطبوعة في السطر الثاني من ترجمة خلف (ص ١٢٦) ، وذكر في تصويبه ما يدل على أن الكلمة الساقطة هي (العنسي)

وأقول : ليس في المطبوعة بياض بل (العنسي) في مكانها والنسخ بأيدي القراء .

ثانياً — في تصويبه ما يوهم حذف الناشر لعنوانين من الثلاثة . وذلك تزوير على الأصل ، فليس فيه الا عنوان واحد هو الذي طبعناه بأمانة دون اختلاق .

ثالثاً — في تصويبه الذي نشره ما يقطع بأن (عبد الله بن أحمد) ذكر مرتين ، ليستطيع زعم أن الأولى تتبع الترجمة الثانية التي زعمها ، والثانية عنوان ترجمة جديدة . وهذا زعم ثان إذ ليس في الأصل (عبد الله بن احمد) إلا مرة واحدة[1] .

---

(١) وورد على المجمع سؤال من السيد محمد طاهر النعمي عن وفاة قيس بن عباية المذكورة في ص ٣٥ من تاريخ داريا ، ويسأل عن كلمة (بن الأوس) هل هي في المخطوط (بن) أو (من) .

والجواب أن الرقم المدرج تحت الاسم (- ١١٠ - ١٢٠) سهو محض لأنه يتعلق برجل آخر اسمه قيس بن عباية أيضاً .

وأما (بن) فهي في المخطوط (من) .

وبهذه المناسبة نرجو من عنده نسخة من تاريخ داريا أن يضيف الى تصويباتها ما يأتي :

ص ٣٣ رحبي من ولد رحب بن حلوان .
مغوية

ص ٤٩ حلبس
صواب عبد العزيز بن احمد الكناني : عبد العزيز بن احمد الكتاني .

ص ١٢٣ نصاً وصراحة وبعد هذا الإشعار الصارخ من حمد الله والصلاة على نبيه على عادة المؤلفين جميعاً . وتبدأ صفحة (١٢٤) بعنوان طبع بحرف كبير جداً : (الزيادة ... الخ) وهي زيادات لمتأخر نقلها الناسخ .

٢ – ثم يقول المعترض : « فظهر لي أن الترجمة المذكورة بسبعه أسطر في الصفحة المذكورة ليست لشخص واحد وهو « خلف بن محمد » وإنما هي ثلاث تراجم ... مزج الأستاذ ... بعضها ببعض وجعلها ترجمة واحدة لشخص واحد » اه .

فلا الذي ذكره من الثلاثية صحيح ، ولا ما عزاه للناشر من المزج صدق . فأما الأول فليس في النص مما زعمه ترجمة ثانية غير (أبيه) ويحتاج المرء الى خيال جريء حتى يجعل من هذه الكلمة نواة ترجمة . وأما الثاني فلم يمزج الناشر ولم يغيّر ، وإنما نشر زيادة الناسخ كما هي ، وهي في الأصل جملة واحدة ليس لها غير عنوان واحد (خلف بن محمد) ، وليرجع اليها من شاء في النسخة المصورة بخزانه المجمع العلمي العربي .

وقد كنت لاحظت في هذه الترجمة خللاً حين اختلفت سنة الوفاة لصاحب الترجمة عن السنة المذكورة في آخرها فأشرت الى ذلك في التعليق ، وسقوط كلام قبل كلمة (أبيه) فوضعت بعدها كلمة (كذا ؟) مشفوعة باشارة استفهام ، ولا تسمح الأمانة بأكثر من ذلك فإن زاد شيئاً صار اختلاقاً . والمؤسف أن هذا التعليق المفيد للقارئ المتأني أضرّ بالمعترض وجعله يزعم أن هناك ثلاث تراجم وجعله يدعي ويطلب أن يزاد على النص أن أحمد بن عمرو العنسي روى عن أبيه وروى عنه ابنه ، ومن عرف أن العلم عند المحدثين أمانة يدرك لماذا يسقطون الراوي لاختلاق أقل من هذا بكثير .

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)

٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي

٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

٦ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٧ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٨ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٩ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

١٠ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية): تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١١ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١٢ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ. ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

١٣ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٤ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك

١٥ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٦ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃

١٧ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

١٨ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

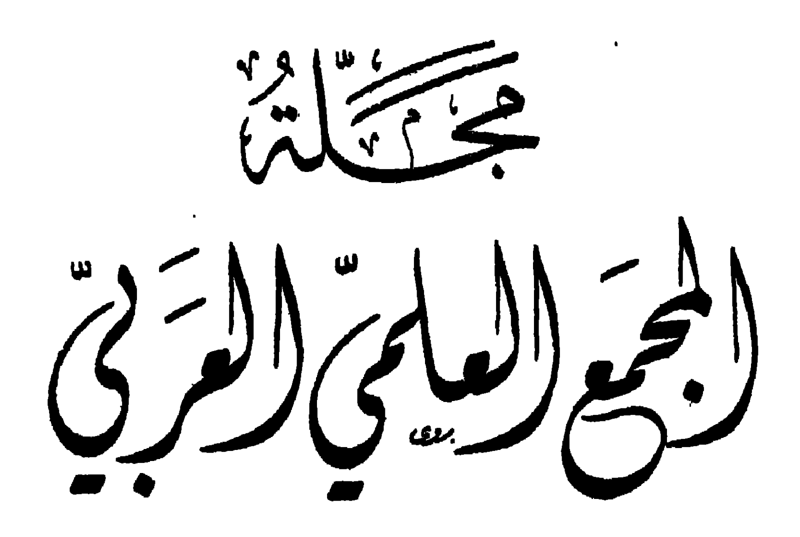
١٩ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

فهرس الجزء الأول من المجلد التاسع والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الثاني		المجلد التاسع والعشرون



دمشق



١ نيسان سنة ١٩٥٤ م

٢٧ شهر رجب سنة ١٣٧٣ ه

٢٠ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢١ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٢ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٣ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢٤ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃
٢٥ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٢٦ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٢٧ — صحيفة همام بن منبه : بتحقيق الدكتور محمد حميد الله
٢٨ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين قدّم له الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٩ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ): وضعه الدكتور يوسف العش
٣٠ — أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن قيم الجوزية: بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٣١ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٢ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٣ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٤ — بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٣٢–٣٤) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٥ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٦ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٧ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

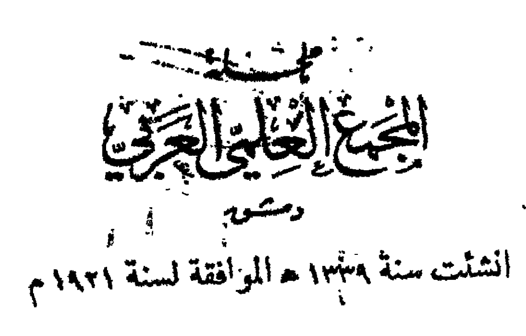


١ نيسان سنة ١٩٥٤		٢٧ شهر رجب سنة ١٣٧٣

تفكيرنا الشعري

اجتمع في ايلول الماضي في جامعة «برنستون» وهي واقعة في ولاية «نيوجرسي» في الولايات المتحدة رجال مؤتمر الثقافة الاسلامية ، فرحّب بهم عميد أساتذة الجامعة في قاعة مشهورة وأتى على تاريخ هذه القاعة في شيء من الاختصار ، ثم صعد المنبر أستاذ فاضل من الشرق ورحّب باللغة العربية ، وقد كان الأستاذ المومأ اليه قد وصل الى «برنستون» قبل ساعات من اجتماع المؤتمر ولم يك يعلم أنه سيكون له كلمة ترحيب ، فلما استقرّ به المنبر قال : لمّا وصلت الى مطار «نيويورك» أبلغت أني في جملة الخطباء فصعقت ...

ان هذا الأستاذ يرتجل الكلام من خمس وعشرين سنة فهو مدرّب على مثل هذا الارتجال ولا يصعب عليه أن يقول كلمة لا تستغرق خمس دقائق وقد قالها ولم يظهر عليه أثر الصعق ، ولكنّ استعمال الألفاظ التي تشتمل على كثير من المبالغات انما هو من خصائصنا معاشر أهل الشرق ، يقال في لغتنا : صعق كسمع : غشي عليه ، ومن مشتقات هذه المادة : الصاعقة ، ومن معاني الصاعقة



انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ٨٠٠	قرش سوري
الدفع مقدماً	وفي سائر الاقطار ١٠٠٠	قرش سوري

ان الذي طبع به آخر أفق من آفاق الحيوان وأول أفق من آفاق البشر انما هو اختراع اليد واللغة ، فاليد عنوان تقدم المنطق العملي ، واللغة عنوان تقدم المنطق العقلي .

فاللغة على نحو ما قرّره علماؤها في هذا العصر انما هي أغرب ما وصلت اليه البشرية من الاختراعات في أطوارها واذا كنت لا أريد الكلام على مهمتها وعملها في نموّ العقل ، أو على علائق الفرد والجماعة في إنشاء هذه الآلة الثمينة وفي تحسينها ، فأنا أحب الاستشهاد في هذا الباب بورقة تكاد تكون أبلغ ما كتب في الدلالة على منزلة الألفاظ ، قال كاتب هذه الورقة :

« قلت لكم إنني أحب معجمات اللغة ، فأنا لا أحبها لمجرّد فائدتها العظيمة ، ولكني أحبها لأنها تحتوي على شيء حسن ، نعم ، انظر الى معجم من المعجمات ، وتصور أنك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك أن في هذه الأوراق التي يبلغ عددها ألف ورقة عبقرية بلادنا وطبيعتها ، ليتصور ذهنك أن فيها أفكارنا وأفكار أجدادنا ، أفراحنا وأفراحهم ، أعمالنا وأعمالهم ، آلامنا وآلامهم ، ليخطر ببالك أن في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين نشقوا الهواء الصالح ، وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم ، ليخطر ببالك أن كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ، ليهجس في صدرك أن كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها » .

فاذا كان للألفاظ هذه المنزلة ، اذا كانت الألفاظ لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها ، أفلا يجدر بنا أن نعطيها مقامها في الكلام فلا نجعل لأفكارنا منها نصيباً أكثر من استحقاقها ، أو حظاً أقل من هذا الاستحقاق ؛ لقد كثر في أدبنا في القديم والحديث الغلوّ في التعبير فنحن نلبس المعاني لباساً أوسع

الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمخراق الذي بيد الملك سائق السحاب ولا يأتي على شيء الا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء …

فلينظر القارئ في المعاني المختلفة التي تدلّ عليها هذه المادة ومشتقاتها وحسب هذه المعاني أن يدخل فيها الموت أو العذاب أو نار السماء حتى نشعر بشدتها فاذا كان أحدنا يصعق أي يغشى عليه من أجل ارتجال كلمة لا تستغرق دقيقتين أو ثلاث دقائق وهو مدرّب على الارتجال فكيف تكون حالته اذا نزلت به نازلة من نوازل الدهر وأراد الافصاح عنها ، بأي لفظ يفصح عن هذه النازلة اذا أصيب بفقد عزيز أو بمرض عضال أو بضياع ماله أو اذا أصيب بوطنه أو بأمثال هذه الشدائد .

لا شك في أن اللغة في مثل هذه الحال تعجز عن هديه الى مادة من موادها يعرب بها عن فكره أو شعوره أو عاطفته فاذا كان أحدنا يعرب عن مفاجأة بسيطة بقوله : صعقت ، فبأي مادة يعرب عن هذه الأمور التي أتيت على ذكرها ، من هذا يتبين لنا أنا في كثير من الأحوال نعطي المعاني أكثر مما تستحق من الألفاظ ، وما هي نتيجة هذا العطاء ، من نتائجه أن الألفاظ تنخر وتبلى على مرّ السنين فلا يبقى لها أثر في الأذهان والقلوب وهذا ما يحمل بعض أكابر الشعراء والكتاب من عصر الى آخر على تحويل ألفاظ من معنى الى معنى حتى يجدوا فيها عوضاً عن الألفاظ النخرة البالية ، ولولا هذه التحويلات في اللغة لما وجد أحدنا سبيلاً الى التعبير عن فكر أو شعور بلفظ يصوّر هذا الفكر والشعور في حقيقة صورتيهما دون زيادة أو نقصان .

من أيام استأنفت التدريس في كلية الآداب وأذكر أني نقلت في فاتحة المحاضرات قول أحد العلماء : اليد ! اللغة ! هذه هي البشرية ، وقد فصّل هذا العالم رأيه بعض التفصيل فقال :

على أن هذا الكلام لا يصحّ اطلاقه فان اللغة العربية اذا كانت لغة شعرية فقد كانت أيضاً لغة فلسفة واجتماع ، وحسبنا أن نذكر ابن رشد وابن سينا والغزالي وابن خلدون حتى ندرك صواب هذا القول ، إلا ان اللغة الشعرية غالبة على تفكيرنا ولهذا يعجّل الذخر والبلى على ألفاظنا لأن هذه الألفاظ الشعرية نضعها في كثير من المواطن في غير مواضعها فيضعف تأثيرها على الأيام حتى تموت .

وكما يقضي تفكيرنا الشعري على طائفة من الألفاظ فقد يضعف كثيراً من أفكارنا ولا سيما اذا خاطبنا أمماً تختلف مقادير عقولها عن مقادير عقولنا فبدلاً من أن نعرض على هذه الأمم أفكارنا بسيطة مجردة فانا نلبسها في بعض الأحيان ملابس قد تكون ضيقة عنها أو واسعة عليها فنخرج بها عن طبيعتها ونجعلها أضحوكة ، ولو جاز لي أن أستشهد ببعض أقوال منسوبة الى طائفة من رجالات الشرق فيها غلو كثير ومبالغة كثيرة لأتيت على طائفة من هذه الأقوال الضخمة التي تضيع فيها الفكرة المخبوءة تحتها أو يضعف تأثيرها .

ولا يستنبطن أحد من قولي أني أهجم على لغة الشعر وانما أريد أن أجعل تناسباً بين لفظنا وتفكيرنا فلا يغلب لفظ شعري على فكر لا يستحق هذا اللفظ ولا يضعف لفظ شعري عن فكر يستحق مثل هذا اللفظ ، واذا رجعنا الى خطب رجالنا في صدر الاسلام ولا سيما خطب الصحابة وبعض القواد والعمال وجدنا تناسباً عظيماً بين تفكير أولئك الرجال العظماء وبين لغتهم ، فالبساطة غالبة على هذا التفكير وهذه اللغة ، ولا ريب في أن البساطة إنما هي عنوان القوة فقد كانوا أقوياء فلم يحتاجوا الى التغني بقوتهم وانما عرضوا قوتهم في حقائق معارضها دون شيء من الانتفاخ فعملت عملها في القلوب ولا يحتاج الى ضخم الألفاظ الا الذي يشعر بأن فكره ضعيف فهو يريد أن يستر ضعفه بصورة شعرية ولكنه في الحقيقة لا يستر هذا الضعف وانما يكشفه ويفضحه .

واذا كان لا بد لنا من لغة شعرية في تفكيرنا فلنجعل هذه اللغة مناسبة

منها فكأنا لا ندرك الفكرة ادراكاً واضحاً الا اذا انتفخت ولهذا نجد في كثير من أقوال رجالات الشرق في أيامنا هذه غلطاً من هذه الانتفاخات ، واذا كان لهذا النمط أثر فإن أثره الوحيد انما هو إضعاف الفكرة المخبوءة من وراء الألفاظ الضخمة بحيث لا يبقى لهذه الفكرة قيمة .

ونحن اذا قابلنا بين عقليتنا في هذا العصر وبين عقليات الأمم التي كانت عنايتها بالمادة أشد من عنايتها باللغة الشعرية وجدنا لهذه الأمم عقلية ميكانيكية ، معنى هذا أنها لا تؤمن الا بالأفكار المصورة على حقيقتها دون شيء من الضخامة ، فاذا صورنا لها هذه الأفكار في صورة أضخم من الأفكار نفسها فهي لا تفهم منها شيئاً ، ولهذا يقع كثير من سوء التفاهم بين عقلية الشرق وبين العقليات الممتدة من وراء البحار ، ولا شك في أن لتلك العقليات البعيدة عنا لغة شعرية مثلنا ولكن أصحابها يفرّقون في حياتهم العامة بين اللغة الشعرية وبين لغة الأمر الواقع ، أما نحن فلا نزال نقحم الصور الشعرية في كثير من مخاطباتنا أي في حياتنا العامة ، وهذا الاقحام يضعف افكارنا وقد تكون حقاً فنجعلها باطلاً .

واللجوء الى لغة الشعر في المخاطبات العامة من خصائص الشعوب السامية فبين هذه الشعوب وبين الشعوب الآرية اختلاف في تصوير الأفكار ، فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع أن يتجرّد من الصورة المادية التي تستره وتغطيه ولذلك فإننا نجد لغة التوراة لغة شعرية الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة فالذهن في الأمم السامية عنيد فانه يحتفظ بالصورة ويحرص على طابع الانفعال المادي ، أما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصوير الفكرة المجردة وادراكها ولعلنا نجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية لأن التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم بعيدون عن التجريد .

أبو سفيان

كان أبو سفيان، واسمه صخر بن حرب ، شيخ قريش وسيدها وكبير تجارها ، تفزع اليه في الملمات ، وتحتكم اليه في الخصومات ، وتودعه أموالها ، يتجر بها ويقاسمها شيئاً من ربحها ؛ وكانت عنده راية قريش [« العقاب » ، يخرجها اذا حميت الحرب ، ولكنه ما كره شيئاً مثل الحرب ، فقد كان محباً للسلم ، آية في الدهاء والحلم ، فإذا جاء ابنه معاوية داهيةً حليماً ، فقد أخذ الحلم عنه ، وتعلم الدهاء منه .

روى صاحب (الأغاني) ان عائشة (رضي الله عنها) بعثت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام الى معاوية ، في حجر وأصحابه ، فقدم عليه وقد قتلهم ، فقال له :

— أين غاب عنك حلم أبي سفيان ؟ !

وجاء في سيرة ابن هشام : « كان أبوسفيان رجلاً حليماً مُنْكَراً [(1)] ، يحب قومه حباً شديداً » .

وقيل لأبي سفيان : ما بلغ بك من الشرف ما ترى ؟

قال : ما خاصمت رجلاً ، إلا جعلت بيني وبينه للصلح موضعاً !

وقال معاوية : « لو ولد أبو سفيان الناس ، لولدهم كلهم أكياساً » !

هذه أقوال تشهد ، كلها ، لأبي سفيان بالحلم والعقل ، ولكنا لا نكتفي بها ، فهناك ما هو أقوى في الشهادة له من الأقوال : الأعمال والمواقف التاريخية !

---

(1) رجل مُنكَر : أي داهٍ فطِن .

لما نصوره من الأفكار على الأقل ، فاذا استعملنا لفظاً شعرياً فلنستعمله في المقام المناسب له حتى يعمل عمله في القلوب وحتى لا يضعف أثره فينقلب سخرية .

وأظن أن كلام الله وحده هو خير مثل لذلك، فان الله عزّ وجل اذا قال : اذا زلزلت الأرض زلزالها ، فأي شيء أشد من هذه الحركة ، ولا ريب في أن هذه الحركة تستوجب لفظاً يستطيع أن يصورها على حقيقتها ، وليس في اللغة على ما أظن لفظ أشد مناسبةً من هذا اللفظ : الزلزال ولذلك كان لهذه الصورة الشعرية عمل في القلوب ، وليتصور الانسان كيف يضعف تأثير هذا اللفظ العظيم اذا استعمله الانسان في موطن ضعيف الدلالة على فكرة ضعيفة كفكرة اضطراب ورد أو ياسمين ، فاذا قلنا : اذا زلزل الورد أو الياسمين ، فكيف تكون نتيجة هذا اللفظ .

اني لا أكتب مقالاً في البلاغة ، وإنما خلاصة ما ذهبت اليه في هذا المقال انا كثيراً ما نضعف تفكيرنا وشعورنا بلغتنا الشعرية لأنّا نضع هذه اللغة في غير مواضعها ، ففي كثير من المقامات يلزمنا أن نعرض أفكارنا في حقائق معارضها ، حتى تكون القوة من قوتها نفسها لا من قوة ألفاظها الزائفة ، واذا احتجنا الى اللغة الشعرية فليكن شيء من التناسب بين الصورة وبين اللون الذي نلوّن به هذه الصورة ، وبعبارة أوضح فلنكن أقرب من الحياة الواقعة ، فقد طال إمعاننا في البعد عن هذه الحياة .

شفيق جبري

كما فعل غيره من كبار قريش ، وكان أقصى ما يطلبه من الرسول أن يكف عن عيب آلهة قريش ، بل يذهب بعض المؤرخين الى أبعد من ذلك ، فيقولون إن أبا سفيان كان يحمي الرسول ، وأن الرسول حين فتح مكة وقال : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » إنما وفّاه دينه ، فقد كان الرسول يدخل دار أبي سفيان بمكة فيأمن !

لم يخاصم أبو سفيان الرسول « أصالة » — وأستعمل هنا لغة المحاماة ! — وإنما خاصمه « نيابة » عن قريش ، وكان النزاع الأول بينهما ، بعد الهجرة ، حين عاد أبو سفيان من الشام بتجارة عريضة ، ومعه سبعون تاجراً من قبائل قريش كلها ، فتعرض لهم الرسول (ﷺ) فأرسل أبو سفيان الى مكة يطلب النجدة ، فخرج لنجدته وجوه قريش يقودهم عتبة بن أبي ربيعة ؛ وتوزع كبار قريش بين ابي سفيان ، صاحب العير — أي التجارة — وبين عتبة ، صاحب النفير — أي النجدة — ولم يتباطأ عنهما إلا بنو زهرة ، فقد آثروا القعود ، فقال فيهم أبو سفيان كلمته المشهورة : (لا في العير ولا في النفير) ! فذهبت مثلاً ، يقال للرجل الذي لا يرى — أو لا يستحق أن يرى — في مقام محمود ، لصغر قدره وحقارة أمره .

طلب أبو سفيان النجدة ، لا ليحارب ، ولكن ليحمي عيره ، فلما كتبت لها النجاة ، أرسل الى القرشيين يقول لهم : « إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا » . فقال أبو جهل : والله لا نرجع ! وتابعه القرشيون ، وأصروا على قتال الرسول (ﷺ) وأصحابه ، فكانت معركة (بدر) ، التي قتل فيها عتبة بن ابي ربيعة ، أبو هند ، زوجة ابي سفيان ، وعمها شيبة ، واخوها الوليد ، وابنها البكر حنظلة بن ابي سفيان ، أما ابو سفيان فلم يشهد هذه المعركة ، لأنه عاد بعير قريش وتجارتها الى مكة ، من قبل أن يلتقي الجمعان ، وفي مكة .. اخبروه بالمصائب التي حلت به وبقومه في (بدر) ، ولم تكن هذه المعركة برأيه ومشورته ، ولكنه كان مطالباً بالثأر ممن شهدوها وقتلوا فيها ،

قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر ـ وكانت بنت أبي أزيهر زوجة لأبي سفيان وأم ابنه يزيد ـ فجمع يزيد بني عبد مناف والمطيبين وندبهم للثأر والقتال ، فاستجابوا له ، فلما بلغ أبا سفيان الخبر ، وكان بسوق ذوي المجاز (انحط سريعاً الى مكة ، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديد في قومه من بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ، ثم قال له : « قبحك الله ! أتريد أن تضرب قريشاً بعضها ببعض في رجل من دوس ؟ سنؤتيهم العقل إن قبلوه ! » ، وأطفأ ذلك الأمر) .

... ولما خرجت زينب (رضي الله عنها) بنت الرسول (ﷺ) من مكة ، تقصد أباها ، خرج معها حموها كنانة بن الربيع يحميها ، وكان يدفع عنها الناس بسهامه ، (فجاءه ابو سفيان في جلة من قريش ، فقال :

— أيها الرجل ، كف عنا نبلك وسهامك !

فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال :

— إنك لم تصب ! خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانيـة وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس اذا أخرجت ابنته اليه علانية على رؤوس الناس ومن بين أظهرنا أن ذلك على ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا في ذلك من ثؤرة ، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسلّها سراً وألحقها بأبيها !) .

وهكذا كان ... فقد استجاب كنانة لنصح أبي سفيان ، وعاد بزينب فأقامت بمكة ليالي ، حتى اذا هدأت الأصوات ، خرج بها ، آمناً مطمئناً ، ليس بينه وبين أحد شر !

ومن يتتبع مواقف أبي سفيان مع الرسول (ﷺ) يلمح من خلالها كلها ميله الشديد الى السلم ، فهو لم يعتد على الرسول (ﷺ) ولم يسفه دينه ،

وهكذا ... أطفأ أبو سفيان النار التي كانت تشتعل في قلبه .. فلم تكن غايته أن يبيد المسلمين ، وإنما كانت غايته أن يسجل « إصابة » ثأر .. ، على نحو ما يفعل اللاعبون في هذا الزمان ، حين ينهزمون في « إصابة » أو « هدف » فلا يستريحون حتى ينالوا « إصابة » مثلها ، فيساووا خصومهم ويمحوا عار الهزيمة .

كانت بعد ذلك بين الرسول (ﷺ) وبين أبي سفيان معارك ، أو ما تسميه كتب التاريخ معارك وغزوات ، ولكن أبا سفيان ، فيما نرى ، لم يكن يطلب القتال ، وإنما كان يستجيب لرغبات قريش فيخرج بها ، ولكنه لا يلبث حتى ينصح لها بالعودة !

... خرج الى ناحية الظهران ، أو عسفان ، ثم بدا له في الرجوع ، فقال :

(يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل !) .

... ثم كان مسير الرسول (ﷺ) الى مكة . فظهر هنا دهاء أبي سفيان وحبه الشديد لقومه ، فقد عرف أنهم أعجز من أن يصمدوا للمسلمين ، لأن المعارك السابقة علمته أن أهل مكة ليسوا رجال حرب [1] ، وأنه لا خير في مكة إن بقيت جزيرة في بحر من الأعداء يغمرها من كل جانب ، فذهب الى محمد (ﷺ) يصالحه ويأمن لقومه منه . وكان محمد (ﷺ) قد تزوج أم حبيبة ، بنت أبي سفيان ، بعد عودتها من هجرتها الى الحبشة ، وهي مسلمة ،

---

(١) وقد روي في سيرة ابن هشام ان الرسول ﷺ ارتحل ، بعد معركة بدر (حتى اذ كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله لا لقينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعلقة فنحرناها ! فتبسم الرسول ﷺ ثم قال : أي ابن اخي ! أولئك الملأ) — اي الأشراف والرؤساء .

وفيهم ابنه وأقرب الناس اليه ، هذا الى أن عتبة ، الذي كان سيداً في قريش مثله ، قد حمله ، بعد موته ، عبء زعامته ودمه .

نذر ابو سفيان ألا يمس رأسه حتى يغزو محمداً ، و (خرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه) ، وقال : (وهو يتجهز خارجاً من مكة الى المدينة ، يحرض قريشاً) :

كروا على يثرب وجمعهم فإن ما جمعوا لكم نفل
إن يك يوم القليب كان لهم فإن ما بعده لكم دول
آليت لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيدوا قبائل الأوس والـــخزرج إن الفؤاد مشتعل

وكانت تلك غضبته ... في الشعر .. ولكنه ، فيما يحدثنا الرواة ، اكتفى من غزوته بالإغارة على ناحية من المدينة يقال لها (العريض) ، حرق نخلاً فيها وقتل رجلاً من الأنصار وحليفاً له ، ثم رجع وصحابه ! .. لم تشف هذه الغارة الهزيلة غليل قريش ، فذهبت الى أبي سفيان ، تسأله أن يجهز بمالها الذي جاء به من الشام حملة رهيبة ، ينتقم بها من المسلمين لأشراف قريش الذين قتلوا في بدر ، ففعل ، والتقى المسلمون والمشركون مرة أخرى في (أحد) ، فكانت الغلبة غير حاسمة للمشركين ، وقتل من المسلمين رجل يسمى «حنظلة بن الراهب» فقال أبو سفيان : حنظلة بحنظلة ! أي أنه اخذ ثأر ابنه حنظلة .. وقال أيضاً : يوم بيوم بدر ! معلناً بذلك انتهاء المعركة ! .. ثم مرّ بأصحاب الرسول (ﷺ) فقال لعمر بن الخطاب : (أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ! وإنه ليسمع كلامك الآن ! فقال : أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر . «لقول ابن أبي قميئة لهم إني قتلت محمداً» ، ثم نادى أبو سفيان فقال : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله ما رضيت ، ولا سخطت ، ولا نهيت ، ولا أمرت !) .

— انك لكريم ، فداك أبي وأمي ، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت ، ثم سالمتك فنعم المسالم أنت ، جزاك الله خيراً .

سواء أصحت هذه الرواية أم لم تصح ، فنحن لا نستغرب صدورها عن أبي سفيان ، فقد كان تاجراً ، محباً للمال ، وقد ذهبت بعد الإسلام زعامته وتجارته ، فان طمع بشيء من المال يحفظ به مكانته في قومه ، لم يكن ذلك كبيراً عليه ؛ وكان الرسول يوقره ، قيل إنه استأذن مرة على الرسول (فحجب قليلاً ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهمتين ـ قال أبو عبيدة : الصواب الجلهتين وهما جانبا الوادي ـ فقال (ﷺ) : يا أبا سفيان أنت ، كما قيل : كل الصيد في جوف الفراء . يتألفه على الاسلام . قال ابو العباس : معناه اذا حجبت قنع كل محجوب ، يضرب لمن يفضل على أقرانه)[1] .

وبعد .. قد يكون ابو سفيان من المؤلفة قلوبهم ، ولكنه ، بعد أن أسلم ، حسن اسلامه ؛ وشارك في بعض غزوات الرسول ، وفقد احدى عينيه ، ثم فقد عينه الأخرى في موقعة اليرموك ، وتدلنا أقواله في واقعة اليرموك على صدق اسلامه ، وشجاعته ، وصبره ، ثم نحن نستدل منها على شيء آخر ، وهو أن روحه المسالمة حين يحارب العرب ، تنقلب الى روح مقاتلة ، عنيفة ، حين يقف أمام الروم ، فقد كان يشعر أنه يقاتل عن العرب والاسلام ، لا عن الإسلام وحده ، ولذلك روى لنا (الطبري) أن ابا سفيان كان يسير فيقف على الكراديس ، فيقول : الله الله ، إنكم ذادة العرب وأركان الاسلام ، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك .

أما عاطفته القبلية أو عصبيته فما نظن الاسلام نزعها من نفسه ، روى لنا الجاحظ في كتابه « المحاسن والأضداد » أن عمر بن الخطاب سمع ، وهو خليفة ،

---

(١) الأمثال للميداني ، الجزء ٢ .

فكان هذا الزواج مما يطمع أبا سفيان بصداقة محمد (ﷺ) وعفوه . ويقال إن العباس ، عم الرسول ، وكان صاحب أبي سفيان ونديمه في الجاهلية ، هو الذي ذهب به الى الرسول ، فأسلم بين يديه ، وجعل له الرسول شرفاً وذكراً في قومه ، فقال :

«من دخل دار أبي سفيان ، فهو آمن » !

فقال أبو سفيان : «يا رسول الله ، وما تسع داري ؟ »

فقال : «من دخل الكعبة ، فهو آمن» .

قال : وما تسع الكعبة ؟

قال : من دخل المسجد فهو آمن !

قال : وما يسع المسجد ؟

قال : من أغلق عليه بابه ، فهو آمن !

قال : هذه واسعة !

كذلك أمن أبو سفيان لأهل مكة ! ثم رجع الى قومه ، يحذرهم من حرب الرسول ، لقوته وضعفهم ، فدخل الرسول مكة بغير قتال ، وأخذ أهلها يدخلون في الإسلام أفواجاً .

أسلم أبو سفيان وهو في الرابعة والستين من عمره ، وعاش مسلماً أربعاً وعشرين سنة ، فقد مات سنة ٣٢ للهجرة فلم يدرك خلافة ابنه معاوية ، وقد عده كثير من المؤرخين في المؤلفة قلوبهم ، لأن الرسول أعطاه من غنائم حنين ، بل يروى ان أبا سفيان جاء الرسول وقد جمعت غنائم حنين أمامه ، فقال :

— يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً !

فتبسم الرسول لقوله ، فقال :

— أعطني من هذا المال يا رسول الله .

فأعطاه أربعين أوقية ومئة من الابل . ثم قال : ابني يزيد أعطه ! فأعطاه مثلها . ثم قال : ابني معاوية أعطه ، فأعطاه مثلها ، فقال ابو سفيان :

ابو الطيّب اللغويّ الحلبي

(— ٣٥١هـ = ٩٨٢م)

هو عبد الواحد بن عليّ المعروف بأبي الطيب اللغوي العسكري الحلبي من عسكر مكْرَم قدم حلب وأقام بها الى أن قتله الروم وأباه في دخول الدمستق حلب سنة ٣٥١ هـ ، وبذلك ضاع أكثر مؤلفاته المتعة ، ولعل ما بقي منها الى اليوم كان منسوخًا وموزّعًا في الأقطار الاسلامية قبل استشهاده ، يؤيده قول أبي العلاء المعرّي في غفرانه [١] بعد أن ذكر كتبه : «ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب» .

دراسته الأولى

ليس لدينا مصادر تبين حقيقة دراسته الأولى والظاهر أنه تعلم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم في موطنه الأول عسكر مكرم وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب في صدر الاسلام ونسب الى مكرم بن معزاء بن الحارث صاحب الحجاج بن يوسف ، وما زال العمران يتزايد فيه حتى أصبح مدينة زاهرة بحضارتها وعلمائها ، قال ياقوت في معجمه [٢] : وقد نسب اليها قوم من أهل العلم منهم العسكريان ابو احمد الحسن بن عبد الله ... اللغوي العلامة أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري . ثم رحل عن بلده عسكر مكرم الى حلب ، وهي يومئذ زاخرة بالعلم والأدب ،

---

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ٥١٣ .
(٢) ١٧٦/٦ مطبعة السعادة .

صوتاً ولغطاً بالباب ، فقال لبعض من عنده : اخرج فانظر من كانت من المهاجرين الأولين فأدخله . فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فأدخلهم ، وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب ، فقال أبو سفيان : يامعشر قريش ، أنتم صناديد العرب وأشرافها وفرسانها بالباب ، ويدخل حبشي وفارسي ورومي ! فقال سهيل : ياأبا سفيان أنفسكم فلوموا ، ولا تذموا أمير المؤمنين ، دعي القوم فأجابوا ودعيتم فأبيتم ، وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً !

فقال ابو سفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شريفاً .

الدكتور منير العجلاني

وقال ابوالطيب : فقصد هذا القصد بعض الشعراء فيما أنشده ثعلب ولم يذكر قائلاً [١] ، ومطلع قصيدته الخالية :

أتعرف أطلالاً شجونك بالخالِ وعيش زمان كان في العصر الخالي

ثم قال ابو الطيب : ولما ظننا ان من سمع هذه الأبيات ربما خال صاحبها قد زاد على الخليل بن احمد ، وانه لما تعرض لشيء تقصاه رأينا أن نبين أنه بخلاف هذه الصورة ، وانه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل اكثر مما أورد ، وقد بقي عليه من هذه القوافي ما نحن ناظمون أبياتاً ومعتذرون من تقصيرنا فيه ، اذ المراد ايراد القوافي دون التعمد لنقد الشعر وعدد الأبيات (١٤) ومطلعها :

ألمّ بربع الدار بان أنيسه على رغم أنف اللهو قفراً بذي الخالِ

ومقطعها :

«وان زعموا أني تخليت بعدها فما أنا عنها بالخليّ ولا الخالي [٢] »

وذكر محمد بن حسن الحاتمي في كتاب المباجة أنه كان يوزن في مجلس سيف الدولة بابي علي الفارسي فارس العربية ، وبأبي عبد الله بن خالويه ، وكان له السهم الفائز في علوم العربية ، وبأبي الطيب اللغوي ، وكان حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً ! »

قال أبو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي ابو عمر كنت أعلق اللغة عن ثعلب .

مصنفات أبي الطيب

قال ابو العلاء المعري في ترجمة ابي الطيب في الغفران ، والظن الغالب ان جميع من ترجم له كالمجد الفيروزبادي في (البلغة في طبقات أئمة اللغة) والجلال

---

(١) انظر اعلام النبلاء ٤/٣٦ . فقد اورد في هذه الخالية ١٢ بيتاً فيها بعض التحريف .

(٢) وأورد ابن شاكر الدمشقي في عيون التواريخ ، وهو من مخطوطات الاحمدية بحلب ، هذه القصيدة وما قبلها ، وخالية اخرى لعبد الله بن محمد العروضي في ٢٩ بيتاً ، ولبطرس كرامة الحمصي من المتأخرين خالية تقع في ٢٥ بيتاً مضمومة الرويّ .

ونحو ذلك ، يعني أنه 'يمتنه » . أي يمتحن أبا الطيب اللغوي بالسؤال عن الغريب ، وهذا الحديث يدل على بدء التعارف بين الشيخين ، وعلى ما كان بينهما من الإعنات والجفاء ، والمتعصر لأبي الطيب يقول ان ابن خالويه كان يستظهر ألفاظاً من الغريب الوحشيّ ليهاجم بها في المآزق خصومه ، وهم على غير أهبة ، وقد يكون خصومه أكثر استظهاراً لغرائب اللغة في تلك الساعة منه ؛ على أن ابا الطيب كان على رأي الحاتمي الذي سنذكره حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً .

وقال ابو العلاء : « وقد كان ابو الطيب يتعاطى شيئاً من النظم » قال ذلك بعد أن ذكر ما كان بينه وبين ابي العباس بن الكاتب البكتمري [1] من المودة والمؤانسة ، وأورد له شعراً في التشوق اليه أوله :

يا « عبدُ » انك عند القلب 'جنته حباً ، وانك عند الطرف ناظرُه

يريد « يا عبد الواحد » ، ولا ندري بماذا أجابه عبد الواحد ، ومما يدل على تعاطي أبي الطيب للشعر وعلى شدة غيرته على اللغة ، وعلى اتصال سنده بالخليل الفراهيديّ قوله : « أخبرني محمد بن يحيى (الصولي) قال : أنشدني عمر بن عبد الله العتكي ، قال : أنشدني ابو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الهرمازي للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها » . قال أبو الطيب : « أراد بهذا أن يبين ان تكرار القوافي ليس بضار ، اذا لم يكن بمعنى واحد ، وليس بإيطاء ، والأبيات هي :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى اذ رحل الجيران عند الغروب [2]
أتبعتهم طرفي ، وقد أزمعوا ودمع عينيّ كفيض الغروب [3]
كانوا ، وفيهم طفلة حرّة تفترّ عن مثل أقاحي الغروب [4]

---

(١) وفي اليتيمة : ابو الفتح البكتمري ويعرف بابن الكاتب الشامي من شعراء آل حمدان ، ونقل له شعراً يحاكي هذا الشعر برقته وروحه .
(٢) غروب الشمس .
(٣) جمع غرب وهو الدلو العظيمة المملوءة .
(٤) جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة .

في أيدي البغداديين ، وكانوا مولعين بحفظ لغتهم العربية بألواحهم ، فقد حفظوا أتباع ابي الطيب كما حفظوا فصيح ثعلب واصلاح المنطق من قبل .

ولأبي الطيب كتاب (شجر الدر) وهو من النوع المعروف بالمشجّر ، وقد ذكره المعري انه « سلك به مسلك أبي عمر في « المداخل » ، وأبو عمر هذا المعروف بغلام ثعلب ، كان من حفاظ اللغة وأئمتها ، وكتابه (المداخَل) قد نشره عالم الهند الأستاذ الراجكوتي في مجلة مجمعنا العلمي [1] باسم (المداخلات) ، قال السيوطي في مزهره : « ألف في هذا النوع جماعة من أئمة اللغة كتباً سموها : (شجر الدر) منها شجر الدر لأبي الطيب اللغوي » . قال في كتابه المذكور : « هذا كتاب مداخلة الكلام للمعاني المختلفة سميناه كتاب (شجر الدر) : لأنا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، وجعلنا لها فروعاً ، فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمة واحدة ، وكل فرع عشر كلمات ، إلا شجرة ختمنا بها الكتاب عدد كلماتها ٥٠٠ كلمة أصلها كلمة واحدة ، وإنما سمينا الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض أي تداخله ، وكل شيء تداخل بعضه في بعض فقد تشاجر ، فهذا الوجه الذي ذهبنا اليه » .

أما كتاب (الفرق) الذي ذكر المعري ان أبا الطيب قد أكثر فيه وأسهب ، فقد ذكره السيوطي في المزهر [2] باسم الفروق ونقل منه أمثلة مفيدة ننقل منها المثال التالي :

« يده من اللحم غَمِرة وندلة ، ومن اللبن وضِرة ، ومن السمك والحديد أيضاً سهكة ، ومن البيض ولحم الطير زهمة ، ومن العسل لثقة ، ومن الجبن نمسة ، ومن الودك ودكة ، ومن النقس طرسه ، ومن الدهن والسمن نسمة ، ومن الخل خمطة ، ومن الماء لثثة ، ومن الخضاب ردعة ، ومن الطين ردغة ،

(١) ط دار الاحياء ١/٤٤٥ .
(٢) المزهر ١/٤٤٧ .

السيوطي في (بغية الوعاة) قد اعتمدوا على ابي العلاء الذي يقول[١] : « له كتاب في (الاتباع) صغير ، على حروف المعجم ، في أيدي البغداديين ، وله كتاب يعرف بكتاب (الابدال) قد نحا به نحو كتاب يعقوب في (القلب) ، وكتاب يعرف (بشجر الدرّ) سلك به مسلك أبي عمر (الزاهد) في المداخل ، وكتاب في (الفرق) قد أكثر فيه وأسهب ... » .

وقد لا يخلو من فائدة شرح هذه الكتب التي سماها ابو العلاء تباعاً ، وقد أغفل ذكر بعض مصنفاته منها كتاب (مراتب النحويين) أو اللغويين ، وهو جزء لطيف في طبقات النحاة يوجد في بعض مكاتب الأستانة ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون[٢] وسماه (مراتب النحاة) ، ومنه بدار الكتب المصرية نسخة في الخزانة التيمورية[٣] ، كما أغفل أبو العلاء كتابه (المثنّى) ولم يذكره صاحب البغية أيضاً ، وهو مخطوط عندي ، ولله الحمد ، في خمس وعشرين صفحة كبيرة ، وسأنشره محققاً بعد نشري لكتابه (الابدال) الذي حققته ، وقرر المجمع العلمي العربي نشره ، ولعله أجل كتب أبي الطيب اللغوي ، وأوسع ما ألف في الابدال بعد يعقوب بن السكيت الذي نشر إبداله هفنر ببيروت ونفدت نسخه من بلادنا العربية ، وكأنما طبع للمستشرقين .

وأما كتابه (الاتباع) فهو في المزاوجة نحو حسن بسن ، قال السيوطي في مزهره[٤] : وقد ألف ابن فارس تأليفاً مستقلاً في هذا النوع ، وقد رأيته مرتباً على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره ، وقد اختصرت تأليفه ، وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سميته : (الالماع في الاتباع) ؛ أقول : واتباع ابي الطيب أيضاً مرتب على حروف المعجم ، وكان على ما ذكره المعري

---

(١) ص ٥١٢ .
(٢) في الطبعة الجديدة ١٦٠/١ .
(٣) برقم ١٤٢٥ تاريخ .
(٤) ٤٤٩/١ - ٤٦٠ .

فقد تكلم أبو الطيب عنه في المثنى في تسع عشر صفحة كبيرة وسننشره إن أعان الله ، وما أدري أكتاب (الاتباع) مما ألفه أبو الطيب مستقلاً أم هو ما اشتمل عليه المثنى ، وبحث في (المثنى) كما في المزهر يعقوب بن السكيت ، وللمحبي من المتأخرين كتاب (جنى الجنتين) ، وبحث عنه من المعاصرين أحمد تيمور [١] وسليم عنحوري [٢] في مجلة مجمعنا العلمي .

وقد يتبادر الى الذهن ان اسم المثنى ليس من تسمية أبي الطيب ، وفي مقدمة المثنى ما يثبت ان الاسم له لقوله : «ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ما ورد من كلام العرب (مثنى) في الاستعمال تثنية لازمة» وجمعها في عشرة أصناف ، تسعة منها من التغليب ، والعاشر في الأفعال المثناة وهو صنفان : أحدهما الفعل المبني على صيغة التثنية ، والمراد به تكرير الفعل ، والثاني الفعل يجيء لفظه لاثنين ومعناه لواحد .

أما كتاب (الابدال) ، وهو أجل كتب أبي الطيب ، الذي قرر المجمع العلمي العربي نشره ، فموعدنا في وصفه العدد المقبل ان شاء الله .

التنوخي

---

(١) مجلة المجمع العلمي (١٤٧/٤/٤) .
(٢) مجلة المجمع (٢٤/٤) .

ومن العجين لوثة ، ومن الدقيق نثرة ، ومن الرطب والتمر حمتة ، ومن الزيت وصنة ، ومن السويق والبزر رغفة ، ومن النجاسة نجسة ، ومن الأشنان حرضة ، ومن البقل زهمة ، ومن القار حلكة ، ومن الفرصاد قنئة ، ومن الرطاب مصمة ، ومن البطيخ نضخة ، ومن الذهب والفضة قشمة ، ومن الكامخ شهرة ، ومن الكافور سطمة ، ومن الدم شحطة ، ومن التراب تربة ، ومن الرماد رمدة ، ومن الصحناء صحنة ، ومن الخمط مسسة ، ومن الخبز خبزة ، ومن المسك ذفرة ، ومن غيره من الطيب عطرة ، ومن الشراب خمرة ، ومن الروائح الطيبة أرجة » .

ونقل أكثر هذه الفروق أبو القاسم الحسين بن علي من خط أبي العباس احمد ابن يحيى ثعلب ، وأخذ بعضه عن أبي اسامة جنادة اللغوي ، وهنالك فروق أخرى مما توصف به اليد عند لمسها كل صنف من الملموسات رواها ابن خالويه والفراء والزجاجي وغيره ، فهل في لغات أمم العالم لغة أدق وأوسع من هذه اللغة العربية ، ومن يقوى على مثل هذا التفريق والتدقيق ، ونحن في عصر الناس هذا أحوج ما نكون اليها في تسمية المسميات العلمية الحديثة !

ومما أغفله ابو العلاء المعري من كتب ابي الطيب كتاب (الأضداد) وقد ذكره الزبيدي في مقدمة تاج العروس ، ولم يذكر صاحب المزهر أبا الطيب اللغوي بين من ألفوا في الأضداد وهم قطرب والتوزي وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو البركات بن الأنباري وابن الدهان والصغاني ، ولا حاجة بنا لنقل مثال من الأضداد مما أورده السيوطي فالمقصود بها معروف ، ولا نحتاج في عصرنا هذا العلمي الى الأضداد ، وقد أنكرها جماعة منهم ابن درستويه وله في ذلك تأليف أشار المزهر اليه ، وقد ذكر بروكلمن أيضاً كتاب (الأضداد) لأبي الطيب في الجزء الأول من ذيول تاريخه للأدب العربي (G. A. L) .

ومما أغفلوه من مصنفاته كتاب (المثنى) ، وهو عندي ولله الحمد لطيف يشتمل على نوعين الاتباع والتغليب : أما الاتباع فقد ذكرناه ، وأما التغليب

ساعد غيل [١] :

الأقيشر — تصغير أقشر وهو الذي تشتد حمرته حتى يتقشر [٢] .

(١) ومن معاني الغيل الغلام السمين العظيم . وغيلان اسم ذي الرمة . ورجل كان بينه وبين قوم ذحول لخاف ان لا يسالمهم حتى يدخل عينيه التراب أي يموت فرهقوه يوماً وهو على غِرة فأيقن بالشر فجعل يذر التراب على عينيه . ويقول : تحلّل يا غيل أي يا غيلان يريهم أنه يصالحهم وانه قد تحلل عن يمينه فلم يقبلوا وقتلوه . وأم غيلان شجر السَمُر (عن القاموس) وفي المصباح . . وفي حديث . ما سقي بالغيل ففيه العشر وأم غيلان بالفتح ضرب من العضاه وبها سمي ومنه غيلان بن سلمة الثقفي وكان من حكام قيس في الجاهلية وأسلم وتحته عشر نسوة . وقيل : ثمان . فخيره النبي (ﷺ) فاختار أربعة منهن .

(٢) أقيشر تصغير اقشر وهو ما انقشر لحاؤه . ومن ينقشر أنفه من الحر . والشديد الحمرة . وبه مصغراً لقب المغيرة الشاعر . وجد أسامة بن عمير الصحابي (عن القاموس) وفي الأساس في مجاز (قشر) خرج في قشرتين نظيفتين في ثوبين . وعليه قشر حسن . ورجل ذو رداء وقشر . وجارية بضة القشر والقشرة وهو البشرة ورجل مقشّر عريان . وجاء بالجواب المقشر . وهو أشقر أقشر شديد الحمرة كأنما قشر جلده . وأنت ترى ان ما جاء في الأصل هو مجاز . وحقيقته على ما في الأساس يقال : لوز مقشور ومقشر . وهذه قشارته . وثوب رقيق كقشر الحية كسلخها وحية قشراء . وشجرة قشراء . وفلان يتفكه بالمقشر أي بالفستق المقشور اسم غالب عليه .

أما الأقيشر فني الشعر والشعراء لابن قتيبة هو المغيرة بن الأسود بن وهب أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة . وكان يغضب اذا قيل له أقيشر فمر يوماً بقوم من بني عبس . فقال رجل منهم : يا أقيشر فسكت ساعة ثم قال :

أتدعوني الأقيشر ذاك اسمي وأدعوك ابن مطفئة السراج

تناجي خدنها بالليـل سراً ورب الناس يعلم ما تناجي —

عيلان — اشتق من الفقر • واشتق من التبختر والعيلة التبختر • يقال للرجل اذا مر يتبختر : انه لعيّال [١] •

غيلان — يصلح أن يكون اشتق من الغيل والغيل الماء يجري على وجه الأرض • قال ساعدة :

كذوائب الحفأ الرطيب غطا به غِيل ومدّ بجانبيه الطحلبُ

الحفأ البَردِيّ • والرطيب الناعم الريان • قال : والغطو الارتفاع • يقال : غطا الماء يغطو اذا ارتفع وعلا • والطحلب الخضرة التي تكون في الماء • والعرمض الخضرة الخالصة على الماء • ويصلح أن يكون الغيلان من الغيل وهو شجر ملتف ليس بذي شوك كالقصب والبردي والحلفاء • ويكون من الغيل • والغيل ابن المرأة الحامل يشربه ولدها • وأظنه اذا كان زوجها يغشاها وان لم تكن حاملاً • والغيل الذراع اذا امتلأت من اللحم وحسنت • قيل :

---

(١) القاموس : عال يعيل عيلاً وعيلة وعيولاً ومعيلاً افتقر فهو عائل جمعه عالة وعُيَّل وعيلى كسكرى والاسم العيلة • والُمعيلُ الأسد والنمر والذئب لأنه يعيل صيداً أي يلتمس ؛ وعالني الشيء عِيلاً ومَعيلاً أعوزني وعال في مشيه تمايَل واختال وتبختر • والعيلان الذكر من الضباع • وبلا لام أبو قيس أو الصواب قيس عيلان مضافاً وليس له سميٌّ وهو في الاصل اسم فرسه •

هذا ولقيس عيلان بطون متفرعة منه ذكرها النسابون ومنهم ابن قتيبة في معارفه •

اذا دفعت كعب صدور مطينا دفعنا وكنا نحن خير الاحامس [١]

(١) الضراء الاستخفاء . والشجر الملتف في الوادي . ومعنى ادّراني ختلني . والحمس الشجاع كالأحمس والحميس . ولز ألزم . وقول الراجز : كم قد قطعنا الخ جاء في تهذيب الألفاظ هكذا :

وكم قطعنا من قفاف حمس غبر الرعان ورمال دهس

حتى احتضرنا بعد سير حدس أمام رغس في نصاب رغس

القفاف جمع قف وهو غلظ من الأرض . والحمس الشداد الواحد أحمس . والرعان أنوف الجبال والواحد رعن . ويقال حدس في الأرض اذا ذهب . وقيل الحدْس أن يرمي بنفسه في السير بغير هداية . والنصاب الأصل . ورغس مبارك .

الأساس : رجل أحمس من رجال حمس . وحمس بين الحماسة . وقد حمس . وهم أهل السماحة والحماسة . وهو رجل من الحمس وهم قريش لتحمسهم في دينهم وهو تصلبهم .

المعارف : لابن قتيبة . . (الحمس) هم قريش ومن دان بدينهم من كنانة . وانما التحمس التشدد في الدين وكانوا لا يستظلّون أيام منى . ولا يسلؤون السمن ولا يدخلون البيوت من أبوابها . ويقفون بالمشعر . ولا يأتون عرفة ولا يلتقطون الجلة اﻫ . وقال الزبير بن عبد المطلب وكان من رجالات قريش في الجاهلية :

ولولا الحمس لم تلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

قال ابن قتيبة : والحمس كنانة وقريش . ومعنى شيار في بيت عمرو بن معدي كرب سمان حسان .

حميس — اشتق من الحمس . والحمس شدة الغضب والحرب يقال : رجل أحمس اذا اشتد غضبه واشتد قتاله وقال رجل من بني سعد :

ولا أمشي الضراء اذا ادَّراني ومثلي لزَّ بالحمس الرئيس

ويصلح أن يكون حميس تصغير أحمس . والأحمس يكون على معنيين ، أحدهما الغليظ الشديد . قال الراجز [1] :

كم قد قطعنا من قفافٍ حُمس

والآخر أحمس . واحد الحمس . والحمس قريش ومن ولدت قريش وحلفاؤها . ويقال للرجل منهم : أحمس وقال عمرو بن معدي كرب :

أحباس [2] لو كانت شياراً جيادنا تأليت ما ناصبت بعدي الاحامسا

يعني بالاحامس بني عامر لأن قريشاً ولدتهم . قال رجل من بني قشير

— فسمي الرجل ابن مطفئة السراج . وولده ينسبون الى اليوم هذا وله أبيات في هجاء مطر بن ناجية اليربوعي حين غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري ومطر على المنبر يخطب فبلغ هجاؤه جريراً فأتى بني أسد فقال : انه والله لولا الرحم ما اجترأ عليَّ خليفكم فاستكفوه وأخذوا الاُقيشر فضربوه ودس اليه جرير رجلاً وقال له : اذهب فقل : إني جئت لأهجو قومك وتهجو قومي فصار اليه . فقال له : من أنت ؟ قال : من بني تميم فقال :

فلا أسداً نسبُّ ولا تميما وكيف يحل سبُّ الاُكرمينا

ولكن التقارض حلَّ بيني وبينك يابن مضرطة العجينا (ا)

فسمي الرجل ابن مضرطة العجين .

(١) هو العجاجُ (المجمع) .

(٢) صواب الرواية : أعبْاس . ومعنى (شياراً) حساناً ؛ وقوله (تأليت) صوابه (بتثليث) وهو اسم موضع (المجمع).

المجيم — تصغير المجم • والهجم وقوع الشيء • يقال : هجم القوم بيتهم اذا هدموه •• قال علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم

أخبرنا ابو عثمان •• قال : حدثنا الأصمعي عن ابي عمرو بن العلاء •• قال: قتل بسطام • وبنو شيبان بسفوان ، فما بقي بيت إلا هجم • ويقال للرجل إذا حلب كل شيء في الضرع : قد هجم ما في ضرعها [1] •

— أراد آمين • وأورد بيت الأعشى كما في الأصل وان بسلاً فيه بمعنى حرام • الأساس : فيه بسالة • وما أبسله • ولقد بسل وتبسل اذا تشجع • وأسد باسل وله وجه باسر باسل شديد العبوس • وأبسله للهلكة أسلمه • وأبسل بعمله أفضح • واستبسل للموت اذا استسلم • المصباح : بسل بسالة مثل ضخم ضخامة بمعنى شجع فهو بسيل وباسل • وأبسلته بالألف رهنته وفي التنزيل (أولئك الذين أبسلوا كما كسبوا) • وورد في الشعر والشعراء (تنسلت) بدل (تبسلت) وهو غلط من الطابع • وبيت أبي ذؤيب الهذلي من أبيات يذكر بها حفرته كما في الشعر والشعراء أولها :

مطأطأة لم ينبطوها وإنها يرضى بها فرّاطها أم واحد

قضوا ما قضوا من رمّها ثم أقبلوا الي بطاء المشي غبر السواعد

فكنت ذنوب البئر (البيت) وبعده :

أعاذل لا إهلاك ماليَ حزني ولا وارثي ان ثمّر المال حامدي

تبسلت كره منظرها • ذنوب الدلو • في بيت المتلمس وروى الضاحي (النخلة) بدل (النحلة) •

والدهاريس والدراهيس كلاهما بمعنى الدواهي والشدائد •

(١) في أمالي الشريف المرتضى (رهق) بدل (صعل) وهذا البيت من قصيدة طويلة من مختارات الضبي في مفضلياته مستهلها :

هل ما علمت وما استودعت مكتومُ أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

مزينة – تصغير مزنة والمزنة السحابة[١] .

باسل – اشتق من بسالة الشدة . وبسالة الكراهة ؛ يقال للشجاع الكريه المنظر : هو باسل بيّن البسالة ويقال لكريه المنظر : إنه لباسل .. وقال أبو ذؤيب :

وكنت ذنوب البئر لما تبسلت وسربلت أكفاني ووسدت ساعدي

ويكون باسل من الحرام . يقال : ذلك أمر بَسل أي حرام قال الأعشى :

فجارتكم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليلها

قال المتلمس :

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها بسل عليك الا تلك الدهاريس

قال أبو عثمان : أنشدني الأصمعي قال : أنشدني ابو عمرو بن العلاء (الى نخلة القصوى) . ويصلح أن يكون باسل من الاستبسال . يقال : استبسل للموت اذا أعطى بيده . وأنشدنا الاصمعي . قال : أنشدنا رجل من أهل اليمن (الدراهيس)[٢] .

---

(١) المزن بالضم السحاب . أو أبيضه . أو ذو الماء . القطعة مزنة . والمازن كصاحب بيض النمل . وأبو قبيلة ، وماء . والمزنة بالضم المطرة . وابن مزنة بالضم الهلال . وكجهينة قبيلة . وهو مُزني (عن القاموس) .

(٢) الأضداد في اللغة لأبي بكر الأنباري : وبَسل من الأضداد .. يقال : بسل للحلال وبسل للحرام قال زهير :

بلادٌ بها نادمتهم وعرفتهم فإن أوحشت منهم فإنهم بسل

أراد (حرام) .. وقال ضمرة بن ضمرة :

بكرت تلومك بعدوهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي

أراد (حرام عليك) وأنشدنا أبو العباس عن ابن الاعرابي :

أيقبَلُ ما قلتم وتُلغى زيادتي دمي إن أحلّت هذه لكم بسل

أي دمي حلال مباح . ويكون بسل بمعنى آمين قال الشاعر :

لا خاب من نفعك من رجاكا بَسْلاً وعادى الله من عاداكا —

دعمي ودعامة — اشتق من الدعم . والدعم شيء يدعم به البيت لئلا يسقط والحائط ومنه دعامة[1] .

جديلة — أصل جديلة حبل من أدم . أو شعر يفتل وانما أخذ من الجدل والجدل شدة الطي والفتل وحسنه وجديلة بنت مُر بن أد أم فهم وعدوان ابني عمرو بن قيس وإليها ينسب أبو عبد الله الجدلي الذي يحدث عنه[2] .

---

(١) الأساس : مال حائطه فدعمه بدعامة ودعائم ودعمة ودعم . وبيت مدعوم ومعمود . فالمدعوم الذي يميل فيريد أن يقع فتسند اليه ما يستمسك به . والمعمود الذي يتحامل ثقله كالسقف فتمسكه بالأساطين ، وادّعم الحائط على الدعامة اتكأ عليها . القاموس : دعمه كمنعه مال فأقامه . والدِعمة والدِعامة والدِعام بكسرهن عماد البيت . والخشب المنصوب للتعريش جمعه دِعم ودعائم . وككتابة السيّد ، وخشبتا البكرة . وادّعم كافتعل اتكأ عليها . والدُعمي بالضم النجّار الى أن قال ودُعمي بن جديلة أبو قبيلة . والدّعامة الشرط . وبالكسر ابن غَزية . وابنه قتادة بن دعامة صحابيان ، وكغراب بطن عظيم من العرب . وككتاب اسم .

(٢) الأساس : جدل الحبل فتله . وزمام مجدول وهو الجديل . تقول : كأن في الجديل إحدى بنات جديل . وطعنه فجدله ألقاه على الجدالة وهي الأرض قال :

قد أركب الآلة بعد الآله وأترك العاجز بالجداله

وتقول : ان وقفن فمجادل ، وان صرن فأجادل . وهي القصور . قال الأعشى :

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائرِ

والرواية المشهورة (يزل عنه قدم الطائر) . القاموس : بعد أن ذكر معاني كثيرة لهذا الحرف قال : وجديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير أم حي . والنسبة جدلي وأنت ترى اختلافاً بين ما جاء في الأصل والقاموس في نسب جديلة .

غسان — اشتق من شيئين . فقال : كان ذلك في غيسان شبابه واسترخائه . ويقال للخصلة من الشعر غسنة من المرأة والفرس . والجماع الغُسُن . أخبرنا ابو عثمان قال : أخبرنا يزيد بن مرة الدارع . قال : سمعت أبا الخطاب الأخفش يقول : رجل غسن اذا كان ضعيفاً [١] .

— الصعل الخفيف الرأس والعنق . والمهجوم الساقط المصروع . وفي الأساس : والريح تهجم التراب على الدار تلقيه عليها قال ذو الرمة :

أودى بها كلُّ عرّاص ألثَّ بها وجافل من عجاج الصيف مهجومُ

وفيه .. صعل ظليم . ورجل صعل وأصعل صغير الرأس ونعامة وامرأة صعلة وصعلاء . وقد صعل صعلاً . وتقول : في رأسه صَعَل ، وفي رأيه صَعَل أي اعوجاج . أما عَراص ككتان فالسحاب ذو الرعد والبرق الكثير اللمعان . والبرق المضطرب اهـ وألث بها دام .

وفي كامل المبرد .. وقد أورد بيت علقمة . والمهجوم المهدوم . وفي الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت في بكر بن وائل الا هُجم أي هدم .

أما خبر قتل بسطام بن قيس سيّد شيبان فهو مبسوط في كامل ابن الأثير في يوم الشقيقة من أيامهم وهو يوم بين بني شيبان وضبة بن أد . وسفوان موضع في البصرة وبنو هجيم كزبير بطن .

(١) القاموس : الغسن المضغ . وبالضم الضعيف والغُسنة والغسناة بضمهما خصلة الشعر (ج) كصُرد وككتاب جلد يلبسه الصبي . وكغراب أقصى القلب ، وكشدّاد وكيسان حِدّة الشباب : وما أنت من غسّانه وغيسانه من رجاله ، وكشدّاد ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه ، منهم بنو جَفنة رهط الملوك . أو غسان اسم القبيلة والغساني الجميل جداً . والاغسان أخلاق الناس . واخلاق الشباب . والغيسانة الناعمة .

جُلاس — (بياض) ولعل المتروك (يصلح ان يكون من) جَلَس يجلِس اذا قعد . ومن جلِس يجلَسُ اذا قصد نجداً فان أهل الحجاز يسمون نجداً الجَلْس . يقولون : قد جلسنا اذا خرجوا الى نجد .. قال رجل من هذيل :

اذا ما جلسنا لا تزال تَرومنا　　سُليمٌ لدى أبياتنا وهوازنُ

يريد إذا أتينا نجداً .. قال عمر بن ربيعة :

اذا أم سرياح غدت في ظعائن　　جوالس نجداً فاضت العين تدمع [1]

— الأظمى المكتنز . والعاتر يقولون : سيف باتر . ورمح عاتر اذا اضطرب وتراجع في اهتزازه . قال العجاج :

وكل خطّيّ اذا هز عتر

ويقال : سيف معلب ومعلوب مشدود بالعلباء . وفي اللسان .. رمح معلب اذا جُلِّدَ ولُوِيَ بعصب العلباء .

المخصص : علبت السيف أعليه علباً . وعلبته شددت مقبضه بعلباء البعير وهو عصبة في عنقه . سمي به الرائش الحميري ملك كان غزا قوماً فغنم غنائم كثيرة وراش أهل بيته . قال الجوهري : والحرث الرائش من ملوك اليمن .

(١) المخصص : ابن السكيت .. جلس يجلس جلساً أتى جلساً وهي نجد . وأنشد البيت . وفيه بمادة جلوس وقد جالسته مجالسة وجلاساً . وكأن اسم جلاس أخذ من هنا .

التهذيب : وجلس فهو جالس اذا أتى جَلساً وهي نجد . قال مالك بن خالد الخناعي وأورد البيت كما في الأصل وأما البيت (اذا أم سرياح) المنسوب في الأصل الى عمر بن ربيعة فيقول ابن السكيت في تهذيب الألفاظ: قال الأصمعي : وأنشدنا أمير كان على مكة (والشعر لدرّاج الضبابي) :

ولما دخلت السجن أيقنت أنه　　هو البين لا بينُ النوى ثم يجمع

اذا أمُّ سِرياح غدت في ظعائن　　جوالسَ نجداً فاضت العين تدمع

فما السوط أبكاني ولا السجن شفني　　ولكنني من خشية البين أجزع —

لؤي — تصغير لأي . ولأي اسم من الأسماء يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء . يصلح أن يكون من اللأي واللأي الثور [١] .

والرائش — يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء يصلح أن يكون من راش السهم يريشه . ويصلح أن يكون من قول العرب : فلان يريش ويبري . ويقال : بعير راش اذا كان ضعيف الظهر مهزوله . وكان الأصل كما قال رائش نخفف ههنا كما قال هار وهائر .. وقال ساعدة بن جوية [٢] :

من كل أظمى عاير لا شانه قصرٌ ولاراشي الكعوب معلب

يقول : لا ضعيف الكعوب . ولا معلب وهو الذي انكسر فشد بعلباء [٣] .

---

(١) لم يذكر غير واحد من الثلاثة التي يصلح أن يكون لؤي مشتقاً منها ولعل قلم الناسخ طوى الآخرين سهواً . وانك لترى الثلاثة مبيّنة بما ستراه قريباً . وفي المقصور والممدود لابن ولاّد النحوي : واللأى الثور . وزعم ابوعمرو أنها البقرة مقصور يكتب بالياء . ولو كان هذا من ذوات الواو لكتب بالياء على الاختيار لمكان الهمزة التي قبل آخره كأنهم كرهوا الجمع بين ألفين . ويقال : بكم تبيع لأك بوزن لعاك ؟ وقال الطرماح :

كظهر اللأى لو تبتغي ريةٌ بها نهاراً لعيت في بطون الشواجن

ويروى لعنت من العناء ، والشواجن الأودية . ورية ما توري به النار . القاموس : اللأي كالسعي الابطاء والاحتباس والشدة كاللأى كالعا . واللأواء وألأى وقع فيها . والتأي أفلس وأبطأ . واللأي كالعي الثور الوحشي أو البقرة . ولأي اسم : تصغيره لؤي . ومنه لؤي بن غالب بن فهر .

(٢) الصواب جؤيّة بالهمز وهو هذلي مخضرم (المجمع) .

(٣) روي البيت في مبادئ اللغة هكذا (*) :

من كل أظمى عاتر لا شانه قصَرٌ ولاراشي الكعوب معلب

(*) ويروى في الخزانة البغدادية (٣/٧٣) :

[من كل اسحم ذابل لا ضرّه قِصر ...]

وهو من قصيدة طويلة عدتها ٥٢ بيتاً (مجمع) .

معد — موضع رجل الراكب من الفرس .. قال الشاعر :

نابي المَعَدّين وأى نظّار محجل لاح له خمار[1]

عنزة — سميت بذئبة دقيقة الخصر لطيفة والعنزة الحربة أيضاً[2] .

---

(١) القاموس : والمعد كمرد الجنب والبطن واللحم تحت الكتف . وموضع عقب الفرس . وعرق في منسج الفرس (الأسفل من حاركه) . والمعَدّان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . ومعد حي ويؤنث وهو مَعَدّي . اللسان : المَعَدّان الجنبان من الانسان وغيره .. وقال اللحياني : المعد الجنب فأفرده . والمعدّان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . وقيل : المعدان من الفرس ما بين أسفل الكتف الى منقطع الأضلاع وهما اللحم الغليظ المجتمع خلف كتفه ويستحب نتؤهما . والمعد موضع عقب الفارس الى أن قال : ومعد حي سمّي بأحد هذه الأشياء وغلب عليه التذكير . مبادئ اللغة : والمعدان موضع السرج من جنبيه .. قال ابن أحمر :

فإما زال سرج عن معدٍ وأجدر بالحوادث أن تكونا

فلا تصلي بمطروق اذا ما سرى في القوم أصبح مستكينا

أما البيت المستشهد به في الأصل (نابي المعدين) نابي من نبا الشيء عنه تجافى وتباعد . المعدين تقدم معناهما . الوأى الفرس السريع . وقيل : الشديد أخذ من قولهم : قِدْر وئية . وأنشد ابن بري لشاعر :

اذا جاءهم مستنفرٌ كان نصره دعاء ألاَ طِروا بكل وأىً نهد

ملخص عن اللسان : ونظّار أي فرس طامح الطرف لشهامته وحدة فؤاده . لاح له خمار أي غبرة (عن الأساس) .

(١) العنز الماعزة وهي الأنثى من المعز . والعنزة بفتحتين أطول من العصا وأقصر من الرمح وفيها زج كزج الرمح . قال الجوهري : والعنز الأنثى من الظباء والأوعال وهي الماعزة . وفي مبادئ اللغة .. والعنز بالبادية من السباع —

حرقوص — يسمى بدابة صغيرة تكون بالبادية شديدة اللسعة[1] ·
قرفة — قشر الشجرة · يقال : صبغ ثوبه بقرف الشجر وقرف السدر · والقرفة التهمة · يقال للرجل : من قرفتك أي من تتهم[2] ·
بشامة — شجرة طيبة الرائحة يستاك بها[3] ·

— والسرياح كجريال الطويل والجواد · وأم سرياح امرأة درّاج بن زرعة الضبابي أمير مكة · وفي الفصول والغايات للمعري ·· ودراج بن زرعة الكلابي كان حبسه الحجاج فمات في الحبس أو قتل وهو القائل :

(اذا أم سرياح غدت في ظعائن) البيت · وبعده :

فأبلغ بني عمرو اذا ما لقيتهم بآية كراتي اذا الخيل تقدع
فما القيد أبكاني ولا السجن شفني ولا انني من رهبة الموت أجزع
ولكن أقواماً ورائي أخافهم اذامت أن يعطوا الذي كنت أمنع

القاموس : والجلاس كغراب ابن عمرو · وابن سويد صحابيان ·

(١) القاموس : الحرقوص بالضم دويبة كالبرغوث حمتها كحمة الزّنبور · أو كالقراد تلصق بالناس · أو أصغر من الجعل · وابن مازن تميمي · وابن زهير وكان صحابياً فصار خارجياً ·

(٢) القرف بالكسر القشر أو قشر المُقل وقشر الرمان ومن الخبز ما يتقشر منه ويبقى في التنّور · وبهاء التُهَمَة والهجنة والكسب · والقشرة وقشور الرمان · وضرب من الدارصيني · وهم قِرفتي أي عندهم طلبتي · وسلهم عن ناقتك فانهم قِرفة أي تجد خبرها عندهم · ويقال : أمنع وأعز من أم قرفة لأنه كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً كلهم محرم لها زوجة مالك بن حذيفة ابن بدر · وقرفة بن بُهَيس أو بيهس · أو مالك تابعي · وحبيب بن قرفة العوذي شاعر (عن القاموس) ·

(٣) الأساس : بشم الفصيل من اللبن والرجل من الطعام اذا أتخم · وفي كلام الحسن ·· وأنت تتجشأ من الشبع بشماً · واستاكت بفرع بشامة ·· وتقول : ما أهل الشام إلا كشجر البشام دهنه من أطيب الأفواه · وعوده مطيبة الأفواه · القاموس : وبهاء ابن الغدير · وابن حزن شاعران ·

علقمة — يقال : انه لطعام شديد العلقمة يريد شديد في المرارة[١] .

زبان — حي من غني . وقال الشاعر :

لقيت زبان حد يوم كريهة وعلى صريم وابل صنديد

وأصله من الزبن . والزبن الدفع . وأنشد لأبي النجم :

تزبن لحيي لاهج مخال[٢]

— ولم نجد في المراجع التي تحت متناولنا ما ينطبق على رواية البيت وتصحيح وزنه . ولكن رواه في المخصص هكذا[*] :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذي خروع قفر

والتعمج التلوي وعنى بالحضرمي الزمام أراد كأن تعمجه تعمج شيطان . وعلى هذه الرواية لا يكون البيت شاهداً ولعل عجز البيت :

(حباب نقا يلوى بذي خروع قفر)

(١) العلقم الحنظل . وكل شيء مر . والنبقة المرة وأشد الماء مرارة . والعلقمة المرارة . وجمل الشيء المر في الطعام وعلقمة الخصي . وابن عبدة الفحل . وابن علاثة شعراء هكذا في القاموس .

(٢) الزبن الدفع زبنته أزبنه زبناً . وتزابن القوم : تدافعوا والزبون المدفوع . فأما قولهم زبّان اسم رجل فقد يكون من الزبن فهو على هذا فعّال من الزبن كحمّاد من الحمد وقد يكون فعلان من الزبب وهو كثرة الشعر كما قالوا شعران . واختار ابو علي هذا الوجه وعلله بان مجيئه غير مصروف في الشعر أكثر (عن المخصص) وزبان بن مرة من الأزد . وزبان بن امرئ القيس وزبان حي من غني من غطفان وهم من بطن قيس بن عيلان .

أما البيت الأول فلم نعثر على اسم قائله ولم نجد له ذكراً في المصادر التي بين أيدينا . وقول أبي النجم (تزبن) .وعجزه :

عن ذي قراميص لها محجل —

(*) وهي رواية اللسان ايضاً « حبب » (المجمع) .

عكابة — اشتق من العُبار اذا أثارته الخيل والابل يقال : (رأيت القوم ثار لهم عكوب) [١] .

حذيفة — اشتق من الحذفة . والحذفة ضرب من الضأن [٢] .

حباب ... — وهي ضرب منها .. قال الشاعر :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه حباب نقا يتلوه مرتجل (!)[٣]

— دقيق الخطم . وفي لسان العرب عن الأزهري : العنزة عند العرب من جنس الذئاب وهي معروفة . ومن مسمياتها عنزة بن أسد بن ربيعة ، أو ابن عوف أبو حي .

(١) العكوب بالفتح الغبار . وعُكابة كدُخانة ابن صعب أبو حي من بكر بن وائل . أما بكر فمن ولده علي بن بكر ومن ولد علي صعب وولد لصعب لجيم بن صعب وعكابة بن صعب . وولد عكابة قيساً وثعلبة .

(٢) حذفه يحذفه أسقطه . ومن شعره أخذه . وبالعصا رماه . وفي مشيته حرك جنبه وعجزه . أو تدانى خطوه . وفلاناً بجائزة وصله بها . والسلام خففه ولم يطل القول به وككناسة ما حذفه من الأديم وغيره . كثُمامة ابو بطن من قضاعة . وكجهينة بن أسد . وابن أوس . وابن عبيد وابن اليمان حسل . وآخران أزدي وبارقي غير منسوبين صحابيون (ملخص عن القاموس) .

والحذف محركة طائر أو بط صغار وغنم سود صغار .

(٣) في الأصل نقصان بعد الكلم الى قوله : وهي الخ وحباب كغراب الحية . وحي من بني سليم . واسم . وجمع حبابة لدويبة سوداء مائية . واسم شيطانة . وأم حباب الدنيا وكسحاب اسم . والطل . وفي المخصص لابن سيده : والحباب حية ليس من عوارم الحيات . وعم به ابو عبيدة جميع الحيات قال : وانما قيل الحباب اسم شيطان لأن الشيطان من اسماء الحية . أما عجز البيت المستشهد به فقد جاء على هذه الصورة وفيه نقصان القافية وهو غير مستقيم وزناً ومعنى —

الأخيف — اسم وهو أن تكون احدى عينيه زرقاء • فاذا اختلف فيه ضروب الأشياء قيل مخيف[١] •

مكرز — اشتق من الكرز • يقال للرجل اذا اختبأ في شجر أو مكان : قد كرز في مكان كذا وكذا وهو يكرز كروزاً • قال الشاعر :

فلما رأين الماء قد حال دونه ذعاف لدى جنب الشريعة كارز

وكرز سمي بخرج الراعي الذي يحمله على بعض الغنم يجعل فيه متاعه • وكريز تصغير خرج الراعي •• قال الشاعر :

ياليت اني وسبيعاً في الغنم والخرج منها فوق كراز أجم

وكزبير تصغير كرز[٢] •

— بنو جحش بن رئاب (رض) وككناب بن ثعلبة أبو حي من غطفان (ملخص عن القاموس) •

وأما الجحاس بالسين • ففي القاموس جحس فيه كجعل دخل ، وجلده كدحه وخدشه ، وفلاناً قتله والجحاس القتال وجاحسه زاحمه •

(١) فرس أخيف احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء ، ونزلوا بالخيف وهو المكان المرتفع ، وأخافوا وأخيفوا نزلوا بخيف منى ، وأخياف مختلفون ، وخيفت بأولادها جاءت بهم أخيافاً • وأشياء مخيفة اذا كانت ضروباً مختلفة (عن الأساس) وسموا أخيف •

(٢) البيت الأول للشماخ من قصيدة مشهورة ذكرها أبو زيد في جمهرته في المشوبات • والشماخ كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة اسمه معقل بن ضرار • وهو من أوصف الشعراء للقوس والحمر • قال يصف القوس :

وذاق فأعطته من اللين جانبا كفى ولها أن يفرق السهم حاجز

اذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

ويصف في البيت حمراً وردت الماء فأحست الصائد فنفرت منه • وكارز الصائد • وبعده :

جحاش — من مجاحشة الرجلِ الرجلَ بالخصومة أو القتال . يقال : جحش وجهه اذا كدحه . وبعض العرب يقول : جحاس بالسين . ويقال : جحشه وجحسه في معنى واحد .. قال الشاعر :

ان عاش قاسى لك ما أقاسي والطعن في يوم الوغى الجحاس[1]

— هو من أرجوزة طويلة يبلغ عدد سطورها (١٩١) وكلها في وصف الابل وايرادها واصدارها . ووفد على هشام وقد ناهز السبعين وعنده جماعة من الشعراء فأمرهم بوصف الابل كأنه ينظر اليها في ايرادها واصدارها فأنشدوه وأنشده أبو النجم هذه اللامية فلما بلغ قوله :

حتى اذا الشمس اجتلاها المجتلي بين سماطي شفق مهول

فهي على الأفق كعين الاحول صغواء قد كادت ولما تفعل

أمر بوجء عنقه واخراجه . فعاش فقيراً طريداً وأغضب هشاماً قوله : (فهي على الأفق كعين الأحول) لأنه كان أحول .

وأما معنى بيت أبي النجم (فتزبن) تدفع (ولحيي) تثنية (لحْي) وهما منبتا اللحية وهي شعر الخدين والذقن و (لاهج) من لهج الفصيل أخذ في الرضاع وهو لهوج ولهج . و (مخال) يقال فصيل مخال اذا جعل له خلال والخلال عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع . وإياه عنى امرؤ القيس :

كما خل ظهر اللسان المجر

كذا في اللسان والفصول والغايات للمعري . ويعني بذي قراميص ضرعها أي اذا بركت صار له في الأرض قرموص وهو ما يحفره الطائر في الأرض ليبيض فيه . والمحجل الذي فيه أثر من الصر وهو طلاء من طين أو سرقين يطلى على أطباء الناقة لئلا يرضعها الفصيل . (عن الفصول والغايات) .

(١) جاء في الصفحة (٤١) من هذا الحرف (جحوش) الجحش كالمنع سحج الجلد وقشره من شيء يصيبه أو كالخدش أو دونه أو فوقه . وولد الحمار جمعه جحاش وجحشان . وصحابي جَحْشي . وزينب أم المؤمنين وأخواها عبد الله وعبد . —

زغلول — والزغل أن تقطع الناقة بولها زغلة زغلة • وهي قطعة قطعة وكذلك الدم [١] •

هرماس — الشديد الحطوم لكل شيء • يقال : أسد هرماس • ومثله قرناس [٢] •

الدرواس — الغليظة الرقبة [٣] •

فزارة — اشتق من الفزر • والفزر قطعك الشيء • يقال : ضربه ففزر ظهره • ومن ثمت قيل للأحدب أفزر • قال الشاعر :

يدق معزاء الطريق الفازر دق الدراس عرم الأنادر

---

(١) عن الأساس • صبية زغاليل صغار • ويقولون : كيف زغلولك ؟ اذا سألوه عن صغيره • وزغل الماء وأزغله اذا صبه دفعة دفعة • وأزغل الشارب الشراب اذا مجه • وفي القاموس وكسرسور الخفيف واسم • والطفل (اه) • ويسمون فرخ الحمام زغلولاً •

(٢) الهرماس بالكسر الأسد الشديد العادي على الناس كالهرميس والهرامس • وولد النمر • وابن زياد الصحابي أو هو لقب واسمه شرع • والقرناس بالضم والكسر شبه الأنف يتقدم من الجبل • ومن النوق المشرفة الاقطار (عن القاموس) • أما الهرماس ففي صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعيد القرطبي • ومنهم أي من أصحاب النبي (ﷺ) من بني نمير بن عامر بن صعصعة الهرماس بن زياد الباهلي روى عن رسول الله (ﷺ) وأورد له حديثاً •

(٣) فقه اللغة : في باب أوصاف فحول الإبل « فاذا كان العنق غليظاً شديداً فهو عرباض ودرواس • وكذلك جعله في القاموس من أوصاف الجمل الذلول الغليظ • وترى في الأصل انه من صفات الأنثى • وقال في القاموس : والدرواس بالكسر علم كلب • والكبير الرأس من الكلاب • والشجاع والأسد كالدرياس •

خفاجة – اشتق من الخفج وهو عيب في المشي قال الشاعر :

أو خفجاً حرق رجلاً ويدا أو عرجاً أو نقباً خفيددا [١]

قتيبة – اشتق من القتبة وهي المعي من أمعاء الانسان . يقال : طعنه فاندلقت أقتاب بطنه [٢] :

— ركبن الزبانى فاتبعن به الهوى كما تابعت شد العنان الخوارز

أي انهزمن واحدة في إثر واحدة . فاتبعن أى قصدن هوى الحمار . وروى أبو زيد (على) بدل (لدى) . الأساس (الى) .

والكرّاز في البيت الثاني كشدّاد وهو الكبش يحمل خرج الراعي وكأنه نسب الى كرز الذي يحمله . وهو معروف عند الرعاة بهذا الاسم سواء أحمل الخرج أم لم يحمله ويتقدم الغنم في سوقها لِسرحها ويتخير من أشد الذكران قوة . وأجم من أجم المظلم اذا كثر لحمه (*) .

وسموا كارزاً وكريزاً ومُكرّزاً .

(١) الخفج محركة داء للابل . خفج كفرح . وخنج بفتح الفاء اشتكى ساقه تعباً . وحرق أي حك كلاً من يده ورجله بالأخرى . والنقب اما من النقابة وهو قرحة تخرج بالجنب تهجم على الجوف رأسها من داخل . واما من نقب خف البعير رق وتنقب . أو من النقبة وهي أول الجرب وخفيدداً سريعاً . وفي المخصص عن أبي عبيد . فان كانت رجلا البعير تعجلان بالقيام قبل أن يرفعها كأن به رعدة فهو أخفج وقد خفج خفجاً وناقة خفجاء .

(٢) القتب جمع أقتاب مثل سبب وأسباب . والأقتاب الأمعاء واحدها قتب مثل احمال وحمل . وقد يؤنث الواحد للمبالغة فيقال : قتبة . وتصغيرها قتيبة وبها سمي الرجل والنسبة قُتبي كجهني .

(*) أو لعل المراد من الأجم من لا قرن له (المجمع) .

دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

– ٢ –

ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع

(تتمة)

(و) الدولة وتطوراتها (ص ٣٥٤ – ٣٨٩) :

ومع أن ابن خلدون لا يعرّف الدولة فاننا نفهم من كلمة الدولة عنده شيئين : الملك أو الدولة بالمعنى المفهوم اليوم ثم الأسرة الحاكمة . ثم ان للملك عند ابن خلدون معنى آخر هو الحكم . والفرق بين الملك والخلافة ظاهر ، فالملك هو « الحكم الدنيوي » والخلافة هي حمل الناس على أن يسيروا بمقتضى الشرع لبلوغ مصالحهم الأخروية وما يتصل بها من مصالحهم الدنيوية . وكذلك يفرق ابن خلدون مرةً أخرى بين الملك والرئاسة بالعصبية . ان الرجل اذا أقر له تابعوه بالتقدم عليهم من تلقاء أنفسهم ، لفضل فيه عليهم ، فهو الرئيس بالعصبية . فاذا هو اضطر الى حملهم على طاعته بالقوة فذلك هو الملك .

وابن خلدون يتوسع كثيراً في الكلام على اعمار الدول . فالدولة لها عمر طبيعي كالأفراد ، وهو نحو أربعة أجيال أو نحو مائة وعشرين سنة ، ذلك لأن مؤسس الدولة يحافظ عليها لأنه جهد في توطيد أركانها . فاذا جاء ابنه ورأى ما عاناه ابوه حرص أيضاً على الاحتفاظ بها . فاذا جاء الجيل الثالث ظن أن الدولة حق له لا ينازع فيه فأهمل النظر في شؤونها . فاذا جاء الرابع غفل عن حقيقة الدولة وانصرف الى لهوه ثم جمع بطانة السوء حوله . اننا اذا فهمنا

العوم مثل الجبل يكون في الوادي والنهر منبع الماء . الأنادر البيادر[1] .

(١) فزر الثوب شقه فتفزر وانفزر . وفلاناً بالعصا ضربه على ظهره . وفلان خرج على ظهره أو صدره فُزرة أي عجرة عظيمة فهو أفزر ومفزور . والفزر بالكسر : لقب سعد بن زيد مناة وافى الموسم بمعزى فأنهبها . وقال من أخذ منها واحدة فهي له ولا يؤخذ منها فِزر وهو اثنان فأكثر . وابن الببر وبنته الفزرة وأمه الفزارة كسحابة وهي أنثى النمر (*) وبلا لام ابو قبيلة من غطفان ملخص عن القاموس . وعن مبادئ اللغة للاسكافي .

والبَبر يسمى الفِزر . ويقال : انه قاهر للأسد والفزرة الأنثى . وولد الذكر الهدَبِس . والانثى الفَزارة . قال الشاعر :

ولقد رأيت فزارة وهدبِسا والفِزرَ يتبع فزره كالضيون

وفي المخصص عن صاحب العين الفِزر : ابن الببر والفزارة أمه . والفزرة اخته والهدبس أخوه ومنه اشتقاق فزارة للقبيلة .

أما العرم هنا فهو ما يجمع من الحصاد ويرم بعد الدياس وموضع الدياس يسمى المَداس وهو الأندر والبيدر والجرين ويسمى بالفارسية بجوان وجمع الأسماء الثلاثة أنادر وبيادر وأجرنة (ملخص عن مبادئ اللغة) .

وفي القاموس : الأندر البيدر أو كُدَس القمح .

* * *

الى هنا انتهى كتاب الاشتقاق والتعليق عليه بقدر الطاقة ، ولا أزعم اني بلغت الغاية مما يقتضي وما يتطلبه التدقيق في الشواهد الشعرية ، وقد قمت بالمستطاع على قدر الامكان ، والله أحمد في البدء والختام .

في ٢٢ شعبان المعظم سنة ١٣٧٠ و ٢٨ أيار سنة ١٩٥١

سليمان ظاهر

(*) الببر نمر الهند وهو غير النمر الأرقط ، فلعل الصواب انثى الببر (مجمع) .

متفرقة سبق فيها ابن خلدون علماء أوروبة المعاصرين ثم لم يقلّ عنهم اصابة رأيٍ ولا عبقرية .

(ط) التربية والتعليم (٤٣٧ — ٤٨٤) :

التربية والتعليم موضوع هام جدًّا في مقدمة ابن خلدون : وقد خص ابن خلدون هذا الموضوع بفصول مستقلة ، كما انه أبدى ملاحظات هامة ورقيقة في فصول أخرى لا تتصل مباشرة بموضوع التربية والتعليم (ص ٤٤١ — ٤٤٢) . ومما يدل على عبقرية ابن خلدون في هذا الباب ربطه التربيـــة والتعليم بعلم النفس وبالواقع الاجتماعي معاً . وليست غاية التربية والتعليم عند ابن خلدون نقل العلوم والعادات من شخص الى شخص (أو من جيل الى جيل) فقط ، بل من غايته أيضاً « جلاء معاني الانسانية في الناشئ » (ص ٤٥٦ ، راجع المقدمة ٥٤٠) .

ومن النظرات العميقه الدقيقة عن ابن خلدون ان ملكة علم من العلوم لا تستحكم في النفس إلا اذا حفظ المتعلم أصول ذلك العلم وفروعه ثم نسيها . حينئذ تمّحي (بتشديد الميم) رسوم العلم الظاهر وتظل في نفسه أسسه ومنهاجه . ويعلق الأستاذ الحصري على هذه الملاحظة بقوله (ص ٤٧١) : « فان الأثر الذي يبقى في النفس من جراء الحفظ — بعد نسيان المحفوظ — من أهم الملاحظات النفسية التي تؤثر تأثيراً عميقاً في نظريات التربية والتعليم » .

ويبدي ابن خلدون في تعليم القرآن الكريم خاصةً ملاحظةً قيمةً جداً . يذكر ابن خلدون أن أهل المغرب وأهل الأندلس (كأهل المشرق) يبدأون بتعليم القرآن الكريم للصبيان وهم صغار ، ثم هو يذكر أيضاً أن القاضي أبا بكر ابن العربي يقترح تأجيل تعليم القرآن للولدان الى أن يستطيع الولد التمييز والفهم (بعد أن يتعلم علوم العربية والأدب والحساب والفقه) إذ لا فائدة من أن يقرأ الولد شيئاً لا يفهمه . ويوافق ابن خلدون على هذا الاقتراح من حيث الأساس « اذ لا يجوز ان يلقّن الولد شيئاً « لا يفهمه » ولكنه حينما ينظر الى

«الدولة» على أنها الأسرة الحاكمة فحينئذ يصدق قول ابن خلدون الى حد ، من ذلك مثلاً :

— بنو أمية منذ تولي معاوية على الشام سنة ١٨ ﻫ الى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ ﻫ ، ١١٤ سنة هجرية .

— آل تيودور في انكلترة منذ ١٤٨٥ الى ١٦٠٣ ، ١١٨ عام شمسي أو ١٢١ سنة هجرية .

— الأسرة العلوية في مصر منذ أصبح محمد علي خديوي مصر عام ١٨٤١ الى تنازل فاروق عام ١٩٥٣ ، ١١٢ عام شمسي أو ١١٥ سنة هجرية .

أما الأسر المالكة التي تعيش أكثر من أربعة أجيال كبني العباس في بغداد وآل بوربون في فرنسة والموحدين في المغرب والأندلس فهي في الحقيقة أسر تنتمي الى فروع مختلفة من أهل الدولة الواحدة . ومع انني لا أريد أن أصر على أن رأي ابن خلدون صحيح تماماً ، فانني لا أراه كثير الفساد .

(ز) الحروب (ص ٣٩٠ — ٤١٤) :

يتكلم ابن خلدون في هذا الفصل على أسباب الحروب ومذاهب الأمم في خوض حروبها وعن أدوات القتال .

(ح) النفس الانسانية (ص ٤١٥ — ٤٣٦) :

يرى الأستاذ ساطع الحصري ان من أبرز آراء ابن خلدون في «علم النفس» أنه رأى في النفس الانسانية ناحية الفكر وناحية العمل باليد ، «وانه قرن الفكر باليد وأظهر عمل اليد الأساسي في خدمة الفكر» . إن الصناعات التي يمارسها الانسان بيده تزيده قوة في عقله ووفوراً في ذكائه . فان برغسون الافرنسي لما ألف كتابه : «ينبوعا الأخلاق والدين» ومس هذه الصلة الوثيقة بين اليد والفكر لم يخرج في ما ذكره عام ١٩٣٢ عما كان ابن خلدون قد عرفه قبله بنحو أربعة قرون ونصف قرن (ص ٤٣٢) . وهنالك أيضاً ملاحظات أخرى قيمة

(ك) الخط والكتابة (ص ٥٠٩ — ٥٢٢) .

(ل) المدن والأمصار (٥٢٣ — ٥٣١) :

ولابن خلدون ملاحظات قيمة في الشروط التي يجب أن تراعى عند بناء المدن من الناحية الصحية والاقتصادية والعسكرية والعمرانية .

(م) الحياة الاقتصادية (٥٣٢ — ٥٤٢) :

ان الاعتقاد بأن الأمور الاقتصادية تتبع قوانين ثابتة ومناهج معينة ، وتدوين ذلك تدويناً منظماً ، لم يبدأ في رأي الغربيين الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ولكن ابن خلدون سبق كتاب الغرب ومفكريهم في هذا الاعتقاد بمدة لا تقل عن أربعة قرون (ص ٥٣٣) .

ومن الأمور التي سبق ابن خلدون فيها علماء الاقتصاد المحدثين ـ حتى المتأخرين من غلاة الماركسية ـ إعلانه منذ القرن الرابع عشر « ان الكسب انما هو قيمة الأعمال الانسانية » ... « وان الرزق والثروة نتيجة العمل من حيث الأساس ، إلا أن قيمة الأعمال تختلف باختلاف الأحوال الاجتماعية العامة » (ص ٥٣٦ ، ٥٣٧) .

(ن) التشبيهات المادية (ص ٥٤٣ — ٥٥٠) :

هذا الفصل القصير طريف جداً لأنه يكشف لنا عن ناحية مهمة من أسلوب ابن خلدون ، ولصلة هذه التشبيهات المادية بابراز آراء ابن خلدون ابرازاً قوياً .

٦ — تكملة : جولة بين الكتب والمجلات (٥٥١ — ٦٣٨) :

مما يؤسف له ان ابن خلدون الذي حل مقاماً سامياً عند كثيرين من كبار رجال الفكر ومؤرخي علم التاريخ والاجتماع من الغربيين قد تعرض لحملة عنيفة شنها عليه العرب . وزعيم هذه الحملة الدكتور طه حسين . فمن التهم التي وجهها الدكتور طه حسين لابن خلدون قوله :

(أ) ابن خلدون يشك في نسب نفسه ، اي انه بربري وليس عربياً .

« واقع التعليم » يرى أن هذا الاقتراح مضر ، وذلك لأن المألوف ان ينصرف الناشئون عن الاهتمام بأمر الدين وحفظ القرآن اذا يفعوا ثم بلغوا مبلغ الصبا . من أجل ذلك يجب أن تنتهز الفرصة فيهم فيلقن الطفل القرآن الكريم ما دام خاضعاً لمن فوقه ، خالياً من نوازع الحياة . من أجل ذلك كان مذهب أهل المشرق والمغرب في تعليم القرآن للأولاد في أول سني تعليمهم أصوب من تركهم حتى يوغلوا في الصبا . ذلك لأنهم اذا لم يتعلموه في أول أمرهم لم يتعلموه بعد ذلك البتة (ص ٤٧٨ — ٤٧٩) .

(ي) التفكير والايمان – العقل والنقل (ص ٤٨٥ – ٥٠٨) :

ابن خلدون أشعري متدين في حياته الشخصية ، ولكنه متحرر يؤكد جانب التفكير المحض عند البحث ومعالجة الموضوعات . « ان ابن خلدون لم يحاول تحكيم الشريعة في كل شيء ولا رد كل أمر الى أحكام الدين » . لقد قال ان النبي بعث ليعلمنا مسائل التوحيد والمعاد وليهذب نفوسنا ولم يبعث ليعلمنا الطب والفلك مثلاً . ثم هو يضرب على ذلك أمثلة ثابتة في الحديث الشريف منها مسألة تأبير النخل المشهورة .

ومما يتصل بهذا الباب ان ابن خلدون يخص العصبية بفصول كثار ويجعلها أساساً لنشوء الدول وللتناصر في الحروب ، ثم هو يفطن الى أن القرآن الكريم قد ذم العصبية ، فيقول : ان القرآن الكريم قد ذم العصبية من حيث هي مثار للتنازع الداخلي وللحمية الجاهلية . ولكن « اذا كانت العصبية في الحق وإقامة أمر الله [فانها حينئذ] أمر مطلوب . ولو بطلا[ت العصبية في هذه الأمور] لبطلت الشرائع ، إذ لا يتم قوامها [قوام الشرائع] الا بالعصبية » (ص ٤٩٥) .

فابن خلدون يتبع إذن في أمور العلم والاجتماع سبيل العقل لا يحيد عنه . وأما في الماورائيات (في أمور ما وراء الحس : كالإيمان بالله والآخرة وما يتبع ذلك من الفروض التي فرضها الدين) فهو يأخذ بما جاءت به الأوامر الدينية ، إذ يعتقد ان هذه الأمور خارجة عن نطاق العقل .

على ابن خلدون (ص ٥٦٢) ، فكان يتقول على ابن خلدون ما لم يقله ابن خلدون (ص ٥٥٣ ، ٥٦٧) إن « الدكتور طه حسين لما ادعى بأن ابن خلدون يستند في علم العمران الى التاريخ قد عزا اليه رأياً لم يقل به قطُّ وخطة لم يسلكها قطعاً (ص ٥٦٨) .

(ﻫ) ان نظرةً منصفة الى فهرست فصول المقدمة (فقط) تكفي لتفنيد بعض مزاعم طه حسين (ص ٥٧٢) .

(و) ان الدكتور طه حسين تجاوز حدود الحق والحقيقة كثيراً في بعض استنتاجاته (ص ٥٧٣ — ٥٧٤) .

(ز) أما الزعم الذي زعمه الدكتور طه حسين بأن ابن خلدون لم يستطع الاطلاع على نسخة من كتاب الأغاني فراجع الى أن الدكتور طه حسين لم يقرأ مقدمة ابن خلدون في هذا الشأن ، بل قرأ في الترجمة الافرنسية للمقدمة نفسها . ولقد اتفق ان المترجم الافرنسي أخطأ فهم جملة وردت في المقدمة عن كتاب الأغاني فاتبعه أحد المستشرقين في ذلك . ثم جاء طه حسين فأخذ عن هذا المستشرق فأخطأ هو أيضاً . يقول الأستاذ ساطع الحصري .

« واستبعدت كل الاستبعاد أن يخطئ الدكتور طه حسين في فهم مضمون مثل هذه الفقرات . وخطر ببالي أن أراجع الترجمة الافرنسية ، وعندئذ توصلت الى مصدر هذه الغلطة : ان المترجم الافرنسي لم يفهم معنى هذه الفقرة كما يفهمها كل عربي على أساليب لغته ... من أجل ذلك صرت أظن ظناً قوياً بأن الزعم (من عند طه حسين) بوجود تناقض بين ما جاء في مقدمة ابن خلدون وبين ما ورد في ترجمته عن كتاب الأغاني قد بدا لأحد الغربيين الذين يدرسون المقدمة من ترجمتها الافرنسية . وانتقل هذا الزعم منه الى الدكتور طه حسين حينما كان مشغولاً بكتابة أطروحته ؛ والدكتور أدخل هذا الرأي في كتابه من غير أن يراجع نصوص المقدمة وينعم النظر في معانيها ، ومن غير أن

(ب) ابن خلدون لم يفكر في جعل التاريخ علماً ولم يفهم مسائل التاريخ الأساسية .
(جـ) من المبالغة الكبيرة أن تقول ان ابن خلدون يستحق لقب عالم اجتماعي .
(د) زعم الدكتور طه حسين ان ابن خلدون قد استمد آراءه في علم الاجتماع من قضايا التاريخ (ولم يلاحظ العالم الاجتماعي الواقع) .
(هـ) يدعي الدكتور طه حسين بوجود تناقض منطقي في طريقة ابن خلدون (ص ٥٦٧) .

(و) اتهم الدكتور طه حسين ابن خلدون في أخلاقه وفي وطنيته .
(ز) نسب الدكتور طه حسين ابن خلدون الى قلة الأمانة العلمية فابن خلدون لم يعرف ، عند الدكتور طه حسين ، من بعض الكتب التي ذكرها الا اسماءها . وابن خلدون عند الدكتور طه حسين لا يفرق بين كتب الفقه وكتب أصول الفقه ، وان ابن خلدون لم يطلع على كتاب الأغاني .

ومع أن هذه الأمور لا صلة لها بدراسة مقدمة ابن خلدون فانها مما يجدر أن يستوقفنا قليلاً ، لأن الدكتور طه حسين اراد أن يهدم عبقرية ابن خلدون كلها . غير أننا لا نحتاج اليوم الى تفنيد « اتهامات » الدكتور طه حسين فان بطلانها قد اتضح تماماً ، ثم هي لا تقدح في رجل مثل ابن خلدون . ولكن يحسن أيضاً أن نتحرى أسباب هذه الحملة الشعواء التي شنها الدكتور طه حسين على ابن خلدون . ان هذه الأسباب ، حسب رأي الأستاذ ساطع الحصري ، تتلخص فيما يلي :

(أ) ان طه حسين لم يقرأ المقدمة بامعان نظر (ص ٥٥٣ ، ٥٧٥) .
(ب) ان طه حسين كتب اطروحة عن ابن خلدون (عام ١٩١٨) وهو بعد « حديث عهد بدراسة علم الاجتماع » ولم يكن قد احاط يومذاك بنظريات علم الاجتماع وتاريخه الاحاطة الكافية . كما انه لم يكن قد وجد متسعاً من الوقت للتعمق في دراسة ابن خلدون التعمق اللازم (ص ٥٦٢) .
(د) « ويظهر ان الدكتور طه حسين كان مدفوعاً بروح انتقاد عنيفة » . . .

المثلثة (ص ١٨ ، ١٩ ، ٢١ الخ) . وكذلك يقول الكتاب باريس وبارس (ص ١١١ ، ١١٢) ثم بوسسوئه وبوسوئه (ص ٣٥ ، ٣٦) ثم افريقا وافريقيا وأفريقية . ثم هنالك تئورور مكان تئودور (ص ٦٩) ثم عمر بن خلدون ، وعمر ابن خلدون ، ويحيي ابن خلدون (ص ٤٣) . وقال المطارد مرتين مكان عطارد (ص ٣٠) ، وسفريوس مكان سفروس Severus (ص ٢٤) ، وقال كتاب الموطأ لابن مالك مكان مالك بن أنس (ص ٧١) ، ثم لخص مرماجنة مكان لخص قرطاجنة (ص ٧٣) ، وقال من سلالة ابي الفحص والفاروق (ص ١٣٢) مكان من سلالة أبي حفص الفاروق (؟) ثم زنباغ بالغين المعجمة مكان زنباع (ص ٤١٢) ثم دهبوير مكان دهبور (ص ٢٥٨) ثم ناتانيل شميث بالتاء وبالثاء مرة بعد مرة (ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٣) . ثم يقول هامر (ص ٢٤٩ ، ٢٥٠) وهامر بورشتغال (٦١٢) والصواب فيهما كليهما هامر بورغستال . وهنالك أخطاء أخرى أيضاً . ولقد كان الأولى أن تضبط هذه الأعلام ضبطاً صحيحاً . أما الصواب في لفظ الأعلام فلفظ أهلها لها ، فنحن نقول في اللغة الهولندية مثلاً دهبور في De Boer لا دهبوير . أما اذا لم يتمكن مؤلف من ذلك فالصواب أن يعتمد لفظ جميع الأعلام من لغة واحدة : اللفظ الافرنسي أو اللفظ الانكليزي مثلاً الا ما كان مشهوراً فيترك على شهرته وان خالف هذه القاعدة .

٢ — الألفاظ اللغوية . وهنالك أخطاء مطبعية كثيرة جداً نحو الحبايات بالحاء والصواب الجبايات بالجيم (ص ٢٧١) ثم يترع والصواب ينزع (ص ٣٣٧) ثم النصقة بالقاف وصوابها النصفة بالفاء ثم المناقسة بالقاف والصواب المنافسة بالفاء (٣٤٩) ثم عمائلة والصواب مماثلة (ص ٣٢١) ثم عات وصوابها عادت (٢٤٦) وعشرات مما يمكن أن يعرف بتأمل قليل أو كثير . على أن هنالك أخطاء يجب التنبيه عليها لأنها تصرف المعنى من وجه الى وجه ، وبعضها قد يصعب

ينتبه الى غلطة المترجم في هذه القضية . ولذلك وجه الى ابن خلدون هذه التهمة الجائرة التي تخالف الحق والحقيقة كل المخالفة » (ص ٥٨٨ — ٥٨٩) .

وهنالك تهم أخرى ، أو أكثر تفصيلاً ، وجهها الدكتور طه حسين ونفر قليلون آخرون من العرب لا يجوز أن نقف عليها طويلاً ، لأنها كلها لا تخرج عن الفلك الذي تدور فيه اتهامات الدكتور طه حسين نفسه . ولعل الانصاف في شأن ابن خلدون أن نقول ان طه حسين يمثل (أو كان يمثل على الأقل) « مدرسة ماسنيون » التي تقف جهودها على تحطيم مآثر العرب (ولعل طه حسين كان من طلاب ماسنيون) .

ثم ان الدكتور طه حسين ليس من أهل الاختصاص في الموضوع الذي تعرض له .

* * *

وإن مما يؤسف له ان في هذا الكتاب القيم أخطاء كثيرة أكثرها مطبعي وبعضها فقط ليس مطبعياً ، على أن هنالك أخطاء تشوه وجه هذا الكتاب أو تصرف المعنى من وجه الى وجه حتى يستغلق أحياناً . من أجل ذلك أحببت أولاً أن أسرد هذه الأخطاء ولكن وجدت أن سردها بالتفصيل يملأ عشرين صفحة على الأقل ، فاكتفيت بالتنبيه على أنواعها ، ولقد كان على « دار المعارف » أن يكون إشرافها على الطبع والتصحيح أحسن مما فعلت ، فان مثل هذا الاشراف كان يخفض هذه الأخطاء الى عدد يسير لا يكاد يخلو من مثله كتاب يطبع في البلاد العربية . ولكن بما ان الأستاذ ساطع الحصري « بغدادي الأسلوب » يطلب صحة المعنى ودقته من غير أن يلتفت الى جريان تراكيبه على المنهج البدوي القديم ، وليس ذلك بعيب كبير ، آثرت الاضراب عن استدراك « الأفصح والأمتن » اذا كانت الألفاظ والتراكيب تؤدي المعاني تأدية لا لبس ظاهراً فيها :

أ — الأعلام : لم يتقيد الكتاب بضبط الاعلام ، فالأعلام اليونانية مثل أثينة والاثينيون وثرموبوليس ترد أحياناً بالتاء المثناة من فوقها وأحياناً بالثاء

(ص ٤٧٣) وهي الكفاية . ثم تصدمهم (٤٧٥) وهي تصدم . ثم شذا (ص٤٤٧) وهي شدا . ثم منتضبا بالباء الموحدة من تحتها (ص ٥١٨) وهي منتضيا بالياء . ثم هنالك غير ذلك من أمثال هذه الأخطاء التي يمكن أن ترد الى الاهمال في « تصحيح الملازم » .

٣ — التركيب : وكذلك تكثر أخطاء التركيب والنحو كاضافة مضافين الى مضاف اليه واحد ، نحو : بنقل وتلخيص ما قيل عنه ... مكان بنقل ما قيل عنه وتلخيصه ، وهو كثير جداً . وكذلك قوله نفس السنة مكان السنة نفسها ، ومثل هذا التركيب أيضاً كثير . وقوله : وهو يقسم الى قسمين مكان يقسم قسمين . ومما لا يجوز إغفاله كثرة أخطاء النحو :

ص ١٤٢ : يجب علينا ألا « ننس » .

ص ١٥٥ : ان مقصود قدامة من كلمة العرب هو الأعراب « البدويين » .

ص ١٦٣ : « ثلاثة » طبقات .

ص ١٩٣ : ولم يأت شعب أفضل « ويستولي » على البلاد .

ص ٢٢١ : ان سكان البلاد الحارة « يكونوا » .

ص ٢٣٥ : أرضي أصحابها أم « أبى » .

ص ٣١٤ : أهل هذه الأقاليم « متأخرين » .

ص ١٠٢ : يتضمن كتاب التعريف « نصوص » عدة ... و « خطاب وارد » .

ص ٣٨٧ : الا أن الآخرين « يكونوا » .

ص ٤٥٧ : ان لكل شيخ ... اصطلاحات خاصة و « منهج خاص » .

ص ٤٧٦ : والسبب في ذلك أن أهل الملة « متفقين في القول ... كما انهم « متفقين » ...

ص ٤٨٢ : لو اقتصر « المعلمين » ...

ص ٥١١ : فيكون خطة « قاصر » ...

ص ٥٩٥ : وكل من يقرأ ... « يرى » ...

التفطن اليه لأنه مثبت في « الدراسات » وفي مقدمة ابن خلدون بصورة واحدة :

ص ٣٣١ : ندورها بالراء — الصواب ندودها ؟ بالدال .

ص ٣٦٩ : شكيهم بالباء الموحدة من تحتها — والصواب شكيتهم بالتاء المثناة من فوقها .

ص ٣٨٧ : ويحرمون عن قتالهم — والصواب ويحومون عن (؟) .

ص ٤٠٦ : ضربت ، بالباء بنقطة واحدة من تحتها — الصواب ضريت بالياء المثناة من تحتها .

ص ٨٦ : وهؤلاء تلقوه بالتخفي (بالخاء المعجمة) — والصواب بالتحفي بالحاء المهملة .

ص ٨٩ : يبأى (؟)

ص ١٠٧ ليجيروا (؟)

ص ٤٠٨ : بالصريخ (بالحاء المهملة) — الصواب بالخاء المعجمة .

ص ٤٨١ : وانهم على ابج (في المقدمة ٤٨١ أيضاً : على بج ؟) .

ص ٥٠٦ يغسون — الصواب يقيسون .

هذه الأخطاء يسأل عنها المؤلف لأنها كلها أخطاء واردة في المقدمة ، وكان المنتظر من المؤلف أن يصححها ولكنه لم يفعل . ومن أغرب الأخطاء قول المؤلف : « ولم تشتعل المذنبات في السماء ... » (ص ٢٣) وهو يقصد طبعاً « الشهب » ثم هنالك « انتفاض » انتفضت ... بالفاء (ص ٩٣ ، ٢٤٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩) والصواب انتقاض الخ بالقاف . وكذلك « صيغة » بالياء المثناة وصوابها صبغة بالباء الموحدة (ص ٢٤٨) . ثم هنالك قوله « خيبة الفشل » (ص ١١٨) وهو يقصد « مرارة الخيبة » . ومثل ذلك « لا يخرج حرمها » (ص ١٣٥) مكان « لا يخرج من حرمها » . وقال السلطة المتغضية بالغين المعجمة (ص ٢٨٧) ولعله يقصد (المتعضية) بالعين المهملة . ثم هنالك الذكاء بالذال المعجمة (ص ٤٢٧) والصواب بالزاي . ثم اللام (ص ٤٦٩) وهي الكلام ، ويحسنون (ص ٤٦٥) وهي يحسبون . ثم يجد (ص ٤٦٤) وهي يجيد ، ثم الكفاءة

دار الحديث العروية

هي من المدارس التي كانت في الجامع الأموي . أنشئت في القرن السادس الهجري . تنسب الى سيف الدين محمد بن عروة المتوفى سنة ٦٢٠/١٢٢٣ . كان مكانها مشهداً توضع فيه الحواصل الجامعيّة ، ففتحه ابن عروة ، وبنى فيه بركة ، ووقف فيه على الحديث النبوي درساً ، ووقف أيضاً فيه خزائن كتب [١] .

وقد ورد اختلاف في النصوص التي تكلمت على دار الحديث هذه في تحديد مكانها.

فقد ذكر النعيمي ، المتوفى سنة ٩٢٧/١٥٢١، عند الكلام عليها: « انها بمشهد عروة بالجانب الشرقي من صحن الجامع قبلي الحلبية ، ويُعرف قديماً بمشهد علي » [٢] .

وذكرها مرّةً ثانيةً عند كلامه على التاجيّة فقال : « التاجية بزاوية الجامع الأموي الشرقية غربي دار الحديث العزوية » [٣] .

وقد تبعه مختصروه ومن نقلوا عنه . فذكر ذلك العلموي في مختصر تنبيه الطالب [٤] ، والغزي في الكواكب السائرة [٥] ، وكردعلي في خطط الشام [٦] ، وتقي الدين في منتخبات التواريخ [٧] .

---

(١) انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣/١٠١ (القاهرة ١٣٥٨ هـ)
(٢) النعيمي ، تنبيه الطالب ١/٨٢ (دمشق ١٩٤٩)
(٣) المصدر السابق ١/٤٨٣
(٤) العلموي ، مختصر تنبيه الطالب ص ١٥ (دمشق ١٩٤٧)
(٥) الغزي ، الكواكب ١ : ٢٥٧ (بيروت ١٩٤٢)
(٦) كردعلي ، خطط الشام ٦ : ٧٤ (دمشق ١٩٢٨)
(٧) تقي الدين، منتخبات تواريخ دمشق ٣/٩٤٠ (دمشق ،لا تاريخ لطبع هذا الجزء) قال : لصيقة الجامع الأموي من جهة باب القيسرية وقد صارت داراً وتكية لكل من يتولى ذكر النقشبندية في الزاوية التي هي جانب الدار

وكذلك قال القدرية (ص ٦٢٢ و ٦٢٣) وهو يقصد الجبرية ، لأن الأصوب في مذهب القدرية انه مشتق من القدرة .

وهنالك أخطاء كثيرة يدركها المطالع بتأمل يسير ، ولكن مثل هذا الكتاب كان يجب أن يعرى عنها .

* * *

على أن هذا الكتاب قيم جداً . ولقد أدى الأستاذ الحصري فيه رسالتين عظيمتين : أولاهما أنه جلا عبقرية ابن خلدون وقدم للباحثين دراسة هي أوفى ما كتب في هذا الموضوع الى اليوم . وثانية تينك الرسالتين انه دافع عن التراث العربي دفاعاً حقاً . غير أننا نأمل أن تكون الطبعة المقبلة مبنية على جميع دراسات الأستاذ الحصري السابقة وحاوية لجميع ملاحظاته القيمة مقيدة الشواهد بصفحات الكتب .

ان كثيرين من عباقرة الفكر العربي لا يزالون بحاجة الى مثل هذه الدراسة الواسعة فعسى أن يتاح لهم ما أتيح لابن خلدون في هذا الباب .

الدكتور عمر فروخ

عبد الله بن محمد الزناتي ، واسمعيل بن عيسى بن رشيد الصقلي ، بقراءة علم الدين محمد بن أحمد بن محمد الاشبيلي ، وأبو موسى عيسى بن احمد المرسي ، ومحمد بن علي المدني الحجازي ، والفقيه محمد بن ابرهيم بن عياش الصنهاجي ، وهبة الله بن اسمعيل البعلبكي ، ومحمد بن عمر بن سلامة المعري ، وأيوب ابن مسعود بن صبح البغدادي ، وابرهيم بن اسمعيل بن ابرهيم المقدسي ، وفضل ابن سعيد البصراوي ، وعبد الرحمن بن أحمد بن حسن الهمذاني ، وعبد الخالق ابن شفيع بن عمّار الكفركنّي .

« بزاوية الشرف بن عروة ، غربي جامع دمشق المحروسة ، في رابع عشر ربيع الآخر سنة « اثنتين وعشرين وستماية »[(١)] .

فهذا السماع يحدّد لنا أن مشهد ابن عروة — ويسميه زاوية — هو في الغرب ، وليس في الشرق كما وهم النعيمي . والى ذلك يبين لنا ناحيةً أخرى تفيد في تأريخ النهضة العلمية في دمشق أيام الأيوبيين ، هي توارد الناس من جميع البلدان على دمشق لطلب العلم فيها . فالأشخاص الذين سمعوا جزء الأصمّ على البرزالي هم من أقطار مختلفة : من الأندلس ، وصقلية ، والمغرب الأقصى ، والحجاز ، وبغداد ، وفارس ، والشام . وهذا السماع يدل على ما كان لدمشق يومئذٍ من الشأن العلمي الكبير ؛ ويبين من ناحيةٍ ثانية شأن البرزالي نفسه .

وثمة سماع آخر وجدناه للجزء الثاني من الفوائد المنتقاة[(٢)] عن الشيوخ العوالي

---

(١) جزء من الفوائد المنتقاة عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم . مخطوط ، ظاهرية دمشق ، مجموع رقم ٢٨ ، الرسالة الخامسة ، ورقة ٥٦ آ

(٢) الثاني من الفوائد المنتقاة . مخطوط ، ظاهرية دمشق ، مجموع رقم ١٨ ، الرسالة العاشرة ، ورقة ١٧٢ ب

غير أننا بعد البحث والاستقصاء تبين لنا أن ما ذكره النعيمي كان خطأً ، وأن النصوص القديمة التي سبقت عصر النعيمي تخالف ما ذكره تماماً .

ففي القرن الثامن نجد ابن فضل الله العمري ، المتوفى سنة ٧٤٩ / ١٣٤٨ ، يذكر عند الكلام على مشاهد الجامع الأموي ما يلي :

« والغربي بقبلة مشهد على اسم عمر ويُعرف الآن بمشهد عروة ، وبه شيخ حديث وجماعة من العلماء يسمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن كتب وقف »[1] .

فنص العمري على نقيض نص النعيمي . فالأول يذكر أن اسم المشهد على اسم عمر في حين أن الثاني يجعله على اسم علي ، والعمري يذكر انه في الغرب في حين يذكر النعيمي أنه في الشرق .

فإذا رجعنا الى نصوص القرن السابع ، وجدنا أبا شامة صاحب كتاب الروضتين، المتوفى سنة ٦٦٥/١٢٧٦، يذكر أن هذا المشهد في غرب الجامع أيضاً[2] .

فهذان النصان لا يدعان مجالاً للشك ، وخاصة أن أبا شامة كان معاصراً انشاء المشهد .

ويؤيد تخطيئنا النعيمي ما وجدناه أثناء مطالعاتنا في مخطوطات دار الكتب الظاهرية من سماعات قديمة في هذا المشهد ورد فيها تحديد لموقعه .

فالسماع الأول مؤرخ في سنة ٦٢٢/١٢٢٥ أي بعد سنتين من وفاة ابن عروة . وهو سماع على زكي الدين البرزالي العالم المحدّث ، ولهذا السماع شأن فقد جاء فيه انه « سمع عليه جزءاً من الفوائد عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم :

---

(١) العمري ، مسالك الأبصار ١/١٩٦ (القاهرة ١٩٢٤) .

(٢) أبو شامة ، ذيل الروضتين، ص ١٣٦ (طبع باسم تراجم القرنين السادس والسابع، القاهرة ١٩٤٧)

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

— ٢ —

٣ — العهد الأخير في العراق

من سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م — الى سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م

في هذا العهد زادت الثقافة ، وقوي الاتصال بالترك في الهيأة الجديدة والعلوم المتعلقة بها ، ومراعاة ما حدث من تجدد كما يشهد بذلك وجود المؤلفات المتداولة بين ظهرانينا ، والعلاقة بهذه المعرفة الجديدة في مجلدات عديدة الا أن هـذه المعرفة محدودة وغير مكينة في أصل الدولة فلا مجال للتمكن منها في العراق . وهو خالٍ من عارفين باللغات الغربية ، وليس لنا رصد ليميـل القوم الى التحقيق العلمي . وان العراق في اشتغاله معروف . والواجب يقضي أن ندوّن ما جرى .

وفي هذه الحالة لا ينكر هذا الاتصال المحدود . وهذا قد يكفي صاحب المواهب أحياناً لتقوية ما هنالك . نشاهد الآثار في النشاط الجديد ولم نر تمكناً أو تضلعاً كبيراً . فان الأستاذ أبا الثناء الألوسي لم يقصر في هذه المعرفة ، وان علاقة ابراهيم فصيح الحيدري بالهيأة الجديدة مشهورة ، وتداول زيج حسين حسني معلوم كما أن البحث في الهيأة الجديدة وانها لا تنافي الاسلام مما جلب الأنظار اليها .

على الشيخ المسند نجم الدين ابي بكر محمد بن علي بن مظفر النشبي ، في سنة ١٢٨٧/٦٨٦ ، وفي آخره ما يلي :

«وصح وثبت في يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وستين وست مئة بمشهد ابن عروة ، غربي جامع دمشق حرسها الله تعالى» .

فيتبين من نصوص المؤرخين الذين سبقوا النعيمي ، ومن السماعات التي كتبت في المشهد نفسه ، أن هذه المدرسة (أو الزاوية ، أو المشهد) كانت في الغرب من جامع دمشق ، وليس في الشرق . وأن النعيمي وهم - وفي كتابه كثير من الأوهام - عندما نقله من غرب الجامع الى شرقيه .

الدكتور صلاح الدين المنجد

وهذا لا يكفي في بيان صفحة من صلاته ، وانما أحاول أن أوضح ما قلت بايراد بعض النصوص من تفسيره أو من سائر كتبه لا فتح الطريق للمتتبع ، وأراعي الايجاز بقدر الامكان . فإن وضعنا تاريخي في الاتصالات العلمية ، والعلاقات الغربية المهمة ... وهل كان ذلك من طريق الترك وهو الملحوظ أكثر أم من طريق الاتصال بالغربيين رأساً ؟ ومن المحتمل ان علاقته بالافتاء قد مكنته من الاتصالات بالسياسيين وزياراتهم والمباحثة معهم عما صار اليه الفن الجديد بل نرى علمه مكيناً من أيام داود باشا يدل على ذلك كتابه الفيض الوارد . ولا شك أن هؤلاء الأجانب لا يخلون أحياناً من المعرفة العلمية أو ذكر ما علموه من الاتصال بعلمائهم في الفلك والكل منهم عارف بالاجمال العلمي ...

بقي الاحتمال في طريق الأخذ . والألوسي قد تلقف مثل هذه المعرفة . وهي مكينة ، فاقتنص ما احتاج اليه مما لا يضطره الى وقت طويل . وكان الاحتكاك بأفاضل الترك مشهوداً . وبينهم من استكمل المعرفة العلمية دون التلقف من الأفواه والمعرفة العابرة وهذه سابقة الاتصال بالافتاء . ولا أطيل في الترجيح ، وانما أرجع الى معلومات الألوسي وأقتبس بعض المطالب منه لأمثل وضعه من هذا العلم ...

١ — في كتابه الفيض الوارد ذكر الشمس وأنها في السماء الرابعة على رأي الأقدمين . قال : ولا يكاد المحدثون يسلمون ذلك . ثم قال : وقد اختلف العلماء في مقدارها والمشهور أنها مثل الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ... والذي ذهب اليه أهل الهيئة اليوم من الافرنج أن الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها ، وانها أعظم من الأرض بألف ألف مرة وثلثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة ، وأن لها حركة على نفسها . وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفها الذي يظهر على ظهرها ورجوعه في أزمنة مخصوصة أنها تدور على نفسها في ٢٥ يوماً و ١٢ ساعة . وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض بل للأرض حركة حولها وأن الأرض إحدى السيارات . وهي عندهم :

هذا كله يحتاج الى تفصيل بذكر العلماء المشتغلين وما قاموا به من تدوين آثار الا أننا نقول ان هذا الاشتغال في حالته الجديدة كان يراعى فيه الارتباط بالخلدات السابقة في بدء الأمر ، ثم مال البعض الى الغرب وأخذوا رأساً منهم قبل أن يتمكنوا مما عندنا ، فانقطعت الصلة بالتاريخ وبالمصطلح . وكأننا أغفلنا ما عندنا أو عدنا لا نعرف أننا اشتغلنا قروناً كثيرة في هذا العلم وخلدنا آثاراً لا تحصى عداً بل الانتباه الأخير الى تاريخ العلم صار يأتينا من طريق الغرب . فكانت المعرفة مدخولة ومغلوطة . نشاهد ذلك في قاموس الرياضيات وفي (تراث العرب العلمي) وأمثالها من المؤلفات العلمية والتاريخية .

ومن علمائنا في هذا العهد :

١ — السيد كاظم الرشتي :

من المتوغلين في كتب الحكمة وله شرح غريب على رسالة الاسطرلاب للشيخ البهاء العاملي . وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ١٢٥٩ هـ . وهو رئيس فرقة الكشفية المشتقة من الشيخية . وله المكانة الرفيعة بين رجال طائفته . وهو من أهل كربلاء .

٢ — أبو الثناء الألوسي :

رأينا مدرسين عديدين لم يظهروا في التأليف . والكتب المدرسية لم تختلف عن سابق العهد الا أنها اقتصرت على شرح الجغميني لملخص الهيئة لقاضي زاده الرومي ، وأحياناً شرح السيد الشريف الجرجاني ، أو تشريح الأفلاك ، والصفيحة في الاصطرلاب للبهاء العاملي ولا تكاد تتجاوز هذين الأخيرين .

والأستاذ الألوسي لم يقف عند حدود هذه المؤلفات ولا هذه المعرفة ، وانما مال الى مؤلفات عديدة من علمية ومدرسية . وراعى تقدم الفن في عهده ، ولم يقصر اشتغاله على ما اشتغل به أسلافه ، فنراه في مؤلفاته مثل الفيض الوارد ، والمؤلفات الأخرى لا سيما التفسير قد أبدى فيها قدرة علمية ، وجارى تبدل الفكرة وتطور الفن ، فكتب في تفسيره الشيء الكثير ، وبث في مؤلفاته تجدداً محسوساً كما أنه لم ينس آراء القدماء وما قالوا به .

وهكذا ذكر التاريخ الفارسي ، ثم فصل التاريخ الملكي وهو الجلالي ، نسب الى السلطان جلال الدين (ملكشاه) ابن الب أرسلان السلجوقي ... وبيّن تواريخ عديدة حتى قال :

وبالجملة الكلام كثير في هذا المقام قد أفرده بالتأليف جماعة من العلماء الأعلام ولولا خروج الكتاب عن موضوعه لأتينا بما يسر الناظر ويبهج الخاطر (١) ...

ويدل على تمكنه وسعة اطلاعه أنه لم يفلت العلاقة بالماضي مع مراعاة التجدد العصري . ولو رجعنا الى تفسيره روح المعاني لرأينا العلاقة أعظم والمعرفة أقوى والتفصيل أجل نفعاً ... والعلاقة كبيرة بالهيئة الجديدة .

وهذا يبصرنا بأن علماءنا لم يغفلوا تطور العلوم والتجدد فيها . وكان الأستاذ الآلوسي من أول المشتغلين في ابداء ما جرى من تحول في هذا العلم .

توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ — ١٨٥٤ م .

٣ — ابراهيم فصيح الحيدري :

كان عالماً أديباً ومؤرخاً . ومن مؤلفاته في الفلك :

١) رسالة في تطبيق الهيئة الجديدة على بعض الآيات والأخبار . كتبها باللغة العربية وطبعت في المطبعة العامرة باستنبول في ٣٦ صفحة بالقطع الصغير سنة ١٢٩٢ هـ . كان كتبها باقتراح من أحمد جودة باشا وذكر فيها السلطان عبد العزيز ومدح أيامه . وكان ذكر في مقدمتها ولقد صدق في قوله : ان ما في القرآن من الآيات لم يكن نزولها على وجه التعليم لهيئة من الهيئات (القديمة والحديثة) . لأن ذلك بمعزل عن حكمة النزول من تبليغ الأحكام . هذا ما قاله ، والكتاب الكريم يعين عظمة السماوات والأفلاك والنجوم والشمس والقمر للاستدلال عليها بالقدرة الخالقة المبدعة ، وفي كل من الهيئتين تحصل

(١) الفيض الوارد ص ٢٥٨ مع العلم بأن الأستاذ الألوسي كتب كتابه هذا وأتمه في المحرم سنة ١٢٤٥ هـ مما يدل على قدم اشتغاله قبل ان يتولى الافتاء .

عطارد والزهرة والأرض والمريخ ووصنه . وقد كشفها رجل منهم يقال له أوليوس في حدود سنة ١٢٢٣ هـ ، وبونون وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق في حدود سنة ١٢٢٠ هـ ، وصريس وقد كشفها رجل منهم يقال له بياضي في حدود سنة ١٢١٦ هـ ، وبلاس وقد كشفها أولبوس أيضاً في حدود سنة ١٢١٧ هـ والمشتري وزحل واورانوس وقد كشفها رجل منهم يقال له هرشيل في حدود سنة ١١٩٧هـ . ولم يعدّوا القمر من السيارات بل من سيارات السادات ، لأنه يدور حول الأرض دورانها حول الشمس ... الى آخر ما قال ...

وهذه معرفة من اطلع على الآراء في الهيئة الجديدة . والتفصيل في الفيض الوارد[1] .

٢ — مضى في بحث التواريخ واستعمال الحروف للتعبير بها . وقد بسط القول في التواريخ ، فذكر العربي منها وفصل القول فيه ، وتكلم في النسيء . وما كان مستعملاً من التواريخ الأخرى . وذكر وضع التاريخ في الاسلام أيام عمر (رضي الله عنه) . وذكر تاريخ العجم . ونقل أقوال السهيلي ، ويونس الحاكمي ، وابن الشاطر ، وتكلم في التاريخ الرومي . ويسمى أيضاً بالسرياني ونقل قول صاحب المنهاج وهو (ابن البناء) ، وقول (الصوفي) في زيجه . وهكذا ذكر ما في المبادي والغايات يريد (جامع المبادي والغايات) . نقل ذلك عن السهيلي . ثم ذكر تاج الأزياج لابن أبي الشكر . ونقل عن زيج أولوغ بك وسمى زيجه هذا بسلطان الأزياج . وقال : اعتمده العلامة (محمد بن محمد بن سليمان المغربي) في منظومته ، وعين التاريخ الشمسي ...

ثم استمر الآلوسي بتفصيل ما هنالك وقال :

وللمغاربة والافرنج شهور أخر ممن يستعمل هذا التاريخ مخالفة لهذه الأسماء والمبدأ ، ويسمونها بأسماء عجمية وتبدأ من ينايرِ ، فبراير ... ووسع بحثه في التاريخ الميلادي ومال الى التاريخ القبطي ، ونقل عن البيروني ما يؤرخون به ...

---

(١) الفيض الوارد ص ١٧٠ . وفي كتاب (بسائط علم الفلك) جاء التفصيل مع ذكر اسماء المكتشفين بضبط تام .

الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ... ونسخته لدى أحفاده .

وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ .

٤ — جبرائيل يوحنا أصفر الكاثوليكي البغدادي ، وله :

١ — كتاب الأبحاث العليا في علم الفلك وهيئة الدنيا ، طبع بمطبعة اليسوعيين في بيروت سنة ١٢٩٢ هـ — ١٨٧٥ م .

٥ — غلام رسول الهندي .

كان عالماً في الفلك يدرس كتب الجادة فيه خير تدريس ، يميل اليه الطلاب لمعرفته لا سيما شروح الملخص في الهيئة .

توفي سنة ١٣٣٠ هـ ودفن في الشيخ معروف بجانب الشيخ أحمد السويدي الأخير المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ .

٦ — الملا أبو بكر المدعو كوچك ملا الاربلي :

من العلماء الأفاضل في اربل وكان مدرساً في جامع القلعة وله مكانة علمية وأدبية . وله :

١ — الربع المجيب ، وسماه (الفوائد الحسنية) .

أوله : نحمدك يا من تزلزل عن ادراكه ادراك العقلاء . الخ .

٧ — هبة الدين السيد محمد علي الشهرستاني :

من العلماء المجتهدين من رجال الشيعة . وله :

١ — الهيئة والاسلام ، طبع ببغداد سنة ١٩١٠ م ونقل الى اللغة الفارسية وطبع في ايران .

والمؤلف لا يزال من الأحياء ، ومن أهل العلم والفضل في ثقافات عديدة . وكان يصدر مجلة (العلم) .

ومن المشتغلين في الفلك والتقويم خاصة الأساتذة المرحومين (مصطفى امام الجيش) . وهو عم الأستاذ عبد العزيز ماجد عضو محكمة تمييز العراق و (محمد درويش) الكاتب الأول في محكمة شرعية بغداد سابقاً ، ولهما معرفة بتجددات العصر .

الغاية ، والهيئة الجديدة أظهرت نظـام العظمة أكثر وبصرت بالقدرة التي لا نهاية لحدودها .

وتطرق الى مباحث عديدة من اعتراضات وأجوبة وتطبيقات وهذه لم تخرج عن نقل ما قيل في التفاسير وليس فيها ما يدعو الى المعرفة . وهي على صغرها لا تخلو من فائدة ومن بعض توجيهات .

٢) امعان الفكر في الهيئة الجديدة ، وهذا ألفه قبل سابقه وفيه بيّن منشأ العلوم الحكمية وتفصيل المذاهب في الهيئة ، ونقل منه في رسالته الأولى بعض ما يتعلق بموضوعه ، ولم أر هذا الكتاب الا أنه نقل ما جاء من اعتراضات على الهيئة القديمة وخص بها ماعنالك ، والملحوظ انه نقل عن التحفة للقطب الشيرازي وسماه أبا اسحق الشيرازي غلطاً .

٣) شرح تشريح الأفلاك ، والأصل للبهاء العاملي ذكره في عنوان المجد بين مؤلفاته ، وسماه (فك الاشتباك في شرح تشريح الأفلاك) .

٤) امعان الألباب في الاسطرلاب ، وهذا أيضاً ورد ذكره في عنوان المجد .

٣ — حسين البشدري :

ويقال (پژدري) كما ينطق بها ، كان من مدرسي مدرسة الإمام الأعظم . ولد سنة ١٢٣٦ هـ ، وهو ابن الملا عبد الله ابن الملا محمد الخضري ابن ملا خضر وهو من بيشدر من قبيلة (نور الدبني) . ولد في بيشدر ، وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ في الأعظمية من بغداد وهو صاحب شرح تهذيب الكلام .

وله من المؤلفات في الهيئة :

١ — شرح تشريح الأفلاك ، لم يطبع ، قرّضه أبو الثناء الآلوسي والسيد محمد أمين البرزنجي وتقاريضهما في حديقة الورود (ص ٦١٥ و ٦١٦) ، ولا يحاكيه شرح .

ونعته السيد نعمان خير الدين بقوله : من أفاضل أذكياء الأكراد وصلحائهم الواردين الى بغداد وتفصيل نعوته في الحديقة .. وأول الشرح : الحمـد لله

من أيام العباسيين والمغول والتركمان بتوسع قلّ أو كثر ، والجديد فيها (علم البحار) وظاهرة أخرى أن الترك العثمانيين كتبوا بلغتهم مؤلفات الا انهم كالايرانيين لم ينقطعوا من العربية لسان العلم والثقافة بضروبها ، جرى ذلك بأمل المعرفة والاتقان .

وعندنا شاعت بعض المؤلفات التركية المكتوبة باللغة العربية مثل (ملخص الهيئة) للچغميني ، وشرح قاضي زاده ، وشرح السيد الشريف علي الجرجاني ، وعلي القوشجي ، وصارت تدرس عندنا فاكتسبت رواجاً واستقرت في (كتب الجادة) ، وأعتقد ان هذا الانتشار كان من أيام أولوغ بك فمن بعده كما تداولت الثقافة بعض ما كتب أيام المغول ...

ويهمنا الاتصال بعلم البحار ، وهو علم جديد انتشر لدى العثمانيين . وهذا اتصل بثقافة العرب في سواحل خليج فارس والبحر المحيط الهندي ، وما يتصل بهما كالبحر الأحمر .

وهذه علاقة حياتية أكثر من العناية بأمر الطالع وما فيه من سعد ونحس ، ولم نر اهمالاً لهذه الجهة أيضاً بل لم تترك في وقتٍ ... والعلوم تجددت بما حصل من انتباه ، وما زاد من عناية ، والترك العثمانيون لم يقصروا في المعرفة ، وكان انتباههم الى مؤلفات العرب في علم البحار كان قبل أن ينتبه الغرب اليها . وبواسطة الترك نقلت الى الألمانية نقلها الأستاذ همّر بترجمة كتاب (محيط) لسيدي علي رئيس ، وأعلنت هذه الترجمة عن ثقافة العرب واهتمام الترك بها ، وعرفت العلاقة بهذه العلوم .

ويهمنا أن نقول ان علم الفلك بعد سيدي علي رئيس لم يتقدم بل أصابه الخمول الذي عمّ الشرق بسبب الحروب الطاحنة المتواليه بين أهليه ، ومن ثم اقتصر على المؤلفات السابقة وحدها ، وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نعدّ فلكياً معروفاً وان كان لقب (منجم باشي) أي رئيس المنجمين الأول والثاني مشهوداً وموجوداً في تشكيلات الثقافة الفلكيه للدولة .

تكوّن الهيئة الجديدة في العراق

من حين تأسست المدارس العسكرية والاعدادية الملكية صارت تدرس الهيئة والرياضيات في مدارس الدولة ، وغالب من تمكن منها ضباط الجيش . نبغ منهم كثيرون ومنهم من تولى التدريس في العراق وفي استنبول . ومنهم من كان محبّاً للبحث والمعرفة ، ولا محل للاطالة بذكر أسمائهم .

تخرج هؤلاء من المدرسة الحربية وعرفوا بالرياضيات والفلك ، ومنهم من له آثار في الرياضيات مثل أمين فيضي ومحمود شوكة باشا .

٤ — علم الفلك في الدولة العثمانية

ظهر في الدولة العثمانية أكابر في الفلك ، اشتغلوا في رصد أولوغ بك مثل قاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چلبي ، وهؤلاء وأمثالهم أسسوا ثقافة في الفلك بعد أن كان غذاؤهم مؤلفات السلاجقة ، ومن جهة أخرى تمكنوا من تأليف أساطيل في البحر الأبيض المتوسط ، وفي البحر الأحمر (بحر القلزم) للاتصال بالمحيط الهندي ، فتقدم عندهم (علم البحار) كما تقدم (علم الهيئة) .

من ثم مزجوا بين العلم والعمل ، وان الثقافة الفلكيـة المتصلة بالجغتاي (آل تيمور) كانت من أهم طرق المناصرة لهذا العلم فان أولوغ بك استخدم علماء الأناضول ، وكانوا متصلين بهذا العلم من أيام السلاجقة الروم ، وبذلك الاتصال تمكنوا من علم الفلك ، وبقي زيج أولوغ بك معروفاً عندهم ، ومؤلفات الجغميني ، وقاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چلبي متداولة بينهم ، وظهرت مؤلفات أخرى .

كل هذا كان معروفاً عندهم قبل أن يفتتح العثمانيون بغداد سنة ٩٤١ هـ . وبعد الفتح عرفنا (پيري رئيس) و (سيدي علي رئيس) وجماعة من المتضلعين في (علم البحار) ، فاستقرت المعرفة . كانت الهيئة المتداولة معروفة ومنتقلة الينا

نقل الأزياج الغربية

كان هولاكو قد جمع ثلة من العلماء برئاسة الخواجة الطوسي فتمّ بناء الرصد في مراغة ، وعمل الزيج الايلخاني ، وجرى العمل به مدة فتبين النقص فيه ، فقام أولوغ بك بعمل الرصد في سمرقند ، ورتب الزيج الأولوغ بكي ، وهذا دام العمل به مدة وجرى فيه اصلاح ، ثم توجه نقد عليه من علماء عديدين الا انه لم يعمل رصد لتحقيق التفاوت والتثبت من صحة الزيج بسبب اهمال الأرصاد ومرور زمان طويل عليه أكثر من المدة التي مضت على الزيج الايلخاني ، والتفاوت لا يظهر سريعاً من جراء انه يحتاج الى الحساب ولا يتبين ذلك بالنظر للآلات الموجودة آنئذ . وانما يتحقق بمرور قرن أو أكثر .

لم يهدأ الاشتغال في الفلك الا أنه تحول الى مواطن الرغبة ، فان الغرب بذل الأموال العظيمة لبناء أرصاد ، كان أسس رصد باريس سنة ١٦٦٧م — ١٠٧٧هـ أيام الملك لويس الرابع عشر . وكان كاسيني (جان دومينيك كاسيني) مديره الأول ، وصار الزيج الكاسيني هو المعتبر . وتوفي كاسيني سنة ١٧١٢م ثم خلفه ابنه جاك (١٦٧٧م — ١٧٥٦م) . ثم جاء لالاند (١٧٣٢م — ١٨٠٧م) فصحح (الزيج الكاسيني) ، وأما رصد لندن في غرينويج فقد أسس سنة ١٦٧٥م أيام الملك شارلس الثاني ، والغربيون تعاونوا على تحقيق الأزياج . وفي أميركة شاع الرصد أيضاً ، وزادت العناية به كثيراً .

والعثمانيون رعوا علم الفلك ، وان اسماعيل الجناري من رجال القرن الثاني عشر ومن أكابر الفلكيين ، نقل الزيج الكاسيني الى التركية باسم (تحفة بهيج رصيني ترجمه زيج قاسيني) .

وهذا يحتاج الى توضيح ، وذلك أن السلطان أحمد الثالث في أواخر سنة ١١٣٢هـ أرسل الى لويس الخامس عشر يكرمي سكز چلبي وهو محمد افندي بسفارة ، وطبعت سفارته مؤخراً ، وكان هذا الفاضل ذهب الى رصد باريس

ولا ننس الموقتين في بعض الجوامع ، فقد ظهر بينهم أكابر . والمطلوب الانتاج ، وهذا لم نره الا قليلاً ، لاسيما في تاريخ هذا العلم ، كان تقدم هذا العلم والفضل في تكامله الى الرصدات وتحقيقاتها ، والاتقان الذي صحح أزياجها ، فالفرق لا يظهر في مطالع النجوم الا في عصر أو أكثر ليعلم التفاوت .

ولا شك أن المثابرة على التدريس وحده للمعرفة الفلكية ولد جموداً ، واقتصر فيه على ايضاح بعض الكتب المدرسية ، ولا تخلو من تأثر بكتب الدرس القديمة مثل ملخص الجغميني وشروحه وحواشيه الا اننا نشاهد (كتب البهاء العاملي) صارت تحتل مكانة ، بالرغم من المقارعات الحربية . وفي كل هذا العهد لم نشاهد تجدداً في علم الفلك ، وبقيت القدرة العلمية مقصورة على التدريس .

وعلماء الفلك في هذا العهد انحطت مداركهم أو احتفظوا بالموجود أو بالمعرفة السابقة ، ولم نر فيهم ما يلفت الأنظار ، ومؤلفاتهم في العربية مرة وفي التركية أخرى .

دامت الحالة في الفلك على ما كانت عليه الى أيام تأسيس (المهندسخانه) وهي كلية مهمة في الهندسة خدمت العلوم الرياضية والفلك الا أن الاشتغال مشى باطراده ، تغذيه المؤلفات السابقة وهي ثروة ثقافية عظيمة ، وأكبر عمل في هذا العهد ان التفت العثمانيون الى ثقافة الأمم ، فنقلوا (الأزياج) من الغرب ، ورعوا ما كان معروفاً عندهم والملحوظ أن السلطان سليماً الثالث قدم الى المهندسخانة البرية أجل اسطرلاب قديم بقطر ٨٦ مليماً وفيه خمسة ألواح وخطوط كوفية . قال الأستاذ صالح زكي ان الاسطرلاب لم يتقدم بعد الألف عند العثمانيين وغيرهم ولم ينل الاتقان المألوف عند قدمائنا ، وعدّ جملة من هذه الاسطرلابات [1]

---

(١) قاموس الرياضيات ص ٣٠٩ .

اليها وفي أغستوس سنة ١٢٦٠ ترجم ذلك الى اللغة العربية في مدينة حلب الشهباء وقد وصفنا تحويل ذلك الزيج الى حلب تحت جداول استخراج التواريخ .

ولم يتعين ناقله الى العربية ، وهذا موجود في الخزانة الظاهريه برقم ٤٣ فلك ، وبعد ذلك تمكن هذا العلم في بيروت في الكلية الأمركية على يد كرينليوس فانديك في كتابه قبة السماء ، وأصول الهيئة وغيرها من مؤلفات ظهرت ...

ثم جاء حسين حسني مؤمن زاده من مشاهير الرياضيين فنقل الى التركية (زيج لالاند) ، وكان هذا أيضاً من مشاهير الرياضيين ، ومن ثم تعينت العلاقة ، وتبينت ماهية الاشتغال نوعاً ، وهذا الزيج الأخير كتبه مؤلفه باللغة التركية ، وعندي نسخة مخطوطة منه . أوله : حمدا نجم شمار ... قال في مقدمته : ان الأعمال الحسابية والأمور العقلية تزداد كمالاً وتقدماً يوماً فيوماً فتصل الى أوج الكمال ، وان مطالع الصنائع البديعة لا تزال تصل الى نهاية من التحقيق وتتكامل الى غاية عظيمة من الاتقان ، وان الزيج الشهير المأخوذ أيام (أولوغ بك) كان من أتم ما وصل اليه المتقدمون ، فاشتهر فهو أكمل من غيره ولكنه لا يخلو من نقص في آلاته الرصدية ، فكان قد ظهر عليه النقص ، وبدا الاهمال ، فتبين الخطأ في زيجه بعد حين وظهر الخلل في ضبطه وان (زيج قسيني) أزاح الستار عن فرق عظيم فيه ، وتبين بجلاء ، ظهور فروق نحو ساعتين من الزمن عندما نقيس دخول الشمس في نقطة الحمل ، وهكذا في الكسوف والخسوف ، فنرى التفاوت بنحو ساعتين بين حلوله وتاريخ ضبطه ، وهذا مشاهد رأي العين . فقطع أرباب هذا العلم ببطلانه . فكان (زيج قسيني) مرجحاً عليه من كل وجه .

وهذا الزيج بمرور الأزمان عاد غير متقن من كل وجه ، فجاء لالاند الراصد الفرنسي الشهير بالفلك في باريس فبيّن خطأه ، وأوضح تخلفه الجزئي ، فاستبان عياناً ، فعدّل فيه سنة ١٨٠٠م — ١٢١٤هـ [1] . فثبّت التخلفات الرصدية ،

(١) وهذا التاريخ لا يتفق مع تاريخ اعطاء نسخة منه الى الدولة العثمانية سنة ١١٨٠ هـ فالتفاوت ٣٤ سنة .

ورصد الأجرام السماوية في النظارة المقربة (التلسكوب)، وكان مدير الرصد آنئذ جان كاسيني ، فبحث معه حول الأزياج في الدولة العثمانية وحول علم الهيئة . فقدم جان كاسيني نسخة من زيج والده دومينك كاسيني ولم يطبع بعد قدمها هدية الى محمد أفندي ؛ ومن ثم دخل هذا الزيج الجديد البلاد العثمانية .

ثم ان السلطان مصطفى خان الثالث أمر بنقله من الفرنسية الى التركية ، فكان ذلك نصيب اسماعيل الچناري ، ويقال له (خلفه زاده) نقله الى التركية امتثالاً لأمر السلطان سنة ١١٨٤ هـ فقام هذا الزيج مقام زيج أولوغ بك ، ونقل جداول اللوغارتمه فألحقوها به ، فحلت محل الحسابات الفلكية الستينية ، وسمى جداول اللوغاريتمة بـ (الجداول النسبية) ، فكان ذلك أول نقل للزيج الغربي واللوغاريتم ، ومن هذا الزيج المترجم نسخة بخط مترجمه مؤرخة في سنة ١١٨٦ هـ وصلت شراء من تركة ميرزاده قويم الى ولي الدين افندي وصارت الى الأستاذ صالح زكي الرياضي المعروف ، ولا ندري مصيرها .

ومما عرف ان مؤرخ الرياضيات مونتوكلا قد ذكر سنة ١١٨٠ هـ من المجلد الأول من كتابه تاريخ الرياضيات أن السلطان مصطفى الثالث طلب من البارون طوت Tott من المجمع الفرنسي ارسال بعض الكتب الرياضية ، فأرسل اليه بعض الكتب ومنها (زيج لالاند) كما صرحت بذلك سجلات المجمع، وكان من بين الكتب المرسلة لوغاريتم . وفي تاريخ واصف طلب بعض الكتب من فاس في الاختيار بأن تجمع له من المغرب أي للسلطان المشار اليه ، هذا ما أمكن تلخيصه من قاموس الرياضيات .

ومن الزيج القسيني باللغة العربية جاء ما نصه : الزيج القسيني المعتبر نبغ في عصرنا نزهة زمانه وفريد دهره (كذا) وهو الرصد الجديد المرصود في مدينة باريس كرسي المملكة الفرنساوية ، وقد اقتطف بعض الفقهاء من أصل نسخة كتابه الكبير فقط صنفه تقويم النيرين والخمسة كواكب المحيرة وعمل الاجتماع والاستقبال وترجم من الفرنساوية الى التركية في مدينة القسطنطينية السلطانية وحول الرصد

تعديل الزيج القاسيني من لالاند[1] . فجاء مكملاً لما قام به من كان قبله من رجال العثمانيين .

ويؤيد ذلك الرجوع الى ترجمة (اسماعيل الچناري) المعروف بـ (خليفه زاده) ، ومن أوائل أيامه صار مظهر توجه السلطان مصطفى الثالث ، وصار موقتاً في جامع (لالهلي) ، وهذا الفاضل كان أمره السلطان مصطفى أن يترجم (زيج قاسيني) فنقله الى التركية بتوسع في ١٤ فصلاً وسماه (تحفهٔ بهيج رصينى ترجمة زيج قاسيني) . وحسين حسني أول من نقل (زيج لالاند) ووضعه في موضع العمل ، وترجم المجلد الأول من كتاب (استرونومي دولالاند) أي هيئة لالند . وهو في ثلاث مجلدات نقل الأول منه وسماه (زيج لالاند) ، ونقل أرقامه الى حروف أبجدية ، ومنه نسخة لدى أحمد ضيا ، قال ذلك صاحب (عثمانلي مؤلفلري) ، وجاءت ترجمته موسعة في (قاموس الرياضيات) للأستاذ صالح زكي من رياضي الدولة العثمانية .

وهذا ما يجعلنا نميل الى أن حسين حسني (مؤمن زاده) هو الذي قام بما قام به من ترجمة الزيج المعروف باسمه أعني (زيج حسين حسني) بالوجه المبين . وان (زيج لالاند) هو المترجم من حسين حسني نفسه وكان الى سنة ١٢٣٦ هـ .

وجاء ابراهيم بك (طوارق باشا زاده) فشرح زيج قاسيني وذيل عليه من سنة ١٢٣٧ هـ الى سنة ١٢٤٠ هـ باسم (تسهيل زيج قاسيني) ، ونقل فن (المثلثات) من الافرنسية ، وله (رسالة في الارتفاع) رتبها على ستة أبواب ، وكان منجم باشي (رئيس المنجمين) في الدولة العثمانية ، توفي سنة ١٢٤٦ هـ ، وترجمته في عثمانلي مؤلفلري .

وهنا لا نمض دون الاشارة الى أن (زيج حسين حسني) جاء بعد (تحفهٔ بهيج رصيني) وجاء التسهيل ذيلاً عليه . والنسخة الموجودة عندي من زيج

---

(١) في هذا التاريخ ما يخالف تاريخ سنة ١١٨٠ هـ الذي قدم فيها زيج لالاند أو أنه اكتسب الشكل الأكمل سنة ١٨٠٠ م . فليتحقق ؟ .

واتخذ مركز قرص الشمس أصلاً . فصار الضبط أكمل ، وعدّ هذه التخلفات بالمائة السنوية (تخالف صدساله) فوضع ضبطاً لهذه التخلفات عن كل مائة سنة وصح أن تسمى بالتخلفات بالرصدية ، وبذلك تمكنت التدقيقات العلمية من تعديل التقاويم الفلكية فكانت أقرب الى الصحة ، وصار يعدّ هذا الزيج (بالزيج الخالد) الذي لا يطرأ عليه خلل ولا يحتمل التخلف فيه ولا في المطالع . ولا ينكر الاتقان ، ولا التخالف الجزئي في كل حالاته ، فهو عرضة للاصلاح دوماً ، ولا شك ان اتقان الآلات مما مكن من اتقان الرصد ، ومن ثم اتقان الأزياج .

وهذا الزيج نقله الى التركية وبدّل أرقامه الى أرقام اسلامية ، وبذلك وبعد انتهائه قدمه الى السلطان محمود ابن السلطان عبد الحميد[1] . ونمت نفسه حين تقديمه بحسين حسني المنجم الثاني ، فكتب هذا الزيج الجديد ونقله الى اللغة التركية ، واتخذ عاصمة الفرنسيين باريس مبدأ خط نصف النهار وقسمه الى ستة أبواب[2] ...

هذا ما جاء ملخصاً من الزيج نفسه ، وفيه بيان تاريخ الزيج عند العثمانيين . والملحوظ أن صاحب (عثمانلي مؤلفلري) بين ان المؤلف من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول ، فعدّه من رياضيي ذلك الزمن ، وذكر له من المؤلفات (مرآة القلوب) ، ومنه نسخة في خزانة تكية يحيى أفندي في بشكطاش . وقال انه من أهل استنبول ، ومن موظفي المالية ، نقل (زيج لالاند) الى التركية ووسعه فجعله في ستة أبواب[3] وأعتقد ان المؤلف لم يكن من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول فقد جاء أنه كتبه أيام السلطان عبد المجيد وصوابه السلطان محمود ونقد (زيج قاسيني) ، وبين تاريخ سنة ١٨٠٠ م زمن

---

(١) ورد ان السلطان عبد المجيد بن السلطان عبد الحميد . وهذا ليس بصواب . فقد ذكر السلطان عبد المجيد بدل السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد سهواً كما يظهر.

(٢) ملخص ما في مقدمة الزيج المذكور .

(٣) عثمانلي مؤلفلري ج ٣ ص ٢٦٠ .

١) تحفة بهيج رصيني ترجمة زيج قاسيني ، ويعرف بزيج قاسيني ، وسماه صالح زكي بـ (زيج لالاند) وليس بصواب ، فان (زيج لالاند) يأتي ، وهو غيره .

٢) رسالة في تأخر الغروب عن الوقت المستخرج بالمواقيت المستعملة في أيدي الناس .

توفي بعد سنة ١٢٠٣ هـ .

٢ — اسماعيل الكلنبوي :

جاءت ترجمته في قاموس الرياضيات بصورة مفصلة (ص ٣١٨ ج ١) ، كان من رياضيي الدولة العثمانية المشاهير ، ولد سنة ١١٤٣ هـ في كلنبه وعرف بالنسبة اليها ، وأصل اسمه اسماعيل ، وهو من بيت علم ، ولي التدريس سنة ١١٧٧ هـ وكان قد نال قبولاً من السلطان سليم الثالث فأنعم عليه مولوية يكيشهر سنة ١٢٠٤ هـ ، ويعدُّ خاتمة العلماء في الرياضيات القديمة ، وفي أيام السلطان عبد الحميد الأول وصدارة خليل باشا دخل في المهندسخانة البحرية بصفة مدرس للرياضيات .

ومن مؤلفاته :

١) كتاب الجبر .

٢) شرح اللوغاريتمة ، شرح به رسالة كانت متداولة .

٣) رسالة في المثلثات .

٤) كتاب المراصد .

وتوفي سنة ١٢٠٥ هـ [1] .

٣ — سليمان مقامي :

كان كاتب الديوان ، وتوفي سنة ١٢١٠هـ . وله من المؤلفات :

١) زيج قاسيني ، حوّل فيه سنيه الميلادية الى هجرية ، ونقل طول باريس

---

(١) تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ص ٣١٨ — ٣٢١ .

حسين حسني تداولتها الأيدي في بغداد ملكها محمد افندي الخشالي ، ثم محمد درويش أفندي الكاتب الأول للمحكمة الشرعية الأسبق ، وكان رحمه الله تعالى فاضلاً في التقويم .

هذا وكان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوربا (الخواجة اسحق أفندي) وكان موفقاً في وضع المصطلحات العلمية وتعيينها ويعدّ رئيس الناقلين من اللغات الأجنبية وإمامهم ، وكان باش خواجه في المهندسخانة البرية أي رئيس الأساتذة . وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ[1] . والفضل لمؤسسة المهندسخانة المذكورة ، فانها مكنت العلوم الرياضية في المملكة ، وظهرت مؤلفات جمة في هذه العلوم ، وحصل تجدد عظيم فيها ، ولم يبق القوم على الكتب القديمة ، وانما انصرفوا الى معرفة ما تجدد منها ، والعلوم يجلوها الاشتغال . ومن المهم الاشارة الى أن العلوم العملية للحرب وما ماثل تستند الى هذه ، ووضعت فيها مؤلفات عديدة كما أن العلوم البحرية الحربية تستند الى عين المستند .

والى تاريخ تكوّن المهندسخانة كانت العلاقة بالعلوم العربية في الهيئة كبيرة ، وكانت الترجمة من هذه اللغة مستمرة ، وأصل الدراسة باللغة العربيه نفسها مشهودة الا أن الوجهة تغيرت بتأسيس هذه المدرسة ، وان بغداد لم تقصر في علوم الأوائل ، كما أن الرغبة العلمية جعلت العراقيين يميلون الى هذه المؤلفات الحديثة ، فتحولت العلوم الى مواطن الرغبة ، وكان الترك العثمانيون قد مالوا الى الأخذ من هذه العلوم من أهلها . وكانوا على علم من الفلك القديم وسائر العلوم الرياضية ، ونعم ما فعلوا ، ولا نزال نرى النقص ، ولم تتكامل المعرفة في الشرق كله ...

وهؤلاء أشهر من عرفوا :

١ — اسماعيل الجناري :

كان في أيام السلطان مصطفى الثالث (١٦ صفر سنة ١٢٧٢ هـ — ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ) ويعد من أكمل المنجمين ، وله من المؤلفات :

---

(١) ترجمته ومؤلفاته في عثمانلي مؤلفلري ج ٣ ص ٢٠٤ - ٢٥٥ .

١) مجموعة العلوم الرياضية ، طبعت وفي ضمنها الفلك .

٢) عكس المرايا في أخذ الزوايا ، يبحث في أصول استعمال آلات الرصد لمثل أوقتانت ، وسكتاند .

٣) رسالة الكرة .

٤) أصول استعمال آلة أوقتانت .

توفي سنة ١٢٥٠ هـ — ١٨٣٤ م[1] .

وهكذا توالى الاشتغال في الفلك والرياضيات حتى ظهر مثل الأستاذ صالح زكي ، وكان يعدّ من نوابغ هذا الفن ، فخدم العلوم الفلكية والرياضية الجديدة وتوفي في ٢ تموز سنة ١٣٣٧ رومية وفي المدارس الحربية ودار الفنون الملكي (الجامعة) قويت العلوم الجديدة في الفلك والرياضيات ، ومن آخر من ظهر في هذه العلوم أحمد مختار باشا الغازي ، وله مؤلفات مهمة كرياض المختار وذيله ، واصلاح التقويم ، وتقويم السنين ، والتقويم المالي ، وتوفي سنة ١٣٣٧ هـ . وهناك أفاضل كثيرون ، منهم أخذ العراقيون في الحربية في الأغلب ، والى مؤلفاتهم توجهت الوجهة دون غيرها .

وكانت ثقافة الترك في الفلك موجهة الى الاستقاء من كتب الايرانيين وكتب العرب ، وظهرت لهم آراء خاصة في الفلك وفي البحرية ، والاتصال بثقافتها بواسطة ملاحي العرب الا أنها جاءتهم من جراء الاصطدام بالبرتغال ، وكان الاشتغال في الكتب المتداولة وفي زيج أولوغ بك ، حققوا فيه ، وأخذوا بأحكامه مع مراعاة اشتغالات العرب ، والصلة غير منقطعة ، ثم عادت الى التوجّه الى ايران ودرس كتاب البهاء العاملي وفي أواخر القرن الثاني عشر وما بعده مالوا الى تكامل العلم في الغرب ، فكانوا من أقدم الأمم الشرقية في الأخذ منهم في الفلك والرياضيات لما أسسوا من أرصاد ، وأتقنوها بتقريب العلماء في

(١) جاء تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ج ١ ص ٣٠١ .

الى طول استنبول وسماه (زيج جديد خلاصهٔ غرا) .

٢) مرآة السماء ، تركي .

٣) رسالة الارتفاع .

٤ — السيد مصطفى بن أبي بكر :

كان ماهراً في الرياضيات مهارةً كبيرة ، وهو ممن دخل كلية الهندسة أيام السلطان سليم الثالث ، وهو خطّاط أيضاً ، ولا يزال حياً في سنة ١٢١٠ هـ .

وله من المؤلفات :

١) فن الحرب ، كتبه باللغة الفرنسية .

٥ — حسين حسني : من رجال الفلك المعروفين . وله :

١) الزيج المسمى باسمه (زيج حسين حسني) ، نقد الأزياج السابقة . ومنها زيج أولوغ بك وزيج قاسيني ومدح (زيج لالاند) ونقله الى التركيــة . ثم كتب زيجه ، وعندي نسخة منه .

ويعد المترجم من الفلكيين الأكابر ، لم ينقطع عن المعرفة والاتصال بالحركة العلمية في الفلك فراعى اطراد التجدد فيه .

٦ — ابراهيم بك طوراق باشا زاده . من الفلكيين وله :

١) رسالة في المثلثات نقلها من الفرنسية الى اللغة التركية .

٢) الذيل والشرح على الزيج القاسيني كان قد ذيل عليه من سنة ١٢٣٧ هـ الى سنة ١٢٤٠ هـ .

٣) رسالة الارتفاع .

وفي أيامه كان رئيس المنجمين ، توفي سنة ١٢٤٨ هـ — ١٨٣٢ م .

٧ — خواجه اسحق :

كان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوربا ، وعين المصطلحات ، فوجد لها مقابلاً . وله معرفة بعدة لغات ، فهو إمام من نقل ورئيس من ترجم . فهو مجدد علوم الفلك والرسم والتخطيط ... وله من المؤلفات :

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

— ٧ —

القرن الثامن

من أشهر من تكلم في إعجاز القرآن في القرن الثامن الزملكاني في كتابه التبيان في إعجاز القرآن ، والخطيب القزويني صاحب كتاب التلخيص لمفتاح السكاكي ويحيى بن حمزة العلوي وهما من علماء البلاغة ، والأصبهاني والشاطبي وهما مفسران ، والزركشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن . وسأخص كلاً منهم بكلمة .

١ — الزملكاني :

يؤلف الزملكاني (٧٢٧) كتابه التبيان في الإعجاز ويذكر خلاصة رأيه السيوطي (الاتقان ج ٢ فصل الإعجاز) فيقول : «وجه الإعجاز راجع الى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة وعلة ومركباته معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى» .

فلا يخرج به عن نظرية النظم ولكنه يجعل هذا النظم في جودة كل من اللفظ والمعنى وفي ائتلافهما وليس هذا بجديد ، هذا وقد اعتمد عبد العليم الهندي على كشف الظنون فيما يظهر فجعل وفاة الزملكاني سنة ٦٥١ هـ .

٢ — الخطيب القزويني :

يؤلف الخطيب القزويني (٧٣٩) كتابه التلخيص — لمفتاح السكاكي — فلا يتكلم على الإعجاز بشيء إلا أنه يذكر في مقدمته أن علم البلاغة وتوابعها

الفلك الا أنهم لم يهملوا المعرفة السابقة الا في النواحي التي قبلت الاصلاح . جمعوا بين الثقافتين وما عدّل فيها من تصحيحات ومعلومات جديدة . وهكذا توالى الأخذ الى درجة أخذّوا بها في المصطلح لعدم التوفيق بين الماضي والحاضر .

كان النهج واحداً ، ولا يزال الا في وضع آلات جديدة لزيادة الاتقان . وهذا التجدد لا يدعو الى اهمال المصطلح ، أو ان يؤدي الى الاخذ بمصطلحات الغرب ... ولا سبب لذلك الا الانقطاع عن الثقافة العلمية السابقة أو الجهل بالمعرفة التاريخية [1] .

(يتبع) عباس العزاوي

---

(١) من أهم المراجع للتوسع كتاب (عثمانلي مؤلفلري) ج ٣ وقاموس الرياضيات والآثار الباقية ، وهما للاستاذ صالح زكي .

كالسكاكي وابن الأثير وصاحب التبيان ـ أي الزملكاني ـ وبعضهم كانت له اليد الطولى كابن الخطيب الرازي الذى لم يأت في كتابه بما ينقع الغلة .

وهنا نراه يتهم المؤلفين قبله بالتقصير فيبالغ لأنهم لم يقفوا كلهم عند مخارج الكلم وسنرى أنه لم يأت بجديد يستحق الذكر وإنما كان جامعاً لما كتبه غيره مستقصياً في الجمع لا أكثر ثم يقول إن الدليل عنده على الإعجاز شيئان :

١ — تحدي النبي للعرب بأن يأتوا بمثله وعجزهم عن ذلك .

٢ — ما اشتمل عليه القرآن من الفصاحة في الألفاظ والبلاغة في المعاني — بالاضافة إلى مضرب كل مثل ومساق كل قصة وخبر وفي الأوامر والنواهي وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ وغير ذلك مما اشتملت عليه علوم القرآن فإنها مسوقة على أبلغ سياق — والخاصة الثالثة جودة النظم وحسن السياق .

ويطيل الكلام في التحدي (الطراز ج ٣ ، ص ٣٧٠) فيذكر أن الله نزلهم فيه على ثلاث مراتب وأنه تدرج فيه من الأكثر الى الأقل — من القرآن ، الى عشر سور ، الى سورة — ويذكر حالهم مع النبي حين هذا التحدي وجوابهم عليه ثم يورد ما يوجهه الملاحدة من الطعن على فكرة إعجاز القرآن ويورد لهم عدة اعتراضات في صور أسئلة تنوق في وضعها وتكلف عناء الاجابة عليها ، والغرض منها إنكار التحدي لأنه عمدة الإعجاز وتتلخص فيما يلي :

١ — ليس القرآن كله بتفاصيله متواتراً بل المتواتر هو القرآن ككل. لأن ابن مسعود أنكر الفاتحة والمعوذتين وحصل خلاف بين الصحابة في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأثبت أبيّ بن كعب آية القنوت (اللهم اهدني فيمن هديت الخ) في القرآن ولما كانت آيات التحدي من جملة التفاصيل فلهذا لا يحكم ثبوتها في المصحف فلا يكون فيها دلالة . وهو يرد على هذا بأن القرآن متواتر التفاصيل لأن الأولين كانوا أحرص منا على حفظ القرآن أو هم مثلنا على الأقل فما ادّعاه بعض الصحابة من أن في القرآن زيادة أو نقصاً هو إما خبر آحاد لا يعتدّ به لأنه يشترط في مثله التواتر وإما أنه وحي ولكنه ليس بقرآن .

من أجل العلوم قدراً وأدقها سراً إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستارها فيظهرنا على أن المؤلفين في البلاغة على الغالب ينظرون الى علوم البلاغة على أنها واسطة لمعرفة إعجاز القرآن فهو يقرر ضمناً أن إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته لا في شيء آخر .

٣ — يحي بن حمزة العلوي :

ويؤلف يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩) كتاب الطراز في البلاغة ويعقد فيه فصلاً مطولاً في الجزء الثالث منه للإعجاز يتبع فيه طريقة الجدل والكلام فيذكر أقوال غيره ويناقشها واحداً واحداً ليردها ثم يقدم رأيه الخاص وأول ما يطالعنا في كتابه الخاص أنه يعرف البلاغة فيقصر الغرض منها على معرفة أحوال الإعجاز فيقول :

« هي علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل الى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه » .

وفي الفصل الذي عقده للإعجاز يذكر أن فصاحة القرآن وبلاغته تظهران عنده بمقياسين الأول أن يقاس ما في القرآن على قواعد الفصاحة والبلاغة التي قررها وهنا نلاحظ نحن أن هذه القواعد مستمدة من القرآن فكأنه حينما يقيسها إنما يطابق الشيء مع نفسه ، والثاني أن يقاس بأقوال البلغاء . فيظهر فضله في الحالين . ثم يأتي من القرآن بآيات تتعلق ببحوث الفصاحة والبلاغة ويبين أنها جاءت منها في المرتبة العليا وذلك تطبيق على مقياسه الأول للإعجاز .

ثم يذكر أن الكلام في الإعجاز أول المباحث الكلامية والأسرار الإلهية لأنه دليل النبوة ويذكر تقصير من سبقه في بيان أسرار الإعجاز ووقوفهم عند الكلام على مخارج الكلم ، بعضهم لتقصيره في الكلام والإلهيات وهم الأكثرون

وقد قالوا الأشعار والخطب والحروب دائرة ثم لِمَ لمْ يعارضوا القرآن زمن السلم ثم كان يمكن الفصحاء أو من هم في معزل عن الحرب أن يعارضوه .

٦ — كانت الدواعي متوفرة للمعارضة وتأخرهم عنها لا يدل على أنهم عاجزون لأنه لا يلزم وقوعها فعلاً ، وردّ على ذلك بأن توفر أسباب المعارضة يوجب عليهم القيام بها وحيث أنهم لم يفعلوا دلّ ذلك على عجزهم عنها .

٧ — وما يدرينا أن المعارضة لم تقع وما البرهان على ذلك ؟ وأجاب على هذا بأن هذا الأمر العظيم لو وقع لما خفي ولاشتهرت المعارضة أكثر من القرآن الذي يصير حينئذ كالشبهة وتصير هي كالحجة ويحفظها الملاحدة والمخالفون للاسلام لما فيها من إبطال أمر النبي .

٨ — قد وقعت المعارضة فعلاً واشتهرت فهذه قصائد العرب السبع وكلام مسيلمة وأخبار الفرس وملوك العجم للنضر بن الحارث ومعارضة ابن المقفع وقابوس بن وشمكير والمعري فكيف تنكر ؟ وردّ على هذا بأن كل هذه المعارضات لا تقارب القرآن ولا يصح أن تقارن به لضعفها .

٩ — ربما كان المانع لهم من المعارضة عدم معرفتهم بما يتكلم به القرآن من أخبار البعث والنشور والملائكة والسماء الخ مما لا دخل لأفهامهم في تعقله وإتقانه وردّ على ذلك بأن اليهود كانوا بين أظهرهم يستطيعون تعليمهم إياها ثم إن اليهود أنفسهم كان فيهم فصحاء .

وهذه الأسئلة ليست ذات قيمة كبيرة ـ فيما أرى ـ وإنما ذكرتها لأبين ألوان المناقشة والجدل في هذا الموضوع الذي كثيراً ما تناقش فيه البديهيات على غير طائل كمناقشته هنا هل حصل التحدي أو لم يحصل وهل فهموا منه معنى المماثلة أو لا ثم لا أدري إذا كانت هذه الأسئلة كان يضعها الملحدون والمخالفون حقيقة أو إنها كانت من وضع المؤلف أو غيره من العلماء ليردّوا عليها ويبينوا قدرتهم في الجدل .

٢ — ليس المقصود من آيات التحدي أن تكون دليل صدق النبوة بل هي من نوع تحدي الخطباء أثناء خطبهم لمن يخالفهم فهو ضرب من المبالغة والادّعاء والافتخار ٠

ويرد على ذلك بأن النبي قد بلغهم هذا التحدي وكان يقارعهم بالقرآن وكانوا يعرفون المقصود منه ٠

٣ — لم يصل التحدي الى كل العالم وعجز بعض الناس لا يدل على عجزهم جميعاً ولا يدل على صدقه ٠ ويرد على هذا بأن العرب اذا عجزوا فغيرهم أعجز وإن لم يصل الى جميع الخلق سابقاً فقد وصل اليهم الآن ولم يقدر على معارضته أحد ٠

٤ — هب أن التحدي قد بلغ الخلق كافة فهم عدلوا عن معارضته لأن المعارضة لا تجدي في حسم الخلاف فعدلوا عنها الى الحرب وإنهم لو عارضوه لاحتاج الأمر الى التحكيم ويكون ذلك مدعاة لنزاع طويل يكسب به محمد الوقت فتشتد شوكته فعدلوا الى الحرب ثم إنهم ربما عدلوا عن المعارضة لأنهم لم يدركوا حقيقة المماثلة هل تكون بالفصاحة أو البلاغة أو النظم أو ٠٠٠٠ (يعدد هنا كل ما ذكر من آراء في وجوه الإعجاز تقريباً ٠٠٠)

وأجاب على هذا بأن ردّهم على التحدّي بالقول أسلم لهم لأنهم كذلك ليسوا على ثقة من ربح الحرب وأنه ليس الغرض حصول المماثلة من كل الوجوه بل الإتيان بما يظن كونه مماثلاً ، ثم لو اشتبه عليهم معنى المماثلة لسألوا النبي عنها ولكن الأمر معلوم لهم ثم يقول : والنبي أطلق التحدي ولم يعينه بشيء دون شيء اتكالاً منه على ما يعلم من ذلك بمجرد العادة واطّرادها في التحدي بين الشعراء والخطباء فلم يكن محتاجاً الى تفسير المقصود — وهنا نرى ردّه قوياً معقولاً لأن العرف يعين المقصود من المماثلة — ٠

٥ — ربما كان المانع لهم من المعارضة اشتغالهم بالحروب العظيمة أو خوفهم من رسول الله وأنصاره ٠ وردّ على ذلك بأن المعارضة كلام لا يشغل عن الحرب

٣ — ينقد المذهب القائل بأن إعجاز القرآن في اشتماله على الحقائق وتضمنه الأسرار والدقائق ـ وهذا كما نرى مذهب شديد الاتصال بالنظرية العلمية في الإعجاز ـ فيقول إن القرآن يشارك حينئذٍ غيره من الكتب الملخصة التي يستخرج منها الخلف فوائد متجددة وتكون الآيات الصريحة المعنى غير معجزة ومعاني الآيات الأخرى إما أن يدركها الإنسان فلا يكون حينئذ تفرقة بين القرآن وغيره أو لا يدركها فتكون أموراً غيبية ، فيردّ عليها على طريقة الرد على هذه . وهنا نراه يطيل الردّ ، ولا يراعي أن غرض القرآن ليس التعمية واحتواء الألغاز والعلوم وإنما هو الهداية والتأثير في النفس .

٤ — يذكر المذهب القائل بأن الإعجاز في البلاغة وهو يوافق على هذا القول إذا قُصد به أنه بلغ الغاية في فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه وينكره إذا أريد أنه بليغ بالإضافة الى أحدهما .

٥ — يذكر مذهب الإعجاز بالنظم المراد به أن نظم القرآن وتأليفه هو الوجه الذي امتاز به من بين سائر الكلام وهو يردّه اذا قصر الإعجاز على النظم دون بلاغة المعاني وفصاحة الألفاظ .

وكذلك يردّ هذا المذهب إذا جعلوا فيه القسط الأوفى في الإعجاز للنظم من بين هذه العناصر الثلاثة ويلاحظ أنه هنا يفصل بين هذه العناصر ويعطي النظم مفهوماً خاصاً غير مفهوم عبد القاهر الجرجاني أو الباقلاني فالنظم عندهما مرتبط بالمعاني والألفاظ لا ينفصل عنهما ولا سيما عند عبد القاهر فالنظم عنده قائم في حسن ترتيب المعاني في النفس وحسن تأديتها بالألفاظ مع الاستعانة بقواعد النحو بمعناه الواسع ولا أدري كيف يفصل صاحب الطراز بين هذه الأمور الثلاثة التي تكوّن شيئاً واحداً إلا اذا قصد بالمعاني الأغراض العامة التي يقال فيها الكلام وبالألفاظ مجرد قيمتها الموسيقية .

٦ — يذكر مذهب القائلين بأنه معجز بكل الأمور التي ذكرت ويرفضه لأنه

ويحاول صاحب الطراز بعد ذلك إثبات أن القرآن معجز بالطريقة الجدلية الآتية : إما أن يكون الإتيان بمثل كل واحدة من السور معتاداً أو غير معتاد فان كان معتاداً كان سكوت العرب عن الإتيان بمثلها دليل إعجازه وإن كان غير معتاد كان القرآن لخروجه عن المألوف والمعتاد معجزاً فالقرآن معجز سواء أكان خارقاً للعادة أم لم يكن .

وهنا يبدو لنا صاحب الطراز مناصراً لرأي الصرفة إلى جانب الرأي بخرق القرآن للعادة دون أن يبين سبب خرقه للعادة بيد أنه لا يجوز الاعتماد على هذا القول لأن هذا الدليل جدلي ولا يقنع أحداً أن يقول إما أن يكون معتاداً أو غير معتاد وكان عليه أن يسعى لتقرير الحقيقة وإثباتها علمياً فهل وقع التحدي والعجز أو لا أولاً ، ثم هل للقرآن مميزات واضحة على غيره من الكلام أو ليس له ذلك ثانياً ، بدلاً من اللجوء الى مثل هذه الحجة المطاطة .

ثم يعرض لأقوال سابقيه في الإعجاز فينقضها واحداً واحداً وها هي هذه الأقوال وردوده عليها .

١ – يبين مذهب الصرفة ويذكر أن النظّام وأبا اسحاق النصيبي من المعتزلة قالا به واختاره الشريف المرتضى من الإمامية ويذكر له تفسيرات ثلاثة : تفسيراً يطابق رأي النظام ، وتفسيراً يؤيد رأي المرتضى ، وتفسيراً ثالثاً لا أدري من أين أتى به وهو أن الله منعهم على جهة القسر من المعارضة مع قدرتهم عليها ثم يردّ عليه بما ردّ به سابقوه من العلماء من أن الصرفة لو حصلت لكانت هي المعجزة دون القرآن ولكان في كلام العرب السابق للقرآن أو اللاحق له مايساويه .

٢ – يشرح بعد ذلك مذاهب من يجعلون سبب الإعجاز في أسلوب القرآن أو عدم تناقضه أو اشتماله على الأمور الغيبية أو في فصاحته ويفسرون الفصاحة بسلامة الألفاظ من التنافر والتعقيد في المفردات والتراكيب ويردّ عليها بمثل ردود سابقيه .

لأمرين : أولاً — لأن الكلمة قد تكون فصيحة في مكان ولا تكون كذلك في آخر . وثانياً — لأن الاستعارة والتشبيه والتمثيل الخ من أعظم قواعد الفصاحة وإنما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعاني لا باعتبار ألفاظها .

وهنا نراه شديد التأثير بعبد القاهر الجرجاني فيجعل الفضل في النظم للمعاني لا للألفاظ ونرى أنه لم يأت في كلّ ما قدمه بجديد ولكن يقدر له حسن تنظيمه للبحث وطرقه له بصورة علمية منظمة شاملة تغلب فيها روحُ العالم روحَ الأديب وإن كانت لا تخلو من كثير من الجدل العقيم .

٤ً — الأصبهاني :

ويأتي الأصبهاني (٧٤٩) فيتكلم في تفسيره على هذه المسألة وقد ذكر السيوطي (في الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ وما بعدها) رأيه في الإعجاز فقال : قال الأصبهاني : « اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز متعلق بنفسه ، والثاني بصرف الناس عن معارضته ، فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه ، أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى ، فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى : « قرآناً عربياً » بلسان عربي » ولا بمعانيه فكثير منها موجود في الكتب المتقدمة قال تعالى : « وانه لفي زبر الأولين » ، وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب فإعجازه ليس براجع الى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدّى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة فإذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد ... فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام

رفض هذه الأمور على التوالي ولأن الفصاحة والبلاغة كافيتان في إعجازه ولا وجه لعد غيرهما معهما .

٧ - يذكر مذهب القائلين بأن إعجازه فيما تضمنه من المزايا الظاهرة في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة وفي مبادئ الآيات وفواصلها وأن هذا هو الوجه السديد في وجه الإعجاز عنده وأنه سيوضحه بمعونة الله ولكنه لا يذكره في وجوه الإعجاز عنده . وبعد أن ذكر ما اختاره من وجوه الإعجاز وقد ذكرتها قبل ، يورد عليها الاعتراضات التالية مع الردود عليها :

١ - ترجع الفصاحة والبلاغة والنظم إلى مفردات الألفاظ والعرب يعرفونها ، وإلى تراكيبها والعرب قادرون على أن يأتوا منها بالفصيح البليغ ، وهو يرد على ذلك بأن القرآن قد بلغ الغاية في الجودة وأن المقدرة تتفاوت في حسن النظم .

٢ - إن الفصاحة والبلاغة وحسن النظم في القرآن لا تدل على صدق النبي ووجه الإعجاز في القرآن للدلالة على صدقه وأنه من عند الله والبشر قادرون على الفصاحة والبلاغة وحسن النظم ويجيب على ذلك بأنهم قادرون عليها ولكن الى حد وبأن البشر يتفاوتون في أساليبهم والقرآن يبزهم ولا يلحقون بشأوه .

٣ - لو كان القرآن معجزاً بفصاحته وبلاغته لما اضطروا حينما جمعوه بعد وفاة النبي أن يقبلوا الآية ممن هم مشهورون بالعدالة وأن يطلبوا البيّنة ممن هم غير مشهورين بها ، ويرد على ذلك بأن القرآن مجموع في الصدور قبل وفاة النبي جمعه جبريل ... و .. الخ .

٤ - لو كانت الفصاحة وجه إعجازه لما اشتبه على ابن مسعود الفاتحة والمعوذتان ولم يعدهما من القرآن ، وأجاب على ذلك بأنه لم يخالف في كونها وحياً أنزلت للتبرك والاستعاذة وإنما في كونها من القرآن – ثم لأن هذا رأي لابن مسعود فلا يكون مقبولاً لأنه قول آحاد فكأنه خالف دلالة قاطعة – .

ويقول في الخاتمة إن القرآن إنما كان معجزاً لما بيّنه سابقاً لا للدلالات الوضعية سواء أكانت باعتبار دلالتها على معانيها الوضعية أو مجردة عنها وذلك فاسد

الأصبهاني نظمه المخصوص فقد رأينا أنه لا يصح عنده أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يقال له كلام .

ثم إن الإعجاز ـ في رأيه ـ يدركه الأديب البليغ بالذوق لا بتطبيق القواعد العلمية وأساليب البلاغة تطبيقاً جافاً ، ومما يلفت النظر استعماله لفظتي الظاهر والباطن في قوله : « عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها » ، وأرجح أنه يقول هذا متأثراً بفكرة الباطنية في التفسير .

٥ ــ الشاطبي :

للشاطبي (٧٩٠) رأي يتصل بالإعجاز اتصالاً سلبياً فهو ينكر التفسير العلمي الذي يزعم أن القرآن يحوي كل العلوم بحيث لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها مما جعله المتأخرون من أهم أسباب الإعجاز على حين ليس هو صحيحاً في ذاته وليس منها في ورد ولا صدر ، ويقول الأستاذ الخولي فيه (التفسير ، منهجه ومعالمه) : « والمخالفة القديمة فيه ـ أي في التفسير العلمي ـ ما يبديه الأصولي الأندلسي أبو اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠) ـ في كتابه الموافقات وهو ينقد هذا الرأي العلمي للأسباب الآتية : ١ ــ هذه الشريعة أمية لأنها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح . ٢ ــ كان للعرب علوم وافقت الشريعة على بعضها وأبطلت بعضها الآخر لم تخرج عما ألفه العرب وينكر بعد ذلك أن يكون القرآن يحتوي على كل علم من علوم المتقدمين والمتأخرين . ٣ ــ الصحابة والتابعون كانوا أعلم منا بالقرآن ولم يدّعوا شيئاً من هذا ويذكر الشاطبي أدلة أصحاب هذا التفسير العلمي وهي استدلالهم :

آ ــ بقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » وقوله : « مافرّطنا في الكتاب من شيء » .

ب ــ بفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب وبما نقل عن الناس فيها .

حـ ــ بما نقل من ذلك عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وغيره .

ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه ... (هنا يعدد أصناف الكلام من شعر ونثر) ... ثم يقول: «والقرآن جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها، يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام، والبليغ اذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم ولهذا قال تعالى: (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ... وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً ... فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون في كل وادٍ من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن وعجزوا عن الإتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولي الألباب أن صارفاً إلهياً صرفهم عن ذلك وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها».

ويلاحظ على الأصبهاني أنه في هذا النص جمع بين القول بالصرفة وبين القول بالإعجاز بالنظم وهما نقيضان والنظم عنده صورة القرآن التي تتألف من عنصري اللفظ والمعنى وليس اللفظ سبب الإعجاز لأن الفاظ القرآن هي ألفاظ العرب نفسها، ثم نرى الأصبهاني يستبعد أن تكون معاني القرآن سبباً لإعجازه لأنه يرى أن كثيراً من الكتب المتقدمة تحوي هذه المعاني وهو يسوق دليلاً على قوله آية من القرآن الكريم: «وإنه لفي زبر الأولين» ثم ليس في الإخبار بالغيوب والمعارف الإلهية لأنها هي هي لو ذكرت في أي لغة، والقرآن إنما هو معجز بوصفه كتاباً عربياً فإعجازه إذن في نظمه، وهنا نرى الأصبهاني آخذاً برأي عبد القاهر الجرجاني في باب النظم حتى إنه يضرب مثال عبد القاهر نفسه في دلائل الإعجاز وهو مثال الخاتم المصنوع من مواد مختلفة والحلي المتنوعة من مادة واحدة وحتى إنه يستعمل ألفاظه نفسها إلا أنه يخالف عبد القاهر في مسألة الصرفة التي ينكرها عبد القاهر ويشنع على قائليها كما رأينا، والقرآن عند

القرن التاسع

أشهر من لهم في فكرة الاعجاز كلام اطّلعت عليه في هذا العصر ثلاثة : ابن خلدون والمراكشي والسيوطي ، ويلاحظ على هذا الأخير أنه كان يأخذ من كل علم وفن بطرف وأنه ألف في جميع العلوم الاسلامية والعربية التي كانت معروفة في زمانه . وسأتحدث عن كل واحدٍ منهم .

١ً — ابن خلدون :

يتكلم ابن خلدون (٨٠٨) في مقدمته المشهورة على فن البيان فيقول : واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الاعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الأفهام عن دركه وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً وذلك لأنهم فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحّه . وأحوج ما يكون الى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن مما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير » .

فابن خلدون يؤمن إذن بالاعجاز البلاغي الذي يدركه من كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته ويعتقد بأن العرب زمن النبي كانوا أعلى مقاماً وأبين لساناً من أدباء ما بعد العصر النبوي من المحدَثين البلغاء وهذه النقطة موضع نظر وذكرت رأيي فيها من قبل .

(يتبع) نعيم الحمصي

ورد على الأول بأن المراد بذلك العبادات وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ في الآية الثانية ، وردّ على الثاني بأن فواتح السور قالوا بأن للعرب بها عهداً مما عرفوا من حساب الجمل عن أهل الكتاب أو المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يقل بذلك السلف ، وردّ على الثالث بأنه لا يجوز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه وان يستعان على فهمه بما يضاف علمه الى العرب خاصة فيما يوصل الى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلّ عن فهمه » . ويضيف الأستاذ الخولي الى نقد الشاطبي ما يؤيده مما سنراه عند الكلام على رأي الخولي في الإعجاز .

٦ – الزركشي :

يتكلم بدر الدين الزركشي (٧٩٤) على الإعجاز في كتابه (البرهان في علوم القرآن) – هذا الكتاب موجود في المدينة انظر مجلة المعارف المجلد ١٨ رقم ٦ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ص ٤١١ ، وانظر أيضاً مقدمة الإتقان للسيوطي ، وموجود في مصر أيضاً – ويظهر مما أورده السيوطي من رأيه أنه كان مجرد جامع لآراء من سبقوه ، قال السيوطي (الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ فصل الإعجاز) : « وقال الزركشي في البرهان : « أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده ، فلا معنى لنسبته الى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق ؛ ثم يعدد ما سبق من الأقوال المختلفة » .

فليس للزركشي رأي خاص إذن في الاعجاز ولكن المهم أن يعتقد بامكان وجود وجوه للإعجاز لم تقل حتى عهده فكأنه يؤمن بنظرية الاعجاز العلمي .

* * *

حتى أصبحت العربية في (السند) لغة التخاطب [1] . ومما يشهد على تأصل اللغة العربية في هذه المنطقة ، أنّ السندية حتى الآن تكتب بالخط العربي وتضمّ مفردات عربية قد تجاوز الحصر . أما تأثير اللغة العربية غير المباشر في اللغات الهندية فتأتي عن طريق الفارسية التي هي أيضاً لم تستطع أن تقاوم تيّارها خلال الفتوح الاسلامية (٧٥٠ — ١٠٠٠ م) وقد غمرتها العربية مادة واشتقاقاً وغلبتها نفوذاً وانتشاراً وهذا النوع من التأثير حصل عن طريق الفاتحين المسلمين من الأتراك والمغول والفرس والأفغان الذين كانوا تحت سيطرة اللغة العربية من ناحية الدين . هذه العوامل كلها تفاعلت وتمخضت عنها هذه اللغة التي تُتكلّم وتكتب بأكثر من مئة مليون نسمة ، بين مسلم وهندوسي .

الكلمات العربية ، مقدارها وكيفيتها في الأردية :

الكلمات العربية تكوّن أكثرية غالبة بين اللغات التي تضمها الأردية حتى فاقت الكلمات الفارسية عدداً ، وتتراوح نسبتها بين عشرين وستين بالمئة وذلك مما يدل على قوة انتشار اللغة العربية وسيطرتها على اللغات ، هذه الكلمات على قسمين : قسم طرأت عليه تطوّرات جرّدته عن عروبته حتى أصبح كالكلمات الأعجمية . هذه الكلمات ، ولا شكّ تنمُّ عن طول بقائها في بلاد الغربة وقد يمتدُّ عهد دخولها في اللغات الهندية الى صلاتٍ تجارية بين الهند والعرب قبل الاسلام . وقسم دخل عن طريق مباشر باستيلاء المسلمين على السند ، وعن

---

(١) ويمكن ان ندرك مدى تأثير اللغة العربية في اللغة السندية بما قال الرحالة الشهير الاصطخري ، الذي زار السند في القرن الثامن أن اللغات الدارجة في منصورة (الآن بهكّر Bhakkar) وملتان هي العربية والسندية ، اما لغة مكران فهي الفارسية ، وأيده ابن حوقل عند سياحته في السند حيث يقول أن أهل منصورة وضواحيها يتكلمون العربية ، وأيضاً عندما نزل المقدسيّ في ملتان سنة ٩٨٥ م ، قال تقع الديبل على شاطئ البحر ويحوطها حوالي مائة قرية ومع أن غالبية السكان هم من غير المسلمين فهم يتحدثون باللغتين العربية والسندية .

الكلمات العربية

في اللغة الأُردية

قبل أن أدخل في صميم الموضوع أرى لزاماً عليّ أن أعرّج مقتصراً على بعض المراحل التاريخية التي مرّت بها اللغة الاردية قبل انخراطها في الأسرة اللغوية العالمية ، وألمّ بالعوامل التي جعلتها تستمد قوامها من اللغه العربية خاصة ، وذلك كي يكون القارئ على علم بالحوادث المهمة التي أدّت الى منشأ هـذه اللغة ، أي اللغة الأُردية .

إذا أجلنا النظر في مواطن اللغة الأُردية وبحثنا عن مدى قِدَمِهـا وجدنا أنّ هذه اللغة حديثة العهد بالوجود ، قريبة المدى في تاريخ اللغات ، إذ هي ليست من اللغات الهندية القديمة ، بل هي بنت الفتوحات التي توالت على يد المسلمين في فترات مختلفة من التاريخ ، وأخيراً أوجدها المغول (١٢٢٨ م) لأجل الاتصال والتفاهم مع السكان الأصليين وسموها لغة الأُوردو أي لغة الجيش أو المعسكر كما يدلّ أصل معنى هذه الكلمة في التركية .

هذه اللغة مزيج من العربية والفارسية والسنسكريتية [1] أما العربية فأثرت تأثيراً مباشراً في اللغات الهندية بوجه عام ، وفي اللغة السندية بوجه خاصّ عن طريق الجيوش العربية التي احتلت السند تحت قيادة (محمد بن قاسم) سنة ٩١ هـ وتوسع سلطانهم فيما بعد الى (مُلْتان) وما جاورها من المناطق ، وعن طريق العلاقات التجارية الضاربة في القدم بين الهند وشبه جزيرة العرب قبل الاسلام ،

---

(١) وليس كما زعم (George Grierson) في كتابه: (Linguistic Survey of India) أن هذه اللغة فرع من فروع الهندية الغربية وليست لغة مستقلة .

أنواع التصرفات :

قبل أن نأخذ في تحليل الكلمات العربية ، من الأجدر أن نقف على التصرفات التي حدثت فيها على لسان العجم ، تقريراً لمبدأ التصرف وتسهيلاً لتطبيق الشواهد التي نسوقها دعماً لذلك المبدأ المقرر :

١ — التصرف المعنوي في نفس الكلمة .

٢ — التصرف اللفظي في نفس الكلمة .

٣ — التصرف المعنوي واللفظي في نفس الكلمة .

٤ — التصرف اللفظي في التركيب .

٥ — التصرف المعنوي في التركيب .

٦ — التصرف اللفظي والمعنوي في التركيب .

ومما يجب ملاحظته أن التصرفات اللفظية بأسرها ترجع الى قانون الابدال والقلب والتخفيف . والتصرفات المعنوية نتيجة لقلة الاهتمام بأصل الكلمات وقبولها على علاتها المعنوية المتداولة .

الشواهد للقسم الاول :

من الكلمات العربية ما لم يحدث فيه تغيير لفظي ، لكنه لم يسلم من تصرف معنوي ، مثلاً كلمة (غريب) يراد بها الفقير ، و (معاف) يراد بها العفو مع أنها من العافية ، و (غلاظت) يراد بها الأوساخ ، و (مقدمات) تستعمل بمعنى القضايا التي ترفع الى المحكمة ، و (ملائم) بمعنى الناعم ، و (المشكور) بمعنى الشاكر ، و (المنظور) بمعنى المقبول ، و (فوج) بمعنى الجيش ، و (الاقبال) بمعنى الحظ و الاعتراف ، و (وجه) بمعنى السبب .

طريق غير مباشر بواسطة الفارسية التي كانت لغة البلاط في عهد المغول — وبقيت تتمتع بمكانتها عدة قرون . وهذه الطائفة الأخيرة من الكلمات قد حافظت على عروبتها بعض المحافظة كما أن هناك كثيراً من الكلمات والأمثال أبت إلا أن تبقى على حالها ولم يمسسها سوء من العجمة .

ان العامل الأساسي في تغيّر الطائفة الأولى وانحرافها عن أصلها العربي قدامة انفصالها عن أسرتها اللغوية وانعدام الدافع السياسي والديني الذي هو أهم ما تعتمد عليه اللغة في المحافظة على أصالتها ، لكنّ الطائفة الثانية ، على عكس ذلك أفادت من حداثة عهدها بالهند ودُعمت بالسلطتين السياسية والدينية ، لأنها كانت لغة الفاتحين التي تغلبت على اللهجات المحلية وقضت عليها وأصبح الحكام ـ شأن كل احتلال ـ قدوة في اللهجة ومرجعاً في الأساليب . فلم يكن ثمة خطر التغير لأن أولي الأمر هم الذين أسسوا هذه اللغة وأشرفوا على نشرها واقرارها . وكذلك عندما انتشر الاسلام في الهند ورجع المسلمون الى مراجع دينهم ، عكفوا على درس اللغة العربية وتدريسها ونشطت فيهم حركة التأليف بها في مختلف العلوم وأكثروا من استعمال الاصطلاحات الاسلامية والكلمات العربية الأخرى وذلك مما جعلهم يحافظون على الكلمات العربية أكثر من ذي قبل ، ويتسابقون الى التفنن فيها في أساليب الكلام وكذا زادوا (الاردية) غزارة في المواد العربية .

بما أن عدد الكلمات العربية في الاردية يبلغ عشرات الألوف ، فمن الصعب إذن أن نقتصر على الثلاثين التي لا يمكن أن تمثّل أوضاع الكلمات العربية المختلفة تمثيلاً شاملاً صحيحاً ، لكن مع ذلك سأحاول تجديد البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وبالله التوفيق ومنه التسديد .

الكلمات العربية في الأردية قسمان : قسم حدث فيه التصرف المعنوي واللفظي وقسم سلم من التصرّف بنوعيه ، ونبدأ حسب الترتيب بالقسم الأول :

في العربية ، فاذا أزلنا هذه العلامة تقرّبنا الى الأصل مثلاً (بنانا) بمعنى بناء ، إذا حذفنا منها علامة المصدر (نا) تجلى الأصل العربي بكلّ وضوح ، بعد حذف الهمزة الأخيرة للتخفيف ، وهو بنا . وكذلك (دالنا) بمعنى الادلاء بعد حذف العلامة تبقى (دال) وأصلها دَلا أو دَالي . وأيضاً (طيكنا) بمعنى الاتكاء ، بعد حذف العلامة تبقى (طيك) وهي نفس الاتكاء بعد تخفيف الهمزتين الأولى والأخيرة .

الشواهد للقسم الثالث (التصرف اللفظي والمعنوي في نفس الكلمة):

من هذه الطائفة كلمة (مِينه) بمعنى المطر وهي صورة واضحة لأصل الماء في اللغة العربية أي (ماهٌ) و (مَيْهٌ) انظروا مادة (موه) و (ميه) في قاموس ما حتى يوجد استعمال في نفس المعنى الأردي (أماهت السماء أسالت ماءً كثيراً) « القاموس المحيط » . ومنها كلمة (سورج) بمعنى الشمس ، ليست إلا (سراج) العربية وقد وردت في القرآن صفة للشمس ، قال تعالى : (وجعلَ الشمسَ سراجًا) . ومنها كلمة (ديا) بمعنى (السراج) وهي ليست إلا ضياء العربية بتلفظ صحيح بعد سقوط الهمزة للتخفيف وهذا عامّ في الأردية .

القسم الرابع (التصرف المعنوي في التركيب):

ومن هذا القسم كلمة (بى طرح) بمعنى خلاف الدستور و (بى لحاظ) غير متأدب و (بى وقوف) بمعنى أحمق و (بى لطف) بمعنى غير لذيذ ، الجزء الثاني من كل كلمة عربي لكنه من ناحية أصل المعنى العربي متغير تماماً .

القسم الخامس (التصرف اللفظي في التركيب):

ومن هذا القسم كلمة (نا قابل) ، بمعنى غير صالح ، (قابل) كلمة عربية لكنها ركبت تركيباً أردياً بـ (نا) بمعنى (غير) ومنه (نا لائق ، نا مساعد ، نا ملائم ، نا معقول ، نا معلوم ، نا مناسب ، نا موافق) ومعانيها واضحة .

الشواهد للقسم الثاني :

هذا النوع من التصرف يبدو جلياً في بعض الكلمات ككلمة (أمّان) و (أبّا) للأم والأب ، و (هاتّه) الأيدي ، والأيدي تخفف الى أيدٍ ، وحسب قانون الابدال وقرب المخارج تصير (هَيْت) وأواخر الكلمات الأردية ساكنة ، لأجل ذلك اذا سُكن آخر (هَيْت) أصبحت التاء شديدة الصوت ، وهي تشبه تماماً (ته) في آخر (هاته) . كذلك كلمة (آب) بمعنى الماء ، وآب هذه عابٌ في العربية لأن العجم يخرجون العين مخرج الألف ومادّة عَبّ لا تخرج عن طبيعة الماء ، لأجل ذلك يمكن أن نحدّد أصل (آب) الأردية (بعابّ) العربية ، والأردية وسّعت في استعمال هذه المادة إذ يوجد فيها أكثر من مئة كلمة مركبة منها . ومما يجدر بالذكر أن من مركباتهـا كلمة (دولاب) التي تصرح عنها القواميس والكتب لجلة المؤلفين أنها معربة من الفارسية ، مع أننا لا نحتاج الى كبير تأويل لارجاعها الى أصلهـا العربي ، لأنها مركبة من كلمتين (دول) و (آب) ودول بمعنى الدّلو ومقلوبة منهـا أو هي لغة في الدلو كما يقول صاحب الأقرب ، و (آب) أصلهـا (عابّ) كما مرّ فاذن معنى الدولاب الدّلو التي تعبُّ في الماء ، وهنا يصدّقنا صاحب اللسان إذ يقول : عَبَّت الدلو صوّتت عند غرف الماء ، وهذا غاية ما يراد بالدولاب أو الناعورة ، ومثل ذلك كلمة (سيلاب) التي أصلهـا سيلٌ عابٌّ ، والعابُّ من صفات السيل كما هو معلوم . وكذلك كلمة (آگ) بمعنى النار ، أصلها آجّ وهي صفة لها وقد سميت آجّاً تغليباً للصفـة . ثم كلمة (سِيدها) بمعنى المستقيم والصحيح ، ليست إلا سديداً في العربية بنفس المعنى . وأيضاً كلمة (سَرْد) ليست إلا (صرد) العربية بمعنى البرد أو البارد .

هذا في الأعلام أما في المصادر فيمكن أن نصل الى أصلها العربي بعدة طرق ، منهـا إزالة علامة المصدر في الاردية وهي (نا) التي تقوم مقام تنوين المصدر

الاصطلاحات الدينية : مثل (أولياء ، أوقاف ، أوصياء ، امامت ، الحاد ، افطار ، افتاء ، اعجاز ، اعتكاف ، استغفار ، استخارة ، ارتداد ، احرام) .

الاصطلاحات القانونية : مثل (وكيل ، مؤكّل ، موجّل ، معجّل ، مدّعي ، مدعى عليه ، استغاثة ، استرداد ، استحقاق شفع ، استحصال بالجبر ، انفكاك رهن ، انتقال الرهن ، أراضي شاملات ، أراضي لاخراج ، أراضي سكنى ، أداء الشهادة ، أخذ بالجبر ، احضار بالجبر ، ارتكاب جرم ، إجاره ، اتهام ، ابراء الذمة ، محضر) وغيرها ما يبلغ الآلاف .

الاصطلاحات العلمية : منهـا ما يتعلق بالعلوم النظرية كـ (إلهيات ، طبيعيات واقتصاديات ورياضيات ، واجتماعيات وأخلاقيات وسياسيات ونظريات) وغيرها ، وهذه كلها تستعمل بمعانيها العربية بلا تغيير ، وهناك اصطلاحات أخرى تتعلق بالتاريخ والجغرافية والهندسة والرياضيات والقواعد اللغوية ، وهذه الاصطلاحات تبلغ مبلغ الدهشة من الغزارة حتى ليخيّل لمن يدرس هذه العلوم ، أنها ترجمت بمبادئها واصطلاحاتها من العربية ، لكنني أتركها مخافة التطويل ، وأتمم هذه الكلمة الوجيزة بأمثال عربية تجري مجرى الأمثال الأردية بجميع كلماتها وحركاتها ومدلولاتها كـ (خذ ما صفا ودع ما كدر ، المرء يقيس على نفسه ، المكتوب نصف الملاقاة ، الكريم اذا وعد وفى ، الآن كما كان ، الأقرب كالعقرب ، أظهر من الشمس ، مضى ما مضى) . وبتغيير بسيط : (أول طعام بعده كلام ، والله بس باقي هوس) .

* * *

هذا وما زلت أحسبني مقصراً في اعطاء البحث حقه من الاستقصاء والتنقيب ، على أن الانسان كلما فكر في اللغة العربية وصلتها باللغات الأخرى ، وجد من

القسم السادس (التصرف اللفظي والمعنوي في التركيب) :

ومن هذه الطائفة كلمة (نا شكر) بمعنى (غير شاكر) كأن المصدر استعمل صفة مركبة ، وهذا غير موجود في العربية ، وإنكار استعمال المصدر بمعنى الصفة المفردة موجوداً ، ومنها كلمة (نا فهم ، نا قدر ، نا طاقت) بمعنى غير فاهم وغير قادر (بمعنى التقدير) وغير قوي .

القسم الثاني من الكلمات (غير متصرف فيها) :

هذا القسم يتعلق بالكلمات التي بقيت على عربيتها ولم يحدث فيها تصرف ، وعدد هذا النوع من الكلمات يكوّن أكثرية غالبة بالنسبة الى اللغات الأخرى . ولو راجع الانسان القواميس الأردية مراجعة خاطفة ، لدهش من كثرة الكلمات العربية التي تغمر مئات الصفحات حتى تبلغ على أوسط تقدير ، ألف كلمة تحت كلّ حرف من حروف الهجاء غير الحروف التي لا توجد في الهجاء العربي ، وهي قلة قليله ، لكنّ القارئ قد يعذر في تحديد الشواهد ويقتنع بالقليل عن الكثير ، إذ تدوين هذه الكلمات بأجمها يحتاج الى كتاب ضخم ، مما لسنا بقصده الآن ، وهذ الكلمات مصادر وصفات واصطلاحات دينية وقانونية وعلمية واجتماعية ، وأيضاً هناك أمثال عربية متداولة في الأدب الأردي كما هي لم يطرأ عليها تصرّف :

المصادر العامة : مثل (اتباع ، اتصال ، اتقا (بتخفيف الهمزة وهذه عادة عند الناطقين بالأردية) ، اجتناب ، اجتهاد ، اجلال ، احتراز ، احتضار ، احتياط) وغيرها ألوف من أمثالها .

والصفات : مثل (آثم ، آجل ، آخِر ، أبله ، أحمق ، أدنى ، أعلى ، أدقّ) ومنها ما يدلّ على اللون فقط مثل : (أبيض ، أبلق ، أحمر ، أخضر ، أدهم ، أزرق) .

التعريف والنقد

بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

الهوى والشباب

« دار المعارف · مصر »

الأخطل الصغير لقب غلب على بشارة الخوري ، لم يلقبه به أحد وانما اختاره لنفسه في الحرب الكبرى الأولى ، لأنه يعجبه من الأخطل خفة روحه وابداعه في اصطياد المعاني على نحو ما شرح ذلك في صدر الديوان .

ومن حسن حظه أن شعره رزق دار نشر في مصر اشتهرت بالإتقان وهي دار المعارف ورزق أستاذاً صاحب ذوق قدّم ديوانه تقديماً بارعاً لأنّ الروحين انسجمتا : روح بشارة الخوري وروح عادل الغضبان ، فقد نظر صاحب المقدمة الى شعر بشارة الخوري فلم يجد فيه الا نفح الريحان ، وشعاع الصبهاء ، وحمرة الشفق ، وخضرة الأرز ، ونعومة الحرير ، ورقة خدود الورد ، جبل هذا كله بندى الصباح ، وبسمة الفجر ، ونفثات النسيم ، فخرج من هذه اللطائف شعر بشارة الخوري ، ولا شك في أن القارئ يرى في هذه التعابير التي انتخبتها انتخاباً من مقدمة عادل الغضبان ولم أنشئها إنشاء تشابهاً في الذوقين ، ذوق الشاعر وذوق صاحب المقدمة ، وقد مضى الأستاذ عادل الغضبان في أسلوبه الرومانطيقي يدلّ على حسنات شعر بشارة الخوري الذي هو قطعة موسيقى تعدّدت فيها الأصوات والنغمات ولكنها صدرت كلها عن قيثارة الهوى والشباب ، في هذا الشعر ، على نحو ما يقول ، ما شئت من بسمات المنى ، وعبسات القدر ، ومن حلاوة الوصال ، ومرارة الهجر ، ومن غفوات النجوم على سواعد السحاب ، أو رقصات الزهر على ألحان الغدير .

ناحية غزارتها في المادة ، وتوسعها في الاشتقاق ، وتنوعها في المعاني ، أنها تعمُّ جميع اللغات ، أو بكلمة أصح تأمُّها وتصبح علاقتها باللغات علاقة الأمّ ببناتها ، وليس هذا عن توهم أو عقيدة دينية ، بل هي حقيقة منتظرة ، ويمكن أن يلقى الانسان بوادرها اذا تخلى عن تقليد المنهج الغربيّ في التفكير على غير هدى ، واستغنى عن ذلك المنظار الأسود الذي قد يُريه الحقائق على عكسها ، ويلقنه بأنّ كل ما في الكون بنفسه ، وليس له خالق أو قائم بأمره . وهذا الأسلوب من التفكير ، يحطُّ من مكانة التراث الخالد المجيد الذي شيّده آباء الشرق لمن خلفهم من الأبناء ، ولا يؤدي إلا الى استعمار لا يجلو بجلاء لأنه ينعشش في الرؤوس دون المعسكرات ، وما أخطر هذا الاستعمار وما أرسخ جذوره ، وفي ذلك فليتدبر المتدبرون .

مبارك الباكستاني

شيئاً أكثر من الهوى والشباب ، فان الهوى لا يخلو في بعض الاحيان من الكآبة ، أما شعر بشارة الخوري فانه صورة الحياة الضاحكة المشرقة ، لقد غمرتنا في هذا العصر وفي عصورنا البعيدة كآبة سوداء كادت تعمى معها قلوبنا وتشلُّ أعصابنا ، وتسدُّ عقولنا ، فاشتدت حاجتنا الى أدب يكشف هذا العمى ويدفع هذا الشلل ويفتح هذه العقول ، حتى نستطيع أن نجاري الامم في ميادينها ، فنكون شيئاً مذكوراً .

انا في حاجة الى مثل هذا الشعر :

من كان من دنياه ينفض راحه   فأنا على دنياي أقبض راحي

حسبنا الشؤم وحسبنا الخمول المخبوء في طيّه .

ثورة الخيام

عبد الحق فاضل

لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقد كثر الكلام على رباعيات الخيام في السنين الأخيرة ، ويرى الأستاذ الجليل الدكتور احمد أمين في مقدمته الرصينة التي قدّم بها كتاب : ثورة الخيام ، أن الناس يقبلون على هذه الرباعيات ، لأنها توافق روح العصر من حيث الملل من الحياة والاستعانة على هذا الملل بالانغماس في اللذات ، فأحبت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن تضع بين أيدي الناس خيراً كثيراً ، وشرًّا كثيراً ، ليأخذ كل واحد منها بحسب عقله وطبيعته .

يظهر أن بين الأستاذ عبد الحق فاضل ، صاحب ثورة الخيام ، وبين روح الخيام شيئاً من الانسجام ، وقد أعانه هذا الانسجام على فهم الخيّام ، وادراك أسرار نفسه ، فأحاط به أتمّ إحاطة ، ولم يتعرّض للشائع المعروف من أخباره وسيرته ،

اني مضطر الى ذكر هذه التعابير كلها ، وهذه اللغة الشعرية نفسها ، لأُثبت ما قلت من أن روحي الشاعر والمقدِّم قد انسجمتا فذابت كل واحدة منهما في الأخرى ، فلم تدر وأنت تقرأ مقدمة الهوى والشباب أتقرأ شعر بشارة الخوري أم تقرأ كلام عادل الغضبان .

اذا تكلمت على شاعر من الشعراء فكثيراً ما أتحامى الاهتمام بالموازنة بينه وبين شاعر آخر ، ولا سيما اذا تباعد عصرهما وبيئتهما وما شابه ذلك ، فلذلك أقرأ شعر بشارة الخوري ، ولا أخطر ببالي شعر الأخطل ، وكما لا أهتم بالموازنات فكذلك لا أهتم بالألقاب أو الرتب في الشعر ، فالأخطل كان مرَّةً شاعر بني مروان ، ومرَّةً شاعر العرب ، ولكن هذه الالقاب ذهبت أدراج الرياح وبقي الأخطل وحده وشعره وخصائص هـذا الشعر ، فالشاعر لا يبقى إلاَّ شعره وأظن أن بشارة الخوري يفخر بأن يكون شاعراً ، وحسبه هذا اللقب العظيم فقد اجتمعت له أدوات الشعر بحذافيرها ، اجتمعت له هذه الصور التي تجعل من الفكر والعاطفة والشعور أجساماً حيةً تراها بعينك ، وتلمسها بيدك ، وتسمعها بأذنك ، واجتمعت لهذه الصور لغة شعرية تتلفَّت حيناً الى الصحارى الممتدة من وراء لبنان ، وحيناً الى ما وراء البحر ، ولذلك كانت هذه اللغــة تشتد وترقّ ، شدة الصحارى ، ورقة ما وراء البحار .

ومن خصائص الشعراء الكبار أن يتفاوت شعرهم الاَّ قليلاً منهم كالبحتري مثلاً ، فهم يرتفعون حتى لا يجدوا مجالاً الى الارتفاع ، ثم تراهم وهم في المضية يخنفضون وهذا لا يضيرهم في شيء لأن في ارتفاعهم وانخفاضهم ما يدلُّ على أن عبقريتهم أسيرتهم ، وليسوا هم أساراها ، فهم يخضعونهــا لطبعهم ولا تستطيع أن تخضعهم لمشيئتها ، وسواءٌ اشتمل شعر بشارة الخوري على صور متفاوتة في الحياة وعلى لغة متباينة في الشدة أم لم يشتمل ، إن شعره يروّينا من الهوى ، ويشبعنا من الشباب ، وحسبنا منه هذا الريّ وهذا الشبع ، ولكن شعره يتضمن

اشرب الخمر فقد قلنا وقلنا لك الفا

ان توليت توليت فليست لك رجعة !

ان العصر الذي نعيش فيه يختلف عن العصور السابقة ، من حيث التفكير والنظر الى الحياة ، لقد كثر في أدبنا الشؤم ، وشاعت فيه الكآبة ، فنظرنا الى الدنيا من وجهها الأسود الكالح ، فقعد بنا هذا النظر عن العمل ومجاراة الأمم السريعة في مشيها ، وانحصرت حياتنا في الشكوى من كل شيء : من السياسة والمجتمع والحياة كلها ، فكانت حياتنا على تعبير هذا العصر سلبية ، ولم تكن ايجابية ، والدنيا في هذا الزمن تغيرت ، فان عصرنا انما هو عصر الذرة ، فالأمم تتسابق في مخترعات العلم ، ولا شك في أن شيوع المرح في طبقاتها يعينها على هذا التسابق فلو شاعت فيها الكآبة وكانت هذه الأمم تقضي حياتها في الشكوى ، وفي الشكوى وحدها لأسرع اليها الفناء .

من أجل هذا ان شيوع روح الضجر والشؤم في الشرق كله ، قد يقعد بهذا الشرق عن مجاراة الأمم العظيمة ، فنحن بحاجة الى أدب فيه فرح وبشاشة ، وقد تكون البشاشة في غير الخمر ، قد تكون البشاشة في العمل نفسه ، وشهدنا الأمة التي تعمل ويكاد يكون العمل إلهها المقدّس ، فهي أمة تمرح وتهش وتبش ، ولم تجعل الكأس ديدنها ، وإنما تأخذ منها بقدر .

وليت روح الخيام كلها من روح هذا البيت :

لا تضيق سعة الدنيا على قلبك فافرح

ان تزيد الرزق أو تنقصه بالكدر . .

ما أشدّ حاجتنا الى هذا الفرح !

شفيق جبري

وإنما تعرّض لما كان له فيه رأي جديد ، أو لما نظر فيه من زاوية جديدة وخالف فيه جمهرة الخيّاميين على حد تعبيره ، وقد اعتمد في هذا كله على ست نسخ فارسية مختلفة ، فاستخرج منها ما لم تسبق ترجمته الى العربية ، وتوخى الدقة الممكنة ، لجهد في نقل الخيّام بأسلوبه وطلاوته ، وتشابيهه واستعاراته ، حتى ينقل الذوق الفارسي والأسلوب الخيامي الى العربية .

ولا ريب في ان الذي يطالع ثورة الخيام يمرّ على كثير من الجد في هذا الكتاب ، فان صاحبه عمد الى ما نسب الى الخيام من الشعر العربي ، فاطلع على روحه في هذا الشعر ، ثم قابل بين روحه في شعره العربي وبين روحه في شعره الفارسي ، فوجد الانسجام في الروحين ، وفي هذا النوع من العمل غاية في التحقيق .

لقد كشف المؤلف عن أكثر نواحي الخيام ، فتكلم على عقليته وعقيدته ، وشخصيته وفلسفته ، وقال فيه : انه جمع الفلك الى الفقه ، والطب الى قراءات القرآن ، والفلسفة الى علوم اللغة ، والشعر الى الكيمياء ، واللاهوت الى الرياضيات وهو في هذا كله في الطبقة الأولى ، واختص بالفلك والرياضيات .

وأضاف الى جلالة هذا العلم روعة الفن ، فذاعت رباعياته في الدنيا ذيوع ألف ليلة وليلة .

***

هذا ما يتعلق بالكتاب نفسه ، أما الخيّام فقد ثار في شعره على كل شيء ، ثار على المجتمع والدجالين والدين والسماء والدهر والأفلاك ، وقد يجد القارئ في ثورته على بعض الأخلاق الزائفة في رجال الدين ورجال المجتمع شيئاً من الصواب ، لأنه يجد شبه هذه الأخلاق في كل دهر . إلا أن المستغرب أن لا يكون دواء مثل هذه الثورات إلا في الخمر :

وضع المؤلف كتابه في أجزاء أربعة ، وتطور منهاجه باتساع مناحي القول ، وتشعب شجون الحديث ، فقد كان يقصد البحث في الأماكن الواردة في المعلقات العشر ، وهو ما آخذه عليه بعض ناقديه ، ولكنه وقد نفض يده من المعلقات العشر ، جعلها القسم الأول من كتابه ، وبحث في القسم الثاني «أماكن وردت في غير المعلقات لشعراء مختلفين» ، وجعل القسمين في مجلدين ، حتى اذا أنجزهما وجد مجالاً للزيادة ، وألحّ عليه محبو العربيــة أن يستمر في عمله فوضع الجزءين الثالث والرابع ، ورتب فيهما البحث بحسب ألفاظ الأماكن الواردة في معاجم البلدان وما هو في حكمها ، مثل كتب ياقوت والبكري والهمداني .

طريقة المؤلف

اعتمد المؤلف في بحثه طريقتي المشاهدة والاستدلال ، فقد كان يقرأ القصيدة ويدرس مناسبة قولها ثم يعين مواقع الأمكنة الواردة فيها ، ويقارن ما جاء في المعاجم مع مشاهداته الشخصية في أنحاء الجزيرة العربية ، ولا يستطيع من يقرأ الكتاب بتدبر ، الا أن يعجب بالجهد الذي بذله المؤلف لتصحيح أقواله ، ولاستكمال المعلومات التي تنقصه ، فاذا شاء تحديد مكان سوق عكاظ جمع ما قيل بشأنها من نصوص ، ثم قام برحلة استغرقت زمناً طويلاً ، وما زال يطبق معلوماته على الأمكنة حتى حدّد المكان وزاره مع سمو الأمير فيصل السعود وصحبه ، للتحقق من صحة ما ذهب اليه ، ثم وضع مخططاً للسوق نشره في كتابه (ص ٢١٠ ج ٢) . واذا شاء وصف خطوط المواصلات بين جدة والرياض فالكويت ، قام برحلة خاصة تحدث عنها في أكثر من أربعين صفحة ووصف فيها الطريق وكأنك تراها : جبالها ووديانها وكثبانها وعلائمها ، وما اتصل بها من شعر أو نثر أو خبر ، حــتى يصل بك الى الكويت (١٣٧ ج ٢) ، واذا أشكل عليه معرفة مكان ولم يستطع أن يبحث عنه بنفسه كلف من يبحث عنه كما صنع حين أراد معرفة جبل «راكس» فأرسل رسولاً خاصاً ينقب عنه

صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار

تأليف محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي

مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ - ١٩٥١

لا أزال أذكر الضجة الكبرى التي أثارها الدكتور طه حسين حين نشر كتابه «في الشعر الجاهلي» ونشر فيه نظريات المستشرقين حيال هـذا الشعر وأمكنته عبقريته أن يزرع في نفوس جيلنا بذور الشك حيال أشعار الجاهلية وأخبارها وعاداتها ، وعلى الرغم من مرور ربع قرن على موت تلك الضجة ، فلا تزال في بعض النفوس علالات من ريب مبعثها الجهل بحياة عرب الجاهلية وامتزاج الصحيح منها بالموضوع ، والصادق بالزائف .

وأعترف أن الكتاب الثمين الذي وضعه السيد محمد بن بليهد النجدي وأسماه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» من الكتب القمينة بتبديد كل ريب ، وبنقل القارئ من غير جهد الى جو الجاهلية في شتى مظاهرها ، ولئن كانت غاية المؤلف من كتابه هذا - كما جاء في مقدمته - «معرفة ما ورد في الأشعار الجاهلية ، وخاصة المعلقات ، من الأودية والجبال ، والمياه والتلول ، والرياض والبلدان العامرة والدارسة ، ومعرفة ما بقي منها الى يوم الناس هذا على اسمه الأول ، وما اعترى اسمه شيء من التغيير» - فانه قد تجاوز هذه الغاية ، فأضاف الى جغرافية بلاد العرب ، الموازنة بين حياة الجزيرة العربية الحالية وحياتها الجاهلية ، من حيث أسماء الأماكن ومواطن القبائل ، وطرق المواصلات ، ثم اطلعنا على مقومات حياة البادية التي «لا تتغير الا اذا تغيرت البادية» ، من حروب قبلية وقعت في أيامنا في مثل الأماكن التي وقعت فيها أيام العرب ووقائعها ، ولمثل الأسباب والدوافع ، ومن روابط القرابة وحقوق الضيافة والجوار ، ومن عادات الثأر بحيث يتخيل الانسان المجتمع الجاهلي بكليته حياً واضحاً ، ويحلل الشعراء الجاهليين محلهم الصحيح في مجتمعهم المنسجم .

وقال في صدد الكلام على (كتيفة) : «أنا أعرف اليوم ستة أجبل صغار في بلاد العرب يسمى كل منها كتيفة ، خامسها هو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره الا الذي ذكره في معلقته كأنه كتيفة مبهل وآية ذلك انه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كأبانين وقطن والمجيمر» .

خلاصة الكتاب

ليس من اليسير تلخيص هذا السفر «المكثف» ولكن من حق المؤلف علينا أن نضع أمام القارئ صورة مصغرة لما يمثل كتابه من جهد ومشقة وخبرة ، وما يحتوي من ثروة علمية مختلفة الألوان .

الأخبار الأدبية

لم يكن المؤلف يكتفي بتحقيق أسماء الأماكن ومواقعها ، وانما كان يضيف الى ذلك ما يتصل بهـا من شعر أو خبر ، ففي معرض الكلام على «عنيزة» قال : بعث الحجاج رجلاً يحفر المياه في الشجا بين البصرة ومكة ، فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل ، ـ يعني امرأ القيس ـ حين قالـــ :

تراءت لنا بين النقا وعنيزة وبين الشجا مما أحال على الوادي

وقال في معرض الكلام على (وادي الحفر) : «يعرفه عامة أهل نجد لأنه باق بهذا الاسم ، وقد كان المستعين العباسي أمر والي مكة في زمانه أن يحصي حفظة القرآن من أهل الحفر الذين قصدوا مكة للحج فكانوا احدى عشرة مائة رجل ، وقد خلا اليوم فليس فيه إلا الوحش والطيور» . (ص ١٣٢ ج ١) .

وقال في معرض الكلام على (الصمان) : «قال ياقوت ... قال المؤلف : الصمان مشهورة عند جميع العرب القاطنين في نجد ، حدودها معروفة وقد قال الأصمعي : اذا ربعت الصمان أخذت العرب جميعاً . وفي رواية عن الأصمعي

وحدّد له المناطق التي يتوقع أن يجده فيها ، وعاد الرسول بعد شهر وأخبره أنه وجد الجبل ووجد كثيب الرمل المجاور له والمسمى «أبرق راكس» (المقدمة) .

وآية اخلاص المؤلف وثقته بنفسه أنه نشر في الجزء الثاني من كتابه كل ما ورد عليه من النقد ، وجوابه على أقوال ناقديه وتجريحها بالحجة والمشاهدة ، وتلك لعمري سنة حسنه قلّ من يستطيع اتباعها .

هذا الحرص على تحري الحقيقة ، أتاح للمؤلف أن يصحح ماقاله أصحاب المعاجم عن جغرافية جزيرة العرب ، وأن يصحح أخطاء وقع فيها بعض كبار مؤرخي الأدب في زماننا ، وقد أشار المؤلف الى ذلك اشارات كثيرة في كتابه نكتفي بذكر بعضها : قال المؤلف وهو يصف الطريق بين جدة والكويت : «ثم تصل مراة ، وهي البلد التي كان فيها الاختلاف بين كتاب هذا العصر ، منهم من قال : انها بلد امرىء القيس الكندي الشاعر المشهور ، ومنهم من قال انها بلد امرىء القيس التميمي ، وأنا مع من قال انها بلد امرىء القيس التميمي ، فاذا كانت الشمس تلتبس على أحد فهذا الموضع يلتبس علينا ... الى أن يقول : لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندي ، بل ولم يمرّ بها في تجوالاته ، لأنه لم يذكر من المواضع موضعاً قريباً منها ولا في جميع نواحيها ، ومن ذكر من أهل المعاجم أو الكتب أن الدّخول وحوملا وتوضح والمقراة ومأسلا ودارة جلْجل في اليمامة فقد أخطأ ، بل المواضع التي مرّ ذكرها موجودة بأسمائها يرى بعضها من بعض ، وهي في عالية نجد الجنوبية منها ..» . (ص ١٦٦ ج ٢) .

وقال في معرض الكلام على «ضلفع» بعد أن ذكر تخبط المعاجم بشأنها : «ولكن أهل المعاجم الذين يوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها واختلف» (ص ٨٥ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على (شطب) : «وكان منشأ خطأ الشراح انهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطباً وهو أسدي فظنوا أن هذا الجبل واقع في بلاد بني أسد» (ص ٧٣ ج ٢) .

اندراس المدن القديمة

وصف المؤلف حادثاً هاماً يقع في جزيرة العرب هو اندراس مدن عامرة واختفاؤها تحت الرمال ، فقال في صدد حديثه عن أبرق الحنان) :

« ابرق الحنان » : وهو كثيب مرتكم ، اذا ارتكمت رماله وتساقط بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حنين ولا يزال الناس يسمعون ذلك الى هذا العهد ، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه الى أسفله ، وفي رواية صاحب معجم البلدان : قالوا سمي بذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فان الجن فيه تحن الى من قفل عن ذلك المنهل « منهل يجاوره » . هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : انا نبيت تحت هذا الكثيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجرس ولا نشك أنها أصوات الرمال اذا تهايل بعضها على بعض ، ولا أعرف في نجد كثيباً له حنين وأصوات الا هذا الكثيب ، ثم يقول :

« أعرف أكثبة مرتكمة في الجنوب الغربي من تاذق وهي أكثبة ارتكم بعضها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكام وسار قليلاً قليلاً وترك مدينة تاذق على شماله وهو يمشي وتتاخمه محلة من تلك المحلات يقال لها الشعيبية مختلطة بمدينة تاذق ، فعزم أهل تلك القرية ان يحجزوا دونه ، واستصرخوا بأهل المدينة فلم يجد ذلك شيئاً بل ردم ما فيها ودفن القصور والنخيل واضطر أهلها الى أن يرحلوا عنها ، ورأيتها بعد ذلك فاذا القصر الذي طوله خمس عشرة قامة الى عشرين قامة لا يظهر منه غير شرفاته العالية ، واذا النخلة السامقة في الجو لا ترى منها الا أطراف جريدها ، وعلى الجملة فان هذه القرية قد انطمست تحت الرمال (ص ٧٠ ج ٢) .

أيام العرب

فسح المؤلف في كتابه مكاناً لأيام العرب ، قديمها وحديثها ، ولم يفته أن ينبه على أسبابها ، وعلى وقوعها في الأمكنة الواحدة في القديم والحديث . ففي

عن الصمان قال : من تربع الصمان ، وشتى في الدهناء ، واصطاف الحمى فقد أدرك المرباع وحدوده معروفة ، وقد قلت هذه الرواية للأمير شكيب أرسلان أيام اقامته عندنا في الطائف فقال : كيف ان الأصمعي يحرم الشام من الربيع ، فقلت له ان رجلاً من الأعراب في الشام لما رأى المكّاء قال :

الا أيها المكاء مالك هاهنا ألاء ولا شيح فأين تبيض

فعرج الى أرض المكا كي واجتنب قرى الشام لا تصبح وأنت مريض

فقال لي : ان هذا الاعرابي نجدي وأبطأ مع جيش المسلمين ، فعاف الشام والاقامة فيها (ص ٢٠٣ ج ٤) .

وقال في معرض الكلام على وهط (ص ٢٤٦ ج ٤) : قال ابن الاعرابي : عرش عمرو بن العاص بالوهط الف الف عود كرم على الف الف خشبة ، ابتاع كل خشبة بدرهم فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط ، فقال أحب أن أنظر اليه ، فلما رآه قال : هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا ان هذه الحرة في وسطه فقيل له : ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب (وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء) ...

قال المؤلف : (وهط) .... « وقد خرجت مع سمو الأمير فيصل الى موضع (السد) المجاور للوهط فرأينا هناك مسجداً قديم البناء ومحيط به مقابر ووجدنا على نصائبها كتابات على كل قبر اسم صاحبه فلان بن فلان السهمي وعلى النصيبة تاريخ وفاة صاحبها وأكثرهم ماتوا في القرن الثاني والثالث ، فلا شك ان هذا الموضع يملكه رئيس بني سهم بن هصيص وهو عمرو بن العاص وقبيلته السهميون أهل تلك المقابر ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها » .

وقال في معرض الكلام على « ركبة » ، أرفع موضع في نجد ، قال عمر ابن الخطاب : لأن أخطئ سبعين خطيئة بركبة ، أحبُّ اليّ من أن أخطئ خطيئة واحدةً بمكة » .

وديارهم وورث هذه الحروب أبناؤهم من بعدهم ففعلوا كما فعل أسلافهم فلم تسكن هذه النعرة الا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر بوجود صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فأزالها من قلوبهم وألسنتهم بفطنته وسياسته الحكيمة » (ص ١٠٩ ج ٤) .

الحياة الاجتماعية

يتضمن الكتاب ثروة ضخمة من المعلومات عن الجزيرة العربية ، فتكلم المؤلف على عادات أهل نجد (كالضيف والطنب والبطن ـ فنجان قهوه ـ والخوى) وغيرها من العادات العربية وأخبار الصيد والقنص ، وأخبار لصوص العرب وشطارهم ، وتحدث عن المعارك في نجد ، وختم كلامه عنها بما نصه : « فأما في عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمست تلك العوائد جميعاً فلا يحتاج أحد الى (خوى) ولا الى (اخاوة) ولا الى (جار) ولا الى (عاني) ولا الى (علقة) جميع تلك العوائد قد انقطعت وكلها من الله سبحانه وتعالى ومن حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف فانه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر (ص ١٣١ ج ٢) .

الشعر النبطي

ثم كتب فصلاً خاصاً بالشعر النبطي ، ويعني به الشعر العامي في الجزيرة العربية وقد دل على معرفة واسعة بهذا الشعر وعلى تذوق للشعر العربي القديم اذ ذكر طائفة من الأشعار النبطية وأظهر كيف أخذت معانيها من أشعار جرير والفرزدق والأعشى وغيرهم من شعراء العربية (ص ١٨٩ ج ٢) . وبحثه هذا جديد طريف يجدر بنا ان نسوق طرفاً منه ، قال المؤلف :

« يعلم قارىء هذ الكتاب اني استشهدت بأبيات من الشعر النبطي في ذكر بعض المعارك وهي أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية فأهل الأشعار العربية عرب على فطرتهم وهؤلاء أعني اهل الأشعار النبطية عرب على فطرتهم حذوا

صدد الكلام على (سوقة) (ص ١١١ ج ٢) قال : « كان فيه موقعة في الجاهلية بين بني تميم وبني قشير ، وحدثت به وقعة أعظم في أوائل القرن الرابع عشر بين عتيبة ومطير ، وكان من عادة العرب في الجاهلية اذا نزل المطر في جهة من الجهات وأخصبت انتقل اليها من لم تخصب منازلهم ، فان منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغماً عنهم واقتتلوا عليه فان شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم على أن يصنعوا ذلك معهم اذا أخصبوا » .

وقال عن (شعب جبلة) : « وكان فيه يوم بين بني عامر وبين بني تميم وهو من أعظم أيام العرب وهو أول يوم سيقت فيه إبل للقتال ، وفي العهد القريب وقع يوم في سنة ١٣٤٨ بين عتيبة برقا والروقة ، انهزمت فيه برقا وانتصر الروقا ، وهم من بقايا بني عامر التي انتصرت علي تميم في ذلك الموضع .

وقال عن يوم النسار (ص ٦٤ ج ٢) وانا أعرف النسار المذكور يقيناً ، كان به ثلاث وقعات في الجاهليــة ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة بين عرب نجد .

وقال أيضاً (ص ١٠٣ ج ٢) : « وفي طخفة يوم من أيام العرب المشهور ، وفيه يوم بين العرب المتأخرين في سنة ١٣٤٨ بين حرب وعتيبة » .

وبعد أن ذكر طائفةً من أيام العرب وأمكنتها ، وفصل وقائعها ، قال : « نحن نقول أن المواضع التي تكون فيها معارك في العصر الجاهلي ثم لا تكون فيها معارك في العصر الحديث أقل من المواضع التي تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث » .

على أنه لم يفته أن يذكر ان هذه المعارك انتهت أيامها بفضل النظام الجديد الذي ساد الجزيرة العربية . قال المؤلف بعد أن ذكر (قضة) التي كانت فيها وقعة بكر وتغلب العظمى في مقتل كليب ـ والجاهلية تسميها حرب البسوس ـ : « أوردنا هذه العبارة وما قبلها ليطلع القارىء على حال العرب في جاهليتهم وقتالهم وتفانيهم بينهم ، وأوردنا قصيدة الأخنس البائية لذكره تفرق العرب ومنازلهم

وقال محمد بن لعبون :

تبصر خالي هل ترى من ظعائنْ تقافتْ على حد الشفا من خرومْها

تنحّتْ عن الحزْمْ اليماني وقوّضتْ على شاطي الجرعا تقوّتْ اعزومْها

انظر تجد زهيراً يسأل خليله هل رأى الظعائن ، وتجد هـذا المعنى بعينه وبألفاظه في قول ابن لعبون .

قال جرير بن عطية :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا

وشبه ذلك قول فهيد بن عويد المجاج راعي الأثلة :

الشيخْ شدْ وراح قدمْ الصلاةِ واللي رحلْ ما يلتفتْ للمقيمين

منْ عقبْ ما قفّوا ورَاوارْداتِ غدوا بقلبي وأبقوا الدمع بالعينينْ

جرير ذكر أنهم أبقوا وشلاً بعينه معيناً ، وابن عويد يقول : غدوا بلبي وأبقوا الدمع بالعين .

قال ابن مقرب :

فمن لم يقدها ضامرات الى العدى تقدْ نحوه عوجُ البرى والشكائم

وشبه ذلك قول ابن عريضة :

من لا يقودْ الخيلْ يمْ حفيفهْ ان قادها والا عليهْ تقاد

كلام الشاعرين النبطي والعربي معناه واحد ، ان لم تصل العدو في أرضه وصلك في أرضك .

قال أعشى قيس راعي منفوخة :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن في الليل في حافاتها زجل

وشبه ذلك قول محمد بن لعبون :

في صحصحْ كنّهْ قفا التّرس مقلوب طربْ بهْ الجنى على فقْدهْ الذيبْ

والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى أن الأرض كظهر الترس ، وذكر

في كلامهم حذو قوم من أهل البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب في بواديهم ، وأصل مساكنهم البطائح التي بين العراقين : العراق العربي والعراق العجمي ٠ وقد كانوا معروفين فيه باسم النبيط أو النبط منذ العصر الجاهلي الى اليوم وقد جاء في شعر الأعشى ميمون بن قيس :

وطوفت للمال آفاقه ... عُمانَ فحمصَ فأوريشلَمْ
أتيت النجاشي في داره ... وأرض النبيط وأرض العجم

ويروى عن ابن القرّية وكان في زمن ولاية الحجاج على العراق أنه كان يقول : «أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا» وقال أبو العلاء المعري في احدى لزومياته :

أين امرؤ القيس والعذارى ... إذ مال من تحته الغبيطْ
استعجم العرب في الموامي ... بعدك ، واستعرب النبيطْ

ثم قال : وإذ قد عرفت ان طريقة الحياة عند النبط هي طريقة الحياة عند العرب فلا عجب أن تجد توافقاً عظيماً في المعاني التي ذكرها هؤلاء وهؤلاء فيما يتغنون به من أشعارهم ٠ ثم ساق طائفةً من الأمثلة نختار منها مايلي :

قال طرفة بن العبد في مطلع معلقته :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال محمد بن لعبون من شعراء النبط :

هلْ الدّارْ ياعوّادْ الا مَنازَلْ ... ضباريت يا عوّادْ خفيةْ رُسومْها
يلوح السنا فيها كما لاحْ زَرْقه ... على خَدْمِيٍّ مَن بقايا وشومْها

فأنت اذا تأملت قول طرفة وجدته ذكر الأطلال ، ثم ذكر الآثار وشبهها بالوشم على اليد ، واذا تأملت قول ابن لعبون وجدته ذكر الأطلال وشبه الآثار بالوشم على الخد ٠

قال زهير بن أبي سلمى في معلقته :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحملن بالعلياء من فوق جُرثُم

من كل معدن أحجاراً ويكتبوا اسم الموضع فأحضروا ما يقرب من خمسة وعشرين طرداً مختلفة الأشكال في لونها وأسمائها ... (٢٣٣ ج ٤) .

هذه خلاصة غير وافية عما يتضمنه الكتاب من كنوز ، ولقد كان لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل آل السعود فضل الأمر بتأليفه ، ولمعالي السيد عبد الله السليمان فضل الانفاق على طبعه ، وحبذا لو يتاح للمؤلف اعادة طبع الكتاب واعادة النظر بمنهاجه ، وببعض أخطاء نحوية يتضمنها الجزآن الثالث والرابع ، والنظر بالأماكن الواقعة في سورية والعراق ومصر فيزورها ويراجع ما كتبه عنها ليأتي ذلك منسجماً مع العناية التي بذلت في تحقيق أسماء الأمكنة الواقعة في قلب الجزيرة العربية .

الدكتور احمد السمان

مجمع اللغة العربية

معجم ألفاظ القرآن الكريم

(الجزء الأول)

الهمزة والباء والتاء والثاء

هذا عمل من أفضل الأعمال التي تجلت على أيدي أولئك الأعضاء الأجلاء لمجمع اللغة العربية بمصر ، فقد دعاهم داعي الواجب الى وضع معجم خاص بألفاظ القرآن الكريم - أي تفسير كلماته ، لأنها هي السبيل الى فهم آياته ؛ فندب المجمع لذلك طائفة من أكبر رجاله وأشهرهم اشتغالاً بالعلم ، وخدمة لهذه اللغة الكريمة ، وتجد أسماءهم وأسماء الأساتذة المنتدبين من غير أعضاء المجمع ليكونوا عوناً لهم في هذا العمل الجليل . وقد عقد المجمع جلسات كثيرة في دوراته السنوية لإنجاز هذا الموضوع ، فكان من ذلك أن طلع الجزء الأول على الصيغة التي تم الاتفاق عليها في ترتيب هذا المعجم المبارك . وقد ذكر في مقدمته طريقتهم في وضعه ، ومنها أن يذكر بعد كل معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة

زجل الجن . والزجل الصوت ، وفي قول ابن لعبون ذكر المهمه وشبهه بالترس ، وذكر أن الجني طرب في هذا المهمه على فقده للذيب ، والذيب لا يقيم الا قريب ماء . فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء من المفازة التي قبلها .

منازل القبائل العربية

وكذلك عرض لمنازل العرب في الجزيرة العربية فقال : « سألني بعض أهل الأدب ، هل بقي من العرب قبيلة في منازلها من العهد الجاهلي الى هذا العهد أجبته ... وذكر القبائل التي بقيت في أمكنتها والقبائل التي نزحت عنها ومنازلها في العصر الحاضر» (ص ١٨٥ ج ٢) .

وقال بصدد حديثه عن « جنب » بعد أن أورد ما قاله ياقوت بشأنهـا قال المؤلف : «(جنب) الذي في اليمامة قد انقطع ذكره والذي أعرفه الى هذا العهد مصغراً يقال له جنيب ماء في شعب من فروع وادي نساح في عرض جبل ترده السفار وقد وردته وقد مرّ ذكره . وأما جنب فهم بطن يماني معروف بهذا الاسم الى هذا العهد . وهم من عبيدة قحطان وجميع بطون قحطان الموجودين في نجد لا يعرفون (كهلان) ولا (همدان) ولا (خولان) ولا البطون الباقية التي يمرون عليها في نسبهم قبل أن يصلوا قحطان وقد رأوا التمسك هذا بالنسب الجامع لهم أهون وأخصر» .

الجغرافية الاقتصادية

ولم يفته أن يذكر طرفاً من الجغرافية الاقتصادية للجزيرة العربية فتكلم على معادن الملح وأمكنتها ، وعلى معادن الفضة وذكر بعض وقائع تتصل بذلك فقال : «أما معادن الفضة ، في بلاد باهلة فمعروفة الى هذا العهد ، معادن فضة وغيرها من نحاس وحديد وذهب ، وقد أمرني وزير المالية عبد الله السليمان أن أكتشف له هذه المعادن فبعثت اليها مندوبين من قبلي على أن يستخرجوا

تفسير القرآن الكريم (الجزء الأول)

تأليف

محمود محمد حمزة ، حسن علوان ، محمد أحمد برانق

فسر القرآن هؤلاء الفضلاء ـ وهم من أساتذة المدارس والمعاهد ، ومن مفتشي وزارة المعارف المصرية ـ فسروه بباعث الإيمان والوجدان ، إذ ليس لديهم مال ينفقون منه في سبيل الله ، ولا سلطان يدخرون أجره عند الله (فليكن زاد الدارين ، وذخر الحياتين تفسير القرآن) كما قالوا ولنعمّا فعلوا .

يقع هذا الجزء في نحو مائة صفحة بالقطع المتوسط ، وطريقتهم فيه أنهم يوردون بضع آيات من السورة ، أو بضع عشرة آية منها ، أو أكثر من عشرين آية جملة واحدة ، مشكولة شكلاً تاماً ، ثم يشرحون الألفاظ شرحاً موجزاً جامعاً لمفرداتها ، ويأتي بعده (مجمل المعنى) الذي تضمنته آياتها ، وهذا مثال من تفسير « الحمد لله رب العالمين » : (الثناء والشكر لله وحده الذي يدبر أمور المخلوقات ، ويربي عالم الإنسان والحيوان والنبات في الدنيا بالحياة والغذاء والتناسل ، فيمنحها من نعمه ما يحفظ بقاءها إحساناً منه ورحمة الخ) .

ومن تفسير « إياك نعبدُ وإياك نستعين » أنت يا رب المستحق أن نخصّك بالعبادة ، ونخضع لك باتباع ما أمرتنا به ، ونجتنب ما نهيتنا عنه ... كما أنك المستحقّ وحدك لأن نستعينك على جلب الخير لنا ودفع الضر عنا ، فلا نلجأ الاّ اليك ، ولا نطلب المعونة إلا منك ، ولا نتوسل اليك بشفعاء في تيسير أمورنا ، وشفاء مرضانا ، وقضاء حاجاتنا ، لأنك أقرب الينا من حبل الوريد .
ومن « اهدنا الصراط المستقيم » : فدُلنا أيها الإله القادر على طريق الخير ، دلالةً تحفظنا من الضلال والخطأ ، ووفقنا الى السير فيه الخ .

فقد تبين من هذه الأمثلة أن هذا التفسير مدرسي يوضح للطلاب ما هم في حاجة الى معرفته من فهم معاني الكلمات وتفسير الآيات تفسيراً يظهر المراد منها ، بل يستفيد منه سائر المسلمين ، لأنه كتب بأسلوب عذب مقبول ،

بهذا المعنى ، ويكتفي بمثال ، ثم تذكر السور وأرقام الآيات الأخرى ، وينص على المعاني اللغوية كلها ، ويبين نوع الفعل والمصدر ، وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادّة . وقد جاء هذا الجزء في مائة وخمس وثمانين صفحة بدئت بلفظ « أبّا » وختمت بكلمة « ثيّبات » .

وهذا مثال مما ورد (في ص ٦٩ و ٧٠) في تفسير التأويل الوارد في آيات من عدة سور :

« أوّل الكلام وتأوله : فسره وبين المراد منه ، والتأويل التفسير ، وتبيين ما يؤول اليه الأمر من الكلام » . وأوضح أن لفظ (تأويل) ورد سبع مرات في سورة يوسف والكهف . و (تأويلا) مرتين في سورتي النساء والإسراء و (تأويله) ثمان مرات في سورة آل عمران والأعراف ويونس ويوسف مشيراً الى أرقام الآيات في كل سورة .

أقول : أما ما ورد في سورة الأعراف (٧ : ٥٣) « هل ينظرون إلاّ تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبلُ قد جاءت رسل ربنا بالحق » فالمراد ما يؤول اليه الأمر من وقوع ما أخبر به القرآن من أمر الآخرة . وفي سورة يونس (١٠ : ٣٩) « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولمّا يأتهم تأويله » وهو ما يؤول اليه الأمر من ظهور صدقه ، ووقوع ما أخبر به . وفي سورة يوسف (١٢ : ١٠١) « وعلمتني من تأويل الأحاديث » فتأويلها هو الأمر الوجودي الذي تدل عليه ، وهو فعل لا قول كما في قوله : « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً » أي هذا الذي وقع من سجود أبويه واخوته الأحد عشر له .

فتبين من هذه الآيات أن لفظ التأويل قد ورد في القرآن بمعنى الأمر العملي الذي يقع في المآل ، تصديقاً لخبر ، أو رؤيا ، أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل كما أوضحه بعض أئمة اللغة والدين .

أثاب الله مجمع اللغة العربية أفضل الثواب على اهتمامه بوضع هذا المعجم الكبير ، وأعانه على إتمامه .

آراء وأنباء

كلمة الدكتور سامي الدهان (1)

سيدي معالي رئيس المجمع
حضرات السادة الأعضاء

منذ زمن بعيد ، توافد على الشرق الأوسط كثير من مسلمي البلاد العثمانية في الغرب ، فوجدوا في أفيائه الظل الظليل والمنزل الرحب ، وبلغ بعضهم مرتبة الإمارة والوزارة ، ورَقِيَ بعضٌ الى العروش .

وفي منتصف القرن التاسع عشر للميلاد قدم في الوافدين رجل ألباني الأصل ألقى مراسيَه في شاطئ بيروت ، وراح يعمل فيها ، حتى اذا استقر به الحال سلك في اللبنانيين ودخل في حياتهم وبنى على واحدة من بيوتهم من أسرة الخوري ، وكان من هذا الزواج « احمد » وقد عُرِف بالأرناؤط دِلالة على الوطن وإشارة الى الأصل .

وكان « أحمد الأرناؤط » يعمل بين البر والبحر فيعاشر أمواج البحر وأفواج السفر ، ويقبِس من هذه قوةً ومن هذه اطلاعاً . فلما استراح الى حيِّه من بيروت خطب منه وتزوج فيه ورزقه الله بنين وبنات ، وفيهم « معروف » وُلد سنة ١٨٩٢ والقرن التاسع عشر يشارف الاحتضار .

وفي هذه الآونة كانت بيروت تموج بالطلاب وتضطرب باللغات وتهتز بالمنابر ، ففيها مدارس وكليات ، ومعاهد وجامعات ، تختلف اليها الطوائف والمذاهب على ألوانها ومشاربها ، تتنافس في العلم وتتسابق الى الثقافة ووقع في روعِ الناس أن هذه المدينة تعيد تاريخهـا القديم حين كانت تحمل الى البحر المتوسط كله شعلة الحقوق ودراسة القانون .

(1) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٤ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

لا طويل مملّ، ولا قصير مخلّ. أما ملحوظاتنا على هذا الجزء من التفسير فكما يأتي:

١ — لم تذكر أسماء التفاسير القديمة ولا الحديثة التي أشير اليها في المقدمة بقولهم: ولقد رأينا ... أن نرجع أولاً الى المفسرين السابقين والمعاصرين الخ كما أنه لم يعزَ شيء اليها مما نُقل منها باللفظ أو بالمعنى .

٢ — لم يُسمَّ كتاب من كتب أسباب النزول، وقد استُمد منها ما أنزل في شأنه القرآن .

لم يرقم عدد آيات كل سورة مع اسمها في أولها كما هو المتبع، ولا عُدّت حين تفسيرها، ولم يوضع رقم الجزء المفسَّر، ولا اسم السورة في رأس كل صحيفة، ولا تُوِّجتْ الصحائف بخلاصة ما تضمنته من المباحث، كما جرت عليه كتب التفسير في طبعها الحديث كالكشّاف وتفسيري المراغي والمنار، والأخير هو الذي دلّ على مشتملات الصحائف بالعناوين .

وبعد فإن كتابة هذا الجزء من التفسير بأسلوب شهيٍ حديث، هو الذي اقتضانا ذكر هذه الملاحظات، فجزى الله المؤلفين أفضل الجزاء، ووفقهم الى إتمامه بفضله وإحسانه .

محمد بهجة البيطار

(من صميم الحياة)

اسم كتيِّب لطيف الحجم ضخم الفائدة ألفه الأستاذ حمدي عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق وأودعه نبذاً مقتبسة من صميم الحياة الاجتماعية التي يحياها كل واحد من البشر، وأي انسان يكون سعيداً في حياته من دون (الصبر) و (الاخلاص) و (حب الحق) و يعمل بقوانين (الاقتصاد) ويجتنب (البخل) وسائر المساوئ . وفي الكتاب أشياء أخرى من عيون مكارم الأخلاق . وفي خاتمته نصوص خطب وأحاديث أذيع بعضها في اذاعة دمشق، فيها عظات وعبر . لمن فكر وتدبر . ويبلغ الكتيب نحو (١٢٥) صفحة حسنة الطبع والحرف والورق، فنثني على مؤلفها خيراً ونلفت اليها الأنظار .

المغربي

ورأى الناس كذلك كتباً صغيرة مترجمة بقلم معروف الأرناؤط لطائفة من الكتاب الفرنسيين أمثال : (فرانسوا كوپيه ، وتيوفيل غوتيه ، واسكندر دوماس ، والفريد ده موسه ، وجان دارسي ، وميشال زيفاكو) ، تحمل عنوانات مغرية : (حرب المئة ، الستار الأسود ، الصيقلي الشريف ، الطفلان الشريدان ، ديانا ، عذاب الضمير ، تقريع ضمير الملوك ، لادام أو كاميليا ، الابنة الملعونة ، أسرار رومية ، عواطف الإخاء ، روجه لاهونت ، لادام دي مونرو) . ورأوا كذلك كتباً صغيرة أخرى لا يتجاوز الواحد منها في الغالب أكثر من ثلاثين صفحة هي : (عمرو بن العاص ، الحرب في طرابلس ، أدرنة في النار ، الجاسوس الياباني ، الجريمة السورية ، الأخرس القاتل ، ابنة البحري ، نيويورك الخفية ، تاريخ الأدب في الجيل التاسع عشر ، القاهرة ، وهي أكثرها روايات وأقاصيص مترجمة لا تحمل اسم المؤلف الأجنبي ، ولا تثير في الأدب إلا فكرة التسلية والمطالعة والمحاولة ، نُشر بعضها في دمشق وبعضها في بيروت . وكانت هذه الكتب سبيلاً الى تمرّس الشاب باللغتين ، وحبه للترجمة وعكوفه عليها ، والاستفادة من خيالها وأساليبها .

وتلفت الشاب الى المسرحية ، فعمل فيها وشارك في التمثيل فسافر له . وفي بعض أسفاره ، صحب سيدة فرنسية الى المعرة ، فلما وقف على قبر أبي العلاء آنذاك استصغر العناية بالقبر ، وهزّه الشمم الى الفخر ، فقد أخذت المرأة على العرب إهمالهم لسيد الحكمة الشعرية في القرن الخامس ، لذلك أنشأ رسالة سماها (فردوس المعرّي) سنة ١٩١٥ ، طار فيها على أجنحة الخيال ، فطاف بالأولمب ووصف آلهة الشعر في اليونان ، ثم حطّ رحاله بالبانثيون في باريس ، ونقل لنا قصائد للشعراء الفرنسيين ، وسأل عن موقع المعري بينهم وذرف الدمع أسى حين وازن بين إكبار الغرب لشعرائه وإهمال الشرق لأدبائه .

ولما وقعت الحرب الكبرى وسيق العرب الى المعركة ، حُمل الشاب بين المجندين

في هذه الزحمة من نشاط المدارس دخل (معروف) الكلية العثمانية الاسلامية للشيخ أحمد عباس الأزهري أبي الفتيان الأحرار ، وهذه الكلية كانت كمثيلاتها قوة في العربية ووقوفاً على الفرنسية وتمرساً بالخطابة وعكوفاً على القريض والكتابة . وكان الشعر واسطة السباق في الحلبة وشارة النبوغ في الشباب ، يدوي في بيروت فتحفظه الصدور وتعيه القلوب .

ولم يتخلف معروف الفتى عن هذا الركب ، فقد وهبه الله لساناً لافظاً وقلباً حافظاً ، فشارك في القول وخاض في المعركة ، وكانت بيروت تسمع لشكيب أرسلان وخليل مطران واليازجي والبستاني ، تنتشي بقصائدهم وخطبهم في العرب والعربية ، وتشغل ليلها ونهارها بهذا الجدل المتصل حول الاشتقاق واللغة ، والعامي والفصيح ، وتموج على المعاجم وقد غمرت السوق ، طوراً تصدر عن اليسوعية ، وطوراً تطبع في الأمريكية ، وأحياناً تنبثق من الحكمة والكلية العثمانية .

في هذا الجو المضطرم بالخطابة والكتابة والشعر نشأ معروف ، فداعب ربة الشعر حيناً من الزمن ، وتعلق بالترجمة ، وردد ذلك على صحبه واخوانه .

ولما احتفلت بيروت لتكريم الشاعر معروف الرصافي ، ووقف الجهابذة ينشدون ويتفننون ، صعد في أقصى السلم فتى في السادسة عشرة من عمره ينشد قصيدة في الحفل ، فتلفت اليها القوم ، ونظروا الى الفتى نظرة النسر الى وليده ، يكتسي بالريش ويتقوى بالريح ويحدق الى السماء ليخفق بجناحيه بين النسور .

وقرأ الناس ببيروت في صحف : « البلاغ ، والرأي العام ، والاقبال » ترجمات عن الفرنسية في المسرحية والقصة ومقالات في الأدب وقصائد ، فتساءلوا عن هذا الفتى يجمع بين جنبيه طموحاً الى عربية محلقة لا تنزل عن خيال الابتداعيين الغنائيين ، ففيها جرح وأسى ويأس ، حتى لقد ظن كثيرون أن الفتى طبع على الألم وصرف الى الهم فيما يترجم عن الغربيين ، وخيل اليهم أنه فطر على العروبة فيما يتخيل ويكتب ، أو أنه يحلم بامبراطورية فسيحة في مملكة القلم ، جناحاها الأدب الغربي وقلبها رسالة العروبة .

أحبتهم ، وفي هؤلاء أمي وأبي » . وقال يذكر يد أمه عليه : « يوم كانت أمي تجلس إليّ في ليالي الشتاء لتقصّ عليّ أروع ما عرفته عن حياة سيد قريش وصحبه » . وحنّ الى أبيه في استانبول فقال : « وأروح ناظراً الى صورة لأبي معلقةٍ على الجدار فيؤنسني أن بهذه الصورة عينين شاخصتين إليّ ، وأن فيهما رقةً وعذوبةً ورحمةً ورضا ، كأنهما كانتا ترسلان إليّ في طريق حياتي ذلك النور الأقدس الذي يضيء قلب المغترب النازح ، فيرى العالم السابح في ليل مآسيه ، كأنما هو قد اكتظ بالضحك ، ونفض عنه أشباح قتلاه .

وأما رحلته فقد بدأت منذ طوّفت عيناه في السماء والماء ، والصخرة والخضرة ، والزهر والنور ، والسحر والعطر ، وحين تفتح قلبه للشباب وركضت أحلامه في الصبا ، سواء في بيروت واستانبول أم في العراق ومصر وبوادي الشام . وقد كان خياله يطفح بهذه الصور جميعاً فتسيل على قلمه ، وتكتسي بالظلال والألوان ، وتتضمّخ بالطيب والعطر ، فترى فيها الى الزوارق والقوارب تختلج أمام عينيه في بيروت ، وتسمع الأنغام التي كانت تنصبّ في أذنيه وهو في بيته الريفي باستانبول ، حيث يقول : « إن هذه الليلة الساجية قد ابتعثتني على كتابة أول أشعاري في الاسلام ، ففي استانبول على الشواطئ الهادرة ، ـ التي لم تشقّها سفن أمير المؤمنين معاوية ، ولم تبلغها سفن مَسلمة بن عبد الملك في خلافة أمير المؤمنين الوليد ، فجازتها جيوش محمد الفاتح ـ ارتجّ الاسلام في قلبي وولّد أنشودة اسمها (سيد قريش) وانها لحادثة رائعة أتمهـا الله على يديّ ، في زمنٍ مسحَ فيه انتصار القويّ الحدود الجغرافية ، واستعبد الأمم الصغيرة ، وطوى حرياتها ، وفصل بين غابرها وحاضرها » .

وهكذا يعترف الرجل بأثر الرحلة في نفسه ، وقد رأى فيها مشاهد غريبة ومناظر جميلة ، وألواناً مختلفة من ألم وأمل وسعادة ويأس ، فغطّ ريشته فيها وكانت هذه الآثار التي خلّفها شاهداً على رقة حسه وجميل شعوره ودقيق خياله .

برتبة معاون ضابط ، ونقل الى استانبول ، وفيها عاش عيشة الأدباء ، فكتب بعد عشرين سنة يسترجع الذكرى بأسلوب شاعري يقول فيه :

«في صيف سنة ١٩١٦ ، ألقت بي حظوظي الى مغاني استانبول ، وأرادتني قدري جندياً من جنود الحرب الكبرى التي روعت العالم قاصيه ودانيه ، فارتضيت ما لا يرتضيه العمر الطري الجني ، وفزعتُ الى منزل صغير في ضاحية (فناربولى) على الشاطئ الوارف في بحر مرمرة الهادئ ، وصحبت معي الى المثوى الذي اشتمل عليَّ كتاب الله وسيرة نبيه ، وقد حملتهما أمي إليَّ ساعة سفري ، وأوصتني بالرجوع اليهما في محني وكوارثي ، وأمَّلتْ أن أفيء اليهما بعد اغتراب ، ودعت لي وللذين يحاربون وينافحون» .

سادتي ،

أطلت القول في مسارح الطفولة والشباب ، والححتُ عن رضاً في ذلك لأكشف عن أثر هذه المواطن فيما خلّف معروف الأرناؤط من آثار أدبية . فقد كان رحيله الى استانبول ، وطوافه في مفاتن عاصمة البزنطيين ، واستسلامه للغربة ، وشعوره بعاطفة الدين هي التي أقنعته بعظمة الفتوح ، وردّته الى شيء من الإيمان حيناً من زمن فاستيقظت فيه فكرة الرواية وتحرك عنده خيال الفخر والاعتزاز .

فالشاب إذاً مدينٌ لينابيع ثلاثة في أدبه هي : المدرسة ، والوالدان ، والرّحلة .

أما مدرسته فقد تلقن فيها وتعلّم ، فأهدى أول كتبه اليها معترفاً بجميلها قائلاً : «الى تلك الأمّ التي أرضعتني من ثديها لبان العلوم ، الى الأم الجامعة بين الاخاء والمساواة والحرية ، الى المدرسة العثمانية مهد المجد والعلم» .

وأما والداه فقد كتب فيهما يقول : «فاني لأحب أن تفلت خواطري فتجفوَ أودية دمشق وتطيرَ الى ذلك البحر الأزرق الجاثم على قدميْ بيروت ، وتفتش في نواحي المدينة التي خلفتُ فيها طفولتي ومراكض شبابي عن قبور هؤلاء الذين

وقد وقعت له في صفوف العامة أو قصور الملوك أو بيوت الوزراء أو دوائر الحكومة والصحافة ، في مختلف العواصم العربية ، فقد عُرف الرجل بالضحك الساخر ، والاستخفاف النادر ، والكلم السافر ، وعاش أبداً في شباب العمر ، يضحك قلبه ويفبجّ لسانه ، لا يعرف من فصول الحياة إلا الربيع ، ومفاتن الربيع !

سادتي ،

لعلكم معي في أن المدرسة والبيت والرحلة تعاونت في أدب معروف الأرناؤط وبدت واضحة في كتبه ، فقد نشأ في عُباب الدعوة للعروبة في بيروت ، وعاش في ريف العاصمة العثمانية على مشاهد فاتنة مبدعة تضطرب بين الحروب والحب والجمال والايمان ، فعاد القهقرى بذكرياته الى هؤلاء الأجداد الذين أخضعوا الشرق وبلغوا البحر الأسود ومُلك كسرى .

وانكسر العثمانيون فاحتضنت دمشق ملكاً عربياً ، ونصرت عاهلاً قرشياً ، وطمحت الى مكانها القديم من مجد الخلافة حين كانت ترسل الإشعاع والأمان الى ربوع نائية بعيدة . فاجتمعت كلمة الدعاة الى العروبة في دمشق ، وتقاطر اليها مَنْ يسير وراء الصولجان ويمشي خلف السلطان ، وفيهم هذا الشاب معروف الأرناؤط ؛ فقد أعلن بلسانه ذات يوم أن البيت الهاشمي امتداد لقريش ، وأن ربوع دمشق ظلّ للغساسنة والأمويين ، فآثر أن يعيش في ظل الأمجاد كما يقول ، وأن يريق قلمه في مفاخر الأجداد كما يردّد ، فسكب روحه في حبّ دمشق ، وسالت نفسه شعراً حين تحدّث عنها قائلاً :

«أي دمشق ، لقد قرأتُ تاريخكِ الماضي ، وأصغيتُ وأنا أتحدثُ الى حُماته ورُعاته إلى خفق ألويتك واهتزاز راياتك ؛ ثم رأيتك تجتازين البحارَ والخلجان والمدن الكبيرة عظيمة كالشمس قوية كالخلود ، ثم رأيتك تتخلين عن البحار والخلجان والمدن لتعيشي في جناتك فما استهواني من هذه الصور المتنافرة غير آلامك وغير جراحاتك ، فأنتِ على ما بك من الألم أشدّ فتوناً من كلّ

وأروع ما في الرحلة مُقامه في استانبول وبقاؤه على قُرْبٍ من الحرب يسمع أنباءها ويحسّ أخطارها في عاصمة الخلافة ومركز القيادة ، وقد رأى الغرب فاغراً فاه لابتلاع الشرق وتحطيم كيانه وإذلال جيوشه وقواده ، بعد الفتح الكبير والسلطان الواسع ، ونظر الى العثمانيين من زاوية الدين والرابطة المذهبية وظنّ فيهم حماة المجد السالف وتتمة التاريخ العربيّ ، فآلمه انكسارهم وهمّه تقلص الدولة العثمانية ، فقال يصف أثر ذلك في نفسه : « ولقد خرجتُ ـ من الحروب ـ وأنا أحمل في قلبي كثيراً من الهمّ وكثيراً من الشعر ، فأما الهمّ الذي حملته فلقد سرب الى نفسي من انكسار هذه الأمة التي أحبها ومن اخفاقها في جني ثمار كدحها وجدها » .

ولعل نفس الأرناؤط تأثرت خلال الحرب بالدين ، فلاح له التقى عن سبيل الخوف ، وانصرف عنه الورع حين انقشعت سحب الحرب ، فهو يقول واصفاً تلك الحقبة التي قضاها في قريته قرب استانبول : « من ذلك اليوم الذي لا ينسى ذكراه أبناء هذا الجيل المروّع ما جفوتُ محراب القرية خلال صباح وخلال مساء » .

وقد حاول الكاتب من غير شك أن يضع مذكرات لحياته يصف فيها هذه الرحلة والمشاهد فاذا به يصبها في رواياته ويختفي خلف الشخصيات التي يبدعها قلمه ، ولو أتيح له أن يفعل لنافس روسو في اعترافاته . وقد استفاد من الرحلة والأسفار ثقافةً واطلاعاً ، فمالت نفسه الى التواضع ، وجنح قلبه الى البساطة ، ونظر الى الدنيا من خير وجوهها ، وفهمها من أبسط مسالكها ، وضحك لها واستخف بها كما فعل الشعراء العباسيون في عهد الرشيد ، أو كما يفعل شعراء الفرنسيين المتحررين بباريس ، فعشق اللهو ، وأحبّ الحياة ، وألف الدّعابة ، وكان أصدقاؤه يحاربون به الغمّ في المقهى ، ويطردون به الحزن في الملهى ، وكانت مجالسهم معه تفيض بالسرور والنكتة ، حتى لكأنه أشعةٌ تبدّد ظلمات النفس ، وريحٌ تعصف بالكدر . والذين يعرفونه يروون له النكت الغريبة

وهذه الكتب الأربعة تمثل جهد الكاتب الغنائي والقاص الابتداعيّ ، وهي التي أفردته بين الكتاب لزمانه وجعلت له أسلوباً خاصاً ومكاناً حسناً في خيالها وأسلوبها وفي موقعها من الأدب والقصة التاريخية .

وهذه الكتب من طراز متفق تحوم كلها حول التاريخ العربيّ خلال عصوره الزاهية الأولى ، صوّرها الرجل في قالب القصة ، فرسم فيها المدن والجبال والأودية على تقلب العصور وفي مختلف الألوان والأخيلة الأدبية ، يريد أن يقرّب البعيد وأن يلوّن القريب ، لعل القارئ يلمس العرب على أربعة عشر قرناً بيديه ويسمعُ حديثهم الرفيع أو كلامهم العاديّ .

ويمتطي « معروف » الى هذا كله قراءاته المتعددة من كتب المستشرقين ومصادر العرب الأقدمين ، يريد أن يوطئ أكنافها ويذلل اختلافها ، فيسهل ويلين حتى يجتذب القارئ أغوار الفكرة وأعماق الفلسفة ، فهو يؤثر الراحة والبساطة وقرب الآفاق ، فيوفق حيناً في القصة ، ويُخفق حيناً .

وهو يدور في كتبه هذه على إكبار العربيّ ، والتغني بحضارته ومدنيته وحرّيته ، فيرى في قصوره نعمى الحياة ترقص نشوى ، وأغاني المجد تهتز سكرى ، لا تنقصه الا صرخة الوحدة ، واجتماع القريب الى القريب ، فلما جاء سيد قريش حقق الأماني وعزّز الرابطة فانتفضت امبراطورية عريضة ، وكُتبت أمجاد خالدة على صفحة الشام وجنبات العراق ومصر وافريقية ، جعلها المؤلف مراتع أبطاله ومواطن رواياته ، فعطّر هذه المرابع وكسا التاريخ بثياب القصة .

وقد طوى (الأرناؤط) في سبيل ذلك عشر سنين كانت تآليفه فيها على تفاعل متصل وولادة متتابعة . فقد أظهر سيد قريش سنة ١٩٢٩ ، وهي في ثلاثة أجزاء عرّج فيها على الشام قبل الميلاد فرسم عيشها ونحت قصورها ، وصوّر العشق فيها والغزل ، ونقل الينا ما وقع بين العرب من حديث وما جرى لهم من معارك ، وعُني بالشعراء الذين توافدوا على الغساسنة أو الذين اجتازوا

مدن العالم وذلك لأن روحكِ لم تهرم ، فهي لا تزال فتية كأنها ولدت ليلة أمس » .

لذلك طلّق الأرناؤط بيروت الى غير رجعة ، وسكن دمشق أبد العمر فقطن في قلب المدينة بسوق الحميدية ، وراح يعمل في الصحافة ، فأنشأ مع عثمان قاسم ورشدي مَلحَس جريدة الاستقلال العربي سنة ١٩١٨ ، فعاشت شهوراً ولقيت حتفها ، ثم أنشأ مجلة العلم العربيّ للأدب والشعر عام ١٩١٩ ، وانصرف بعدها الى جريدة جديدة بدأ بها في سنة ١٩٢٠ ، وظل يعمل لها طول حياته .

وفي مكتب الجريدة المتواضع ، أو خضم المقهى بين النرد والدخان كان الكاتب يقضي نُهرَه ولياليَه ليظهرها على الناس في أسلوب عربيّ تحمل في غرّتها الشعر الرائع والمقالة الضخمة لأدباء العراق أو كتاب مصر والشام أو شعراء الغوطة والنيل ، فتقع فيها على أسماء الأعلام المعاصرين ؟ وفيهم : العقاد والمازني وهيكل ودياب ، وشوقي ومطران والعجلاني وشكيب أرسلان وشفيق جبري ، ذلك لأن صاحبها يرى الرأي للأدب قبل السياسة والاجتماع ، فكانت وحدها بين الصحف تحمل طابع المجلة الأدبية والجريدة السياسية جميعاً .

وكانت هذه الصحيفة خلال ثلاثين عاماً موضع همه ومسرح قلمه ينصرف إليها ويصرّفها ، ثم ينصرف عنها لتحبير كتبه وانشاء قصصه التاريخية . وكان الى اهتمامه بقلمه يلتفت الى أولاده الثلاثة فهم خليفته في الأرض وامتداده في الدنيا ، وفيما عدا ذلك كان يقضي ساعاته مع الكتب العربية والغربية لا تفارقه ولا يفارقها يقرأ ويقرأ ثم يكتب وينشئ في كل مكان ولكل مجلس حتى أخرج ملحمته الكبرى - كما كان يحب أن يسميها - وهي تتكون من أربعة كتب : سيد قريش ، عمر بن الخطاب ، طارق بن زياد ، فاطمة البتول . وقد أظهر بين يديها مسرحية عن الأندلس عنوانها (ابو عبد الله الصغير) جعلها للتمثيل المدرسي ، وطبعتها المدرسة الفاروقية بحلب سنة ١٩٢٩ .

الأبطال ما يسكر ، وجعل من هذه الملحمة الأموية لوحة خالدة لجهاد العرب في سبيل العقيدة والايمان والإخاء والاتحـاد ، وانتقم من الكتاب الأجانب فأصلح ما أفسدوا من حبّ بين مغيث الأموي وفلوريندا الاسبانية .

وفي سنة ١٩٤٢ أظهر كتابه « فاطمة البتول » تحدّث فيه عن يزيد بن معاوية وموقف الحجاز من البيعة ، ونضال العراق في جانب الحسين السبط ابن فاطمة البتول ، وقد خلّف لنا لوحات بارعة عن الأسرة والأم والولد ، تصف لنا الحنين والحب والجزع والوداع الى لوحاته في القتال بين جيش الحسين وجيش شمر بن ذي الجوشن ، وما كان من ضحايا في العرب وبشاعة في القتل ، ووحشية في التنكيل .

سادتي ،

هذه هي بعض الموضوعات التي طرقها في كتبه قد نقع على مثلها في كتب غربية وشرقية تسدّد الهدف وتبلغ الغاية وتُرضي التاريخ ، ولكنها لن تبلغ من نفوسنا ما تبلغ كتب الأرناؤط ، ذلك لأن الرجل يمتاز بأسلوبه الفذ ، فهو يكتب على الورق كما ينسكب الربيع على الطبيعة فيورق ويزهر ويعطر ويسخر ، ويضحك ويبتسم ويغني وينشد ، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة ، فتقع على حلو اللفظ وضاحك المعنى وعاطر الصورة ومجنّح الخيال ، تتسابق الألفاظ المدوية ، والعبارات الضخمة ، والكلمات المختارة ، بين السطور ، كما تستبق الفتيات الى عرس فتزغرد وتصفق وترقص وتنتشي وتسكر ، ثم تخلّف هذه الموسيقا التي تبدو للسامع عنيفةً حيناً هادئةً حيناً آخر كالطبيعة نفسها ، أو كالموصوفات عينها ، يصف المعركة فتسمع القعقعة والدويّ ، ويرسم الليل الساجي فترى الأشباح تسبح في الظلام ، ويصوّر المحبين فتحسّ الثغور والصدور والقدود تلتقي وتنفصل ، كأن عصا سحرية قد حركت المشهد وقادت المنظر ، فاتصل سحر السماء بالحديث ، وانتقل عطر الزهر الى المرأة ، وحملت الملائكة الى المحبوب فضائل الرجال وخصال الأبطال .

بالشام الى قيصر ، فكتب في حسان بن ثابت وزيارته مع أبي سفيان وأمية ابن أبي الصلت ، ثم قصّ علينا حكاية امرئ القيس ورحلته الى القسطنطينية وسفر ابنته اليهـا في سبيل الإرث والانتقام . فوصف الطرقات والقصور ، وسرد قصص الهوى والغزل ، وأحصى دقات القلوب وتلفت الأجياد وهمس العيون ، واتخذ سبيله الى التاريخ الأدبي حيناً ينقل عنه ، وحيناً الى الاختراع القصصي يستوحي منه ، وكتب خلال هذه الأجزاء الثلاثة سيرة النبي الكريم وما كان من علائم بعثه ورسالته ، وما نُقل في التاريخ من أحاديث الرهبان .

وفي الكتاب صور نقلها الأرناؤط ، عن مشاهداته كما رآها بنفسه فرسم القسطنطينية وكنائسها القديمة ورسم حوران ودمشق ، وفيه كذلك عرض لمصادر التاريخ والأدب نقل منها جميعاً ، ووازن بينها جميعاً ، فتراه حيناً يترجم عن دوسو ونولدكه وبرسقال وهوار وسديو ، وحيناً ينقل عن أبي الفداء وابن الاثير والطبري وكتب السيرة والأغاني والعقد الفريد وكتب الطبقات .

ثم أصدر كتابه « عمر بن الخطاب » سنة ١٩٣٦ في جزءين اثنين ، أولها ليالي شاعر ، والثاني فرسان سيد قريش وأعلن عن الثالث والرابع ولكنهما لم يصدرا . وقد زار الرجل العراق وتعرّف الى الأماكن التي كانت ميداناً للصراع في سبيل الحرية بين الفرس وعرب العراق بعد أن زار سهول الأردن وجبال فلسطين ، وتوغّل في صحارى سيناء وأشرف على طلول النَّبَط في مفاوز سلْع لكتابة الجزءين الأولين . وخرج من ذلك بوصف تدمر وبُصرى ومدن شرقي الأردن وفلسطين . ورسم حب شاعر لفتاته ، وطفولة ابن الخطاب وموقعة مؤتة ، واستعان بأساليب اليونان والفرنسيين في الحديث عن الحب وفي قصائد الغزل ، فبلغ الأجواء العالمية في الأدب .

وفي سنة ١٩٤١ أصدر كتابه « طارق بن زياد » وصوّر فيه افريقيـة والأندلس والعرب والبربر والحب والجمال ، وأراق من هذه الخمور على أفواه

ولقد رأيتم أنكم كسبتم جندياً في صفوفكم ، ناضل في العربية الفصحى حتى وقع في الجزالة ، وعمل للتاريخ القومي حتى أدّى الرسالة ، وظلّ يحلّق ويحلّق حتى كان في الخالدين ، فسلك سبيل الكتاب العالميين وعرف ذلك لنفسه فقال أثناء خطبة له في بغداد يشرح فنه وأدبه :

« وإنما أنا كاتب قصة يصانع ذوق عصره كما يقول بعض الناس ؛ ورائد أموات كما يقول بعض ؛ أدخل الى المقابر وأشقّ الحجر الصالد ، وأزيح التراب الغامر ، وأبحثُ عن أولئك الذين طواهم ليلُ الموت في غسقه حتى اذا أطللتُ على الرُّفات الطحين ، رأيتُ بعينيّ المضيئتين المتحركتين الى عينيه السادرتين ، وفتشتُ في صورته عن الطيف الذي أحبه فتسرقتُ صوته ، وسكرتُ من لحونه ، أو تقصصتُ أثره ، واستوقفته وتحدثتُ اليه بلغة يعافها الأحياء من الناس ، وتنبو عنها أذواقهم ولا تسيغها أفهامهم ، ذلك الطيف الهالك هو الماضي ، ولستم بناكريه ، فانه الجسر الذي جازته قوافل أبنائنا في ذات نهار ، فلعلنا لا نعجز عن اجتيازه ، ونحن نشق الطريق الى ذلك الغامض المظلم ، الذي يسمونه المستقبل .

هذا هو فني وذلكم أدبي ، ومن عناصره : الحزن والألم ، والمجد والشهرة ، والحب والحرب ، والشعر والزهر ، والنغم الماتع » .

وهذا تحليل طيب لما وصل اليه الكاتب في فنه ، فقد بلغ منزلة في القصة التاريخية تعلّق بها قبله جرجي زيدان في رواياته التاريخية ، وحلّق فيها بعده الدكتور طه حسين في كتابه على هامش السيرة . ولو أتيح للرجل تفرّغ لزادنا روعةً وجمالاً ، بل لو أتيحت له حياة مديدة لزادنا كتباً وآثاراً كانت في جعبته وراء خياله ، فقد قال في صدر كتابه عمر بن الخطاب : « لئن بقي في الأمل طول ، وفي الأجل فسحة ، فسأكتب كثيراً ، وأصوّر كثيراً ، وأغني كثيراً » ، وقال بعدها : « واني لأرجو الله أن يمدّ في أيامي ، فلعلني

كلّ ذلك في كلمات جُمِعتْ للكاتب وجُعلتْ طوع يديه ، يصففها ويرصفها لتحُلَّ في المحل المناسب ، وتقع في الموقع الرضيّ ، فلا تكاد تنبو لفظة إلاّ في القليل ؛ فكأنه يقول الشعر من غير قوافٍ ، أو كأنه يرصف الدرّ في السطور من غير أن تحسّ له تصنعاً كثيراً أو تكلفاً ممجوجاً . والغريب أنك لا ترى عليه آثار التعب والارهاق فهو يكتب الصفحات كما يكتب السطور ، يسيل قلمه بالكتب هداراً كالشلال يُرغي ويزبد عند مسقطه ، فاذا سار صفا وسكن ، وتقلبت على وجهه صور السماء وظلال الأحياء ، ولذلك كتب فنال في الأدباء مرتبة الكاتب المحلّق والأديب المسترسل ، وقد امتدحه لذلك شاعر القطرين خليل مطران ، وقال فيه العالم الأديب الدكتور منير العجلاني يصف « روعة إنشائه المشحون بالعطر والصدى واللون » ، وكتب فيه صفيّه الأستاذ الكبير شفيق جبري عميد الأدب في الشام يرسم ذكرى ثلاثين عاماً معه يقول فيها : « كان يحبُّ في فنه الألفاظ الحلوة المرحة الضاحكة ، ويحرص على هذا الشكل من اللغة ، وما أعرف كاتباً اجتمع له من حلاوة الألفاظ ومرح اللغة وبشاشتها ما اجتمع لمعروف الأرناؤط » .

وهل تريدون مني شهادة بالأسلوب ورأياً في الطريقة وبياناً لهذه العبقرية بعد بيان العميد وشهادة الشاعر والعالم الأديب !! . .

سادتي ،

عرضتُ طويلاً لهذه الكتب وحللتها في خطوط كبيرة لأبرهن أن الرجل كان أبداً في تطور مستمر وتقدّم دائم في انتاجه ، وقد اكتفيتم من هذا الروض الجميل ببرعم واحد هو « سيد قريش » فمنحتم صاحبه لأجله سنة ١٩٣٠ مكاناً بينكم في المجمع ، وكسوتموه بذلك جناحي لقب كان يطير به في آفاق العربية مزهواً معتزاً .

في محيط ضيق كالذي عاش فيه الأرناؤط . ولكنّ اللّغط يزول ويبقى السحر الحلال ، وفي التراب كثير من مواد حقيرة ، لكنْ فيه الذهب والجوهر .

وسواء أوقفتُ عند الجوهر أم وقفت على العرض ، فأنا أدرس المؤلف بلسان الأجيال المقبلة وقد خلف لها كتباً كبيرة وصغيرة ، ومقالات ، وترجمات ، الى جريدة عاشت ثلاثين عاماً ، في بيان متدفق وأسلوب جميل ، فماذا يقولون فيه اذا قسموا أيام العمر على عداد السطور التي كتبت خلال خمسة وخمسين عاماً ؟ ! أظن انهم سيقولون فيه : إنه ما فتر عن الكتابة ولا وهنَ عن القراءة ، ينظر بعينين نافذتين ويقرأ في لغتين غنيتين ، ويستفيد من أدبين واسعين على خلاف أقرانه وزملائه . اللهم إنهم سيحمدون له العصامية ويشكرون له الصبر والدأب ، ويذكرون له براعة الأسلوب وسيجدون فيه خلفاً لخير سلف .

ولعلهم سينحنون أمام روحه كما ننحني اليوم أمام هذه الأرواح التي خلدت أمجادنا الأدبية وصنعت عبقريتنا الثقافية ، وسيلتفتون اليه كما نتلفت اليوم الى الأجداد كلما عضنا الزمان وافتقرنا الى المفاخر ، فليس إكبار الآباء من وثنية الأدب وانما هو من واجب الحضارة يُبنى فيها الطارف على التليد والجديد على القديم ، ومجمعكم وقف نفسه على احترام التراث . فسعى الى جلاء القديم في ثوب جديد اظهاراً للمجد الموروث والعز المكتسب ، وحثاً للهمم الشابة على القدوة الحسنة . ولهذا كان مجمعكم المعقلَ الفذ للدفاع عن لغتنا وتاريخنا ، والحصن المنيع للحفاظ على آثارنا ؛ قضى كثير في سبيل رضاه ، وقضى كثير قبل أن يبلغ منه مناه ، ولهذا كان تفضلكم بانتخابي عضواً بينكم شرفاً عظيماً لي ، لأكون في سدَنة هذا البيت وفي العاملين لحمل أعبائه الكبيرة على أسس من الصبر في العلم ، والجهاد في البحث ، والاخلاص للهدف ، فأشكركم خالص الشكر لهذا التشجيع وأدعو الله أن يبارك في عملكم وأن يأخذ بأيدينا الى النجاح وأن يحقق بأعمالنا أمل الوطن واللغة والأدب ، والسلام عليكم .

الدكتور سامي الدهان

أقول هذا الشيء الكثير على فمي ، ولعلني بعد هذا كله أفيءُ الى ظل هـذه الأرض الحادبة ، فأستريحَ اليها بجوار أمي في حفرة تندّيها السحب ، وترقبها هذه الأزهار التي جمعتها في أسفاري من سيناء ومكة ومن بوادي الشام والعراق ؟ ورحم الله أمي ، فلقد حسرَتْ عن بصري ، وأرتني دنيا محمـد رسول الله ودنيا صحبه ، ووهبتْ لي مجد هذا اليوم الذي أنا فيه » .

ولكنّ هذا العمر كان قصيراً ، وهذا الأجل كان مبتوراً ، فقد توفاه الله في الساعة الثانية من صباح الجمعة في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ عن عمر لم يتجاوز الخامسة والخمسين ، فرقد من دمشق التي أحبها بمقبرة الباب الصغير ، بعد أن عمل على أرضها ثلاثين عاماً ، فكأننا نحتفل اليوم بمرور ستّ سنوات تماماً على وفاته ، أو كأننا نؤبنه ونرثيه بأحسن فضائله وخير ما فيه .

* * *

سيدي معالي الرئيس ،

سادتي حضرات الأعضاء ،

هذه صورة لحياة سلفي أرادها التقليد المجمعي ، فوضعني في تجربة دقيقة ، لأني رأيتُ الرجل مرةً واحدةً لم ألقه بعدها أبداً ، فرحت أقرأ على أوراقه ، وكتبه ، وصحفه ، ومقالات أحبائه ، وتناولت آثاره كما أتناول علماً من الأعلام مرّت عليه القرون وانقضت عليه الأجيال ، فكم أتمنى أن أبرأ من الخطأ في تحليل حياته ، والحكم على شخصيته وأخلاقه .

ولعلّ كثيرين منكم يبتسمون لهذه الأحكام وهذا التحليل فأنتم تعرفون أكثر مني ما كان عليه من عيش خاص ونكت سائرة ، ولكنّ هـذا كله لا يغير من الخطوط الرئيسية التي رسمتها في تحنظ وبنيتها على نصوص وشواهد من أقواله . والميت قد يبعث في الأفواه أحكاماً غريبة كما يقول ڤاليري ، وقد يحرّك الأحقاد القديمة والأشياء التافهة مما يعلق بحياة أيّ كائن من الناس

العدم ، بل هو يحتاج كأي صانع بسيط لعدة ومادة ، وعدّة المشتغل بالعلم هو ذاك التراث الذي خلفه لنا السلف لننتفع به في يومنا وغدنا .

ان من الجحود أن نزهد بماضينا وأن لا نتطلع الا الى حاضرنا ومستقبلنا وأن نعرض عن حقائق الماضي ونعلق مصيرنا بأوهام المستقبل . ان المستقبل يا سادتي ليس هو من صنعنا ولا يأتينا بشيء ولا يمنحنا شيئاً من عنده بل يتطلب منا في بنائه كل شيء ، ولولا نفحة الحياة التي نستمدها من معين تراثنا الذي تمثلته نفوسنا وكيفته ظروفنا لما وجدنا من واقعنا ما نغذي به مستقبلنا لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، فمن الاثم إذن أن نتنقص قدر ماضينا ونعمل على هدمه بأيدينا ، وأن نصانع القائلين بأن التغني بالماضي والحرص على احيائه حركة رجعية يجدر التحرر منها ، وشر ما بذرته الشعوبية في نفوس فئة من أبنائنا هي فكرة الفصل بين غابر أمتنا وحاضرها لإخماد نور هذا النبراس الذي نتلمس على ضوئه إحكام بناء مستقبلنا ومشاكلنا . لقد أجمع العالم بأنه لا يوجد أي مناقضة بين الماضي والمستقبل ولا يمكن عزل بعضها عن بعض ، فالحاضر هو امتداد الماضي كما ان المستقبل هو وليد الحاضر ، وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر ، والشعوب الناهضة هي التي تحيي دائماً بروح تاريخها ، وتاريخ الأمة هو وحدة لا تتجزأ كما ان الطبيعة البشرية لا تتبدل في فضائلها ونقائصها ، وحوادث التاريخ حافلة بشواهد ما انطوت عليه غريزة الانسان من خير وشر .

سادتي ،

ان كانت الظروف لا تتكرر والأحداث لا تتشابه فان عواملها عند الانسان لا تتبدل ، ونتائجها واحدة في كل زمان ومكان وقد أسفر عنها بعد تجارب طويلة وضع قوانين تاريخية هامة وتقرير قواعد اجتماعية يصعب علينا التنكر لها وخرق حرمتها دون أن نعرض مجتمعنا الى التصدع والانهيار ، ولا يمكن توحيد مثلنا العليا والالتفاف حولها وتوجيهها كما يفرضه علينا اخلاصنا

كلمة الأمير جعفر الحسني (١)

زميلنا الكريم ،

عهد إليّ مجمعنا العلمي الردّ على كلمتك الرقيقة التي أودعتها عاطر الثناء على هذه المؤسسة العلمية الفتية التي دعتك اليها وعلى ما وجهته من شكر الى أعضائها لضمك الى عداد أسرتهم .

لا يتمّ عزاؤنا يا صديقي العزيز بفقد أي زميل الا اذا عوّضنا عنه بخلف مثله أو خير منه يحيي بيننا ذكراه ويواصل مسعاه ، فكنت أيها الزميل الكريم خير خلفٍ لفقيدنا معروف الأرناؤط تغمده الله برحمته ، وقد وفيته بحثك حقه وأديت نحوه واجب الزمالة ، وكان لحديثك عنه أطيب الأثر في نفوسنا فجزاك الله عنه وعنا خير الجزاء .

ان من عرف الفقيد بالأمس وعرفك اليوم يجد فيك كثيراً من مزايا المرحوم وفضائله العلمية والغيرة على ماضي الثقافة العربية ، فقد اتحدتما في الغاية وان اختلفتما في النهج وكلاكما بحاثة وكلاكما جوال في آفاق أمجادنا الغابرة ، فأنت تعمل لإحياء نفائس تراثنا الدفين في خزائن الكتب ، وكان الفقيد ينبش من ثنايا الكتب مفاخر تاريخ العرب المجهولة فيصوغ من حوادثها ووقائعها بأسلوبه البليغ وخياله المبدع قصصاً يبعثها في دنيا العرب عبرةً وذكرى . فأديتما لوطنكما بعمليكما أجل خدمة علمية وقومية ، وأيّ غاية أنبل من وصل حاضرنا المكلوم بحقيقة ماضينا وعزته .

سادتي ،

يتعذّر على المرء مهما سمت مداركه وعظمت مواهبه أن ينطلق في عمله من

---

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور سامي الدهان .

كلمة الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي (١)

سيدي الرئيس ، سادتي الزملاء ،

لا أزال أذكر منذ عام ١٩٢٢ إذ كنت طالباً في المعهد الطبي ، كلمة الرئيس الراحل طيب الله ثراه يوم قدم للترحيب بوالدي رحمه الله ، الذي نزل دمشق آنئذٍ مع رئيس دول الاتحاد بقوله لي : (سنضم الينا مسعوداً عضواً عاملاً) . بهذه الكلمة الصادرة من أعماق قلبه الطيب برهن على ما يكنه من الحب الصادق لأخي عبد الرحمن الكواكبي صديقه العزيز الذي كان يلهج بذكراه دوماً حتى لقد خصه بكلمة (الدم الطاهر) فأدى له حق الصداقة بكلمته هذه ، وحق الأخوة بضمه أخاه مسعوداً الى هذا المحفل العلمي الفني يومئذٍ .

ولا يزال يرنّ في أذني : الصدى الموسيقي الرخيم لبيت ختامي من كلمة قرأها عليّ والدي المرحوم ، يوم احتفى هذا المجمع العلمي بضم رئيسنا « الخليل » الجليل اليه وهو :

« قد ضممناك الينا واتخذناك خليلا »

بهذا الشعور منذ تلك اللحظة ـ يا سيدي الرئيس وسادتي الزملاء الأجلاء ـ رأيت في أفق الأمل كوكباً صغيراً ظهر وأخذ يسير ، ويطرد سيره فيرتفع حتى توسط قبة السماء .

فقصصت الرؤية على والدي فقال : يا بنيّ ، لا تقصص رؤيتك على رفقائك ، وسيكون لك إن شاء الله شأن في مجمعنا بانضمامك الى نجومه السواطع تحت قبته .

---

(١) القاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٢٥ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

لوطننا ورغبتنا الصادقة في اعلاء كلمته الا بمعرفة ماضينا من جميع نواحيه وعندها نستطيع تقدير عزيمة السلف والاعتزاز بما حققوه من جلائل الأمور بوسائلهم الضعيفة وامكانياتهم المحدودة وقتئذ ، فمن العجز ان لا نقتفي أثرهم ولا نعمل عملهم والوسائل عندنا اليوم متوفرة والامكانيات جاهزة والعزائم ان شاء الله صادقة .

إن أبرز ما يتحلى به زميلنا الجديد الى جانب ثقافته الغربية هو هذا الايمان ، الايمان بعظمة ماضينا والاعتزاز بثقافتنا العربية ، ولذلك رأيناه يتحول عن التأليف الى البحث عن المخطوطات العربية القديمة والتنقيب في خزائن كتب الغرب والشرق يحصي نفائسها ، ودأب على تحقيق أنفعها ونشرها خدمة للعلم ووفاء لمؤلفيها . ولا نستغرب منه هذا الاتجاه الذي ارتضاه لنفسه وفضله على سواه وهو من تلاميذ بقية السلف الصالح الشيخ بدر الدين النعساني والشيخ راغب الطباخ من أعضاء مجمعنا رحمهما الله ، وهما كما تعلمون من أوسع الناس اطلاعاً على تراث السلف وأشدهم غيرة على بعثه ، ولا أريد أن أتوسع بالكلام عن زميلنا الجديد إذ ليس هو بغريب عنا فقد عرفناه جميعنا عاملاً مجداً واطلعنا على انتاجه العلمي الخصب ، وسيرة المرء آثاره ، وآثار زميلنا تغني عن التعريف ، وكان رئيسنا مؤسس هذا المجمع رحمه الله من المعجبين بزميلنا الجديد ومقدراً جهوده ونشاطه العلمي ومتمنياً ضمه الينا وقد جاء انتخابنا له محققاً لرغبة الفقيد ووفاء لأمنيته . وكان أستاذنا رحمه الله يعتمد الشباب ويعقد عليهم الآمال الجسام ، وكان يحب شباب العمر وشباب العقل والقلب ، وهو الذي عرف كيف يهزم الشيخوخة ويتغلب عليها في جميع أدوار حياته ، ولم تجد لروحه ونشاطه سبيلاً . وقد جمع ولله الحمد زميلنا همة الشباب وحكمة الشيوخ .

إني أيها الزميل الكريم أرحب بك باسم مجمعنا العلمي العربي أجمل الترحيب ، وإنك حللت بين زملاء لك عرفوك فقدروك حقق الله آمالنا فيك ، ووفقك الله في رسالتك ونفع بعلمك بلادك .

جعفر الحسني

يذكرهم الغرب بالثناء والتمجيد، والإعجاب والتقدير لأنهم كانوا حقاً بناة أسس الكيمياء بما قاموا به من بحوثٍ استقرائية وما وضعوه من نظرياتٍ كان الغرب يعتقد أنها لم تولد إلا في زمانه هذا[1] .

أم أحدثكم عن (حجر الفلاسفة) ذلك الحجر العجيب الذي يستطيع بمجرد التلامس أن يقلب المعادن الخسيسة ذهباً خالصاً ، احمر وهاجاً كان وما يزال خلاب الألباب من ملوك وصعاليك ، ولعب حتى بعقول بعض العلماء أمثال (باكون ، وبوبل ، ونيوتن) ، بالرغم من اكتشاف نوعه الآخر (الذهب المائع) ، الغزير الينابيع الذي تتسابق للحصول عليه والاستئثار به الشركات الطامعات لا يُشبع نهمهن ما بأيديهن منه مهما كثر ؟ أم أذكر تفكهةً للمسامع سير رهط من المحتالين الذين اتخذوا الشعوذة لهم ديدنا ، يقومون بأنواع الاحتيال لسلب أموال الناس وتحويلها الى جيوبهم ذهباً ؟

أم أتكلم عن (اكسير الحياة) ـ في حياة الكيمياء ـ وأعدد الجهود الجبارة التي يبذلها الاخصائيون الجهابذة في هذا المضمار سعياً وراء ايجاد ما فيه اطالة عمر الانسان وتخليص البشر من صولة أعدائه الجراثيم القتالة ، وانقاذه من مخالب الأمراض التي تفتك به ؟

أم عن أسرار (القنبلة الجوهرية أو الهدرجينية) وهي من موضوعات الساعة ، يحاول الاستكثار منهـا للتقتيل والتدمير ، بدلاً من الانشاء والتعمير من لا يخافون الله ولا يرقبون إلاً ولا ذمةً في صغير وكبير ، ولم يقم موجدوها

---

(١) يقول الفيلسوف دراپر الأمريكي في كلامه عن العرب وعلومهم : (تأخذنا الدهشة أحيانا عندما ننظر في كتب العرب فنجد آراءً كنا نعتقد انها لم تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقي الكائنات العضوية وتدرجها في كمال أنواعهـا ، فان هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون الى أبعد مما ذهبنا اليه فكان عندهم عاماً يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقي المعادن بأشكالها .. الخ) .

كل هذا كان حافزاً لابن صديقكم الى العمل دأباً ـ من درس وتنقيب ، وتأليف وتعريب ، ونقد وتصويب ـ على ما يوصله الى أبواب هـذا الصرح العلمي الذي توطدت أركانه وبلغ بجهود أعضائه العاملين المخلصين ، أعلى ما يبلغه محفى علمي رسم لنفسه خطته المثلى ؛ ثم الى ما يؤهله يوماً لدخوله بسلام والانضواء تحت لوائه والسير مع أعضائه العظام على سنة التدرج في الرقي ، الى هدفه الأسمى : وقد جعل ربي رؤياي حقاً ، فتحققت لي بذلك ـ يا سادتي الكرام ـ أمنية طالما علات بها النفس وقد بلغتها والحمد لله ، ولا يبلغها الا ذو حظ عظيم ، يوم صدر قراركم عن قلوبكم الطيبة ، بمحض المحبة والرضى ، بضمكم إياي الى أسرتكم . و (كل من سار على الدرب وصل) .

سادتي ، لقد انتخبتم فيَّ محباً للعلم واللغة فضممتموني اليكم عضواً يبدأ تطوره من اليوم بقلوبكم الحية ، في رواق هذا المجمع العلمي الذي تفخر به سورية العزيزة ، هذا المجمع الذي أسس يوم أسس ليؤدي واجباً في إحياء العربية وقد كادت تندثر تحت حكم العثمانيين ، وليصل ـ ببحوثه واجتهاداته ونشراته ـ ما انقطع بين الشرق والغرب بعد تلك الحقبة من الحضارة التي حمل مشعلها العرب في عصرهم الزاهر الزاخر بالمآثر فاستضاء به الغرب حتى أصبح بقبسه منبع نور الحضارة في عصرنا هذا .

* * *

لقد جعل لي المجمع الكريم الخيار في انتخاب موضوع الكلمة التي ألقيها على مسامعكم ولقد والله (حيَّرني مذ خيَّرني) ، فمن لي (بالمختار لرد المحتار) والموضوعات التي يجمل الكلام عليها وافرة ، وأبواب الحديث عديدة ؟

هل أحدثكم عن (الكيمياء) وما كان لأجدادنا العظام (أمثال أبي بكر الرازي ، وجابر بن حيان الكوفي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن الهيثم) في هذا الباب من الأعمال المجيدة التي جعلتهم بين أهل هذا العلم من الخالدين

ويزيلان كثيراً من الصعوبات التي تعترض المؤلف والمترجم لولاهما لبقيت دائرة المصطلحات العلمية ضيقة جداً ، خصوصاً وبعض قواعد اللغة الموضوعة ، ليس كالجبال الراسيات لا تزعزعهن الزوابع والأعاصير ؟ ولنا أسوة حسنة في المجامع العلمية الغربية . فهي تضع وتقرّ في كل يوم – نحتاً واشتقاقاً – عدداً لا يستهان به من الكلمات التي يرددها العلماء ، ويضعها المخترعون لشتى الآلات والأدوات والأجهزة في مختلف الفنون ، والمجامع العلمية أنشئت للتيسير لا للتعسير .

ألا ترون معي ، سادتي ، الغبن اللاحق بالعربي الحديث في أحكام اللغويين القاسية ؟ لماذا يمنحون العربي القديم حق النحت والاشتقاق أو التعريب ، ويمنعون العربي الحديث أن ينهج نهجه فينحت هو أيضاً أو يشتق أو يعرّب ؟

لماذا يرضون أن يقول العربي القديم : (ماوَرْد) ، (ما زَهْر) ، (مُتَحبْرَم) ، (حَبْرَمَة) ، ولا يقبلون من العربي الحديث أن يقول : (مَاغَوْل) ، (مَاسَلْ) ، (مُخَزْلِد) ، (خَزْلَدَة) [1] ؟

لماذا يسمحون للقديم أن يقول : (بَسْمَلَة) ، (حَمْدَلَة) ، (حَوْقَلَة) ، (تَعَبْقَس) ، ولا يقول الحديث : (فَحْمَلَة) ، (بَلْمَهَة) ، (بَلْسَمَة) ، (حَلْمَهَة) ، (خَسْفَمَة) ، (تَمَبْشَمَ) [2] .

يتقبلون من القديم (زُرْقُم) ، (شُبْرُم) ، بزيادة الميم في آخر الكلمة ولا يستسيغون من الحديث (تَحَلْوُن) ، (تَصَفْرُن) ، (تَحَمْضُن) ، (تَقَلْوُن) ، (تَحَثْوُن) ، (تَغَوْلُن) [3] بزيادة النون !

هـذا من حيث النحت والاشتقاق وأما من حيث التعريب والوضع فمجال

---

1) hydro-alcool ; hydro-mel; oxydo-réducteur; oxydoréduction.

2) carboxylation ; déhydratation ; détoxication ; hydrolyse ; désamination; tournesoler.

3) glycémie ; cholémie ; acidose ; alcalose . hémocrinie ; alcoolémie.

بإيجادها إلا لهدف نبيل هو توفير الراحة والرفاه لاخوانهم (الآدميين)، إذ ما من عالم يعمل في مخبره للبحث العلمي المجرد إلا لما فيه نفع لبني الانسان ودرء المصائب عنه على قدر الامكان مهيئاً له أسباب السعادة والعمران ولا ينتظر أجراً على بحثه أو كشفه لأنه انما يطلب العلم لذاته عن هواية ليس غير .

أم أتكلم عن (الحياة) وما يكتنف تطوراتها من أسرار أعجزت الباحثين عن مفتاحها، على ما بأيديهم من المشعل المنير، وأعني به (العنصر النظير) الذي يهديهم سواء السبيل في بحثهم العلمي الخطير ؟

أم عن المؤتمرات العلمية التي يعقدها العلماء فيما بينهم لا يفرقون بين أحد منهم قومية أو جنسية أو عنصرية ـ وقد أيقنوا أن الخير في هذا الاتحاد العلمي بعد أن كانوا أشتاتاً لا يرجى من عملهم أفراداً خير ـ ليعرضوا ثمرات أفكارهم ونتائج جهودهم، وليتداولوا الآراء في توحيد مناهج البحث والدرس ولغة التفاهم العلمية أعني المصطلحات ؟

وعلى ذكر المصطلحات العلمية وهو من أهم أغراض مجمعنا العلمي هذا، أرجو أن يتسع صدركم لكلمة لي حول هذا الموضوع :

لقد كان أمر المصطلحات، يا سادتي، مدعاة للأخذ والرد الطويلين بين فحول اللغة وفطاحل العلم، كلٌّ يتمسك برأيه لا يحيد عنه . فلا اللغويون يرضون بمس قواعد اللغة بأذى، ولا العلماء يقبلون استعمال ما يضعه اللغويون من الكلمات الغريبة المستخرجة من بطون القواميس، وهذا ما كان نصيب الكلمات العلمية التي استأثر بوضعها مجمع اللغة العربية الملكي بمصر، على ضآلة انتاجه في هذه المدة الطويلة .

سادتي، ماذا يضر اللغويين أن يلجأ العالم الى النحت والاشتقاق وفيهما من المرونة وسهولة الوصف والاضافة من الكلمة المنحوتة، ما ليس في غيرهما من الأفعال، وهما الى ذلك يجعلان المجال واسعاً في ايجاد كلمات ملائمة للغرض،

والصوف والكتان ؟ وما فائدة (اللتر) اذا حصر عمله لكيل الماء ، ولم يستخدم لكيل الموائع كافةً من زيوت وأغوال وألبان ؟

سادتي ، لو أن العربي القديم بعث اليوم حياً من لحده ، وشاهد هذا التقدم العلمي الهائل بفروعه الجمة التي لم تكن في عهده ، لما تردد لحظة في وضع ما جرى عليه العربي الحديث نهجاً على ما سار عليه القديم سليقةً ، يوم كان حياً في زمنه الغابر . فاذا كان هو الجد الهمام لم يجبن عن التقدم الى الأمام ، فهل يليق بحفيده أن يجبن عن النسج على منواله وقد ورث الكثير من سليقته وخلاله ؟

بقليل من التساهل ، يا سادتي ، وبتناسي كلمات : (شاذ ، مستحيل ، ثلاثي مجرد ، ثلاثي مزيد الخ) في سبيل المصطلحات يتسع على العلماء مجال التعليم والتأليف بلغةٍ عربيةٍ مبينة وتتخلص البيئة التعليمية الحالية من لغةٍ عجيبةٍ غريبة دونها غرابةً لسان أهل بابل ، وكلنا يعلم ان قافلة العلم تسير السير الحثيث وفي كل يوم مخترعات ومكتشفات تعد بالمئات تحتاج الى مصطلحات ، ولا يمكن التغلب على هذه الصعوبة وتذليل هذه العقبة إلا بمثل هذا التساهل في وضع المصطلحات : مفردات لغة التفاهم العلمية .

* * *

سادتي ، يقضي عليّ حق الزمالة للمرحوم الدكتور جميل الخاني الذي كان من أعضاء مجمعنا العلمي أن أشيد بجهود بذلها في موضوع المصطلحات تُذكر له بالثناء والتقدير أجزل الله ثوابه عدد قطرات المداد الذي أمدّه .

لقد حمل العبء الجسيم في مهنة التعليم الشاقة في المعهد الطبي العربي (كلية الطب الآن) وكان أستاذاً للأمراض الجلدية والزهرية وأخلص فيها وهو بها ذو باع ، ولم يأل جهداً في العمل على ما فيه نفع لطلابه . ولما رأى أن تدريس مادة الطبيعة التي تبرّع بتدريسها زيادةً عن الأمراض الجلدية

الكلام أوسع ، أخشى إن أسهبت فيه بضرب الأمثال وبيان العلل أن يعتريكم الملل ، واليكم بعضاً منها : (تَأَقْلَمَ) ، (أَقْلَمَة) ، (بَرْكَنَة) ، (غَزْلَنَة) ، (نَمْذَج) ، (كَفْسَط) ، (تَرْفِين) [1] ، وما كان وزان فَعَلان : (رَوَذان) ، (نَوَسان) ، (مَوَجان) [2] . وهنالك مما يمكن وضعه وزان (مَفْعَلَة — فَعُول — فَعُولِيَّة) العدد الكثير : (مَخْثَرَة) ، (مَعْرَقَة) ، (مَهْضَمَة) ، (مَسْبَتَة) — (خَلُوص) ، (لَهُوب) ، (نَفُوذ) ، (صَبُوغ) [3] !

والقياس ، ما أوسع حدوده ! لماذا نكتفي ببضع كلمات معدودات على وزن (فَعَلَ : رَمَد ، كَلَب) فنجعل الدائرة ضيقة لا تتعدى حدودها دفتي القواميس ، ولا نحب توسيعها بالقياس كما هي عليه القواميس فنقول : (فَيَل ، زَرَق) [4] ، — أو نكتفي بكلمتين على وزن (مَفْعُول : مَكْبُود ، مَمْشُون) فلا نقول قياساً : (مَزْهُور ، مَسْكُور) [5] ، — أو بكلمتين على وزن (فُعَال : جُذَام ، بُوَال) فلا نقيس به (نُهَام ، رُحَام) [6] ؟ ألأنه لم يسمع عن العرب أكثر من هاتين الكلمتين ، أم لأنه لم يدون في المعاجم غيرهما ؟

فلماذا اتخذت المقاييس إذن ؟ أليست للقياس على الاطلاق دون قصر أو حصر ؟

ما نفع (المتر) اذا اقتصر استخدامه على ثوب الحرير ولم يعمّ أثواب القطن

---

1) acclimater (s') ; acclimatation ; dégazolinage ; échantillonner ; encapsuler.

2) mouvement de va-et-vient ; oscillation ; ondulation .

3) coagulant ; sudorifique ; digestif ; hypnotique ; extractible ; inflammable ; pérméable ; colorable.

4) éléphantiasis ; maladie bleue .

5) luétique ; diabétique.

6) polyphagie ; métrite.

الخراب والدمار ، وقانا الله ويلاتها وألم الطامعين ، استخدامها للخير لا للشر رحمةً للبشر .

* * *

أستميحكم عذراً ، اذا شعرتم في كلماتي ومقاطعها بايقاع ليس على عذوبة الكلام المأثور أو الشعر المنثور ، وهل تنتظرون ممن قضى جل عمره بين ملاح الزئبق والرصاص ، والفضة والنحاس ، والذهب والبلاتين إلا أن تكون كلماته على الأذن معدنية الرنين ؟

هذا واسمحوا لي ـ سادتي الأفاضل ـ أن أخفف هذا الوقع (الصادح Dièse) لا (الرخيم Bémol) بترديدي ختاماً على مسامعكم في معرض شكركم جميعاً ، قول الشاعر حافظ ابرهيم :

« شكرت جميل صنعكمو بدمعي ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفني ، على ما ذاقه ، دمع السرور »

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

والزهرية ، ينطلب أن يكون ضليعاً في الرياضيات لم يتردد لحظةً إرضاءً لوجدانه الطاهر ، في حضور دروس الرياضيات في الصوربون بباريس رغم تقدمه بالعمر ، على جهابذة هذا العلم حتى اذا ما عاد ملئ الجعبة من تحصيله الجديد جعل يقدمها ثماراً يانعة ، الواحدة تلو الأخرى ، هديةً ثمينةً لطلابه فيستفيدونها ، ولبث كذلك بضع سنين قام بتدريس مادة الطبيعة خير قيام وألَّف فيها جزأين باسم (القطوف الينيعة في علم الطبيعة) لا يزالان الينبوع الفياض يرده كثير من الشباب ، وفيهما الكثير من المصطلحات .

ولم يكن رحمه الله أقل اهتماماً في مصطلحات دروسه الأصلية - الأمراض الجلدية والزهرية - وهو الإخصائي الوحيد فيهما يومئذ . وما بلغ سن التقاعد حتى آثر الانسحاب من التدريس ليخلو بنفسه وكتبه ومصادره تحقيقاً لرغبة كانت تجيش في نفسه الوثابة وهي إعداد (معجم طبي) بدأ به بالأمراض الجلدية ثم رأى التوسع فيه وجعله عاماً عربياً ، فكان له ذلك عملاً أضناه ، حتى وافاه الأجل المحتوم مكباً على وجهه فوق أوراقه في غرفته ، فلفظ آخر نفس من أنفاسهِ زفرةً صعدها من صدره المكدود حسرةً على جهودٍ لم يأمل - لإلهام باطني - أن يدرك ثمارها فودعها مطبقاً عينيه ليرتاح من عناء هذا العالم الفاني الذي لا تنتهي أعباؤه ، تاركاً للجيل العتيد مجال العمل لإتمام ما وصل اليه في معجمه الفريد .

* * *

وبعد ، سادتي الزملاء الأجلاء ، هذه هي (السانحة اللغوية) ، ألقيتها على مسامعكم الآن ما توخيت بها إلا التمهيد للبناء والتركيب ، وهي فيما أحسب ، خير من الحديث عن (القنبلة الجوهرية) وما تخبؤه في جوفها من القدرة الهائلة والتي إن أُطلقت لم تبقِ باشعاعاتها المميتة ولم تذر ، وعما يكون منها من

وعالية ، ولم ينل من الشهادات الا ما كان منها موسوماً بجملة جيد جداً أو علي الأعلى على حد التعبير القديم .

وما إن أنهى آخر مراحل الدراسة في هذه البلاد بنوال درجة صيدلي من الدرجة الأولى ، حتى أبت عليه نفسه الطموح إلا المزيد من العلم ، فشد الرحال ميماً وجهه شطر بلاد الغرب وحط عصا الترحال في باريز وعاد الى عهد التلمذة بعد أن قضى فيها ما فيه الكفاية ، وما بعده غيره الغاية كل الغاية ، وحصل على درجة الدكتوراه في الصيدلة وهي على ما أظن أول شهادة ينالها سوري منوجة بجملة جيد جداً أيضاً ، وظلّ في مخابر الكيمياء ومبحث السموم يعمل ويكد ويجد حتى وجد ، نعم وجد وأبدع واكتشف أمراً جلالاً في بحث السموم جعل اسم صلاح الدين الكواكبي يدوّي في الأندية العلمية ، وأن يخلد في الكتب المدرسية التي تدرس هذا الفن في جانب اسم أستاذه الذي أقرّ له بفضل بحثه .

وما أن نضى لبانته حتى حنّ الى العودة الى بلاده فعاد حاملاً لواء الظفر ، ولكن أنّى له أن يجد في ذلك الحين من يقدر علم صلاح الدين الكواكبي وفضله حق قدره ، فعيّن مساعداً في المخابر ، وعوضاً من أن توسد اليه ما أهّل له من تدريس الكيمياء ، أسند اليه العمل في مخبر الجراثيم الذي ظل فيه قرابة ثماني سنوات ، وآن الأوان لترقيته الى وظيفة رئيس مخبر ، غير أن المرسوم الذي أعد لهذا الأمر لم ينفذ لأسباب ، وكان ان استدعته في تلك الآونة مديرية الصحة العراقية ، فسافر الى بغداد أستاذاً لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة ، ثم عاد الى دمشق بعد انتهاء عقده مع حكومة العراق ، تاركاً في بلاد الرافدين أطيب الأثر ، واندمج في سلك التدريس في كلية الطب كرةً أخرى ، وأتيح له في هذه المرة أن يتدرج في المدارج العلمية حتى بلغ القمة وأصبح أستاذاً أصيلاً لكرسي الصيدلة والكيمياء اعتباراً من ١٩٤٧ .

كلمة الدكتور حسني سبح (١)

سيدي الرئيس ، زملائي الأكارم

إن القلب ليطفح بشراً وسروراً وأنا أقف هذه الأمسية مستقبلاً الزميل الجديد والصديق القديم وقد سمعتم ما ألقاه على مسامعكم من كلم طيب ، واذا كان للمسك أن تنم عليه رائحته ، فقد تضوّع من قول الوصيف مادل على ما يتحلى به من غزير علم وأدب في جانب ولهه في بناء صرح لغة الضاد العلمية على أسس متينة ، مما يجعله في غنى عن الترجمة والتعريف وأن يصبح من نوافل الكلم كل ما يقال بعده ، ولكن نظام المجمع يحتم أن يستقبل الزميل الجديد من زكاه إبان انتقائه ، أما وقد قبلت التزكية مختاراً فأصبح عليّ أن أزجّ بنفسي في هذا المأزق لزاماً .

وبعد ، فان زميلنا الجديد الدكتور صلاح الدين الكواكبي هو ربيب بيت علم وفضل ، وأحد الكواكب الساطعة في أسرة الكواكبي الحلبية ، وقد أنجبت أفذاذ الرجال الأعلام أمثال العلامة الشيخ محمد(٢) ، وعبد الرحمن الكواكبي ومسعود الكواكبي والدكتور أسعد الكواكبي من أولي العلم والفضل ممن أدوا الى الوطن أجل الخدمات . وهو ابن زميل قديم في هذا المجمع لم يسعدني الحظ بالتعرف عليه ، ولا شك ان قدامى الأعضاء يعرفونه كما عرفته دوائر القضاء الطافحة بذكراه الحسنة طيب الله ثراه ورحمه رحمةً واسعة .

وإن هذا الشبل ما عرف عنه منذ نعومة أظفاره إلا مجلياً في كل حلبة ، إذ كان أبداً الأول في جميع صفوف دراسته من ابتدائية واعدادية تجهيزية

---

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور صلاح الدين الكواكبي .

(٢) الامام العلامة الشيخ محمد بن حسن بن احمد الكواكبي مفتي حلب الشهباء المتوفى سنة ١٠٩٦ هـ مؤلف (الفوائد السمية في شرح الفرائد السنية) في فروع الفقه الحنفي وبهامشه : (ارشاد الطالب الى منظومة الكواكب) في علم الأصول للكواكبي المذكور الجزء الأول طبعة مصر ١٣٢٢ هـ . الجزء الثاني طبعة مصر ١٣٢٤ هـ .

فرأيت أن أكشف على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي ما خفي من أمر هذه الكلمة تبياناً للحقيقة .

(بجل) ويقصد بها العامة (الداء الافرنجي أو الزهري) ، مع أنها في الأصل صفة لا اسم كما سترى ، شائعة الاستعمال فيما بين النهرين دجلة والفرات وبين أهل البادية . (بجل) هذه ليست عربية الأصل البتة ولا من العامي الفصيح . انما هي فارسية المنشأ . وليس لكلمة البجل العربية وما يقرب منها لفظاً من الكلمات ، معنى يحمل على الحكم بأن تكون العامية الشائعة الاستعمال مأخوذة عنها محرفة .

فالبجل العربي الأصل هو : (البهتان ، والافتراء) ، ومن معانيه (نَعَمْ ، مثل أَجَلْ) ، وبجل بمعنى حسب ، وبجلك بمعنى حسبك وعليه و (حسبك حيث انتهيت) . وأما كلمة (البجل) العامية فهي فارسية المنشأ وتكتب (پچل Pétchél) بالباء والجيم المثلثتين التحتيتين ومعناها بالفارسية (الانسان القذر ، الملوث ، المستكره المنظر ، البغيض الخ .) بما يوافق معنى الكلمة الافرنسية (Haïssable) تماماً .

ومن هنا — على ما أرى — جاء استعمالها لدى العامة المتاخمين للفرس فيما بين النهرين والبادية ، للمصابين بالداء الافرنجي ، لما ينجم عن هذا الداء من الحالة القذرة ، الملوثة التي تدعو للاستكراه والنفور من حامل هذه العلة .

والكلمة نفسها انتقلت الى التركية بالمعنى الفارسي تماماً فهي عند الترك أيضاً تطلق على (الرجل القذر ، الملوث ، المستكره المنظر ، المستوجب النفور منه) .

واذا بحثنا عن معنى كلمة (سيفليس Syphilis) الفرنسية نجدها مأخوذة عن اليونانية (Siphlos) ومعناها (Haïssable) : (المستكره ، المقيت ، المستوجب النفور منه) بمعنى كلمة (بجل) الفارسية .

فلا مجال بعد هذا أن يبحث عن اشتقاق لها في اللغة العربية وان كان العامة يقولون (مبجول) للمصاب بالزهري ظناً منهم ان (بجل) اسم (مع انها في الحقيقة صفة) .

وهو يجيد اللغتين العربية والتركية كتابةً وإنشاءً ويحسن الفرنسية ويلم بالانكليزية ، ومؤلفاته في العلوم الكيمياوية والأحيائية كثيرة تبلغ بضعة عشر ، وكلها تشهد بطول باعه وتعمقه في البحث ، ولا يكاد ينقضي عليه عام إلا ويتحف خزانة المطبوعات العربية بمصنف جديد ، ناهيك بالمقالات الكثيرة التي دبجها ونشرتها أمهات المجلات العلمية .

وله جولات موفقة في المصطلحات العلمية صنف كراسة فيها طبعت ست مرات ، واشترك مؤخراً مع الأستاذين مرشد خاطر وحمدي الخياط بنقل معجم المصطلحات الطبية للدكتور كارفيل الى العربية باذن من مؤلفه وعدد مصطلحات هذا المعجم ينيف عن ١٤٥٠٠ كلمة .

هذا ، ومن نحتفي باستقباله في هذه الجلسة ليتحلى في جانب ذلك بأكمل صفات العلماء من طيب الأحدوثة ودماثة الأخلاق وصدق وتواضع وتقوى وصلاح . والمجمع قد وُفق كل التوفيق بضمه الأستاذ الكواكبي الى عداد أعضائه العاملين وعسى أن يتمّ بصلاح الدين صلاحه ، فهنيئاً له بهذا العضو الجديد ، وهنيئاً للزميل الكريم على هذه الثقة الغالية التي هو أهل لها ، ولئن غاب عنا كوكب فلنا بالكواكبي أحسن عوض والسلام .

الدكتور حسني سبح

(بَجَل) أم (بِجِل)

لي صديق كتب لي يوماً من باريس وكان قصدها لنيل (الدكتوراه) ، يسألني من أجل صديق له طبيب افرنسي يهيئ رسالته ، عن معنى كلمة (البجل) واشتقاقها ومصدرها . وكنت أجبته بما توصلت اليه بعد التحقيق عن أمر هذه الكلمة . ومنذ مدة وأنا أجد في الصحف بين أخبارها المحلية كلمة (البجل) هذه ويستعملها أطباء الصحة والاسعاف في بلاغاتهم وتقاريرهم كأنما هي عربية الأصل .

ملاحظات على الجزء الرابع من المجلة

استعرتُ جزء تشرين الأول لسنة ١٩٥٣ للاطلاع على ما نشر لي أو نشر عني فانتهزت الفرصة بتصفح بعض محتوياته فبدت لي الملاحظات الآتية :

ص ٥١٦ — بيت النابغة (أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا) ..
الذي في الشواهد[1] على ما أحفظه (أمست ... وأمسى) .

٥٣١ — بيت الهذلي :

ما ان يمس الأرض إلا جانب منـه وحرف الساق طي الحمل

الذي أحفظه من ديوان الحماسة (الا منكب) والحمل خطأ مطبعي صوابه (المحمل) .

٥٣٧ — بحث للأستاذ حسن حسني التونسي ـ جاء فيه لفظ البيت مؤنثاً في أفعاله وضمائره المتتابعة ... وسيأتي ما يكشف اللثام !

٥٣٩ — البحث نفسه ـ «وأشرف على سيرها وتعليمها حكيماً» بالنصب !

٥٥٢ — «وألفوا كتب قيمة» بغير اشارة نصب !

٥٥٨ — «ويقول ابن عبدون انه يجب على ...» ليتـه نقل (المقول) بلفظه لا بمعناه فهو أليق بالبحث .

٥٧٤ — سليمان ظاهر مادة (سعن) وجدنا قريباً من المعرة في سفر لنا قبل ثلاثين عاماً امواهاً تشبه الاحساء يسمونها (السعن) .

٥٩١ — س ١٥ «أتباع الهوى» بهمزة على الألف وهي تفيد الجمع مع أن المراد المصدر لا الجمع ! ومن المؤسف أن يكون وضع الهمزة على الألف في المطبوعات العربية فوضى وفيه من اشاعة الخطأ في الضبط ما لا يخفى ! وليت

(١) والذي في ديوان النابغة (مطبعة الهلال) : أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا . (المجمع)

وخير منها كلمة (مَزهُور)(١) اشتقاقاً من (الزُهَري) وهذه من (الزُهَرة) النجم المعروف ، وهي عندهم إلهة الحب ولأن المصاب بهذا الداء انما يصاب به من (الحب الملوث) .

هذا ما كنت كتبته الى الصديق منذ حين . وفي نشره الآن على صفحات هذه المجلة العلمية ايضاح للحقيقة وفائدة لمن يشتغل بالتأليف والترجمة .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
عضو المجمع العلمي العربي

تصويب أغلاط مطبعية

وقعت في مقالة « فضل الثنائية على المجمية » للأب مرمرجي

	صفحة	خطأ	صواب
مجلد ٢٨ جزء ٤	٥٤٢	المجميه	للمعجمية
	«	شتار	مُشتار
	٥٤٧	بك	بدء
مجلد ٢٩ جزء ١	٧٩	شعائر	ستائر
	٨٠	التنجيم	التخييم
	٨١	مفعول	معقول
	٨٢	لدغة الحية	لدغته الحية
	«	سليم	سلم
	٨٧	في جريد	في جَرْيِه

(١) وضعتها على وزن مفعول ويدل على ألم أو داء يشتكى منه في العضو. مثال (المكبود، للمثون) لمن يشتكي كبده او من مثانته . فالمزهور : (المصاب بالزهري او بالداء الافرنجي) .

(اذا جاوز الاثنين سرٌ فانه يُبثّ وتكثير الوشاة قمين)

علل الأستاذ تصحيحه هكذا : «فقوله بعده وتكثير بالجر ليس له ما يعطف عليه» .

وليسمح لي سماحته أن أعلله هكذا : «لما كان (قمين) يحتاج الى متعلق مجرور بالباء تعين كون ياء المضارعة مصحفة عن الباء الجارة .

٦٠٨ — بحث (الوحدة الاسلامية) — «وأصله أن المجتهد الخالصي قد هاله ما رأى من تنافر هذه الأمة وتناحرها ... فقدم من الكاظمية الى بغداد» بل أصله أن الخالصي قدم من ايران الى العراق بعد إقامته هناك نحو ربع قرن ...

ثم تطرق الأستاذ المعلق الى آيات عد رسمها خطأ فأقول ان لكل خطأ عدّه ، نكتة ! أما (ويل للمصلين) بغير فاء فالغرض منه رمز الى مثل مشهور لا الاستشهاد بالآية !

وأما (ولا يغرنك تقلب الذين ...) فقد كانت الواو خارج القوس للعطف على ما قبلها فدخلت القوس في غفلة من المصحح ... لتوجه إليّ سهماً !؟

وأما قوله تعالى (ومن يعتد حدود الله) بتأخير التاء فلم تقع (الجناية) في حدودي ! وقد برئت ذمتي باشارة (كذا) ولست مسؤولاً عن تصرفات غيري ...

ثم عرج الأستاذ الجليل على كتاب (الرزية في القصيدة الأزرية) فبدا رسمها بتقديم الزاي على الراء والأصل العكس ولا بأس كما قال الشاعر :

خذا درب هرشى أو قفاها فانما كلا طرفي هرشى لهن طريق !

وأما سقوط الواو من (الا تنصروه) فداء المطابع لا يقبل الفداء !

وأما (لست منهم) من دون (في شيء) فليس من الخطأ في شيء !؟

على كل نشكر العلامة البيطار على ما تلطف به .

ولقد اشتهيت التعليق على اقتراحه عقد مؤتمر ولكن خشيت أن يجمح القلم فيجري بما لا تحتمله المجلة !؟

الجامع تعالج هذه القضية فانها خرق على اللغة يضاف الى الخروق الأخري ...
ومنها اهمال الياء الأخيرة فتشتبه بالألف المقصورة .

٦٠٠ — « بدليل أنه يذكر أغلاطاً لعامة الأندلسيين مثل قولهم في الدجاجة بالفتح دجاجة بالكسر » أقول نص اللغويون على تثليث الدال [1] !

٦٠١ — « وقد توافقنا مع مؤلف الجمانة » أقول ان (توافق) من أفعال المشاركة فهو يحتاج الى فاعلين و (مؤلف) هنا أحد الفاعلين وصواب التعبير (توافقت أنا ومؤلف ...) أو (توافقنا نحن ومؤلف) أو (وقع التوافق بيني وبين مؤلف) ... الا أن إقحام (مع) في أفعال المشاركة قد فشا فشواً لا يرجى تداركه ! وهذه اللهجة من رواسب العجمة !

٦٠١ — « والطعام النيء بكسر النون . وهم ونحن نفتحها » . أقول : ونحن نكسرها على الفصيح لكن بشد الياء من دون همز .

بعده : « العقبان بضم العين والصواب كسرها » .

٦٠٢ — « كما توهمت عامة تونس كلمة بيت مؤنثة فقالوا بيت حسنة أو واسعة قياساً على بنت وأخت » ! ؟

أقول في هذا التعليل نظر ! فأهل بغداد مثلاً يؤنثون الباب وليس في آخره تاء موهمة وأهل الموصل يؤنثون الدكان والبستان والمطر ... وانما جاء الاختلاف من اختلاف الأقاليم وتأويل سكانها للألفاظ بحسب سلائقهم ولكن يجب تجنيب ذلك لغة الكتابة لا كما مر في بحث الأستاذ التونسي .

٦٠٣ — « لام (الكالئ) لام مزحلقة » أقول : الألف من تبرع المبيض أو الطابع ! وقد أجاد الأستاذ في التحليل والتوجيه .

٦٠٤ — « إذ أن السكوت » بفتح أن والصواب كسرها لتعقب (إذ) جملة لا مفرد ! بعده :

---

(١) على أن الفتح أفصح . (المجمع)

لم يكن في العهد الحميدي روح عداء للعربية كما لم تكن روح عربية ! ؟ فلينظر سبب آخر !!

٦٤٨ — « مفتح للسدود والمغص » بالواو وفي عبارات الأطباء بغير واو بعده أو لا يسيل قط » قط مخصوصة بالمضي في الفصيح .

٦٥٠ — « من ذلك اكتشافهم مادةً » الاكتشاف لا يتعدى ولكنه شاع ولا يرجى تداركه !

بعده — (الميوعة) لم ترد ولكنها شاعت ولعل (التميع) يغني عنها لو أشيع وللألف دخل كبير !

٦٦٥ — يثنون على المجمع لنشر (صحيفة همام بن منبه) ذات الأهمية العظيمة » ! لم يشر الباحث الى محل نشرها .

وفي آخر الصفحة « ان الامام احمد بن حنبل تدرسها على عبد الرزاق ... » وعلمي بالامام احمد (رضي الله عنه) أنه رحل الى اليمن ومكث فيه مدة طويلة للأخذ عن رجل اسمه عبد الرزاق فيما أتذكر كان يتشيع ! فليتني اطلعت عليها ...!

٦٦٨ — كالمذهب الشيعي الاثني عشري » بالياء في الجزء الأول ولا حاجة اليها لأن الاعراب جار على ياء النسبة في الجزء الثاني ثم ان نسبة المذهب الى جعفر مصطلح جديد في ما أرى والمعروف عند المتقدمين (مذهب الامامية) والله أعلم !

بعده — « وما كان هذا ليغرب عن علم الأستاذ » بالمعجمة والصواب بالمهملة والزاي كما ورد في القرآن (وما يعزب عن ربك ...) .

٦٧٠ — « الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي » كتبت على هذه الرسالة رسالة هامة نشرت في عدة حلقات وخطأت نسبتها الى المجريطي ! بل هي لإخوان الصفاء وقد نصوا عليها في رسائلهم .

٦٧٢ — (كفرتخاريم) أنا مرتاب في رسم هذه الكلمة وهي جديرة بالتحقيق والرسم على ما تستحق .

(بغداد) محمود الملاح

وفي ص ٦١١ — «خلّف ديوان شعر كبير» وحقه (كبيراً) !

٦١٣ — (الشذاة) لنوع من السفن والعالق بذهني من المطالعات (شذاءة) فلتراجع[1] وأما (الاشنيام) فقد كان العلامة المغربي بحث عنه وقفيت أنا على اثره ولا أتذكر أين نشرت بحثي ؟ بان الاشنيام على ما تراءى لي كلمة مركبة من (اشت) و (يام) وأن الثانية لغة في (يم) وأن الأُلى ما نعينه بالسين ... ولتراجع اللغة ... فيكون المعنى (قاعدة البحر) ثم تُوسّع في استعمالها ...

ص ٦١٥ — (بعض كلماتها) — أرى نفسي لا تقر اضافة بعض الى جمع منكر لأن التنكير يغني عنها ولذلك لو حذفناها لم يختل المعنى فهي فضلة !

بعده «يعزب صوابه يغرب» وما ندري المقام لنعلم أيهما الصواب ؟

٦٢٠ — «حين كتبت وألقيت» بالبناء للمجهول وهنا أثارت الهمزة شجوني كما أثارتها في أوائل البحث !

٦٢١ — القاضي الأسعد ... بن الحظير» بمهملة ثم معجمة والصواب العكس ! أما القضاء فلم أر ما يفيده في الترجمة ولعله جاء من صحبة (القاضي الفاضل)فليراجع .

٦٢٤ — (الشبني) لا أتذكر أني صادفت في مطالعتي هذا الاسم لسفينة لكن صادفت (شون) و (شواني) و (شونة) .

٦٢٥ — «والغروس وجسور ورسومها» الظاهر (والجسور) .

٦٣١ — شطر (ومنّاهمُ قره القرهات) اقتصر الباحث على قوله «ان في نسخة القاهرة الترهات» وسكت عن (قره) وأرى كاتيهما بالتاء .

٦٤٣ — «في السابعة عشر من عمره» لعل التاء سقطت من الجزء الثاني ! بعده - بحث العاملي -

«مدرسة لم يطل عمرها بمقاومة الحكومة الحميدية لروحها العربية» أقول :

---

(١) جاء في التاج في مادة (شذا) ما نصه : والشذا ضرب من السفن الواحدة شذاة عن الليث ، ونقله الزجاجي في اماليه ، قال الأزهري : ولكنه ليس بعربي صحيح ، وفي المصباح : الشذاوات : سفن صغار كالزبازب الواحدة شذاوة . (المجمع)

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

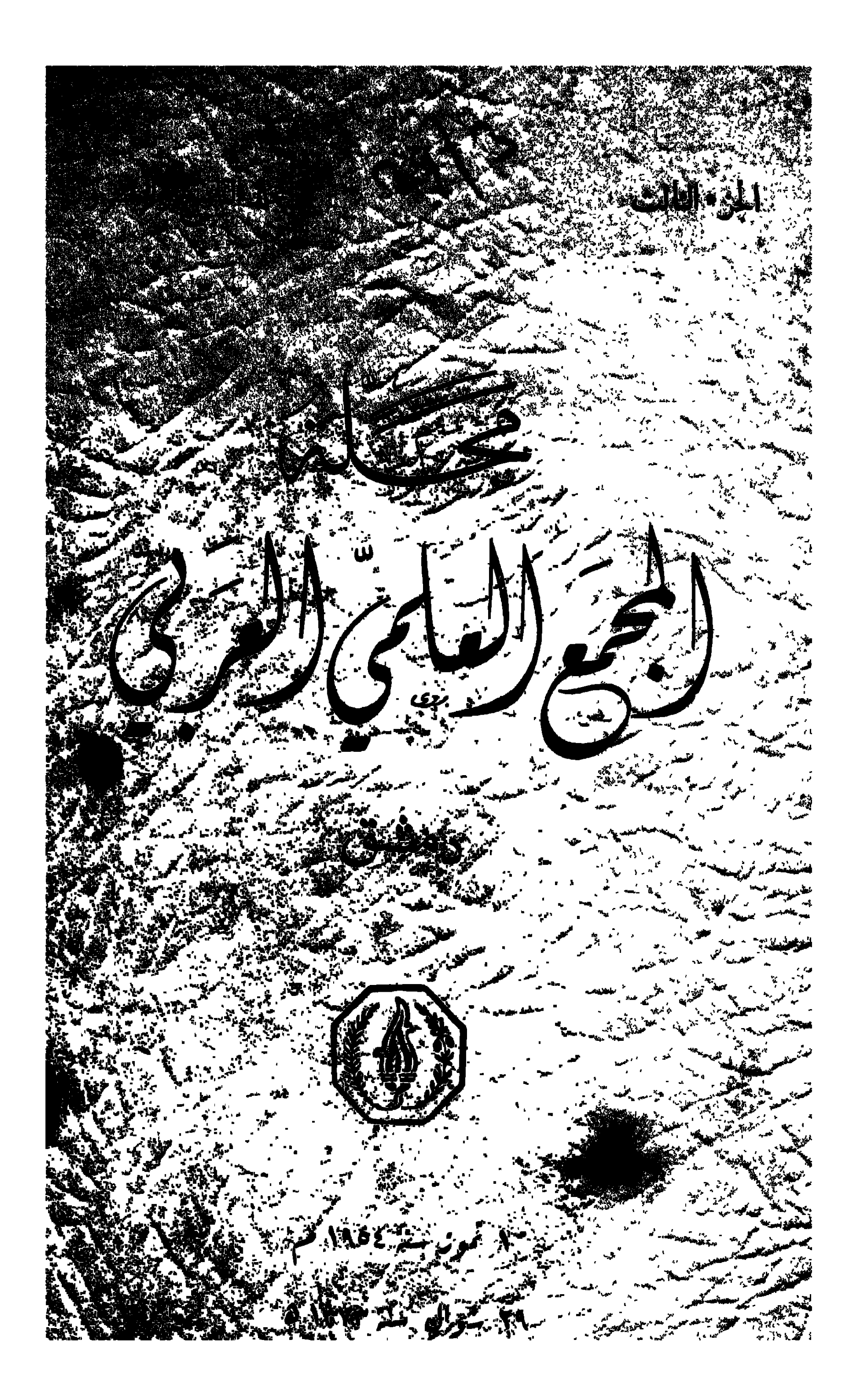
١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٦ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية): تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١١ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٣ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃
١٧ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
١٨ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
١٩ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء


الجزء الثالث
مجلة
المجمع العلمي العربي
بدمشق
١ تموز سنة ١٩٥٤ م
٢٩ شوال سنة ١٣٧٣ هـ

٢٠ — تأريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢١ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٢ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

٢٣ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٤ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃

٢٥ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٢٦ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٢٧ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين.

٢٨ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش

٢٩ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٣٠ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣١ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٢ — بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٣٣ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣٤ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣٥ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الجزء الثالث | المجلد التاسع والعشرون



١ تموز سنة ١٩٥٤ | ٢٩ شوال سنة ١٣٧٣

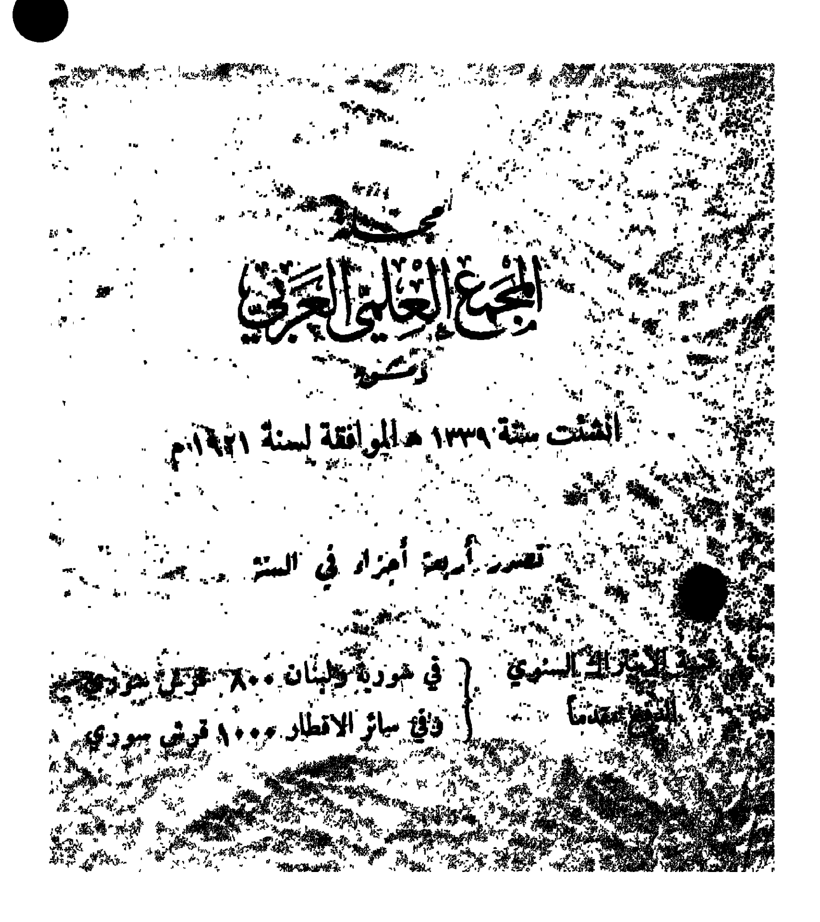
مقالة أبي العلاء
أو
مذهب العقل

لأبي العلاء المعري آراء في الدين والحياة والأخلاق ، لو جمعت ونسقت لكانت مذهباً مستقلاً في الأصول والفروع والعبادات وبعض المعاملات ، تشبه مقالات بعض الفرق الإسلامية كالمعتزلة أو الخوارج أو غيرهم من فرق الإسلام .

ودليل أبي العلاء في عقيدته وسائر آرائه العقل وحده ، لا يثق إلا به ولا يعتمد إلا عليه ولا يصدر إلا عنه وكثيراً ما صرح بذلك ، وقد سمى مذهبه فيما كان يعتقده ويراه « مذهب العقل » والى ذلك يشير بقوله :

« وما آدم في مذهب العقل واحداً »

ولم يمنعه من دعوة الناس الى مقالته إلا سوء ظنه بالناس ، واعتقاده أنهم عبيد الأوهام وخصوم الحقائق ، لا دواء لدائهم ، ولا صلاح لفسادهم ، وهو القائل :


مجلة
المجمع العلمي العربي
بدمشق
أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م
تصدر أربعة أجزاء في السنة
قيمة الاشتراك السنوي
المدفوع مقدماً
في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٠٠٠ قرش سوري

قلتم لنا خالقٌ حكيمٌ قلنا صدقتم كذا نقولُ
زعمتموه بلا مكانٍ ولا زمانٍ ألا فقولوا
هذا كلام له خبيءٌ معناه ليست لنا عقول

وكتب المناظرة التي وضعوها لم يقصدوا منها الا التنافس في الدنيا :

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت كتبُ التناظر لا المغني ولا العُمَدُ

رأيه في العبادة

عبادة الله في رأي أبي العلاء خير ما يفعله الانسان في حياته ، لأنها واجب لمن هو أهل للعبادة ، ولأنها تزكية للنفس الإنسانية الميالة الى الشر ، تنهاها عن اقتراف الآثام :

ما أحسن الأرض لو كانت بغير أذى ونحن فيها لذكر الله سكانُ

وأنواع العبادة التي أكثر أبو العلاء من ذكرها وكان يمارسها : التسبيح والصلاة والصيام ، ويلاحظ ان صلاته بالله صلة تعبد وتمجيد وإجلال وإكبار ، شأن العالم العاقل الذي فكر في جليل قدرة الصانع فعبده خاشعاً ورأى نفسه أصغر من أن يكون عبداً له ، لا كصلة بعض المتصوفة الذين يتوسلون اليه بالحب ، فترتفع الكلفة بينهم وبينه ويتغزلون به ، حتى يخيل لبعضهم انه يحل بهم .

وأقواله في هذه الأنواع من العبادة كثيرة منها :

اذكر إلهك إن هببتَ من الكرى واذا هممتَ بهجعةٍ ورقادِ

أسنى فعالك ما أردت بفعله رشداً وخير كلامك التسبيحُ

ترنم في نهارك مستعيناً بذكر الله في المترنماتِ

اركع لربك في نهارك واسجد ومتى أطقت تهجداً فتهجدِ

صمتُ حياتي الى مماتي لعل يوم الحمام عيدُ

لحى الله قوماً إذا جئتهم بصدق الأحاديث قالوا كفر

كم وعظ الواعظون منا وقام في الأرض أنبياء
فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل داؤك العياء

يضاف الى ذلك فقد بصره الذي جعله عاجزاً عن القيام بالأمور التي يعانيها الدعاة . فاكتفى بتدوين آرائه شعراً ونثراً ولم يجادل بها أحداً ، بل تركها للزمان .

ولئن كان أكثر آرائه صحيحاً راجحاً ، فإن في بعضها من شطط العقل ما يحاكي في الغلو والإفراط شطحات المتصوفة ، على بعد ما بين المذهبين .

رأيه في الخالق

أبو العلاء مؤمن بالله وأنه واحد لا شريك له ، عظيم لا حد لعظمته :

ما قيل في عظم المليك وعزه فالله أعظم في القياس وأكبر

يتبرأ من سفه المعطلين وجحود الجاحدين :

إذا كنت من فرط السفاه معطلاً فيا جاحد اشهد أنني غير جاحدِ

كما يعجب لضلال الملحدين :

عجبي للطبيب يلحد في الخا لق من بعد درسه التشريحا

والبشر أصغر من أن يكونوا عبيداً له :

يسمون بالجهل عبد الرحيم وعبد العزيز وعبد الصمد
وما بلغوا أن يكونوا له عبيداً وذلك أقصى الأمد

وعلماء التوحيد في كل ما قرروه من توحيده وتنزيهه ، أعجز من أن يحيطوا بكنهه ، أو يقدروه حق قدره :

سألتموني فأعيتني إجابتكم من ادّعى أنه دارٍ فقد كذبا

وحججهم على وجوده أضعف من أن يحتاج اليها العاقل ، واختلافهم في صفاته دليل على عجزهم وفضولهم :

وأن من المخلوقات ما لا تراه الأعين :

والله خالقنا اللطيف مكوّنٌ ما لا يبين لسامعٍ أو مبصرِ

ولذلك لا ينفي عن قدرة الله إمكان وجود الملائكة :

لستُ أنفي عن قدرة الله أشبا ح ضياءٍ بغير لحمٍ ولا دمْ

أما البشر فهو حادث ، ولكن كيف ومتى ؟

خالقٌ لا يشك فيه قديمٌ وزمانٌ على الأنام تقادمْ
جائزٌ أن يكون آدم هذا قبله آدم على إثر آدمْ
وبصير الأقوام مثلي أعمى فهلموا في حندسٍ نتصادمْ

وما آدمٌ في مذهب العقل واحداً ولكنه عند القياس أوادمُ

رأيه في الأنبياء والرسل والأديان والكتب المنزلة

هذا العابد الناسك الورع الصائم القائم يأبى عليه استقلاله في الرأي وتحكيمه العقل وتفكيره الحر الطليق ، أن يؤمن بكل ما أتت به الأديان إذا لم يقبله العقل :

كذب الظن لا دليل سوى العقـــل مشيراً في صبحه والمساء

فهو يشك بالنبوات والرسالات شكاً منكراً كما يشك بما نقل عن الأنبياء ، ويخشى أن يكون من وضع النقلة والرواة ، ولا يصرح بعصمة الأنبياء :

ارقب إلهك في عسرٍ وفي يسرٍ واترك جدالك في بعثٍ وإرسالِ

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنما دياناتكم مكرٌ من القدماء

حيلٌ تمن على الأنا م فأدمع العقلاء همّلْ

يحدثونك عن رب العلى كذباً وما درى بشؤون الله إنسانُ

وحبها وهي مذ كانت محببةٌ أقام داود يتلو ليله الزبرا

فجدوا ربكم إلى أن تلفظ أمواتها القبورُ
فكل ما تفعل البرايا إلاّ تقى ربها يبورُ

وأعجز أهل هذي الأرض غاوٍ أبان العجز عن خمسٍ فُرِضْنَه
وصم رمضان مختاراً مطيعاً إذا الأقدام من قيظٍ رُمِضْنَه

يدعو أبو العلاء الى العبادة على أن تكون خالصةً لوجه الله ، فاذا اتخذت وسيلة للدنيا أو للخداع فتركها أولى ، إذ أن العاصي الصادق خير من العابد المنافق :

اذا رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمداً إلى الله أقربُ

رأيه في العالم

عقل الفيلسوف وخيال الشاعر – في رأي أبي العلاء – أعجز من أن يدركا عظمة هذا الكون الدال على عظمة الخالق ، فالكون واسع لا يتناهى :

ولو طار جبريلٌ بقية عمره من الدهرِ ما استطاع الخروج من الدهرِ

وهو في تكوينه ونظامه حادث يجوز عليه الفناء :

وليس اعتقادي خلود النجوم ولا مذهبي قدم العالمِ

وأن الشمس والقمر والنجوم يكون لها نهاية كما كان لها بداية :

يجوز أن تطفأ الشمس التي وقدت من عهد عادٍ وأذكى نارها الملكُ
فإن خبتْ في طوال الدهر جمرتها فلا محالة من أن ينقض الفلكُ

وما خلتُ السماك ولا أخاه على خلقيهما لا يهرمانِ
ونيّر الليل وشمس الضحى داما ولكنهما يهلكانْ

وهو لا يستبعد أن يكون في الأجرام العلوية حياة كالحياة التي على الأرض :

إن لم يكن في سماء فوقنا بشرٌ فليس في الأرض أو ماتحتها ملكُ

لا تبدؤني بالعـداوة منكمُ   فمسيحكم عندي نظير محمدِ
أيغيث ضوء الصبح ناظر مدلجٍ   أم نحن أجمع في ظلام سرمدِ

الإسلام

كان أبو العلاء في توحيد الله وعبادته مسلماً مخلصاً ، لا يرى مثل الإسلام ديناً يتفق مع العقل في توحيد الله وتنزيهه وتمجيده :

أفملة الإسلام ينكر منكرٌ   وقضاء ربك صاغها وأتى بها

وإن لحق الإسلام خطبٌ يغضه   فما وجدتْ مثلاً له نفس واجدِ

ويعظم من شأن النبي عليه السلام وينوه ببعض ما دعا اليه من معالي الأمور :

دعاكم الى خير الأمور محمدٌ   وليس العوالي في القنا كالسوافلِ
حداكم على تعظيم من خلق الضحى   وشهب الدجى من طالعاتٍ وآفل
وألزمكم ما ليس يعجز حمله   أخا الضعف من فرضٍ له ونوافل
وحث على تطهير جسمٍ وملبسٍ   وعاقب في قذف النساء الغوافل
وحرم خمراً خلت ألباب شربها   من الطيش ألباب النعام الجوافل
فصلى عليـه الله ما ذرّ شارقٌ   وما فتّ مسكاً ذكره في المحافل

ويظهر جلياً تفضيله الإسلام قوله في مسلم تنصر بغية عَرَض الدنيا :

تنصر من بعد الثلاثين حجـةً   وكم لاح شيبٌ قبلها في المفارقِ
وفارق دين الوالدين بزائلٍ   ولولا ضلالٌ بالفتى لم يفارقِ
فواعجباً من أزرق العين غادرٍ   أفاد فمالت نفسه للأزارق
مخاريق تبدو في الكنائس منهم   بلحنٍ لهم يحكي غناء مخارق[1]
وحسبك من عارٍ يشب وقوده   سجودك للصلبان في كل شارق

---

(١) مخارق من المغنين المشهورين .

وقال أناس ليس عيسى مقرباً فقيل ولا موسا كُمْ بكليمِ

لقد كذبت على عيسى النصارى كما كذبت على موسى اليهودُ

ولذلك سماه بعضهم بهجاء الأنبياء لما قال إنه لم يهج أحداً من الناس . وشكه منكر أيضاً في الكتب المنزلة :

دينٌ و كفرٌ وأنباءٌ تقص وفر قانٌ ينص وتوراةٌ وإنجيلُ

في كل جيلٍ أباطيلٌ يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل

عقولٌ تستخف بهـا سطور ولا يدري الفتى لمن الثبورُ

كتاب محمدٍ و كتاب موسى وإنجيـل ابن مريم والزبور

ولا تقبل من التوراة حكماً فان الحق عنها في تواري

يتلون أسفارهم والحق يخبرني بأن آخرها مينٌ وأولهـا

صدقتَ يا عقل فليبعد أخو سفهٍ صاغ الأحاديث إفكاً أو تأولها

وأهل الأديان عنده يسيرون على غير هدى في دياجير الضلال :

وجاءتنـا شرائع كل قومٍ على آثار شيء رتبوهُ

وغيَّر بعضهم أقوال بعضٍ وأبطلت النهى ما أوجبوهُ

قد ترامت الى الفساد البرايا واستوت في الضلالة الأديانُ

هفت الحنيفة والنصارى مااهتدت ويهود تاهت والمجوس مضلله

اثنان أهل الأرض ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخر ديِّنٌ لا عقل له

وقد فتشت عن أصحاب دينٍ لهم نسكٌ وليس لهم رياء

فألفيتُ البهـائم لا عقولٌ تقيم لها الدليلَ ولا ضياء

أيها طارقٍ أصابك يا طا رق حتى مساك للغي ماسي

لو كان جسمك متروكاً بهيئته بعد التلاف طمعنا في تلافيه
كالدن عطل من راحٍ تكون به ولم يحطَّم فعادت مرةً فيه
لكنه صار أجزاءً مقسمة ثم استمر هباءً في سوافيه

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهةً وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاجٌ ولكن لا يعاد لنا سبك

خذ المرآة واستخبر نجوماً تمر بمطعم الأري المشورِ
تدل على الحمام بلا ارتيابٍ ولكن لا تدل على النشور

على أن هذا الشك المضطرم قد تهب عليه نفحة من برد اليقين فيقول :

بحكمة خالقي طيي ونشري وليس بمعجز الخلاق حشري

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسرٍ أو صح قولي فالخسار عليكما

وكان يشك في عذاب القبر وسؤال الملكين :

إذا حرق الهندي بالنار نفسه فلم يبق محضٌ للتراب ولا عظمُ
فهل هو خاشٍ من نكيرٍ ومنكرٍ وضغطة قبر لا يقوم لها نظم

ويشك كذلك بالملائكة والجن :

قد عشت عمراً طويلاً ما علمت به حساً يحس لجني ولا ملكِ

فاخش المليك ولا توجد على رهبٍ إن أنت بالجن في الظلماء خُشّيتا
فإنما تلك أخبارٌ ملفقةٌ لخدعة الغافل الحشوي حوشيتا

ما صح عندي أن ذات خلاخلٍ تقفى من الجن الغواة بتابعٍ

وكثيراً ما ينتقد أحكام الشريعة :

وما حزن الإسلامَ مغداك زارياً عليه ولكن رحت روحة فارقِ
تركت ضياء الشمس يهديك نورها وتبعْتَ في الظلماء لمحة بارق

وكان يستحسن من فروض الإسلام الصلاة والصيام وقد سبقت الإشارة اليهما في فصل العبادة ، ويستحسن الزكاة ويحث عليها :

زكوا على مذهب الكوفي[1] أرضكمُ وخالفوا رأيه في مسكرٍ طبخا

خذوا سيري فهن لكم صلاحٌ وصلوا في حياتكم وزكوا

فنض زكاة مالك غير آبٍ فكل جموع مالك ينفضنه

كما كان يستحسن كثيراً تحريم الخمر ، وأقواله في ذلك أكثر من أن يشار اليها ، وسنفرد لها فصلاً خاصاً .

ولكنه كان يناقش الإسلام في بعض أحكامه ، ويشك في بعضها ، وينتقد بعضها . من ذلك أنه لم تظهر له حكمة الحج واجتماع المسلمين في صعيد واحد كل سنة ، ولم يدرك من منافع الحج ما وراء المناسك الظاهرة :

ماالركن في قول ناس لست أذكرهم إلاّ بقية أوثانٍ وأنصابِ

وما حجي الى أحجار بيتٍ كؤوس الخمر تشرب في ذراها

أرى عالماً يرجون عفو مليكهم بتقبيل ركن واتخاذ صليبِ
فغفرانك اللهم هل أنا طارحٌ بمكة في وفدٍ ثياب سليبِ

وكان يشك بالحشر في كثيرٍ من شعره :

زعموا أنني سأرجع شرخاً كيف لي كيف لي وذاك التهامي
وأزور الجنان أحبر فيها بعد طول الهمود في الأرماس

---

(١) يريد بالكوفي أبا حنيفة ومذهبه أن الزكاة تجب في كل ماتنبته الارض ما عدا الحشيش والحطب والقصب .

جهلتُ أقاضي الري أكثر مأثماً ... بما نصه أم شاعرٌ يتغزلُ
وأعلم أن ابن المعلم هازلٌ ... بأصحابه والباقلاني أهزل
وكم من فقيهٍ خابطٍ في ضلالةٍ ... وحجته فيها الكتاب المنزل

أجاز الشافعي فعال شيءٍ ... وقال أبو حنيفة لا يجوزُ
فضلَّ الشيب والشبان منا ... وما اهتدت الفتاة ولا العجوز

وينفر عقلي مغضباً إن تركته ... سدىً واتبعت الشافعي ومالكا

خبير لعمري وأهدى من إمامهمُ ... عكاز أعمى هدته إذ غدا السبلا

إنما هذه المذاهب أسبا ... بٌ لجذب الدنيا إلى الرؤساء
كالذي قام يجمع الزنج بالبصـ ... ـرة والقرمطي بالأحساء

ويقول في المهدي الذي ينتظره الشيعة :

يرتجي الناس أن يقوم إمام ... ناطق في الكتيبة الخرساء
كذب الظن لا إمام سوى العقـ ... ـل مشيراً في صبحه والمساء

القضاء والقدر

أكثر ما قاله أبو العلاء في هذا المعنى يدل على الجبر ، وأن الإنسان أتى الى هذه الدنيا مجبراً وسيرحل عنها مجبراً ، وأنه لا خيرة له فيما قضاه الله :

قضى الله فينا بالذي هو كائن ... فتمَّ وضاعتْ حكمة الحكماء

وهل ألوم غبياً في غباوته ... وبالقضاء أتته قلة الفطن

ويفتتح مقدمة اللزوميات بقوله : « قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان الضرير رهن المحبسين وإنما قال بقضاء لا يشعر كيف هو ، كان من سوالف الأقضية أني أنشأت .... »

إن الشرائع ألقت بيننا إحناً ... وأورثتنا أفانين العداوات
وما أبيحت نساء الروم عن عرض ... للعرب إلا بأحكام النبوات

تناقضٌ مالنا إلاّ السكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النار
يدٌ بخمس مئين عسجدٍ فديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

والأُم بالسدس عادت وهي أرأف من ... بنتٍ لها النصف أو عرسٍ لها الربعُ

وكان لا يرى الجهاد :

قد ادعى النسك أقوام بزعمهم ... وكيف نسك غوي رمحه ورسُ

فإن ترشدوا لا تخضبوا السيف من دمٍ ... ولا تلزموا الأميال سبر الجرائحِ

ويتهم المجاهدين بأنهم لا يبغون من جهادهم إلاّ الغنائم :

غرض القوم متعةٌ لا يرقو ... ن لدمع الشماء والخنساء

وكان لا يثق بالنقل ويطعن على ما يرويه الرواة :

كل الذي تروون عن مولاكمُ ... كذبٌ أتاكم عن يهود يُحبَّرُ

وأحاديث خبرتها رواةٌ ... وافترتها لمكسب القدماء

تلوا باطلاً وجلوا صارماً ... وقالوا صدقنا فقلتم نَعَمْ
أفيقوا فإن أحاديثهم ... ضعاف القواعد والمُدَّعمْ
زخارف ما ثبتت في العقو ... ل عُمِّي عليكم بهن المعمْ

وكان لا يجد في جميع الفرق والمذاهب الإسلامية ما يقنع به عقله :

أرجؤا أو اعتزلوا فإني عن ... مقامكم بمعزلْ

ومعتزلي لم أوافقه ساعةً ... أقول له في اللفظ دينك أجزلُ
أريد به من جزْلة الظهر لم أرد ... من الجزل في الأقوال تلوى وتجزل

المدينة العادلة

اذا ذكر ابن سينا ذكر معه التفاؤل ، والاقبال على الحيـاة والميل الى النهوض بأعباء السياسة والتعرض لتقلباتها . فقد كان يشتغل بتصريف أمور الدولة في النهار ، ويعكف على التدريس والتأليف في الليل حتى بلغ من أسباب الدنيا كثيراً مما لم يبلغه غيره من رجال الفكر . ومن عرف أن هذا الفيلسوف العظيم كان يستمدُّ آراءه السياسية من الفلسفة اليونانية تارةً ، ومن الشريعة الاسلامية تارةً أخرى ، وأنه كان بالاضافة الى ذلك وزيراً خطيراً وطبيباً حاذقاً تهيئ له الحياة العملية كثيراً من الملاحظات والتجارب وتضطره في الوقت نفسه الى المحافظة على التقاليد ، لم يعجب لتقيده في وصف المدينة العادلة بشروط الحياة الواقعيـة .

ان المدينة العادلة التي تصورها ابن سينا هي المدينة التي يسن فيهـا رئيسها للناس سنناً « تعرفهم بأن لهم صانعاً واحداً قادراً ، وانه عالم بالسر والعلانية ، وأن من حقه أن يُطاع أمره . وأنه قد أعدَّ لمن أطاعه المعاد المسعد ، ولمن عصاه المعاد المشقي »[1] . وحاجة هذه المدينة العادلة الى رئيس صالح يسنّ السنن بالعدل ، ويدبر أحوال الناس على ما تنتظم به أسباب حياتهم أشد من حاجة البدن الى الغذاء . فان الانسان كما يقول آرسطو مدني بالطبع لا يستطيع أن يعيش منفرداً من غير شريك يعاونه على ضروريات حاجاته[2] ،

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكيفية دعوة النبي الى الله تعالى والمعاد اليه . النجاة ، ص ٣٠٤ ، طبعة القاهرة ١٩٣٨ . راجع أيضاً محمد يوسف موسى ، الناحية الاجتماعية والسياسية في فلسفة ابن سينا ، ص ٩ .

(٢) الشفاء ، الفصل نفسه . النجاة ، ص ٣٠٤ .

والشواهد على ذلك كثيرة جداً ، ولكنه إزاء ذلك ينكر على من يرتكب الذنوب ويزعم أنه مجبر قال :

كيف احتيالك والقضاء مدبرُ   تجني الأذى وتقول إنك مجبرُ

ففي هذا البيت مع ما تقدمه رأيان مختلفان ، بين الجبر وعدمه ، فبينا هو يقول ان كل ما هو كائن بقضاء الله ، يعود وينكر على من يجني الأذى زاعماً أنه مجبر ، فكيف نوفق بين هذين الرأيين ؟ الذي يظهر أن أبا العلاء يثبت القدرة المطلقة والأمر كله في الخلق والتدبير لله ، وذلك أدنى الى الجبر ؛ أما الشرور التي يرتكبها البشر فإنه ينزه الله عنها ، فكأنه يقول بالجبر إلا في عمل الشر ، وهكذا فقد جمع بين الرأيين ، ولعل أحسن تفسير لذلك قوله :

لا تعش مجبراً ولا قدرياً   واجتهد في توسطٍ بين بينا

(يتبع)   خليل مردم بك

به ابن سينا تجده في مراتب الناس كما تجده في مراتب الوجود ، لأن الفيض عنده يقتضي أن يصدر عن كل عقل ثلاثة أشياء هي : العقل ، والنفس ، والفلك ، كما يستلزم أن تكون الموجودات ثلاثة أقسام : الواجب بذاته ، والواجب بغيره ، والممكن بذاته . وأن يكون للكليات ثلاثة أنماط في الوجود : وجودها في علم الإله قبل الكثرة ، ووجودها متكثرة في الاعيان ، ووجودها في العقل الانساني بعد الكثرة . فالموجودات ثلاثة ، والنفوس ثلاث ، والفضائل ثلاث ، وطبقات المجتمع ثلاث ، تدل كل طبقة من طبقاته على قوة من قوى النفس أو على مرتبة من مراتب الوجود .

فلا فرق اذن في نظر ابن سينا بين المدينة المثالية والمدينة الواقعية ، بل النظام الواقعي الذي يتكلم عنه يتفق في النهاية ونظام الوجود . ومن تذكر رأيه في فيض العالم عن المبدأ الأول ، وكلامه عن العقل الفعال وفيض الصور عنه على العالم الأسفل ، وكلامه عن الوجود كيف ابتدأ من الأشرف فالأشرف حتى انتهى الى الهيولى ، لم يعجب لاتفاق نظام المدينة العادلة ونظام الكون ، فكأن في كل شيء محسوس صورة من عالم الإله ، وكأن كل نظام واقعي منسوج على منوال النظام المثالي . وسواء أكان الوجود طبيعياً محسوساً ، أم عقلياً مجرداً ، فان القانون الكلي المسيطر عليه قانون حتمي يوحد بين المثل الأعلى والواقع ويجمع بين الألوهية والانسانية .

فليس من الخير إذن تبديل هذا النظام ما دام مصبوغاً بصبغة الإله ، كما انه ليس من الحكمة إبطال طبيعة النار المحرقة ما دام نفعها أكثر من ضررها [1] . وأي نظام هو أحسن من نظام يغلب فيه الخير على الشر ، لا بل أي مجتمع هو أفضل من مجتمع وطدت الشريعة الإلهية أركانه ، وثبت العقل دعائمه ؟

(١) النجاة ص ١٨٧ و ١٨٩ .

فلا بدّ إذن في وجود الناس وبقائهم من المشاركة والمعاملة ، ولا بدّ في هذه المعاملة من أن تكون على أساس سنة وعدل ، ولا بدّ للسنة من رئيس صالح يدبر الناس ويصلح أمورهم . ووجود هذا الرئيس الصالح واجب في العناية الإلهية ، لأن العناية كما يقول ابن سينا : « هي إحاطة علم الأول بالكل وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن النظام » [1] فلا يجوز إذن أن تقتضي العناية الإلهية هذا النظام الكلي ، ولا تقتضي في الوقت نفسه وجود نبي يشرع للناس نظاماً عادلاً . فكما أن لكل فلك من الأفلاك عقلاً مدبراً يصدر عن العقل الذي فوقه ، فكذلك يجب أن يكون للمدينة العادلة نبي يدبر أمرها بما يوحى اليه . وكما أن لكل فلك من الأفلاك عقلاً يصدر عنه عقل آخر تحته ، فكذلك ينبغي أن يكون لكل نبيّ خليفة يحفظ السنة بعده . واذا كان الإنسان الفائز بالخواص النبوية يكاد أن يكون رباً إنسانياً تحل عبادته [2] ، فخليفته الذي في الأرض يشبه العقل الأول ، كما أن ملوك الأقاليم يشبهون العقول المفارقة . وهكذا تحتذي المدينة العادلة في نظامها نظام الوجود ، كالمدينة الفاضلة التي أشار اليها الفارابي ، ولكنها لا تضرب بشروط الحياة الواقعية عرض الحائط ولا تهمل ما تشتمل عليه النفس الانسانية من قوى فاعلة ومنفعلة . فاذا قال ابن سينا كما قال أفلاطون ان المجتمع مؤلف من ثلاث طبقات هي : طبقة المدبرين ، وطبقة الحفظة ، وطبقة الصناع [3] . فان السبب في ذلك يرجع الى اشتمال النفس الانسانية على ثلاث نفوس هي : النفس العاقلة ، والنفس الحيوانية ، والنفس النباتية . وهذا التقسيم الثلاثي الذي أولع

---

(١) الاشارات ، ص ١٨٥ ، من طبعة ليدن . النجاة ص ٢٨٤ .

(٢) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام ووجوب طاعتهما والاشارة الى السياسات والمعاملات والاخلاق .

(٣) الشفاء ، فصل في عقد المدينة وعقد البيت وهو النكاح والسنن الكونية في ذلك .

الآخرة متناسباً مع الدرجة التي بلغتها النفس من المعرفة كما يكون متناسباً مع صفاء جوهرها من كدورة الطبيعة .

ولذلك كان العامي أحق الناس باتباع الأخلاق والعادات التي سنها الشارع حتى يتعود الأفعال الجميلة بتكرارها مراراً كثيرة ، وزماناً طويلاً على أساس التوسط بين الأخلاق المتضادة . ولذلك أيضاً كان الفيلسوف أحق الناس بسلوك طريق المعرفة حتى يدرك المعقولات ، ويجمع بين العلم والعمل ، وينظم سلوكه وفقاً لنظام الوجود . فاذا أباح الفيلسوف لنفسه شرب الخمر شربها تشفياً وتداوياً لا تلهياً [١] ، واذا عرضت له لذة استعملها على الوجه الذي توجبه الحكمة لإصلاح الطبيعة وبقاء الشخص والنوع . ومتى صادف نفسه قد مالت الى جهة النقصان جذبها الى جهة الزيادة ، ومتى صادفها قد مالت الى جهة الزيادة جذبها الى جهة النقصان [٢] .

ومن واجب أصحاب السياسات الجيدة أن يجعلوا أهل المدن أخياراً بما يعودونهم من أفعال الخير ومن واجب الفيلسوف ان يقاوم أصحاب السياسات الرديئة الذين يجعلون أهل المدن أشراراً بما يعوّدونهم من أفعال الشر [٣] . فاذا وجد الفيلسوف ظلماً لا يستطيع دفعه هرب الى مدينة غير مدينته ، واذا أخذ وسجن عمل على الخروج من السجن ، فهو لا يعين ظالماً على مظلوم ، ولكنه لا يرضى بأن يظلم كما ظلم سقراط . وهو لا يؤيد من خرج على السنة فادعى الخلافة بفضل قوة أو مال ، بل يدعو أهل المدينة العادلة الى قتاله وقتله [٤] ، وكل من كان قادراً على قتل هذا الخارجي ولم يفعل فقد كفر بالله وأحل دمه . فلا قربة

(١) تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات ، الرسالة التاسعة في علم الأخلاق ، ص ١٥٥ .
(٢) تسع رسائل ، الرسالة الثامنة في العهد ، ص ١٤٨ .
(٣) تسع رسائل ، الرسالة الثامنة في العهد ، ص ١٤٧ .
(٤) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام . محمد يوسف موسى ، الناحية الاجتماعية والسياسية في فلسفة ابن سينا ، ص ٢٢ .

واذا علمنا ان الشريعة والحكمة في نظر ابن سينا متفقتان أدركنا ان الانسان إنما يصل الى السعادة بطريقين أحدهما طريق الشريعة والآخر طريق الحكمة . فالعامي يواظب على العبادات ، ويخضع للأحكام الشرعية والوضعية ، والفيلسوف ينصرف بفكره الى السعادة الروحية المحضة . واذا جاز للفيلسوف الملهم أن يتحرر من بعض القيود الاجتماعية فانه لا يجوز لجمهور الناس أن يخالفوا النظام الديني ولا أن يثوروا عليه ، ولا أن يتعرضوا للمدن الأخرى التي لها سنة مثل سنتهم .

ولكن اذا أوجب التصريح في وقت ما بأن لا سنة غير السنة النازلة ، وكان هناك مدينة حسنة السيرة يصرح أهلها بأن هذه السنة وإن كانت محمودة ، فانه ليس من حقها أن تعمّ المدن كلها فحينئذٍ يجب أن يؤدب أهل هذه المدينة المخالفة حتى لا يستولي على السنة بامتناعهم عنها وهن عظيم . وكيف لا يؤدبون «وقد امتنعوا عن طاعة الشريعة التي أنزلها الله تعالى»[1] ، فان هلكوا كان في هلاكهم فساد لأنفسهم وبقاء للسنة ، وان رؤيت مسالمتهم فرضت عليهم جزية أو ألزموا بدفع غرامة .

فالمدن إذن ثلاث : مدينة ضالة يجب دعوتها الى الحق ، ومدينة ذات سنن مخالفة تكذب صاحب السنة الكريمة ، ومدينة ذات سنة أنزلها الله تعالى . وهذه المدينة الأخيرة هي المدينة العادلة .

وابن سينا يرسم للانسان في هذه المدينة برنامجاً مفصلاً يقوم على تنزيه النفس وتكميل قوتها النظرية باكتساب المعرفة حتى تعرف ما فوقها ، وتتصل بالعقل الفعّال ، وتصير عالماً عقلياً مجرداً ، كما يقوم على تكميل القوة العملية بالفضائل ، وعلى طاعة الشريعة التي أنزلها الله تعالى . وعلى هذا النحو يكون الثواب في

(١) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام ووجوب طاعتها والاشارة الى السياسات والمعاملات والأخلاق .

وعلى الشيوخ والمقعدين الذين حيل بينهم وبين الكسب بأمراض وزمانات ، فان قوت هؤلاء لا يجحف بالمدينة . وكما انه يجب تحريم البطالة فكذلك يجب تحريم الصناعات التي تنتقل فيها الأموال والمنافع من غير مصلحة بإزائها مثل القمار فإنه يكسب ربحاً من غير منفعة البتة ، ومثل السرقة واللصوصية والقيادة فانها تدعو الى أضداد المصالح والمنافع ، ومثل المرابات فانها طلب زيادة كسب من غير حرفة تحصله ، ومثل الزنا الذي يدعو الى الاستغناء عن أفضل أركان المدينة وهو الزواج [1] .

وهنا نجد ابن سينا يشدد في أمر الزواج فيشترط فيه أن يكون ظاهراً علنياً ، حتى لا يقع خلل في انتقال المواريث ، وأن يكون ثابت الدعائم فلا تقع الفرقة بين الزوجين لأقل سبب .

ومن أجل ذلك أيضاً يرى أن لا يكون الطلاق بيد المرأة لأن المرأة في نظره واهية العقل ، مبادرة الى طاعة الهوى والغضب . فمن حق الرجل أن يملكها ، وعليه أن يصونها ويكفيها حاجتها ، وليس من حقها أن تملك الرجل ولا أن تكون من أهل الكسب .

وكما أن المرأة أكثر انخداعاً وأقل للعقل طاعة ، فكذلك الناس منهم من يكون بعيداً بطبعه عن تلقي الفضيلة كالذين نشأوا في الأقاليم الشمالية والجنوبية ، ومنهم من يكون حسن المزاج كالذين نشأوا في الأقاليم المعتدلة الشريفة [2] .

ولسنا في حاجة الى القول ان رأي ابن سينا في المرأة وفي تفاوت طبائع الناس انما يرجع الى تأثير آرسطو من جهة والى تأثير التقاليد الاجتماعية المحيطة به من جهة أخرى . فهو لم يخالف في ذلك آراء أهل زمانه ، ولم يفكر في نظام اجتماعي مختلف عن النظام المألوف . ومن عرف أنه كان وزيراً ، وانه كان

---

(١) الشفاء ، فصل في عقد المدينة وعقد البيت .
(٢) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام .

عند الله بعد الايمان بالنبي أعظم من اتلاف الظالم المتغلب . وان وجد الحكيم ان المتولي للخلافة قد مني بنقص في عقله وسياسته ، وان الذي خرج عليه أكمل منه سياسة وأعظم عقلاً حكم بأن مصلحة المدينة العادلة تقتضي توسيد الحكم الى الخارجي دون الخليفة ، وان وجد أن أحدهما أعقل والثاني أعلم حكم بتوسيد الحكم اليهما معاً . لأن من شرط الخليفة في المدينة العادلة أن يكون أصيل العقل ، مستقلاً بالسياسة ، شجاعاً ، عفيفاً ، حسن التدبير عالماً بالشريعة ، وان يكون استخلافه من جهة اللسان بنص أو باجماع من أهل السابقة [1] .

وابن سينا يضع لهذا الخليفة برنامجاً سياسياً شبيهاً بالبرنامج الذي وضعه (فنلون) للدوق (دوبورغوني) ، فيدعوه الى تأمل ما يجري عليه تدبير العالم من الحكمة وحسن اتقان السياسة ويوصيه بالاشراف على العبادات والاجتماعات العامة والاشتراك في المعاملات التي تبنى عليها أركان المدينة ، ويطلب منه أن يحول دون وقوع الحيف في المعاملات المؤدية الى الأخذ والعطاء ، وان يدعو الناس الى معاونة الناس والذب عنهم ووقاية أموالهم وأنفسهم ، ومقاتلة الأعداء وإفنائهم . ومما يجب أيضاً على الخليفة أن يصون الشريعة بمعاقبة الناس على ارتكاب المعاصي الداعية الى فساد نظام المدينة مثل الزنا والسرقة ومواطأة الأعداء ، ويشترط في هذه العقوبات أن تكون معتدلة لا تشدد فيها ولا تساهل ، كما يشترط في ضبط المدينة أن يرتب المدبرون والصناع والحفظة ترتيباً صالحاً ، وأن يكون لكل منهم رئيس تحته رؤساء يلونه الى أن ينتهي الأمر الى افناء الناس . فلا يكون في المدينة بطالة ولا انسان معطل ليس له مقام محدود . ويجب أيضاً أن يكون في المدينة مال مشترك يؤخذ من الأرباح المكتسبة والطبيعية لإنفاقه على المصالح العامة وعلى الحفظة الذين لا يشتغلون بصناعة ،

---

(١) الشفاء ، فصل في الخليفة والامام ، يقول ابن سينا : « الاستخلاف بالنص أصوب » .

يكتمون عن الرؤساء عيوبهم ويغشونهم بالثناء الكاذب . ويغرونهم بالتقريظ الباطل ، وليس كذلك حال من دونهم من السوقة ، فان أعداءهم يعيرونهم بالمعايب والمثالب ، كما أن أصدقاءهم ينبهونهم على عيوبهم فيصلحون أخلاقهم ويصبحون أقل استرسالاً من الرؤساء .

وابن سينا لا يوجب على العامة ملوكاً كانوا أو سوقة أن يتعلموا الفلسفة وأن يرتقوا بعقولهم الى تصور حقيقة الله كالعلم بأنه غير مشار اليه في مكان ، وانه غير منقسم بالقول ، وانه ليس خارج العالم وداخله ، فان عامة الناس لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها ، ولا ان يدركوا حقيقة التوحيد والتنزيه ، ويكفيهم من معرفة الله أن يصدقوا بوجوده ، وان يعلموا انه واحد حق لا شبيه له [1] ، وان ينصرفوا بعد ذلك الى تطبيق الأحكام الشرعية والاشتغال بالأعمال الدنيوية . فان الحقيقة في نظر ابن سينا يجب أن يضنّ بها على غير أهلها ، وأن تصان عن المتبذلين والجاهلين ، قال : « فان وجدت من تثق بنقاء سريرته ، واستقامة سيرته ، وبتوقفه عما يتسرع اليه الوسواس ، وبنظره الى الحق بعين الرضى والصدق فآته ما يسألك منه مدرجاً مجزءاً مفرقاً ... وعاهده بالله وبأيمان لا مخارج لها ليجري فيما تؤتيه مجراك ، متأسياً بك ، فان أذعت هذا العلم واضعته فالله بيني وبينك ، وكفى بالله وكيلا »[2] .

فليس من مصلحة المدينة العادلة أن يشتغل الناس جميعاً بمثل هذه المباحثات والمقايسات ، لأن ذلك قد يوقعهم في آراء مخالفة لصلاح المدينة ، فتكثر فيهم الشكوى ، وتزداد بهم الشبه ، ويصعب على السائس ضبطهم . فينبغي لمن رام أن يكاشف الناس بالحقائق الإلهية ، أن لا يكلمهم عنها إلا برموز وإشارات من الأشياء المألوفة عندهم ، وان لا يضرب للسعادة والشقاوة إلا أمثالاً مما

---

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكيفية دعوة النبي الى الله تعالى والمعاد اليه .
(٢) الاشارات ، ص ٢٢٢ ، من طبعة ليدن .

عليه أن يدبر أمور الدولة ، لا أن يبدل نظامها ويقلب أوضاعها لم يعجب لتمسكه بحبل الأوضاع الاجتماعية الراهنة . وكيف يفكر في تبديل هذا النظام وهو نظام إلهي ثابت رتبت أوضاعه كترتيب الموجودات ، لا بل كيف يتصور عالماً على غير هذا النمط من الوجود والخير فيه مقتضى بالذات . ان المجتمع الانساني لا يصبح كاملاً الا اذا عمل كل فرد من أفراده على اكتساب الكمالات الخاصة به . وأول هذه الكمالات أن يعلم الانسان أن له عقلاً هو السائس ونفساً أمارة بالسوء كثيرة المعايب ، فاذا ثقف عقله وهذّب نفسه استطاع أن يبلغ غايته ، ولكنه اذا اتبع اللذات الخسيسة وانغمس فيها عجز عن إدراك السعادة .

وليس اكتساب هذه الكمالات الانسانية خاصاً بفئة من الناس دون غيرها ، بل المدبرون والحفظة والصناع في هذا الأمر سواء « ويحتاج أصغرهم شأناً ، وأخفهم ظهراً وأرقهم حالاً وأضيقهم عطناً ، وأقلهم عدداً من حسن السياسة والتدبير ، ومن كثرة التفكير والتقدير ، ومن قلة الاغفال والاهمال ، ومن الانكار والتأنيب والتعنيف والتأديب والتعديل والتقويم الى ما يحتاج اليه الملك الأعظم ، بل لو قال قائل ان الذي يحتاج اليه هذا من التيقظ والتنبه ومن التعرّف والتجسّس والبحث والتنقير ، والفحص والتكشيف أو من استشعار الخوف والوجل ومجانبة الركون والطمأنينة ، والاشفاق من انفتاق الرتق واختلال السدّ أكثر ، لأصاب مقالاً . لأن الفذّ الذي لا ظهير له ، والفرد الذي لا معاضد له أحوج الى حسن العناية ، وأحق بشدة الاحتراز من المستظهر بكفاية الكفاة ورفد الوزراء والأعوان ، ولأن المعدم الذي لا مال له يحتاج من ترقح العيش ومرمّة الحال الى أكثر مما يحتاج اليه الغني الموسر »[1] .

فلا غرو اذا حسنت أخلاق الفقراء وساءت أخلاق الرؤساء ، لأن الناس

---

(١) ابن سينا ، كتاب السياسة ، ص ٤ . من مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب طبع بالمطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١١ .

على تقويض أركان المجتمع ، بل النظام الاجتماعي العادل لا يقوم إلا على أساس مزدوج من الدين والفلسفة ، فما يأمرنا به الدين توضحه الفلسفة ، وما تبرهن عليه الفلسفة يأمر به الدين .

تلك هي آراء ابن سينا في المدينة العادلة . وهي مستمدة من آراء أفلاطون في كتاب الجمهورية . ومن آراء الفارابي في المدينة الفاضلة . فابن سينا قد استمدّ من أفلاطون قوله باشتمال المدينة العادلة على ثلاث طبقات هي طبقة المدبرين وطبقة الحفظة وطبقة الصناع ، كما أخذ عنه قوله بانقسام النفس الانسانية الى ثلاث قوى ، وهو قد استمدّ من الفارابي قوله بترتيب أعضاء المدينة العادلة على صورة شبيهة بترتيب الموجودات واتصالها بعضها ببعض كما قلده أيضاً في قوله ان للمدينة العادلة نظاماً من حقه أن يعم المدن كلها . والفرق بين ابن سينا وأفلاطون ان ابن سينا لم يقل بالشيوعية في النساء والمال ، كما قال بها أفلاطون ، بل تشدد في أمر الزواج وعده ركناً من أركان المدينة العادلة كما اعتبر الملكية الفردية القائمة على المال الموروث أو الموهوب أو الملقوط دعامة أساسية في المعيشة . والفرق بين ابن سينا والفارابي ان ابن سينا لم يتصور مدينة خيالية كالمدينة الفاضلة التي تصورها الفارابي ، بل تصور مدينة واقعية يسن فيها رئيسها للناس أحكاماً عملية يوجب عليهم اتباعها في عباداتهم ومعاملاتهم . وهذه الأحكام العملية التي يشير اليها ابن سينا في المعاملات والعقوبات والزواج والطلاق وتحريم بعض الصناعات ، وولاية الخليفة مستمدة كلها من الشريعة الاسلامية . فهو قد تأثر بأفلاطون وآرسطو والفارابي كما تأثر بآراء أهل زمانه ، ولكنه كان أرفق بالشيوخ والمقعدين المحتاجين الى عون الدولة من أفلاطون وآرسطو اللذين يقولان بقتل الميئوس منهم لعجزهم ومرضهم ، كما كان أميل الى حرية الفكر من بعض العلماء الذين يمنعون الاجتهاد . ولعل لأسرته الاسماعيلية ولبيئته الاجتماعية أثراً في كلامه عن الخلافة ، والمدن الضالة ، والمدن المخالفة ،

يفهمونه ويتصورونه . وأما الحق في ذلك فلا يلوح لهم منه الا أمراً مجملاً . فما كل ييسر له في الحكمة الإلهية (١) .

وقد جعل الله الناس في عقولهم وآرائهم متفاضلين كما جعلهم في أملاكهم ومنازلهم ورتبهم متفاوتين . ولو كان الناس جميعاً ملوكاً لتفانوا عن آخرهم . ولو كانوا كلهم سوقةً لهلكوا بأسرهم ، كما أنهم لو استووا في الغنى لما مهن أحد لأحد . ولو استووا في الفقر لماتوا ضراً وهلكوا بؤساً . وذو المال الغفل من الأدب اذا تأمل حال العاقل المحروم ظن أن المال الذي وجده مغير من العقل الذي عدمه . وذو الأدب المعدم اذا تفقد حال المثري الجاهل لم يشك في أنه فضل عليه وقدم دونه . وكل ذلك من دلائل الحكمة وشواهد لطف التدبير وامارات الرحمة والرأفة (٢) .

ان نظام المدينة العادلة في نظر ابن سينا يستلزم تفاوت الناس في مراتبهم وصفاتهم كما يقتضي أن تكون الثقافة خاصة بفئة معينة من الناس هي النخبة المختارة من الشعب . فالمرأة غير مساوية للرجل ، والعروق البشرية الناشئة في الأقاليم المعتدلة أكمل من العروق الناشئة في الأقاليم الشمالية والجنوبية . والنظام الاجتماعي الذي سنته الشريعة لا يختلف عن نظام الخير الذي أفاضه الله على الوجود .

فينبغي للانسان اذا رام أن يكون سعيداً أن يتقيد بهذا النظام وأن يعمل على سياسة نفسه وسياسة أهله وولده سياسة عادلة . واحق الناس وأولاهم بتوطيد أركان النظام الاجتماعي الملوك ومن يليهم من الوزراء والرؤساء والولاة . فان المدينة العادلة لا تستطيع البقاء الا اذا كانت جميع القوى العمياء التي تعمل

---

(١) الشفاء ، فصل في اثبات النبوة وكيفية دعوة النبي الى الله تعالى والمعاد اليه .
(٢) ابن سينا ، كتاب السياسة ، ص ٣ . من مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير فلاسفة العرب ، بيروت ١٩١١ .

فهرست مؤلفات

محيي الدين بن عربي

(٥٦٠ — ٦٣٨ هـ)

بقلم

عني بتحقيقه

كوركيس عوّاد

---

١ — تمهيد

هذه رسالة صغيرة من تأليف الشيخ محيي الدين بن عربي ، المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ، عثرتُ عليها في بغداد ، فوجدتُ في نشرها فائدةً للقراء ، لما تضمنته من أسماء طائفةٍ كبيرةٍ من مؤلفاته لم يرد ذكرُ كثيرٍ منها في سواها من المراجع .

تقوم هذه الرسالة من ١٧ صفحة صغيرة (٢١ × ١٤ سنتمتراً) ، في كل منها ١٧ سطراً . وهي نسخة حديثة ، كُتبت سنة ١٣٣٧ هـ عن نسخةٍ عتيقةٍ مؤرخةٍ في سنة ٦٨٩ هـ ، ولم أقف عليها كما اني لم أقف على نسخةٍ ثانيةٍ للرسالة .

وقد وضعتُ للرسالة تعليقاتٍ ، أشرتُ فيها الى ما طُبع من هذه التآليف . والى ما يُعرف لبعضها من نسخٍ خطية انبثّت في خزائن كتب الشرق والغرب ، فذكرتُ اسم الخزانة على وجه الاختصار ، وعيّنت رقم المخطوط فيها ، ولم يفتني أن أضع أرقاماً متسلسلة لجميع هذه التآليف .

وبمراجعة ما في يدي من مصادر ، عثرتُ على أسماء مؤلفاتٍ كثيرة لابن عربي ، لم يذكرها هو في رسالته هذه . فجمعتُ ما أُتيح لي الوقوف عليه من أسمائها ،

وفي قوله بتبدل الأحكام في المعاملات بتبدل الأزمان • واذا قال ان أكثر الناس لا ينزجرون بأنفسهم لما يخشونه في الآخرة ، وانهم انما احتاجوا الى الوازع الخارجي لأن فعل الخير لا يخالط قلوبهم فهو انما يحكم بذلك حكماً مستنداً الى الواقع والتجربة • ومن قارن بين آرائه وآراء الفارابي في المدينة الفاضلة وجد آراءه أقل انطلاقاً وتحرراً من آراء سلفه • ولكنه كان على كل حال مترجماً صادقاً لروح عصره • ومن عرف انه كان طبيباً حاذقاً يعرف كيف تحفظ صحة البدن اذا كانت حاصلة ، وكيف تكتسب اذا لم تكن حاصلة وانه كان من علية الوزراء يهمه أن يحفظ نظام الدولة لا أن يبدله ويغيره لم يعجب لتقيده بتقاليد زمانه • وليس هذا التقيد بفادح في فلسفته ، لأن هذه الفلسفة تؤمن بالعقل وتتفاءل بالخير وتقول بتنزيه النفس عن الهيئات الانقيادية حتى تحصل لها ملكة الاستعلاء وتنطبع فيها هيئة الجمال ، وتندرج في اللذة الأبدية •

جميل صليبا

٩ — خزائن الكتب في دمشق وضواحيها : الخزانة الظاهرية : لحبيب زيات القاهرة ١٩٠٢) .

١٠ — فهرست المكتبة اللزامية — بنزرت (مطبعة النهضة — تونس ١٣٥٠ هـ) .

١١ — فهرست كتابخانه مجلس شواري ملي — طهران : ليوسف اعتصامي (طهران ١٣١١ ش ق) .

١٢ — فهرست كتابخانه آستانة قدس (مكتبة المشهد الرضوي في ايران) .

١٣ — فهرست الخزانة الآصفية في حيدر اباد (طبع على الحجر في حيدر اباد) .

١٤ - تذكرة النوادر من المخطوطات العربية : للسيد هاشم الندوي (حيدر اباد ١٣٥٠هـ) .

١٥ - المخطوطات العربية في دور الكتب الأميركية : لكوركيس عواد (بغداد ١٩٥١) .

١٦ — Catalogue of the Arabic Books and Manuscripts in the Library of the Asiatic Society of Bengal.By Shamsu-l-'Ulama Mirza Ashraf 'Ali. (Colcutta 1904) .

١٧ — Sbath (p.) , Al-Fihris (1 pt. Le Caire 1938).

١٨ — Browne (E· G.) , A Descriptive Catalogue of the Oriental Mss belonging to the Late E. G. Browne. (ed by R. A. Nicholson. Cambridge 1932) .

١٩ — Mingana (A.) , Catalogue of the Arabic Manuscripts in the John Rylands Library , Manchester (Manchestre 1934).

٢٠ — Catalogue of Arabic Manuscripts of Oriental Public Library at Bankipore (Sufism) .

٢١ — Arberry (A. J.) , A Second Supplementary hand - list of the Muhammadan Manuscripts in the University and Colleges of Cambridge. (Cambribge 1952) .

٢٢ — Gottschalk (H. L.) , Catalogue of the Mingana Collection, Birmingham. (Vol. IV, Islamic Arabic Manuscripts. Birmingham , 1950) .

وجملته كله في «مستدرك» بلى الرسالة ، حوى ذكر ٢٧٩ من تآليف ابن عربي . وبما ان الرسالة نفسها اشتملت على ذكر ٢٤٨ كتاباً ، كان مجموع ما انتهى الينا من أسماء مؤلفات ابن عربي ٥٢٧ كتاباً ورسالة .

٢ — تحقيق الرسالة

وقد رجعتُ في تحقيق هذه الرسالة ، الى «تاريخ الأدب العربي» للعلامة المستشرق بروكلمن [١] . فان له فضل السبق الى التنويه بنحو ٢١٧ كتاباً من مؤلفات ابن عربي وتعيين مظانّها . كما رجعتُ الى كثيرٍ من المصنفات الأخرى ، ولا سيما فهارس الكتب العربية التي لم أجد بروكلمن قد رجع اليها في كلامه على تآليف ابن عربي . وهذه الفهارس هي :

١ — الكشاف عن مخطوطات الأوقاف ببغداد : للدكتور أسعد طاس (نشرته مديرية الاوقاف العامة . بغداد ١٩٥٣) .

٢ — مخطوطات الموصل : للدكتور داود الچلبي (بغداد ١٩٢٧) .

٣ — فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية (الجزء الاول . القاهرة ١٩٢٤) .

٤ — فهرست المكتبة الأزهرية (الجزء الثالث . القاهرة ١٩٤٧) .

٥ — الفهرس التمهيدي للمخطوطات المصورة في الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية (١٩٤٨) .

٦ — فهرست المكتبة التيمورية في القاهرة .

٧ — برنامج المكتبة الخالدية العمومة بالقدس (القدس ١٩٠٠) .

٨ — فهرس الخزانة الظاهرية في دمشق (دمشق ١٢٩٩ هـ) .

---

(١) C. Brockelmann, Geschichte der Arabischen Litteratur (Suppl. I, Leiden, 1937; pp. 790 — 802).

ورأى فيه القدوة المثلى في هذا الضرب من التأليف . ومنهم مَن وقف بين هذا وذاك .

وقد أحرز غير واحدٍ من تآليفه شهرةً خاصة : ولا سيما كتبه « الفتوحات المكية » و « فصوص الحكم » و « ترجمان الأشواق » و « ديوان شعره » . فقد أقبل عليها جماعة من المؤلفين ، يتدارسونها شرحاً وايضاحاً وتعليقاً .

وينبغي لنا أن نميّز بينه وبين سميه القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي ، المتوفى سنة ٥٤٣ هـ .

٤ – المراجع عن ابن عربي

وهي كثيرة ، في وسعنا جعلها في أربعة أبواب :

الاول : الكتب والرسائل القديمة الموضوعة فيه .

الثاني : ترجمته في كتب التراجم القديمة .

الثالث : ترجمته في المصادر العربية الحديثة .

الرابع : ترجمته في المصادر الافرنجية .

أولاً : الكتب والرسائل القديمة في ابن عربي :

١ – تسفيه الغبي في تنزيه ابن عربي [١] : لابراهيم الحلبي المتوفى سنة ٩٥٦ هـ . ردّ فيه على جلال الدين السيوطي في رسالته المسماة « تنبيه الغبي » .

٢ – تنبيه الغبي بتبرئة ابن العربي [٢] : لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .

٣ – تنبيه الغبيّ في تنزيه ابن عربيّ [٣] : للسيد علي بن ميمون المغربي المتوفى سنة ٩١٧ هـ .

---

(١) الأزهر ٣ : ٥٥١ – ٥٥٢ (نسختان) برنستن ٢٠٠٥ (٩) .

(٢) دار الكتب ١ : ٢٨١ . الأزهر ٣ : ٥٥٣ وعنوانه « تنبيه الغبي في تخطئة ابن العربي » .

(٣) كشف الظنون ٦ : ١٤١ طبعة فلوجل .

هذا الى ما وقفتُ عليه من مجاميع المخطوطات العربية في العراق، مما لافهارس لها مطبوعة ، أذكر منها مخطوطات « خزانة المتحف العراقي » و « خزانة المحامي عباس العزاوي » و « خزانة المدرسة القادرية » و « خزانة عواد » و « خزانة يعقوب سركيس » وكلها في بغداد . وكذلك ما تيسر لي الوقوف عليه من المخطوطات العربية في الخزائن الاميركية ، وذلك كله مفصَّل في كتابنا عنها ، وما رسالتنا المذكورة في الرقم ١٥ من ثبت مراجعنا الا مختارات منه .

٣ - ترجمة ابن عربي

ولسنا في حاجةٍ الى الاطالة في ترجمة ابن عربي ، فقد وردت في جملةٍ كبيرة من المراجع المطبوعة والمخطوطة . ونقتصر في هذا المقام على ذكر الملامح الآتية من ترجمته . وللمستزيد أن يرجع الى ما سنذكره من مراجع عنه .

هو محيي الدين أبو بكر محمد بن علي الحاتمي الطائي الأندلسي ، المعروف بابن عربي (وقيل ابن العربي ، بإدخال ال التعريف) ، أحد أئمة الصوفية ، وقد عُرف بالشيخ الأكبر .

وُلد سنة ٥٦٠ هـ في مرسية من مدن الأندلس . وفي عام ٥٦٨ رحل الى اشبيلية وأقام فيها نحواً من ثلاثين سنة ، ودرس الحديث والفقه في هذه المدينة وفي مدينة سبتة . ثم زار تونس . وفي سنة ٥٩٨ نزح الى ديار المشرق ولم يعد منها الى وطنه . فزار مكة وبغداد والموصل وحلب وآسية الصغرى ، وكانت شهرته تسبقه الى كل مكان يحلُّ فيه . واستقرَّ به المقام أخيراً في دمشق ، وفيها توفي سنة ٦٣٨ ودُفن بسفح جبل قاسيون .

ولم يبلغ أحد من المتصوّفة ما بلغ ابن عربي من بُعد الصيت في ما صنّفه وألّفه . وقد أحدث بعض كتبه ضجةً كبيرةً بين المفكرين والمؤلفين وذهبوا في أمرها مذاهب متباينة . فمنهم مَن كفّره وسفّه آراءه ، ومنهم من انتصر له

١٤ — فر العون من مدعي امام فرعون [١] : لعلي القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ .

١٥ — القول المبين في الردّ عن محيي الدين [٢] : لعبد الوهاب الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣ هـ .

١٦ — الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر [٣] : للشعراني .

ثانياً — ترجمة ابن عربي في كتب التاريخ والتراجم القديمة

ابن الأبّار : التكملة لكتاب الصلة (١ : ٣٥٦ الرقم ١٠٢٣ ؛ مدريد ١٨٨٦) .

ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (٦ : ٣٢٩ — ٣٣٠ طبعة دار الكتب) .

ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان (٥ : ٣١١ — ٣١٥ الرقم ١٠٣٨ ؛ حيدر اباد ١٣٣١ هـ) .

ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات (٢ : ٣٠١ — ٣٠٤ ؛ بولاق ١٢٨٣ هـ) .

ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب (٥ : ١٩٠ — ٢٠٢) .

ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب (كتاب اللام والميم . طبع لاهور سنة ١٩٤٠ . ص ٤١١ — ٤١٢) .

ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ (١٣ : ١٥٦) .

أبو شامة : الذيل على الروضتين (ص ١٧٠ ؛ القاهرة ١٩٤٧) .

الخونساري : روضات الجنات (ص ٦٣٢ — ٦٣٧ = ص ١٩٣ — ١٩٨ من الترقيم الجديد المستعمل في أواخر الكتاب . طبع حجر في ايران سنة ١٣٠٦ هـ) .

---

(١) خزانة العزاوي ببغداد .

(٢) دار الكتب ١ : ٣٤٣ جامعة ييل باميركة ٢٦٦ [٢] .

(٣) طُبع على الحجر في القاهرة سنة ١٢٧٧ هـ . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ : ٢٤٤ (٤ نسخ) الأزهر ٣ : ٦١٧ (ضمن مجموعة ، ص ٥٠ — ٦٥) وخزانة العزاوي ببغداد والخالدية بالقدس (تصوف ١٢) وكمبردج (Arberry) ٣١٠ [١] .

٤ – الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين [١] : لأبي الحسن علي بن ابراهيم ابن عبد الله بن ابراهيم بن يوسف القاري البغدادي (المائة التاسعة للهجرة) .

٥ – درر السرّ الخفيّ في ذكر من ردّ تعريف الصوفي [٢] : وهي رسالة في بيان حال الشيخ محيي الدين بن عربي ، والكلام على أحرف لفظة « صوفي » .

٦ – الرد المتين على منتقصي الشيخ محيي الدين [٣] : لعبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ ﻫ .

٧ – الردّ المتين عن الشيخ محيي الدين [٤] : للشيخ ابراهيم المدني (؟) .

٨ – رسالة باسم الملك الناصر ، في الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين ابن العربي : للفيروزابادي [٥] .

٩ – رسالة في تكفير ابن العربي [٦] .

١٠ – رسالة في الدفاع عن ابن عربي [٧] : لبعضهم .

١١ – رسالة في الرد على ابن عربي [٨] (في موضوع الوجودية والحلولية) : لابن طورخان .

١٢ – السر المختبي في ضريح ابن العربي [٩] : لعبد الغني النابلسي .

١٣ – فتوى في حق الشيخ ابن عربي [١٠] .

---

(١) بانكيبور ١٢ : ٧٥٠ .
(٢) دار الكتب ١ : ٢٩٦ .
(٣) دار الكتب ١ : ٣٠٠ مكتبة البلدية بالاسكندرية (تصوف ٤٢) .
(٤) الاسكندرية (تصوف ٤٢) .
(٥) حبيب زيات : الخزانة الظاهرية ، ص ٥٠ .
(٦) الفهرس التمهيدي ١٥٤ .
(٧) الأوقاف ببغداد ٤٩٠٨ (٢) .
(٨) خزانة العزاوي ببغداد .
(٩) دار الكتب ١ : ٣١٦ .
(١٠) خزانة فاتح (استانبول) ٥٣٧٦ (٣) .

محيي الدين بن عربي : لطه عبد الباقي سرور (نشرته مكتبة الخانجي — القاهرة ، بدون تاريخ ؛ ٢٢٨ ص) .

معجم المطبوعات العربية والمعربة : ليوسف اليان سركيس (ص ١٧٥ — ١٨٠) .

من أين استقى محيي الدين بن العربي فلسفته التصوفية ؟ : للدكتور أبو العلا عفيفي (مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية ، المجلد الأول . الجزء الأول . مايو ١٩٣٣) .

رابعاً : ترجمته في المصادر الافرنجية

'Afifi (A. E.) ., The Mystical Philosophy of Muhiy-ed-Din Ibn al - Arabi (Cambridge university Press, 1939).

Asin Palacios (Miguel) , La Psicologia segun Mohidin Abenarabi (Actes du XIVe Congrès international des Orientalistes, Alger 1905 (Vol. 3, Paris 1907; pp.79-150).

Brockelmann (C.) , G. A. L. (Suppl. I' pp. 790 - 802) .

Husaini (S. A. Q.) Ibn Al-Arabi : The Great Muslim Mystic and Thinker (1931) .

Nicholson (R.) , The Lives of Umar Ibnu 'l-Farid and Ibnu'l-Arabi (JRAS , 1906 ; p. 197 FF .) .

٥ — فهارس تصانيف بعض الكتبة الأقدمين

ومما يحسن بنا الإشارة اليه ونحن ننشر هذه الرسالة ، ان هنالك فهارس لمؤلفات غير واحد من كبار المؤلفين الأقدمين ، منها ما صنفوه هم أنفسهم ، ومنها ما وضعه غيرهم لها . وسنذكر منها في هذا المقام ، ما وقفنا عليه مطبوعاً ، وقد أوردناه بحسب سني وفيات أصحاب تلك التصانيف :

١ — رسالة أبي الريحان البيروني في فهرست كتب محمد بن زكرياء الرازي ، ويليها رسالته في فهرست مؤلفاته هو الى تمام سنة ٤٢٧ هـ . نشرها سخو في مقدمة « الآثار الباقية على القرون الخالية » للبيروني (ص ٣٨ — ٤٩ ؛ ليبسك ١٩٢٣) . ثم أعاد نشرها ماسنيون وبول كراوس في باريس .

الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٣ : ١٥٨ — ١٠٩) الرقم ٩٧١ ؛ القاهرة ١٣٥٠ هـ) .

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان (٨ : ٤٨٧ طبع شيكاغو ١٩٠٨ = ٨ : ٧٣٦ حيدر اباد ١٩٥٢) .

الشعراني : الطبقات الكبرى (١ : ١٦٢ ؛ القاهرة ١٣٥٥ هـ) .

الشعراني : اليواقيت والجواهر (ص ٦ — ١٤ ؛ القاهرة ١٣٠٦ هـ) .

الصفدي : الوافي بالوفيات (القسم المخطوط . مادة : محمد بن العربي) .

المقّري : نفح الطيب (١ : ٣٩٧ — ٤٠٩ ؛ القاهرة ١٣٠٢) .

ثالثاً : ترجمته في المصادر العربية الحديثة

البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر: لمحمد رجب حلمي (القاهرة ١٣٢٦ هـ).

تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان (٣ : ١٠٠ طبعة سنة ١٩٣١) .

تاريخ فلاسفة الاسلام: لمحمد لطفي جمعة (ص ٢٧٥ — ٣٠٣ ؛ القاهرة ١٩٢٧) .

دائرة المعارف : لبطرس البستاني (١ : ٥٩٨ — ٦٠١) .

دائرة المعارف الاسلامية (١ : ٢٣١ — ٢٣٧ الترجمة العربية) .

دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدي (٦ : ٣٠٨ — ٣١٢) .

عقود الجوهر في تراجم مَن لهم خمسون تصنيفاً فمائة فأكثر : لجميل العظم (بيروت ١٣٢٦ هـ ؛ ص ١٣ — ٣٩) .

الفتوحات المكية لابن العربي (آخر المجلد الرابع من طبعة بولاق ١٢٧٤ هـ ؛ ص ٦١٢ — ٦١٩) .

فلسفة الأخلاق في الاسلام : لمحمد يوسف موسى (الطبعة الثانية . القاهرة ١٩٤٥ ؛ ص ٢١٥ — ٢٩٤) .

الكنى والألقاب : للقمي (٣ : ١٣٦ — ١٣٨ ؛ صيدا ١٣٥٨ هـ) .

متن الرسالة

[٢] بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الأكمل الأوحد الفرد الراسخ الأمجد ، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي ، رضي الله عنه :

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فانه سألني بعض الاخوان ، أن أقيّد له في هذه الأوراق ، جميع ما صنفتُه وأنشأتُه في طريق الحقائق والأسرار على طريق التصوّف وفي غير هذا الفن ، فقيدتُ له ، وفّقه الله ، في هذا الفهرست ، ما سأل . إلا انّ بعض هذه الكتب التي أنا ذاكرها ههنا إن شاء الله تعالى ، وهي قليلة ، منها كتبٌ أودعتها عند شخص لأمرٍ طرأ ، فلم يردّها عليّ ذلك الشخص الى الآن . وكل ما بأيدي الناس اليوم ، إنما هو مما لم نودعه عنده ، فمنها ما كمل ومنها ما لم يكمل وهو القليل . وما قصدتُ في كلّ ما ألّفتُه مقصدَ المؤلفين ولا التأليف ، وإنما كان يرِدُ عليّ من الحق تعالى موارد تكاد تحرق فؤادي وتفتت أكبادي ، فكنتُ أتشاغل عنها بتقييد ما يمكن منها ، فخرجت مخرج التأليف لا من [٣] حيث القصد . ومنها ما ألّفتُهُ عن أمر إلهي أمرني به الحق في نومٍ ومكاشفة .

وأنا أبتدئ بذكر الكتب التي أودعتُها ، وليست بيدي اليوم ولا بيد غيري فيما أظنّ ، فاني ما اطلعتُ لها على خبر من ذلك الوقت الى الآن . ثم أذكر الكتب التي بأيدي الناس اليوم ، والتي بيدي وما خرجت الى الناس لانتظاري في إظهارها ما عوّدنيه الحقّ من صدق الخاطر الرباني وهو الأمر الإلهي والذي عليه العمل عندنا . وبالله أستعين ، وهو نعم المعين .

٢ — فهرست مؤلفات الشيخ الرئيس ابن سينا : فيه ذكر ٩٥ كتاباً . وقد طبع ضمن كتاب « سيرة الشيخ الرئيس ابن سينا وفهرست كتبه وذكر أحواله وتواريخه » (الأصل العربي مع ترجمة فارسية ، بتحقيق سعيد نفيسي . طهران ١٩٥٢).

٣ — ذكر ما وقع لسبط ابن الجوزي بالشام من أسامي فهرست مصنفات ابن الجوزي ومجموعاته ومنقولاته ومؤلفاته (مرآة الزمان ٨ : ٣١٢ — ٣١٦ شيكاغو = ٨ : ٤٨٣ — ٤٨٩ حيدر اباد . وفيه ذكر مائتين ونيفاً وخمسين كتاباً .

٤ — فهرست مؤلفات ابن عربي : له . وهو هذا الذي ننشره اليوم .

٥ — أسماء مؤلفات ابن تيميـة : لابن قيم الجوزية . نشرها الدكتور صلاح الدين المنجـد (دمشق ١٩٥٣ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) وقد عدّ منها ٣٤١ مؤلفاً .

٦ — الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون : لابن طولون الدمشقي ، المتوفى سنة ٩٥٣ هـ (دمشق ١٣٤٨ هـ) في الصفحة ٢٦ — ٤٨ أسماء مصنفاته مرتبة على الحروف .

٧ — فهرست مؤلفات جلال الدين السيوطي : لمؤلف مجهول . نشره فلوجل في كشف الظنون (٦ : ٦٦٥ — ٦٧٩) وعددها ٥٠٤ كتب .

***

تلك الآية بعينها وأتكلم عليها من مقام الكمال بكلام لا نسبة [بينه و][1] بين الوجهين المتقدمين . وفي هذا المقام أتكلم عليها وعلى ما فيها من أسرار الحروف والكلمات والحروف الصغار التي هي الحركات والسكون الحي والسكون الميت، إن كان فيها من ذلك شيء ، والنسب والاضافات والاشارات وما أشبه ذلك . فاذا فرغت من ذلك انتقلت الى الآية التي تجاورها . وما فيه كلمة لأحدٍ أصلاً ، إلا إن كان استشهاد فيمكن قليل .

٧ — وكتاب الجذوة المقتبسة والخطرة المختلسة .

٨ — وكتاب مفتاح السعادة في معرفة المدخل الى طريق الارادة .

٩ — وكتاب المثلثات الواردة في القرآن : مثل قوله تعالى : « لا فارضٌ ولا بِكرٌ عَوان »[2] . وقوله تعالى : « ولا تجهرْ بصلاتك ولا تُخافت بها وابتغِ بين ذلك سبيلا »[3] .

١٠ — وكتاب المسبعات [ه] الواردة في القرآن : مثل قوله تعالى : « خلق سبع سموات »[4] . وقوله تعالى : « وسبعةٍ اذا رجعتم »[5] .

١١ — وكتاب الأجوبة على المسائل المنصورية : وهي نحو مائة سؤال سألني عنها صاحبٌ لي اسمه منصور .

١٢ — وكتاب مبايعة القطب في حضرة القرب : يحتوي على مسائل جمة من مراتب الأملاك والمرسلين والنبيين والعارفين والروحانيين ، ما سبقت في علمي اليه .

---

(١) الزيادة لنا .

(٢) سورة البقرة ٦٧ .

(٣) سورة الاسراء ١٠٩ .

(٤) سورة الطلاق ١١ . سورة الملك ٢ .

(٥) سورة البقرة ١٩٥ .

فصل

في ذكر الكتب المودعة

فمنها في الحديث :

١ — اختصرتُ المسند الصحيح لمسلم بن الحجاج ، لنفسي .

٢ — وكذلك اختصرتُ مصنَّف أبي عيسى الترمذي .

٣ — وكنتُ ابتدأتُ كتاباً سميته « المصباح في الجمع بين الصحاح » .

٤ — وكذلك ابتدأتُ في اختصار المحلَّى لابن حزم الاندلسي [١] .

٥ — وكتاب الاحتفال فيما كان عليه رسول الله ﷺ من سنن الأحوال .

* * *

وأما ما كان منها من علوم الحقائق في الطريق الصوفي ، فمن ذلك :

٦ — كتاب الجمع والتفصيل في أسرار معاني التنزيل : أكملتُ منه الى قوله تعالى : « وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح » [٢] ، وجاء بديعاً في شأنه ، ما أظن على البسيطة مَن نزع في القرآن ذلك المنزع . وذلك اني رتبتُ الكلام فيه على كل آيةٍ على ثلاث [٤] مقامات : مقام الجلال أولاً ، ثم مقام الجمال ، ثم مقام الاعتدال وهو البرزخ من حيث الورث الكامل المحمدي فهو مقام الكمال . فآخذ الآية من مقام الجلال والهيبة وأتكلم عليها حتى أردّها لذلك المقام بألطف إشارة وأحسن عبارة . ثم آخذها بعينها وأتكلم عليها من مقام الجمال وهو يقابل المقام الأول حتى أردّها كأنها إنما أنزلت في ذلك المقام خاصة . ثم آخذ

---

(١) المخطوط : ابن حزم الفارسي ، وهو وهم . وقد ذكر الحاج خليفة (كشف الظنون ٥ : ٤٢٩) في كلامه على « المحلّى في الخلاف العالي » لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، انه في ثلاثين مجلداً ، وان ممن اختصره : محي الدين ابن عربي ، وسماه « المعلّى في مختصر المحلّى » ، قال : وهو من أحسن المختصرات مع الاحاطة » .

(٢) سورة الكهف ٥٩ .

ليطالعها ، وبها صدّر الكتاب . فكان في نحو عشرين ورقة . نخرجنا ليلة خارج البلد مع جملةٍ من أصحابنا ، فقعدنا في ربوةٍ نطالع فيـه ، وكان من أبدع الموضوعات . فلما فرغنا من قراءته ، وضعناه في الأرض ، فاختُطف من وقته ، فما أدري : اختطفه جنّ أم بشر ممن يحتجب عن الابصار ، وما عرفتُ له خبراً الى الآن . وأما بقية الكتاب ، فما جمعته بعد ذلك . ولما ردّه اليّ وكلّ من كان عنده [٦] منه شيء فتلف ، فهذا [ما] كان من شأنه [1] .

٢١ — وكتاب التحقيق في شأن السرّ الذي وقر في نفس الصديق .

٢٢ — وكتاب الاعلام باشارات أهل الالهام والافهام في شرح الاعلام [2] .

٢٣ — وكتاب السراج الوهّاج في شرح كلام الحلاّج [3] .

٢٤ — وكتاب المنتخب في مآثر العرب .

٢٥ — وكتاب نتائج الأفكار في حدائق الأزهار .

٢٦ — وكتاب الميزان في حقيقة الانسان .

* * *

فهذه أسماء الكتب المودوعة ، وما أدري خرج عن ذكري منها شيء أم لا ، فان العهد يقام [4] والخاطر غير مصروف لما كان في الزمان الماضي حذراً من فوت الوقت .

(يتبع)

---

(١) في هذه العبارة ارتباك .

(٢) طبع ضمن « مجموعة الرسائل » لابن العربي (حيدر اباد ١٣٦٣ هـ ، ١٠ ص) وهو خامس ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : برلين ٢٩٤٤ المكتب الهندي ٦٩٥ (١) [: الحكمة الالهامية في الرد على الفلسفة] تذكرة النوادر ٢٧٣ .

(٣) لعله « كلمات الشيخ والحسين الحلاج » المذكور في تذكرة النوادر ٣٥٢ .

(٤) كذا في الأصل ولعل الصواب : تقادم . (المجمع)

١٣ — وكتاب مناهج الارتقاء [١] الى اقتضاض أبكار البقاء المخدرات بخيمات اللقاء : يحتوي على ثلاثمائة باب ، في كل باب عشر [ة] مقامات ، فهو متضمن ثلاثة آلاف مقام .

١٤ — وكتاب كُنْه ما لا بدّ للمريد منه [٢] .

١٥ — وكتاب الحُكم في المواعظ والحِكم وآداب رسول الله ﷺ .

١٦ — وكتاب الحلى في استنسن [كذا] الروحانيات الملأ الأعظم .

١٧ — وكتاب كشف المعنى عن سرّ أسماء الله الحسنى [٣] .

١٨ — وكتاب شفاء العليل في ايضاح السبيل : في الموعظة .

١٩ — وكتاب عقلة المستوفز [٤] : في أحكام الصنعة الانسانية وتحسين الصنعة الايمانية .

٢٠ — وكتاب جلاء القلوب في أسرار علاّم الغيوب : اتفق في هذا الكتاب عجيبة ، وذلك اني لما وضعته ، أخذ كلّ واحدٍ من إخواننا كراسة أو اثنتين

---

(١) في دار الكتب المصرية (١ : ٣٦٥) مخطوطة بعنوان « منهاج الارتقاء » لابن العربي ، فلعلها هي .

(٢) طُبع مع « الرسالة اللدنية » للغزالي (القاهرة ١٣٢٨ هـ) . ومنه نسخ خطية في : الظاهرية (حبيب زيات ، ص ٥٠) دار الكتب ١ : ٣٤٩ (نسختان) الاسكندرية (تصوف ٤١) باتنا (الهند) ١ : ١٤١ ، ٢ : ٤١٠ و ٤١٢ المكتب الهندي في لندن ٦٦٠ برلين ٢٩٠٠ غوطا ٩١٤ (١) برمنكهام ٦٦٤ .

(٣) للمتحف العراقي ٦١٨ . ولها شرح في جامع السلطان اويس بالموصل (مخطوطات الموصل ، ص ٩٥ الرقم ٥٤ (٤)) .

(٤) وفي بعض النسخ : العقلة المستوفزة . وقد نشرها المستشرق نيبرج H. S. Nyberg في ليدن سنة ١٩١٩ ومعها إنشاء الدوائر » و « التدبيرات الالهية » . ومن العقلة نسخ خطية في : القادرية ببغداد ، وخزانة العزاوي ببغداد ، دار الكتب ١ : ٣٣٢ (٣ نسخ) الفهرس التمهيدي ١٣٩ مكتبة المشهد الرضوي ٤ : ٢٠٧ الرقم ٨٩٥ آصفية (تصوف ٤٨) بانكيبور (الهند) ٨٨٩ باتنا ١ : ١٣٧ عمومية (استانبول) ٣٧٨٠ فاتح ٢٦٣٠ (٤) ٥٣٧٦ الاسكندرية (تصوف ٣٤) فنون (استانبول) ١٥١ (٢٠) للمتحف البريطاني ٨٨٦ (٢٤) برلين ٢٩٢٣ - ٢٩٢٤ جون ريلندز ١٠٦ (٢٥) .

والابتكار اللذين اتصفت بهما هذه العلوم والى القوة المعنوية التي تضمنتها فجعلتها مرجعاً يعتمد عليه العالم العلمي عدة قرون ·

ولقد أتى الكثيرون على دراسة نواحٍ متعددة من هذا المؤلف الخالد العظيم ورأيت أن أضيف الى هذه الدراسات دراسةً أخرى في نطاق اختصاصي وهي : المتعلقة بتربية الطفل والتوليد وأمراض النساء ·

لا بد لمن يطالع الفصول الخاصة بهذه الفروع قبل أن يحكم على قيمتها ، من أن يعتبر ظروفاً كثيرة منها ان العرف والدين في زمن ابن سينا كانا يحولان دون أن يستطيع رجل ملاحظة ما يعرض للجهاز التناسلي في المرأة من حالات طبيعية أو مرضية ، وأكثر ما كان يعرف حول هـذا الموضوع يستند الى رواية قابلات توارثن المهنة ، فاذا وجدنا في كتاب القانون كثيراً من المعلومات الصحيحة الدقيقـة بالرغم من ذلك فلأنها من ثمرة ذلك العقل الواسع الذي استطاع من خلال هذه الحجب والستائر الكثيفة أن يستقرئ الأصوب منها ويمحّص فيها ويقرّر الصحيح منها وينبذ التافه وهو أمر حريٌّ بالإكبار والإعجاب ·

فابن سينا وغيره من أطباء عصره لم يمارسوا أعمال الولادة بأنفسهم بل كانوا يرشدون القابلات الى ما يجب عمله والقابلات هنّ اللواتي كنّ يقمن بالعمل وذلك هو السبب في التباين الواضح في كتاب القانون بين ضآلة تعاليم الولادة الجراحية وبين اتساع البحث في التعاليم الطبية والوصفات المختلفة في معالجات شتى العوارض الطارئة على حالة الولادة ·

أما النواحي التي لم تكن ظروف العرف والدين تمنع من ملاحظتها ومراقبتها فقد حلّق ابن سينا في وصفها وتبويبها والتعمق في دراستها وهو ما شهد له به مؤرخو الطب في الغرب من قدماء ومعاصرين فقد قال « دوفرين Devraigne » في كتابه (تاريخ فن التوليد عبر العصور) في الصفحة ٣٢ : (إن من أهم

رعاية الطفولة والأمومة

في قانون ابن سينا

ان عبقرية ابن سينا التي أتحفت العالم منذ عشرة قرون بكتاب « القانون في الطب » لهي جديرة بالدهشة والإعجاب . وان المرء ليقف مدهوشاً عندما يعلم أن فتى لم يجاوز السادسة عشرة من عمره قد قرأ أكثر علوم عصره بما فيها الفلك والرياضيات والفلسفة والطب حتى أخذ « فضلاء الطب » على حد تعبيره يقرؤون عليه هذا العلم . فهو لم يكن طبيباً في هذه السن فحسب بل كان أستاذاً في الطب يتعهد المرضى ويبرع في علاجهم ويقرئ التلاميذ ما اقتبس من مطالعاته وما استنتج من تجاربه . وما هي إلا سنون قلائل حتى تألق نجم ابن سينا ولمع اسمه في تاريخ العرب والشرق فأضحى طبيب الملوك والأمراء وسيد الفلاسفة والحكماء وأصحاب الفكر .

ويكفي القانون فخراً أنه ترجم بكامله الى عدة لغات أجنبية .

وفي هذا الكتاب الضخم الذي يقع في خمسة أجزاء نرى طب العرب الى جانب طب ابقراط وجالينوس ونرى تجارب ابن سينا ومشاهداته الى جانب آراء الفرس والهنود ونظرياتهم .

وقد نال القانون من الشهرة والرواج ما لم ينله كتاب غيره في الشرق والغرب مما دعا الى عدم الاكتفاء بترجمته بل عمد الى شرحه والتعليق عليه .

ومهما تعددت الدراسات لموسوعة « القانون في الطب » فانها لن تفيها حقها لا لأن الحقائق العلمية التي احتوتها هذه الموسوعة ما زالت تعتبر كذلك بل لأنها انما ترمز اليوم الى الشأن العظيم الذي أحرزته العلوم العربية والى روح التجدد

« فاذا أخذ ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن من الحركات العنيفة ولا يجوز أن يحمل على المشي والقعود قبل انبعاثه اليه بالطبع فيصيب ساقيه وصلبه آفة » .

ويتابع ابن سينا حديثه في الفصل الثالث « في الأمراض التي تعرض للصبيان وعلاجاتها » .

وفي الرابع « في تدبير الأطفال اذا ما انتقلوا الى سن الصبا » .

أما عن أمراض النساء والتوليد فيفرد ابن سينا في الجزء الثالث من قانونه الفن الحادي والعشرين للبحث « في أحوال أعضاء التناسل » ويحتوي هذا الفن فصولاً كثيرة متشعبة يتكلم فيها عن مختلف الأمراض التي تعرض للرحم وأسبابها وأعراضها وعن الحامل وتطور حملها وما يعتريها في الحمل والوضع ، وهي مقالات شاملة نلمس فيها كثيراً من الأفكار العلمية التي يثبت صحتها الطب الحديث اليوم بما فيه من رقي واكتشاف .

ففي الفصل الأول من المقالة الأولى نجد هذا الوصف التشريحي الدقيق للرحم : « ان آلة التوليد التي للاناث هي الرحم ... وليس يستتم تجويفها إلا عند استتمام النمو ... لأنه يكون قبل ذلك معطلاً لا يحتاج اليه ... وموضعها خلف المثانة ... ومن قدام المعي وطولها المعتدل في النساء ما بين ست أصابع الى أحد عشر اصبعاً وما بين ذلك ... والرحم تغلظ وتثخن وكأنها تسمن وذلك في وقت الطمث ثم اذا طهرت ذبلت ويبست ، ولها أيضاً ترفق مع عظم الجنين وانبساطها بحسب انبساط جثة الجنين » . « ورقبة الرحم عضلية ... وفيها مجرى محاذية لفم الفرج ومنها تبلع المني وتقذف الطمث وتلد الجنين ، وتكون في حالة العلوق في غاية الضيق ... ثم تتسع بإذن الله تعالى فيخرج منها الجنين » .

وفي هذه المقالة نفسها وبعد أن يصف ابن سينا وضع الجنين في أحشاء أمه وأنه « تحيط به أغشية ثلاثة » ينتقل الى الكلام على الخصائص التشريحية

« ويجب أن تؤمر المرضع برياضة معتدلة وتغذي بأغذيه حسنة الكيموس . وإذا عرض للمرضعة مزاج رديء أو علة مؤلمة أو إسهال كثير أو احتباس مؤذٍ فالأولى أن يتولى إرضاعه غيرها الى أن تستقل . وكذلك اذا أحوجت الضرورة الى سقيها دواء له قوة وكيفية غالبة » .

ولا بد للدين من أن يظهر تأثيره في تعاليم ابن سينا وفي ذلك يقول : « المدة الطبيعية للرضاع سنتان » . ثم يتكلم عن الفطام فيقول : « واذا اشتهى الطفل غير اللبن أعطي بتدريج ولم يشدد عليه ثم اذا جعلت ثناياه تظهر نقل الى الغذاء الذي هو أقوى بالتدريج من غير أن يعطى شيئاً صلب الممضع » .

ويوافق هذا المبدأ ما نجده في كتب الغربيين من أن أول غذاء للطفل يعطى له حين بزوغ أول سن — Première dent — Premièr repas — ويتابع قوله :

« ثم اذا فطم نقل الى ما هو من جنس الاحساء واللحوم الخفيفة ويجب أن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة » .

ومن النصائح التي نجدها في القانون ما لم يلفت النظر اليه الا حديثاً جداً . فقد كان الرضيع حسب العادات الموروثة يحمل على الجلوس والانتصاب والمشي حملاً منذ الأشهر الأولى بعد ولادته للاعتقاد بأن في ذلك تمريناً لازماً لا يمكن بدونه أن يبلغ الطفل مرحلة التحرك . وقد أبانت الأبحاث التربوية الحديثة أن بين قيام الطفل بحركات الحبو والانتصاب والمشي وبين نمو جهازه العصبي النخاعي الدماغي ارتباطاً وثيقاً ، فلا يتمكن الطفل من المشي الا متى تم نمو جهازه العصبي ، فاذا كان ذلك استطاع الطفل القيام بتقليد من حوله سريعاً ولو لم يكن سبق له أن حبا أو انتصب ، هذا عدا ما يمكن أن يصيب الطفل من أذى فيما اذا أرغم على الوقوف والتحرك قبل أن يكون جسمه قد استعد الى ذلك . وفي هذا المعنى يقول ابن سينا :

أما الفصل الذي يبحث «في العقر وعسر الحبل» فمهم حقاً وفيه من المعلومات ما لا يختلف قليلاً أو كثيراً عما نعلم من ذلك اليوم ، فهو جدير إذن بدراسة مفردة منفصلة لا يتسع لها المجال هنا .

وقد صنفت أسباب العقم في القانون الى أسباب في الرجل وأسباب في المرأة :

«سبب العقر إما في مني الرجل أو في مني المرأة وإما في أعضاء الرحم وإما في أعضاء القضيب وآلات المني أو السبب في المبادئ كالغم والخوف والفزع وأوجاع الرأس وضعف الهضم والتخمة . وإما لخلط طارئ» .

ويسترعي الانتباه بصورة خاصة بحث ابن سينا في جنس المني إذ يقول :

«أما السبب الذي في المني ... فهو جنس المني الذي لا يولد : مني الصبي والسكران وصاحب التخمة والشيخ ومني من يكثر الباه ومن ليس بدنه بصحيح» .

ويستدل من ذلك ان الطبيب الرئيس قد كان يعلم قبل عصر المكبرات والمجاهر أن قيمة المني بوجود جوهر خاص فيه — وهو ما نسميه اليوم الحيوان المنوي «Spermatozoïde» — وان هذا الجوهر يتأثر في قابليته للتلقيح من حالة البدن العامة ، كما يغيب قبل البلوغ وفي الشيخوخة .

ويبلغ ابن سينا بعد ذلك في تعداده لأسباب العقر الناشئة عن المني قوله :

«وقد يكون السبب في المني أن يكون مني الرجل مخالف التأثير لما في مني المرأة ... فلا يحدث بينهما ولد ولو بدل كل مصاحبه أوشك أن يكون لهما ولد» .

وفي ذلك برهان آخر على روح التقدمية العلمية التي أصاب منها ابن سينا قسطاً وافراً ، فهو يعتقد أنه لحصول الحمل يجب أن يكون هناك توافق تام بين مني الرجل ومني المرأة ـ ويقصد بمني المرأة مفرزات عنق الرحم فيهـا ـ فاذا كان كل شيء فيما عدا ذلك طبيعياً واختلف التلاؤم بين هاتين البيئتين من الناحية الفيزيائية الكيمياوية لم يحصل الحمل ، وهو ما ندعوه بلغتنا الحديثة بعدم

والفيسيولوجية التي تميّز الجنين فيقول : «ان الشريان والوريد النافذين من القلب والرئة لما كان لا ينتفع بهما في ذلك الوقت في التنفس منفعة عظيمة صرف نفعهما الى الغذاء فجعل لأحدهما الى الآخر منفذ ينسد عند الولادة . وأن الرئة انما تكون حمراء في الأجنة لأنها لا تتنفس هناك بل تغتذي بدم أحمر لطيف ... » وفي ذلك شرح دقيق وبليغ لآلية الدوران وآلية التنفس أثناء الحياة داخل الرحم «والمنفذ» هنا ليس الا القناة الشريانية بين الوتين والشريان الرئوي وينسب اكتشافها زوراً الى بوتال«Canal arteriel de Botal» الذي عاش بعد ابن سينا بمئات السنين !

وبعد هذه المقدمة التشريحية يأخذ الشيخ الرئيس بالبحث في آلية الولادة وكيف يخرج الجنين فيقول : «وخروج الجنين انما يتم بانشقاق الأغشية الرطبة وانصباب رطوبتها وازلاقها اياه . وقد انقلب على رأسه في الولادة الطبيعية لتكون أسهل للانفصال . وأما الولادة على الرجلين فهو لضعف في الولد فلا يقدر على انقلاب» ويعلل حدوث هذا الانقلاب في الأحوال العادية فيضيف : «ويعين على الانقلاب ثقل الأعالي من الجنين وعظم الرأس منه خاصة ...» .

وفي تصنيف أمراض الرحم دلالة على تفكير نقاد مميز وعلى روح سريرية تتجلى في تقسيم أمراض الرحم الى أمراض خاصية وأمراض بالشركة :

«تعرض للرحم جميع الامراض المزاجية والآلية والمشتركة ، وتعرض لها أمراض الحمل مثل أن لا تحبل أو أن تحبل وتسقط أو لا تسقط بل يعسر ويعضل ويموت فيها الولد . ويعرض لها أمراض الطمث من أن لا تطمث أو تطمث قليلاً أو رديئاً أو في غير وقته أو بفرط طمثها . وتكون لها أمراض خاصية وأمراض بالشركة بأن تشارك هي أمراض أخرى وقد تكون عنها أمراض أعضاء أخرى بالشركة بأن تشاركها الأعضاء الأخرى ... واذا كثرت الأمراض في الرحم ضعفت الكبد» .

الى اثنين فيما بعده ... وسلامة ولدي المتئم غير كثيرة وقلما يكون بين التوأمين أيام كثيرة فانها في الأكثر من جماع واحد وفي القليل ما يعلق جماع على حمل » وذلك ما ندعوه اليوم بالإلقاح على الإلقاح « Superfécondation » والإلقاح على الحمل « Superfœtation » .

ويأتي بعد ذلك ذكر « علامات ضعف الجنين » و « علامات ضعف المولود » .

وفي مطلع المقالة الثانيـة التي تبحث « في الحمل والوضع » يضع ابن سينا التدابير الكلية للحوامل ، مشيراً بشكل خاص الى وجوب مكافحة الإمساك بالملينات لا المسهلات والاعتناء بالحمية والابتعاد عن اضطرابات المعدة والى ضرورة القيام برياضة معتدلة ، وكل ذلك طبعاً ، كما نفسره اليوم ، لوقاية الحامل من الانسمامات الذاتية الحملية التي يكون لطرز اغتذاء الحامل أثر كبير في ظهورها : يقول ابن سينا في فصل « تدبير كلي للحوامل » ، « يجب أن يعتنى بتليين طبيعتهن دائماً بما يلين باعتدال ... وأن يكلفن الرياضة المعتدلة والمشي الرفيق من غير إفراط فان المفرط يسقط ... ويجب ألا يُدمن الحمام بل الحمام كالحرام عليهن إلا عند الاقراب ... ويجب أن يتجنبن الحركة المفرطة والوثب والضرب والسقطة والجماع خاصة والامتلاء من الغذاء والغضب ولا يورد عليهن ما يغمهن ويحزنهن ويبعد عنهن جميع أسباب الإسقاط وخصوصاً في الشهر الأول ... ويجب أن يدثر ما تحت الشراسيف منهن بصوف ليّن وأغذيتهن الخبز النقي بالأسفيذباجات والزيرباجات ويجنبن كل حريف ومر ... ويجب أن تشتد العناية بمعدتهن » .

ولا تزال جميع هذه النصائح في يومنا الحاضر أساساً متيناً لحفظ صحة الحمل .

أما أسباب الإسقاط وعلاماته فمما يستدعي الاهتمام منها جملة وردت في فصل « حفظ الجنين والتحرز من الاسقاط » تشير الى رأي ابن سينا في موضوع يدور حوله نقاش طويل بين علماء اليوم لمعرفة ما اذا كانت الأسباب المرضية الطارئة

التوافق الخلطي « Incompatibilité humorale » وينجم عنها ألا يستطيع الحيوان المنوي البقاء حياً في أخلاط المرأة وتلك معلومات فيسيولوجية حديثة ·

ثم يتابع ابن سينا البحث في اسباب العقم فيعدد أسباباً كثيرة ما زالت حتى يومنا هذا مدرسية غير مختلف عليها وان اختلف التعبير ، ويلاحظ في سردها تسلسل منطقي واضح جلي : فبعد اختلافات مني المرأة يذكر ضعف القوة الجاذبة للمني ثم يبحث في العوائق الآلية في عنق الرحم من تشنج (انضمام) أو تضيق لندوب أو انسداد ، ثم ينتقل الى الأسباب في جسم الرحم ، ولا ينسى سبباً هاماً هو انقطاع الطمث ، دون أن يشير الى أنه ناجم عن ضعف المبيض :

« وأما السبب الذي في الرحم فإما سوء مزاج مفسد للمني ··· أو مضعف للقوة الجاذبة للمني ··· أو مانع إياه عن الوصول لانضمام من الرحم ··· أو التحام من قروح أو لحم زائد ثؤلولي ··· أو يعرض للمني في الرحم الباردة الرطبة ما يعرض للبذر في الأراضي النزة ، وفي المزاج الحار اليابس ما يعرض في الأراضي التي فيها نوره مبثوثة ، وإما لانقطاع المادة وهو دم الطمث ··· وإما لميلان فيه (أي في الرحم) ، أو انقلاب ··· أو لشدة هزال في البدن ··· أو آفة في الرحم من ورم وقروح ··· وزوائد لحمية مانعة ··· » ·

وبعد أن يفرغ من ذكر الأسباب في المرأة ينتقل الى الأسباب في الرجل فيحيط بها إحاطة جامعة مانعة إذ يقول : « وأما السبب الكائن في أعضاء التوليد فإما ضعف أوعية المني ··· أو ضعف قوتها المولدة للمني ··· وكذلك من يعن برض خصيته ··· أو يشرب الكافور الكثير · وأما الكائن بسبب القضيب فمثل أن يكون قصيراً في الخلقة أو لسبب السمن من الرجال ··· أو لاعوجاج القضيب أو لقصر الوترة ، فيتخلى القضيب عن المحاذاة فلا يزرق المني الى فم الرحم » ·

وفي ذكر الحمل التوأمي يشير ابن سينا الى أن « سببه كثرة المني وانقسامه

من المرأة المعالجة وبحيث تدخل فم الرحم وتحس المرأة انهـا قد صارت في فضاء داخل الرحم فيزرق فيها ما يقتل وما يزلق وما يخرج » .

ثم يذكر في هذا الفصل الأعمال اليدوية والآلية التي يجب أن تقوم بها القابلة لإخراج الجنين الميت وتقطيعه بالحديد اذا عسرت ولادة المرأة .

وفي هذه المقالة فصول ممتعة أخرى تدل على اتساع أفق المعلومات الاختصاصية في ذلك العهد منها الفصل في الرحا « Môle hydatiforme » حيث يتحدث ابن سينا بإيجاز بليغ عن الأعراض والصفات التشريحية المرضية لهذه الآفة فيقول :

« أنه ربما تعرض للمرأة أحوال تشبه أحوال الحبالى من احتباس دم الطمث وتغيير اللون وسقوط الشهوة وانضمام فم الرحم ... ويعرض انتفاخ الثديين وامتلاؤهما وربما عرض تورمها ، وتحس في بطنها بحركة كحركة الجنين وبحجم كحجم الجنين ... وربما عرض لها الاستسقاء وانتفاخ البطن ولكن الى صلابة لا الى طبلية ... وربما عرض طلق ومخاض ولا يكون مع ذلك ولد بل ربما كان السبب فيه تمدداً وانتفاخاً في عروق الطمث ولا تضع شيئاً وربما وضعت قطعة لحم لها صور لا تضبط أصنافها ... وهو بعينه المسمى مولى ولا يقال لغير ذلك مولى ... »

ومنها أيضاً الفصل في عسر الولادة وهو يضم الأسباب الأساسية في هذا الاختلاط منظمة مبوّبة كأحسن ما يوجد في أحدث كتبنا اليوم ، وخاصة ما يتعلق بالأسباب في الحبلى : وفيما يلي مقطع من هذا الفصل : « عسر الولادة إما أن يكون بسبب الحبلى أو بسبب الجنين أو بسبب الرحم أو بسبب المشيمة أو بسبب المجاورات والمشاركات وإما بسبب وقت الولادة وإما بسبب القابلة وإما بأسباب بادية . أما الكائن بسبب الحبلى فان تكون ضعيفة قاست أمراضاً وجوعاً أو كانت جبانة أو غير معتادة للحمل والوضع بل هو أول ما تلد فيكون فزعها أكثر ووجلها أشد ، أو عجوزاً ضعيفة أو تكون كثيرة اللحم أو شديدة السمن

كافية لإسناد حصول الإسقاط اليها وحدها ، ولهذا الأمر قيمته في القضايا الطبية الشرعية ، وهذه الجملة هي :

« الجنين تعلقه من الرحم كتعلق الثمرة من الشجرة فإن أخوف ما يخاف على الثمرة أن تسقط ، هو إما عند ابتداء ظهورها وإما عند إدراكها ، كذلك أشد ما يخاف على الجنين أن يسقط هو عند أول العلوق وقبيل الإقراب فيجب أن يتوقى في هذين الوقتين الأسباب المذكورة للإسقاط » . فعلى رأي الشيخ الطبيب أن الأسباب الجوهرية كائنة في نفس محصول الحمل وما الرضوض الطارئة إذن إلا أسباب مساعدة فقط .

وفي فصل « تدبير الإسقاط وإخراج الجنين الميت » ذكر لبعض استطبابات الإسقاط المحرض الدوائي ولبعض الوسائط المستعملة في تحريض المخاض ، وهي لا تخلو من الطرافة وحسن توجيه النصح والإرشاد لذلك نورد منها المقاطع التالية : « انه قد يحتاج الى الاسقاط في أوقات منها عندما تكون الحبلى صبية صغيرة يخاف عليها من الولادة الهلاك ، ومنها عندما تكون في الرحم آفة وزيادة لحم يضيق على الولد الخروج فيقتل ، ومنها عند موت الجنين في بطن الحامل . واعلم انه اذا تعسرت الولادة أربعة أيام فقد مات الجنين فاشتغل بحياة الوالدة ولا تشتغل بحياة الجنين بل اجتهد في إخراجه . والإسقاط قد تفعله حركات وقد تفعله أدوية . والأدوية تفعل بأن يقتل الجنين وبأن تدر الحيض بقوة وقد تفعله بالإزلاق ... ومن التدبير الجيد في ذلك (أي الإسقاط) أن يدخل في فم الرحم من الحبلى كاغد مفتول أو ريشة أو خشبة مبرية بقدر حجم الريشة من أشنان أو سذاب أو عرطنيثا أو سرخس فانها تسقط لا محالة وخصوصاً اذا لطخت بشيء من الأدوية المسقطة كالقطران ... ونحوه » . وبعد أن يعدد الأدوية المسقطة المفردة منها والمركبة يذكر طريقة الزرق لداخل الرحم فيقول :

« يجب أن تكون الزراقة مثلثة الطرف طويلة العنق بقدر طول قرن الرحم

«واذا قرب دور هذه العلة عرض ربو وعسر نفس وخفقان وصداع ... وضعف رأي وبهتة وكسل ... وصفرة لون وتغيره مع قلة ثبات على حالة ... فاذا ازداد فيها حدث سبات ... واحمر الوجه والعين والشفة وشخصت العينان وربما تغمضتا فلم تنفتحا وضعف النفس جداً ثم انقطع في الأكثر ... ويعرض تحريق الأسنان وقعقعتها وحركات غير إرادية ... وينقطع الكلام ويعسر فهم ما يقال ثم يعرض غشي وانقطاع صوت ... وتظهر على البدن نداوة غير عامة بل يسيرة» .

« وأما الفرق بينه وبين الصرع وإن تشابها في كثير من الأحكام وفي العروض فقد يفرق بينه وبين الصرع ان العقل لا يفقد جداً ودائماً بل في أحوال شدته جداً . واذا قامت المختنقة حدثت بأكثر ما كان بها الا أن يكون أمراً عظيماً متفاقماً ، والزبد لا يسيل سيلانه في الصرع الصعب الدماغي ... وأما الفرق بينه وبين السكتة فذلك أظهر فكيف والحس لا يبطل فيها في الأكثر بطلاناً تاماً ولا يكون غطيط» .

وبعد فهذا نزر يسير مما استخلصته في مطالعاتي لقانون ابن سينا ولا سيما في الأبواب المتعلقة برعاية الطفولة والأمومة ، وفيها كما رأينا ما يدل دلالةً واضحةً على سلامة التفكير وسعة الاطلاع وروح العلم والتجربة والمشاهدة وعمق الاستنتاج ، فلا عجب أن يظل القانون بعد هذا ، المرجع الطبي الوحيد في أقطار الأرض كافةً خلال ثمانية قرون .

شوكت القنواتي

ضيقة المأزم لا ينبسط مأزمها ولا تقوى على تزحر وعصر شديد للرحم بعضلات البطن أو تكون قليلة الصبر على الوجع أو تكون كثيرة التقلب والتمال ...» .

أما المقالة الثالثة فتبحث «في سائر أمراض الرحم سوى الأورام وما يجري مجراها» وفيها وصف شامل دقيق لما كان يعرف حينذاك عن أحكام الطمث وسيلانات الرحم والنزوف وفيها إسهاب في تعداد الوصفات الطبيـة من أطلية وحمولات وأبخرة وعلاجات مسهلة منقية أو فصادة وغيرها .

وأما المقالة الرابعة والأخيرة فتشمل على «آفات وضع الرحم وأورامها وما يشبه ذلك» وفيها فصل موجز جيد «في نتوء الرحم وخروجها وانقلابها» وهو السقوط التناسلي «Prolapsus génital» وفصول أخرى ممتعة عن «ميلان الرحم واعوجاجها» وغير ذلك وأهم هذه الفصول دون شك هو «الفصل في اختناق الرحم» أي الهيستريا «Histérie» ففيه الأعراض موصوفة بشكل كامل ودقيق ، وفيه الأسباب والظروف السريرية التي يشاهد فيها هذا العارض وفيه التشخيص التفريقي والوصفات الطبية الحسنة . ولا نجد بداً من إثبات بعض المقاطع من هذا الفصل نظراً لقيمتها الخاصة :

«هذه علة شبيهة بالصرع والغشي ويكون مبدؤها من الرحم ... وقد قال بعض علماء الأطباء أنه لا يعرف سبب الاختناق ، ولكن السبب فيه اذا حصل هو أن يعرض احتباس من الطمث أو من المني في المغتلمات أو المدركات أول الإدراك والأبكار والايامى ... وقد تكون لهذه العلة أدوار وقد يعرض كثيراً في الخريف وربما كانت أيضاً أدوارها متباطئة وربما عرضت كل يوم وتواترت قليلاً قليلاً ، وانما لا يعرض مثله حين الولادة وأصعب اختناق الرحم ما أبطل النفس في الظاهر وان كان لا بد من نفس ربما يظهر في مثل الصوف المنفوش المعلق أمام التنفس فيبطل أيضاً الحس والحركة ويشبه الموت ، ويتلوه الصعوبة ما لا يبطل النفس ... والدرجة الثالثة ما يحدث تشنجاً وتمدداً وغشياناً من غير أذى في العقل والحس» .

المستشرق (ب : لوين) فطبع قسماً من مصورة ريتر في مطبعة (ليدن)
سنة ١٩٥٣ م . وقد أهدى الى مجمعنا نسخةً من ذلك المطبوع .

هذا شيء من خبر ذلك الكتاب . أما وصف الكتاب في نسخته الأصلية
التي عُثر عليها في مكتبة الآستانة فقد خصَّه الأمير مصطفى الشهابي بمقالٍ ممتعٍ ،
نشره في مجلة المجمع (مجلد ٢٦ ص ٣٤٦) بعنوان (أبوحنيفة الدينوري والجزء
الخامس من كتاب النبات) أودعه كل ما يتمناه القارئ من أمر ذلك (الكتاب)
سواء أكان من جهة التعريف بمؤلفه (الدينوري) أم من جهة التعريف بالكتاب
نفسه ووصف غزارة فائدته العلمية والزراعية ، وبيان طريقة المؤلف في إيراد
بحوثه ، وسرد مسائله ، ولما أُلقيت اليَّ النسخة الليدنية المطبوعة لأجل الكتابة
عنها لم أجد حاجةً الى إسهاب القول في الكلام على الكتاب وعلى مؤلفه بعد
أن كتب الأمير عنه ما كتب ، فسأقتصر في مقالي هذا على جولةٍ لغويةٍ
بين أسطار النسخة المطبوعة ، باسطاً تحت نظر القارئ : ١ — وصفها :
٢ — أغلاطها . ٣ — نموذجات من نوادرها وفرائدها .

* * *

(وصف المطبوعة)

تقع في نحو ٢٩٠ صفحة بما في ذلك مقدمتها باللغة الانكليزية البالغة خمسين
صفحة ونيفاً . ويلي ذلك فهارس مختلفة في أسماء النباتات الواردة في الكتاب ،
وأسماء الشعراء والرواة وسائر الأعلام ، وفهرست لمواضيع الكتاب وقوافي
أشعاره ، ويلي ذلك استدراكات وصورة نموذجية من صفحات النسخة الأصلية
للكتاب .

وقد قدم الناشر لمطبوعته بتمهيد موجز عقبه ببيان مفصّل في أسماء المصادر
التي استند اليها في تصحيحاته وتعليقاته على الكتاب ، فهو يشير بحرف (ص)

جولة لغوية في كتاب النبات

لأبي حنيفة الدينوري

— ١ —

هذا الكتاب من أشهر كتب النباتات وأوثق مصادرها في نفوس الباحثين النباتيين . ولا سيما أرباب المعاجم العربية : فقد كانوا اذا وصفوا نباتاً في معاجمهم ، أو أرادوا التعريف به ، والكشف عن حقيقته ، لجأوا (الى أبي حنيفة) واستندوا الى ما قاله عنه في كتابه المذكور : فأنت ترى لسان العرب مثلاً قلّما يذكر نباتاً إلا نقل نصّ ما قاله الدينوري فيه . وزاد من قيمة هذا الكتاب ، واللهج به ، فقدْ نسخه سوى فقرات منه مبعثرة هنا وهناك في كتب اللغة ودواوينها كما قلنا ، وسوى وَرَقات لا تتجاوز الخمسين عُثر عليها في مكاتب المدينة المنورة ، وكان كلما تقادم الزمن على فقده ، وتواصف الحاجة اليه ازداد حرص العلماء وهواة الكتب على البحث عنه . وكان أكثرهم رغبةً وعنايةً بأمر البحث الدكتور يوسف العش . واتفق أن أوفدته لجنة الثقافة في جامعة الدول العربية الى الآستانة لتصوير المهمّ من مخطوطاتها فوُفق الى العثور على قسم من ذلك الكتاب وهو الجزء الخامس من أجزائه الثمانية في مكتبة جامعة الآستانة ، وقد كتبت نسخته سنة (٦٤٥ هـ) فأخبر الأستاذ العش بهذا الظفر المستشرقَ الألماني الأستاذ ريتر ، فبادر هذا الى أخذ صورٍ فوتوغرافية عن ذلك الجزء ، وجعل يهيؤها للنشر ، كما أخذ الدكتور العش نسخةً أخرى باسم جامعة الدول ، وبادرت إدارة مجمعنا العلمي فأخذت عنه نسخةً ثالثةً . وبعد أن أعدّ الأستاذ ريتر نسخته للنشر والطبع وَكَلَ أمر ذلك الى تلميذه

[ص ٣ :] ذكر المؤلف أن لشجر الأراك ثمراً فيه حراوة على اللسان ، وحراوة بالواو كالحرافة بالفاء ، كلاهما صحيح . والمراد بها ما يشعر به اللسان من لذع خفيف ، كحرافة الخردل المسمى بالحُرف ، ومن اسمه جاءت كلمة الحرافة ، والوصف منه حِرّيف بالتشديد . غير أن المؤلف عاد فذكر في سطر ١٨ أن في طعم الأراك (حروفة) كذا بالفاء لكن على صيغة (فُعولة) لا (فعالة) كما هو المذكور في كتب اللغة : فمن المالح والحامض يقال مُلوحة وحُموضة لا ملاحة ولا حماضة ، أما من (الحرف) و (المرّ) فيقال حَرافة ومَرارة ، لا حروفة ولا مرورة . ولعل المؤلف اطلع على صحة (حروفة) أو هي لهجة عامية في زمانه تسامح في استعمالها ، كما نتسامح نحن اليوم فنقول (في طعمه مُرورة) وعاد المؤلف فكرر (الحروفة) في ص ٣٦ و ص ١٧٤ .

[ص ٤ سطر ٤] قوله : (الماء الواسل من ذِفرتي البعير) يريد بالماء العرق . ولا معنى للواسل هنا فصوابه الواشل بالشين المعجمة ، من وشَلَ الماء قطَرَ قليلاً قليلاً ، ومنه الوَشَل للماء القليل المتحلب من جبل .

[ص ١٠ س ٧] قوله : (اذا بدا بلجها) بالجيم صوابه بلحها بالحاء المهملة .

[ص ١٣ س ٦] قوله : (ذُزَى) صوابه (ذرى) بالراء المهملة .

[ص ١٣ س ١١] قوله : (ليس للأثل وَرَق) صوابه (ورف) بالفاء : وَرَفَ الظل ورْفاً ووَرَفاً امتد واتسع . بدليل أن المؤلف قال بعد سطر (وورقه هَدَب طوال دقاق) فقد جعل له ورقاً ، غير أن ورقه لما كان دقيقاً مستطيلاً هَدَباً (أي لا عرْض له) جعله لا ظلّ له وقال (ليس للأثل ورف) .

[ص ٢٢ س ١٠ و ص ٣٦ س ٣] قول رؤبة (ما اخضرّ الآلاء والآس) أصله وصوابه (يخضرّ ما اخضرّ الألاَ والآس) : فالألا مقصور بحذف همزته وهو من جموع (الألاة) قُصر لضرورة الشعر ، ومدّه غلط يُخرج الشعر عن وزنه .

الى المخصص و (ل) اللسان و (ت) التاج الخ . وهناك مصادر ذكرها بأسمائها ، ويؤسفنا أن الناشر لم ينشر مضامين النسخة الأصلية كلها وانما اكتفى بنشر نحو ثلثيها (من ص ٧٥ الى ص ٢٣٧) وهو آخر الكتاب . أما ثلث الكتاب الذي لم ينشر فقد تضمن ثلاثة بحوث : (١) صفة القِسيّ ، ومن أي الأشجار تصنع ، وما يتعلق بالقسيّ من حيث حِليتها وزينتها . (٢) النبل والسهام وأنواعها وأوصافها ، وما يتعلق بها . (٣) (القِدْح) وهو الخشبة التي تُبرى ويركَّب فيها النصل الحديد وشؤونه . هذا ما تركه الناشر من الكتاب ثم يبتدئ المطبوع منه الذي يتضمن أسماء (أعيان النبات) مرتبةً على حروف المعجم من الهمزة الى تمام حرف الزاي ، وبه يتم الجزء الخامس المطبوع ، ويتلوه السادس المفقود الذي يبتدئ بحرف السين .

وعناية الناشر واضحة تمام الوضوح في مطبوعته : من جهة الورق والحرف والتصحيح البالغ ، حتى أن القارئ لا يكاد يعثر على غلطة مطبعية سوى ما جاء في أصل النسخة المخطوطة . ولم يألُ الناشر جهداً في الرجوع الى المصادر المختلفة في تصحيح الكتاب ، واختلاف عباراتها ، معلقاً ذلك في ذيل الصفحات تعليقاً دقيقاً وافياً بالحاجة وشافياً لغلة القارئ ، كما هي عادة المستشرقين في معظم ما ينشرونه من الآثار والأسفار .

* * *

(أغلاط النسخ)

لا يحسن أن ننسب هذه الأغلاط الى النسخة المطبوعة ما دامت النسخة الأصلية المصورة التي بين أيدينا والتي كنا نرجع اليها في تلك الأغلاط ، فنجد معظمها فيها ، ومن ذلك علمنا أن الناشر أدى الأمانة بعُجَرها وبُجَرها اللهم إلا القليل الذي عثرنا عليه ، وسننبه اليه مع الأغلاط المطبعية التي ذهل عنها المصحح .

[ص ٧٦ س ٥] قوله : (وفي الثغرة ـ اسم عشب ـ ملحمة قليلة) قوله ملحمة خطأ صوابه (ملحة) كما في الأصل . على أن ما في الأصل فيه نظر لأن المراد بالملحة الملوحة القليلة . والملح لا يؤنث بالتاء . وانما هو مؤنث بطبيعة لفظه . فاذا صغر ظهر فيه التأنيث بالتاء ، فيقال مُلَيْحَة كما يقال في تصغير شمس شُميسة . فأرى أن يكون الصواب هنا (مليحة) كأنه قال شيء من ملوحة . أما (الملحة) فمعناه البياض غير الخالص ، ومنه الكبش الأملح .

[ص ٧٧ س ١٧] قوله : (إلا أنه أضخم ضحماً) صوابه أضخم حجماً أي جرماً .

[ص ٧٨ س ٩] : قوله : (وله ثمرة حبٌ كثير) صوابه (وحب كثير) كما في الاصل .

[ص ٨٤ س ٦ قوله] : (واذا غُمز (أي شجر الثرمان) انثى كما ينشمي الحمض) صوابه أن يكتب كما في الأصل هكذا (انثأ كما ينشئ) بالهمز على أننا لو سهّلناه بحذف الهمز كان الأصوب أن يكتب بالألف أيضاً (انثا) ومعناه انشدخ بنحو فأس .

[ص ٨٥ س ١٣] قوله : (قال الأخطل يصف الخمر ويذكر سدّ رؤوسها بالجفن) ضمير رؤوسها يعود الى الخمر ، والخمر لا تُسدّ رؤوسها بنبات الجفن ولا نبات الغار ، وإنما تُسدّ بهما رؤوس خوابيها وأوانيها ، كما أشار (اللسان) الى ذلك حين قال : قال الأخطل يصف خابية خمر وهو قوله :

(آلت الى النصف من كلفاء أترعها عاجٌ ولثّمها بالجَفْن والغار)

وكأنّ المؤلف (الدينوري) إنما فهم من (الكلفاء) انها اسم للخمرة . وهو كذلك في كتب اللغة ، فأرجع اليها ضميري (أترعها) و (لثّمها) فقال : (يذكر الأخطل سدّ رؤوسها بالجفن) . ولم يعجبني أنا هذا ووقفت حائراً في أمر إرجاع الضميرين المذكورين الى (الكلفاء) بمعنى الخمرة . وقلت في نفسي إن الخمرة لا تُترع ولا تلثّم ، وانما الذي يُترع ويُلثم خابيتها ودنها . فرجعت

[ص ٣٦ س ٦] قوله : (فطرح الثمرة) صوابه : فطرح الهمزة . وفي اللسان فطرح الألف .

[ص ٣٧ س ١٣] قوله : (أم لجوجًا معشماً) صوابه مغشماً بالغين المعجمة . والمغشم من يركب رأسه فلا يثنيه شيء عما يريد .

[ص ٤٢ س ٨] قول الشاعر :

(فما راعني إلا زهاء معانقي فأيُّ عتيقٍ بات لي لا أُباليا)

البيت لأعرابي يصف ليلته في مضاجعة ذئب ، وفي الأصل (زهاه) بالهاء آخره لا الهمزة ، وهو الصواب . وزهاء الشيء بالهمز شخصه يقول إن زُهاء الذئب أي شخصه بات معانقاً له . فيكون الشاعر قد قصر (الزُهاء) وأضافه الى الضمير . وقوله (عتيق) بالتاء صوابه (عنيق) بالنون من المعانقة .

[ص ٤٣ س ١٦] قوله : (والصَفَر اذا غَضَّ بالشرسوف) صوابه (اذا عضّ) يقال (عضَّ على شرسوفه الصَفَر) اذا جاع . والصَفَر دودة في البطن ترعم العرب أنها تعضُّ على غضروف الضلع في البطن . وقد نفى النبي (ﷺ) هذا الزعم .

[ص ٥٣ س ٧] قوله : (بَرَمَةَ السلَم أطيب السلم ريحًا) السَلَم شجر ، وبَرَمَته زهرته . فقوله (أطيب السلم) صوابه (أطيب الزهر أو أطيب البِرام ريحًا) والبِرام جمع بَرَمة . ولفظ (السَلَم) بفتحتين لا بكسر ففتح كما في المطبوعة .

[ص ٧٠ س ١٥] قول الأعرابي (نكتنز من التين في الجِباب) جمع جُبّ بالجيم . والجب البئر فيه الماء ، وهو لا يصلح لأن يكتنز فيه التين . فصوابه (الحِباب) بالحاء المهملة جمع حُبّ وهو الخابية كما في الصحاح .

[ص ٧١ س ٤] قوله : (فإذا أجف) صوابه جفّ ، أي لم يعد رطبًا . فهو ثلاثي لا مزيد .

بثناياه فيكشر عنها كما يكشر المتبسّم ولذا قال الشاعر (كما تبسم للحوّاءة الجمل) اهـ . فقوله (ينتشفه) خطأ إذ الانتشاف إزالة الوسخ عن الشيء مسحاً وصوابه ينتشه من دون فاء .

[ص ١١٧ س ٣] قال : (ولنبات الحَلِيّ سنبل يسنبله) سَنْبَلَ الزرعُ اذا خرج سنبله فهو فعل لازم فصواب (يسنبله) ينسله بدليل قوله بعده (ثم يطير ذلك النسيل اذا يبس) وفي اللسان (النُّسال سنبل الحَلِيّ اذا يبس وطار) .

[ص ١٥٦ س ١] قوله : (خزوفة) بالزاي خطأ مطبعي صوابه (َخروفة) بالراء المهملة .

[ص ١٥٨ س ١] قول عديّ :

(وعلى الأحداج ألوان الفتا وخُزامى الروض يعلوها الزهر)

صواب (الفتا) بالتاء (الفنا) بالنون جمع فناة ، وهو شجر ذو َحبٍّ أحمر تتخذ منه القلائد كما في اللسان . وعدي إنما يصف ما يناط على الهوادج من العهون والتهاويل كما هي عادة العرب في تزيين ظعائن نسائهم .

[ص ١٥٩ س ١] قوله : (ترتفع قدر الذراع) صوابه (يرتفع) لأن ضميره يرجع الى نبات الخذراف نفسه لا الى وريقته الصغيرة .

[ص ١٦٧ س ٢] قوله : (أخبرني شيخ من البصريين قال بالبصرة خرّوب شآم الخ) . هذا القول ليس هنا محله وإنما محله في الكلام على الخرّوب فذكره هنا سهو .

[ص ١٦٧ س ١١] قوله :

عَفَتْ غير نؤي الدار ما إن تبينه وأقطاع ُطفي قد عَفَتْ في المعاقل

صواب (عفت) عفا لأنّ ضميره يرجع الى الطلل المذكور في البيت قبله كما في اللسان . ورواية (اللسان) (في المناقل) قال هو جمع منقل وهو الطريق في الجبل . ولكن رثاث الطُّفي وهي (الُحصر) لا تكون في طرق الجبال .

أن تكون (الكلفاء) بمعنى الخابية لما أن لونها أيضاً فيه كلفة (أي سواد الى حمرة) ثم رأيت ما أيّد رأيي : وهو ما ذكره صاحب أقرب الموارد (في الذيل) فانه فسّر (الكلفاء) بالخابية . ومثله الصالحاني اليسوعي فإنه فسرها بها أيضاً في تعليقه على ديوان الأخطل (ص ٩٨) غير أن رأيي ورأيهما انما اعتمدنا فيه ظاهر كلام الأخطل ، لا كتب اللغة ، والا فان (الكلفاء) فيها هي الخمرة لا خابيتها ، فالكلفاء بمعنى الخابية كلمة وردت في شعر الأخطل وليست من اللغة في شيء .

[ص ٩٣ س ١٤ و ص ٢٠٠ س ٥ :] قول الأسدي في وصف الظليم :

(أصكُّ صعل ذو ِجران ِ شاخص وهامة فيها كِجرو الرمّانْ)

كذا في الأصل ولعل صوابه :

(أصكّ صعلٌ شاخص الجرانْ وهامة فيها كجرو الرمانْ)

وأصل معنى الجران مقدم عنق البعير : فيظهر أن الشاعر استعاره للظليم . والشاخص البارز الناتئ . وقد علّق الناشر على البيت قوله : (والبيت في المعاني الكبير ٣٤٥ ص ١٢/٤) فليراجع .

[ص ١٠٢ س ١٤] قوله : (وقال بعض أعراب ُعمان : الدِفلي شيء) كذا في الأصل . وفي الكلام نقص يظهر تمامه مما جاء في (اللسان) ونصه (قال (أي أبو حنيفة) ونَوْر الدفلي ُمشرب ولا يأكل الدفلي شيء) فالساقط هو جملة (ولا يأكل) وقوله شيء يريد به من الناس والدواب وذلك لشدة مرارته .

[ص ١٠٨ س ٩] قوله : (وللحوذان ورقة مدورة كأنها رُوبجة) كذا في الأصل أي بضم راء (رُوبجة) وفي اللسان بفتحها . وكذا في التاج . فقد قال (والرَوبج كجوهر) وهو درهم صغير خفيف يتعامل به أهل البصرة . فارسي دخيل .

[ص ١١٠ س ٤ :] وصف الحوّاء بأنه نبات يتسطّح على الأرض ويلصق بها . فضُرب مثلاً للرجل يلزم بيته (واذا أراد الجمل أكل الحوّاء احتاج أن ينتشفه

[ص ١٧٠ س ١] قال الشاعر : (كأنه علق نحير) يصف لون السدبل وهو ثوب الزينة يلقى على هوادج الظعائن - يصفه بالحمرة الشديدة وقال كأنه علق أي دم وان ذلك الدم نحير . ولا معنى لنحير إلا منحور فيكون قد وصف الدم بأنه منحور تسامحاً . ولا بأس بهذا الوصف لولا أن يكون غيره أحسن منه وهو أن تكون (نحير) محرفة عن (نهير) بالهاء بمعنى اسم الفاعل يقال نهر الدمُ اذا سال بقوةٍ كأنه يقول : علق جاري .

[ص ١٨٠ س ١٣ :] وصف نبات (الذُؤنون) وقال إنه أشبه شيء بالهَلْيون وضبط الهليون بالشكل بفتح الهاء وسكون اللام وضم الياء كما في الأصل وهو خطأ صوابه كسر الهاء وسكون اللام وفتح الياء . ومثله في ذلك صِيهْيَوْن وشِمْعَوْن . وقد نبهنا عليها ثلاثتها في كتابنا (عثرات اللسان) .

[ص ١٨٦ س ٥ :] وصف نبات (الفرفح) وهو الرِجلة (أي البقلة الحمقاء) وجعل (الفرفح) بالحاء المهملة كما في الأصل . وهو خطأ وصوابه الفرفخ بالخاء المعجمة وأصله فارسي . ثم استشهد بقول (العجاج) : (ودستهم كما يُداس الفرفح) بالحاء . وصوابه بالخاء كما قلنا : إذ أن تتمة البيت هكذا (يؤكل أحياناً وحيناً يُشدخ) .

[ص ١٨٧ س ١] قوله : (وهَدَبه أن ورقه طوال دقاق) كذا في الأصل والعبارة محرفة وصحتها تستخرج مما قاله (اللسان) نقلاً عن ابي حنيفة نفسه قال : (قال أبوحنيفة وله هدب طوال دقاق) فزاد الناسخ بعد كلمة الهَدَب كلمتي (أي ورقه) تفسيراً للهدَب ثم حرفت (أي) إلى (أن) فأصبحت الجملة (وهدَبه أن ورقه طوال دقاق) وصوابه ما ذكرنا .

[ص ١٨٨ س ١١] قوله : (وفي دخان الرمث غبرة ولذلك شُبه به لون الدخان) كذا في الأصل وصوابه (شبه به لون الذئب) فقد قال بعده مستشهداً بقول كعب بن زهير في صفة الذئب (كأن دخان الرمث خالط لونه) .

ويروى (في المنازل) وهي أحسن من الأولى وأحسن منهما (في المعاقل) إذا أُريد منها حيث تُعقل الإبل في أعطانها . وهكذا الطفي أي الحصر البالية ليس لها مطرح سوى أعطان الإبل ومباركها .

[ص ١٦٩ س ١٤ :] وصف المؤلف زهر الدفلي بأنه (مشرب حسن) ومعنى المشرب في الألوان أن لا يكون اللون خالصاً بل يضرب الى لون آخر وخاصةً في الحمرة . فزهر الدفلي (مشرب) أي أشرب بياضه حمرة . على أننا نسمعهم أحياناً كثيرة يقولون في الألوان (مشرق) فالكربَل مثلاً (نبات له نور أحمر مشرق) أي زاهي جميل . فهل يكون صواب مشرب (مشرق) لتأكيده بكلمة (حسن) التي جاءت بعده ولأن زهر الدفلي ليس كله مشرباً بحمرة : فان بعضه أبيض خالص ، فينبغي أن يقال مشرب بحمرة لا أن يقتصر على (مشرب) وحدها بخلاف (مشرق) .

[ص ١٦٩ س ١٥] قال : (والدفلي للحافر سمّ نحار) أي أنه يُميت ذوات الحافر من الدواب اذا أكلته . وقوله (نحار) قال ناشر الكتاب إنه في الأصل بضم النون . ولم يجد هذه الكلمة في كتب اللغة التي لديه . وقد تأملت ضمة النون فلم أجدها ضمةً خالصةً إذ ربما كانت فتحة . وتكون الحاء مشدّدة فتُصبح صيغتها (فعّال) للمبالغة في النحر . والنحر إزهاق روح الحيوان بإمرار السكين على نحره . فيكون معنى نحّار قتّال كما يقولون أحياناً . ويكون المؤلف نقل النحر من معنى القتل بواسطة قطع الأوداج الى القتل مطلقاً بأي واسطة كانت ولا نعلم إن كان هذا فعله المؤلف من عند نفسه أو انه من الدارج في لهجة أهل زمانه . ويكون زمانه كزماننا حين نستعمل نحن اليوم فعل الانتحار بمعنى قتل المرء نفسه بأية واسطة كانت : كأن يلقي نفسه في بحر أو من شاهق أو بتناول سُمٍّ قاتل . وأذكر أن صاحب المقتطف نشر بحثاً بعنوان (انتحار عقرب) وقال إنهم حبسوها ضمن إناء بلور فحاصت للخروج ولما يئست لدغت نفسها لدغاً دراكاً حتى ماتت منتحرة .

باليهودي نخل اليهودي كما قال صاحب اللسان : فقول الشاعر (وهو كثيّر عزّة) (كاليهوديّ من نطاة الرِقال) حُذف منه المضاف . وتقديره (كنخل اليهودي من نطاة الرقال) يصف الشاعر الظعائن التي رفعها السراب الى عينيه فخيّل اليه أنها نخلات يهودي من فلاحي (النطاة) . والنطاة مزرعة ذات ماء في خيبر اشتهرت ببسوق نخلها وانطياده صُعُداً في السماء . ويسمى هذا النخل الباسق رقالاً واحده رقلة .

[ص ١٩٥ س ٨ قوله] : (الورق الذي يتجدّد آخر القيظ برد الليل يسمى الرَّبْل) صوابه ببرد الليل وهو كذلك في الأصل أي انه يكتفي في نموه بتأثير رطوبة برد الليل .

[ص ١٩٨ س ١٣ قوله] : (كل شجرة دوحة واسعة صافية الظل فهي ربوض) صوابه ضافية الظل بالضاد المعجمة أي سابغة الظل . والسُبوغ في الظل : الامتداد والسعة . ويحتمل أن يكون قوله (واسعة) مقدمة عن تأخير ويكون محله بعد ضافية تفسيراً له .

[ص ٢٠١ س ٩] قوله : (يذاف بها ورس) بالذال خطأ صوابه (يداف) بالدال المهملة كما هو في الأصل ومعنى (يداف) يخلط .

[ص ٢٠٥ س ١٣] قوله :

(على الزرع تمشي خيلنا وركابنا فما وطئت ألصقتَه بالدكادك)

قوله (ألصَقتَه) هكذا ضبط في الأصل بتاء الخطاب وتابعه الناشر . وصوابه (ألصقنه) بضمير نون النسوة الراجع الى الخيل والركاب يعني أن ما وطئته خيولنا من ذلك الزرع مَرَسته ودعكته بحوافرها حتى جعلته لاصقاً بالدكادك . وأخطأ الناشر في تفسير الدكادك حين قال (الدكادك اسم موضع ؟ في بلاد بني أسد ولعل الشاعر منهم) فالقول بأن الزرع الذي مرسته الخيل بسنابكها قد ألصق بذلك الموضع في بني أسد تخيل بعيد . وإنما الدكادك هنا

[ص ١٩٠ س ١٢] قول الراجز : وهو (هميان بن قحافة) والرمثُ بالصريمة الخ بالرفع خطأ صوابه (والرمثَ) بالنصب لأنه معطوف على (روضاً) في البيت قبله وهو:

(ترعى من الصمّان روضاً آرجا   والرمثَ بالصريمة الكنافجا)

(مثل الشيوخ أحرمت حواججا)

يصف ناقته فيقول إنها ترعى في (الصمّان) روضاً آرجاً ذا رائحة طيبة وترعى نبات الرِمث في الصريمة (أي الرمل) الكنافج (أي الكثير المكتنز السنابل) وقوله (مثل الشيوخ الحواجّ) راجع الى (الرِمث) يشبهه بالحجاج فإن الرمث اذا اخضرّ قيل في وصفه إنه قد أبقل وهو باقل وبعد اخضراره يدرك وفي وقت إدراكه هذا يبيضُّ فيقال : إنه قد حَنَطَ فهو حانط (ولعله من الحَنوط الذي يضمَّخ به الميت) فناقة هميان ترعى شجيرات الرِمث في زمن ابيضاضها مذ تكون كالشيوخ الحواجّ بثياب الإحرام البيض ٠

[١٩٣ س ٩] قوله : وقد ذكرنا الرياحين في باب النبات الذَفِر والزهِر) الذَفَر اشتداد رائحة الشيء سواء أكانت طيبة أم خبيثة ٠ ويظهر انهم عادوا فخصّوا به النبات المنتن كما يلمح من قول المؤلف في قوله (باب النبات الذفِر) فإنه إنما يريد ذا الرائحة الخبيثة من ضروب النبات ٠ ولا سيما انه عطف عليه (الزهِم) وفي اللغة (الذفراء) اسم لبقلةٍ خبيثة الرائحة لا تكاد المواشي تأكلها ٠ وهذا يدعم ما قلنا من أن (الذفر) إذا وصفت به النباتات أُريد منه خبث الرائحة ، كما خصّ العرف في لهجتنا الدارجة (الذَفَر) برائحة الطعام الدسم فإنها طيبة ذكية ولا سيما في مشامّ الجياع ٠ أما قوله (الزهِر) بالراء فقد علق عليها ناشر الكتاب قوله (انها غير واضحة في الأصل) ٠ لكن أُرجح أن تكون (الزهِم) بالميم ففي اللسان (الزهومة الريح المنتنة) ويؤيده عطفه على الذَفِر ٠

[ص ١٩٣ س ١٦] قوله : (يريد باليهودي نخل خيبر) فيه إيهام من حيث يظن أن المراد بكلمة (اليهودي) النخل نفسه ٠ وكان الأظهر أن يقول يريد

مقدمة المرزوقي

لشرح حماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

وافاني الجزء الأول من المجلد السابع والعشرين الصادر في ربيع الثاني سنة ١٣٧١ لمجلة المجمع العلمي بدمشق فاذا من أحسن ما حواه مقدمة دبجها الإمام البليغ أبو علي المرزوقي [1] لشرحه على ديوان الحماسة اختيار أبي تمام . وهي مما نشر وصحح وحقق الأستاذ الدكتور شكري فيصل فلما رأيتها تحدثت نفسي بالشكر لشكري فيصل ، على نشرة متنلها ومتنه كالمهند بيد صيقل . فانها خير رائد لمنتجع روض الفصاحة ، وأبصر مقدمة لجحفل البلاغة ، تفتح لمقتفيها ما استعصمت به خفايا النكت من الصياصي . وتمكن بيد متقنها من جياد السبق أجفل النواصي ، إذ كانت قد أحاطت بمعاقد الأدب ، وتعاطت بحجتها أفنانه فتدلى يانع ثمره واقترب . وقد كنت قدماً اهتممت بتدبرها عند إقرائي ديوان الحماسة بجامع الزيتونة بتونس منذ عام ١٣٢٦ فقدرت قدرها . وتبينت نفاستها في صناعة الأدب وخطرها ، ثم طواها الذهن ببسط مسائل أخرى ،

(١) هو احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الاصبهاني توفي في ذي الحجة سنة ٤٢١ ترجمه ياقوت في إرشاد الأريب وقال إنه أخذ عن أبي علي الفارسي وذكر له كتباً منها شرح الحماسة قال وهو يتفاصح في تصانيفه كابن جني وكان معلم أولاد بني بويه باصبهان . قلت لم أقف على وجه نسبة للمرزوقي واحسب أنها نسبة الى أحد أجداده . وهو معدود من أئمة الأدب وبلاغة العربية ولسعد الدين التفتزاني عناية بنقل كلامه في كتبه في بحث البلاغة مثل شرح المفتاح والمطول ويحليه بالامام المرزوقي .

جمع دكدك أرض فيها غلظ . فالشاعر يصف شدة وطء خيولهم وأنها مرست الزرع حتى تلاشى واختلط بما تحته من الأرض الغليظة . واعل دكادك بني أسد هو الذي عناه تميم بن نويرة في رثاء أخيه مالك حين قال :

(وقالوا أتبكي كل قبرٍ رأيتــه لقبرٍ ثوى بين اللوى فالدكادك)
(فقلت لهم إن الأسى يبعث الأسى دعوني فهذا كله قبر مالك)

[ص ٣٠٧ س ١] قوله : (ويقال أخذ النباتُ زُخاريَّه اذا تفتَّحت أنواره واتق ببهجته) كذا في الأصل وقد وقفت عند كلمة (واتق) أقول : أهي محرفة عن (انتخى) اذا تعاظم وتكبر ؟ أو هي من بديع القول وبليغ الكلم على معنى أن حُسن النبات وجماله يقيه من مدّ الأيدي إليه هيبةً له ، وضنّاً به أن يتشوه على حد قولهم (الشجاع مُوَقّى) تقيه شجاعته من الإقدام عليه فيطول عمره .

(البقية في الآتي) المغربي

قال الإمام المرزوقي : (وبعد فانك جاريتني ـ أطال الله بقاءك في أشمل سعادة وأكمل سلامة ـ لمّا وجدتني أقصُرُ ما استفضلُه من وقتي وأستخلصه من وكدي على عمل شرحٍ للاختيار المنسوب الى أبي تمام حبيبِ بن أوس الطائي المعروفِ بكتاب الحماسة — أمرَ الشعرِ وفنونِه) .

الخطاب موجه الى الذي سأله تحقيق ما تضمنته هذه المقدمة ويظهر ان هذا المخاطب هو أيضاً قد سأله شرح اختيار أبي تمام أو انه حرضه على إتمامه لأن المؤلف قال في خاتمة الشرح [1] : « قد سهل الله وله الحمد تعالى جَده بلوغَ المنتظَرْ من تتميم شرح هذا الاختيار والله بمنه وطَوْله ينفعك وإيانا به ويعينك على تفهمه الخ » .

وقوله جاريتني هكذا ثبت في جميع النسخ ومعناه حادثتني فيه قال في لسان العرب وجاراه الحديثَ وتجارَوْا فيه اهـ . فاستعيرت المجاراة تمثيلاً لحال المتحادثيْن بحال الفارسيْن يجريان ومن هذا القبيل قولهم تساجلا الشعر وتسايرا المجادلة وقد أعاد المؤلف هذا اللفظ في خاتمة الشرح إذ قال : فإني لم أدركه إلا بمجاراةٍ لشيوخ الصناعة فيه » .

وذكر الأستاذ الناشر في التعليق على هذه العبارة : ان الأستاذ محمد أحمد خلف غيَّر عبارة جاريتني فجعلها « جاذبتني » واعتلّ لذلك بأن المؤلف قال بعد صفحاتٍ « أمنًا من المجاذبين » وهو تغيير يخالف النسخ كلها ولا داعي اليه إذ لا يتعين أن يكون المؤلف ملتزمًا عبارة واحدة في كلامه كيف وهو من المتفننين ولأن لقوله « المجاذبين » فيما بعدُ معنى يناسب سياق الكلام هناك وسنبينه في موضعه وكلا الأمرين المجاراة والمجاذبة من شؤون محاورات أهل العلم قال الزمخشري في ديباجة الكشاف في وصفِ العالم المفسر « قد رَجعَ زماناً ورُجع اليه وردّ ورُد عليه » .

---

(١) عن نسخة الأستانة .

وثنى عِنان طرْفه فأطلق له في ميادينَ فسيحةٍ وأجرى . فاذا بهذه النشرة تطالعنيها مطالعة الخريدة ، تبسم الى الصب فترد محبته الرثة جديدة ، أو كالظبي ينفر عن مراعاة ربربه ثم ينيلها عِطفه وجيدَه [1] ذلك هزّ من عِطفي وحرّك سواكني الى مراجعة عهدٍ مضى . فأصدَق عزمًا قديمًا وغرضًا ، هو العزم على أن أعلق على هذه المقدمة القيمة ، وأسرح اليها جواد الذهن وأسوّمه .

فانها جديرة بشرح ينشر مطاويها الوفيرة الأغراض ، ويُصدّق شَيْمَ من اتبع صوب بروقها المتكررة الإيماض ، إذ هي من قبيل اللمحة الدالة ، والخريدة الملتحفة غير المتجالة ، فهي خليقة بفَشْو كثير من معانيها إذ كانت مفرغة في دقة صياغة ، ولو أخذتْ على غِرّها لم يدرك غورَها سوى الراسخين في البلاغة ، فعُنيتُ بتوضيح دقائقها ، واكتفيت في بعض المواضع بالحوالة على كتب الأدب .

ومن غريب الاتفاق اني حين حللت بالأستانة في أواخر العام (١٣٧٠) لحضور المؤتمر الثاني والعشرين للمستشرقين ورأيت خزائن كتبها الثرية كان مما لفت نظري نسخةٌ تامة من شرح المرزوقي في مكتبة كوبريلي باشا تحت عدد ١٣٠٨ وهي نسخة عتيقة نُسخت سنة ٦٧٦ ذات ٤٢٠ ورقة في القالب الربعي وقد حصلت منها على شريط فتغرافي . ولم يكن عندنا بخزائن تونس إلا نسختان من جزء أول ومن تجزئة خمسة حوتهما مكتبة الجامع الأعظم عدد ٤٥٣٤ وعدد ٤٥٣٥ . ورأيت الأستاذ الناشر قد بذل الجهد في تحقيق مختلف نسخها فاعتمدَ نسخًا أربعًا وأثبت ما بينها من اختلاف وقد رأيتُ أن أضمّ الى ذلك ما خالفتْ فيه النسختان التونسيتان ونسخة الأستانة استكمالاً للضبط ، والى القارئ تعليقنا على هذه المقدمة بتفسير غريبها ، وتبيين مقاصدها وتقريبها .

---

(١) ذلك قبل أن يصل الينا الجزء الأول من شرح المرزوقي طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٧١ التي اعتمدت نسخة الأستانة .

وقوله : « وأواخرها » وقع في احدى النسختين التونسيتين وأواخرهما بالتثنية والمراد أواخر مجموعهما أي أواخر الثانية منهما (إذْ كان الله قد أقامه للعرب مقام الكتب لغيرها من الأمم) .

أراد بالكتب كتب العلوم والتاريخ لأن العرب أمة أمية امتازت بالفطنة في السجية فكان شعرها ترجمان ذكائها وديوان آرائها (فهو مستودَع آدابها ومستحفَظ أنسابها) وقع في نسختي تونس ونسخة الأستانة عقب هذا جملة لم تثبت فيما نشر الدكتور شكري وهي (ونظام فخارها يوم النفار) وموقع هذه الفقرة حسن لما في إثباتها من تعادل الاقسام في الترسل (وديوان حجاجها عند الخصام ثم سألتني عن شرائط الاختيار فيه وعما يتميز به النظم عن النثر وما يحمد أو يذم من الغلو فيه أو القصد وعن قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها) وفي احدى نسختي تونس « لها أو عليها » وعما أظهر (حتى تصير جوانبها محفوظة من الوَهن وأركانها محروسة من الوهي إذ كان لا يُحكم للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها وتأمل مأخذه منها ومدى شأوه فيها) المدى الغاية . الشأو أى منتهى ما سبق فيه شاعر غيره من الشعراء .

(وتمييز المصنوع مما يحوكه من المطبوع والأتي المستسهل من الأبي المستنكر) .

سيأتي للمؤلف ذكر المصنوع والمطبوع بعد ذكر الأبواب السبعة التي هي عمود الشعر ونشرحه هنالك ، الأتي ما يجلبه الساقي الى أرضه من السيل أو النهر بأن يحفر له حفيراً يجري فيه الماء قال النابغة يذكر جارية ضربت في الارض حفيراً بالمسحاة لصرف الماء عن بيت أهلها :

خلَّتْ سبيلَ أَتِيٍّ كانَ يحبِسه ورفَّعَتْه الى السجفين فالنَّضَدِ

والمؤلف أراد بالأَتِي السهلَ ولذلك أتبعه بوصف المستسهل وصفاً كاشفاً وقد أتبعه فيما يأتي بوصف السمح في صفحة ٨٨ سطر ٦ من النشرة .

والأَبِيُّ فعيل من أمثلة المخالفة وأصله الرجل المتعاصي غير المطواع وقد استعاره

وقول المؤلف (أقصر) بهمزة مفتوحة وبضم الصاد أي أرد وأحبس ويتعلق به قوله (على عمل شرح) و (الوكد) بفتح الواو وسكون الكاف هو الهم والقصد وقوله (أمر الشعر) كذلك ثبت في أكثر النسخ وفي نسخة ذكرها الناشر « في أمر الشعر » وهي الأولى وعلى ما في معظم بقية النسخ يكون أمرَ الشعر منصوباً على نزع الخافض ·

(وأبو تمام) من شعراء الدولة العباسية في خلافة المعتصم امتاز بطريقة ابتكرها في الشعر وهي طريقة تدقيق المعاني وتكثيرها ولو أداه ذلك الى شيء من الخفاء في استفادتها من اللفظ · وأخذ عنه البحتري وتوفي بالموصل سنة ٢٢٨ وقيل سنة ٢٣١ وقيل سنة ٢٣٢ وديوانه مشهور · وجمع ديوانَ الحماسة وهو واضح الشهرة في الأدب العربي جمع فيه قطعاً للشعراء غير المشهورين · وله اختيار ترجمه بالقبائلي ، اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل · وله الاختيار القبائلي الأكبر ، اختار منه من كل قصيدة ، وله اختيار الشعراء الفحول واختيار على طريقة ديوان الحماسة صدَّره بباب الغزل ·

قال المؤلف : (وما قال الشعراء في الجاهلية وما بعدها وفي أوائل أيام الدولتين وأواخرهما من الرفعة به) ترتيب هذه الفقرات في أكثر النسخ كما رأيتَ هنا ، وفي نسخة واحدةٍ من النسختين بتونس مغايَرة لهذا إذ وقعتْ فقرة « من الرفعة به » عقب فقرة « وما نال الشعراء » وذلك أحسن مما في النسخ الأخرى ووقع قوله « وفي أوائل » في احدى نسختي تونس مجرداً عن واو العطف وهو أحسن إذ يكون قوله في أوائل الدولتين حالا من قوله وما بعدها أي بعد الجاهلية فيكون عصرُ النبوة وعصرُ الخلفاء الأربعة غير داخل · وأما النسخ التي فيها إثبات الواو فهي تقتضي أن يكون المراد بما بعد الجاهلية مدة زمن صدر الاسلام وليس للشعراء في صدر الاسلام رفعة بل كان الشعراء قد هجروا الشعر مثل لبيد ابن ربيعة العامري إلا أن يكون المقصود الشعراء الذين ذبوا عن رسول الله (ﷺ) مثل حسانَ بن ثابتٍ وعبد الله بن رواحة ·

لشاعر جعلها قصيدة وما دون القصيدة يسمى قطعة . والذي دوّنه المفضّل هو الديوان المعروف بالمفضليات يشتمل على مائة وأربع وعشرين قصيدة اختارها إجابةً لرغبة أبي جعفر المنصور لفائدة ابنه المهدي وجامعها هو المفضل بن محمد ابن يعلى الضبي الكوفي الراوية اللغوي توفي سنة ١٦٨ وعلى المفضليات شرح للمرزوقي ذكره ياقوت . وقوله « الى كل غاية » أي الى غايات كثيرة فان كلمة كل تستعمل في الكثرة للمبالغة دون قصد الشمول كقول النابغة :

بها كل ذيال وخنساء ترعوي الى كلّ رجّافٍ من الرمل فارد

وفي القرآن : « جاءهم الموج من كل مكان » ووقع في نسخة الأستانة « أكمل » عوض كل وهي ظاهرة . وقوله فقد « فليته » وقع في احدى النسختين التونسيتين قليته بقاف ثم لام مشددة وهي أحسن استعارةً من فليته لأن القلي كلمة مرذولة ينبو الأدباء من استعارتها كما سيأتي . والتاء مضمومة وهي تاء المتكلم حكايةً لقول المخاطب المحكي آنفاً بقوله : « وقلتَ ان أبا تمام الخ » والأسلوب الطريق وهو في الاصطلاح الطريقة المخصوصة من الكلام البليغ كقولهم في الالتفات انه انتقال من أسلوب الى أسلوب أي من طريقة الخطاب الى طريقة الغيبة مثلاً . وقولهم الأسلوبُ الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب .

(وزعمت بعد ذلك أجمع أنك مع طول مجالستك بجهابذة الشعر والعلماء بمعانيه والمبرزين في انتقاده لم تقف من جهتهم على حد يوديك الى المعرفة بجيده ومتوسطه ورديئه حتى تجرد الشهادة في شيء منه وتبت الحكم عليه أوله أمنا من المجاذبين والمدافعين) . المجاذبون أصحاب المجاذبة وهي مفاعلة من الجذب للشيء أي إدنائه باليد لأخذه فالمجاذبة أن يجذب كلا الشخصين شيئاً واحداً كلاهما يطلب أخذه لنفسه والمراد بها هنا تمثيل للمحاجة والاستدلال فكلٌّ يظهر ان الحق في جانبه . وأما المدافعة فهي مفاعلة أيضاً وهو إبعادك الشيء عن جهةٍ ما فالمدافعة مراد بها إبطالِ دليل الخصم عند المناظرة فمن المدافعة المنعُ المجرّد والمنعُ بالسّند في

المؤلف للكلام الذي يبدو عليه التكلف ولذلك أتبعه بوصف المستنكر والمستكرَه وأتبعه فيما يأتي بوصف الصعب[1] .

(وقضيتَ العجب كيف وقع الاجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيار المقطوعات أنقى مما جمعه . ولا في اختيار المقصَّدات أوفى مما دوَّنه المفضَّلُ ونقدَه وقلتَ ان أبا تمام معروف المذهب فيما يقرضه . مألوف المسلك لما ينظمه . نازع في الابداع الى كل غاية . حامل في الاستعارات كل مشقة . متوصل الى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتسف وبما عثر . متغلغل الى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنَّى تأتَّى له وقدر . وهو عادل فيما انتخبه في هذا المجموع عن سلوك معاطِفِ ميدانهِ . ومرتض ما لم يكن فيما يصوغه في أمره وشأنه . فقد فليتُه فلم أجد فيه ما يوافق ذلك الأسلوب الا اليسير . ومعلوم أن طبع كل امرئ اذا ملك زمام الاختيار يجذبه الى ما يستلذه ويهواه . ويصرفه عما ينفر منه فلا يرضاه) .

قضيت العجب كلمة جرت مجرى المثل معناه تعجبتَ العجبَ القوي لأنه اذا تعجب عجباً قوياً فكأنه قضاه أي أدّاه وأتمه ومنه قضى وطراً ، قال الحريري في المقامات : «وقضيتُ العجبَ مما رأيت» . والمقطوعات القِطع من الشعر المختارة من قصائد أو التي نُظِمتْ من أول الأمر قطعاً قصيرة من الشعر وتسمى مقاطيع جمع مقطوع وتسمى قطعاً جمع قطعة وهي ما كان من الشعر أقل من ستة عشر بيتاً . ووصفُ ديوان الحماسة بذلك باعتبار غالبه وان كان قد يوجد فيه ما يزيد على ستة عشر بيتاً من قصائدَ كاملةٍ أو بعضِها . والمقصدات جمع المقصَّدة وهي القصيدة وجمعها قصائد واسم الجمع قصيد وقد يطلق القصيد على القصيدة باعتبار الجنس . والقصيدة طائفة من الشعر زائدة على خمسة عشر بيتاً وهذه الأسماء مشتقة من القصد لأن قائلها قصدها واعتمدها فأما المقصدة فلأن

---

(١) انظر صفحة ٨٨ سطر ٧ من النشرة .

وهو ما يقسم للمعطَى بفتح الطاء من العطاء قال الأعشى : « ويقسم أمر الناس يوماً وليلةً » والقسم في كلام المؤلف معطوف على الاصطفاء . والمعنى أنك تتوهم أن سبب التفاضل بين البلغاء تابع لميل الأعيان الى بعض البلغاء دون بعض بسبب اجتباء المائل الممالَ اليه اجتباءً ناشئاً عما للممالِ اليه من البخت الذي قدره الله له . والمقصود من كلام المؤلف إبطال أن يكون التفاضل خَلِيّاً عن أسباب حقيقية وأنه ليس لأسباب وهمية وإنما احتاج إلى إبطال هذا الوهم لأنه جاش في نفس المخاطب ولأنه شاع بين ضعفاء العقول وقاصري الصناعة إذا خانتهم المقدرة أن يعتلوا لخيبتهم بأنهم حُرموا البخت وأن تفوق من سواهم عليهم لأجل أن المتفوق مبخوت . ومن هذا القبيل حال المشركين حين عجزوا عن معارضة القرآن فانهم قالوا هو سحر .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

يتبع :

قواعد الجدل وبقيةُ الاعتراضات على الأدلة وكلُّها راجعة الى المنع · واعلم ان المؤلف قد بين المجاذبة في آخر هذا الشرح[1] بقوله « لا أنسى مجاذباتي فيهما متى كان في القول إمكان وللتحصيل ارصاد ولسهم النضال تسديد وفي قوس الرماء منزع » · وهنا يظهر من حسن وقع لفظ المجاذبة ما لا يظهر في تغيير قوله في صدر الديباجة « فانك جاريتني » إذ لم يقل « جاذبتني » كما قدمناه هنالك ·

(بل نعتقد ان كثيراً مما يستجيزه زيد يجوز أن لا يطابقه عليه عمرو) · الذي في النسختين التونسيتين ونسخة الأستانة يستجيده بدال عوض الزاي وهي أحسن معنى ولفظاً ·

ومعنى « لا يطابقه » لا يوافقه مأخوذ من الإطباق وهذه المادة تؤذن بالمساواة ومنه الطبَق وهو غطاء الإناء لأنه يجعل بمقداره ومنه أيضاً الانطباق ·

(وانه قد يستحسن البيت ويثني عليه ثم يستهجن نظيره في الشبه لفظاً ومعنى حتى لا مخالفة فيعرض عنه إذ كان ذلك موقوفاً على استحلاء المستحلي واجتواء المجتوي) · « الاجتواء » بالجيم افتعال من الجَوى وهو الداء الباطني والمراد بالاجتواء هنا الكراهة ونفور الطبع وأصله عدم ملاءمة الجو للساكن فيه وفي حديث النفَر من عُكْلٍ وعُرَيْنَة « أنهم اجتووا المدينة » أي استوخموا جوها وهواءها إذ كانوا من أهل بادية وصيغة الافتعال هنا للمطاوعة ·

(وانه كما يرزق الواحدُ في مجالس الكبار من الإصغاء اليه والإقبال عليه ما يُحرم صنوه وشبيهُه مع أنه لا فضيلة لذلك ولا نقيص لهذا إلا ما فاز به من الجَد عند الاصطفاء والقَسْم) · أي وان ذلك يشبه ما يرزقه الشخص من الاصغاء اليه · وقوله ما يحرم صنوه كذا في جميع النسخ وهو من حذف عائد صلة الموصول إذ كان منصوباً بفعل وهو كثير فالتقدير ما يُحرمه · والجَد بفتح الجيم الحظ والبخت ، والقَسم بفتح القاف وسكون السين مصدر بمعنى اسم المفعول

(١) عن نسخة الأستانة ·

وخلاصة الحساب له . وهكذا تقويم المحسنين لمحسن الفيض المتوفى سنة ١٠٩١ هـ — ١٦٨٠ م وكتاب قبلة الآفاق لرضي الدين محمد القزويني المتوفى سنة ١٠٩٤ هـ إلا أن هذه لم تولد نشاطاً علمياً وان كان تداولها عندنا العلماء بالتعليق والتحقيق على بعضها . دامت العلاقة في هذه الأيام ماعدا أيام الحروب في عهد الشاه عباس الكبير ، وأيام نادر شاه فانها تضعضعت كثيراً .

استمر العمل بالمؤلفات الفلكية في التدريس من أيام الخواجة الطوسي . ولا تزال مؤلفاته سائدةً . والحالة الاستمرارية غير منقطعة بالرغم مما اعتور البلاد من أحوال حربية .

وفي هذه العهود من سنة ٩١٤ هـ — ١٥٣٤ م لم يظهر تقدم في هذا العلم لا في إيران ولا في الأقطار الأخرى ، وانما نرى العمل المدرسي أو تكرار ما قيل باختصار أو توسع جزئي أو كلي لبعض المطالب . فيصح أن يقال فيه انه معاودة المعرفة القديمة .

وان هذا العلم في إيران دام ولم ينقطع . وظهر علماء اشتغلوا في خدمته وداموا قوّاماً عليه وان لم يتقدم ، كما هو الشأن أيام المغول أو أيام أولوغ بك . فلا نجد (رصداً) ولا اهتماماً .

ومما يهمُّ ذكره أن شوهد اسطرلاب في خزانة كتب لندن عمل باسم حسين شاه الصفوي وهو جميل للغاية ومتقن . وحسين شاه هذا ولي سنة ١١٠٥ هـ — ١٦٩٤ م ودامت سلطنته الى سنة ١١٣٥ هـ — ١٧٢٢ م . وفي هذه الحالة لم ينقطع عمل الاسطرلاب في اتقانه الى أيام حكمه .

وفي عهد الصفويين الى آخر أيام نادر شاه ظهرت مؤلفات برعاية الدولة تارةً وبدون رعاية تارةً أخرى .

وكان التأليف باللغتين العربية والايرانية . وانتشرت مؤلفاتها . ولم نجد من كتب في الفلك فغير المجرى المألوف لنعرف مقدار توغل هذا العلم في أوساطهم .

وممن اشتهر في ايران بالفلك :

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

— ٣ —

العهد الايراني والفلك

من سنة ٩١٤ هـ — ١٥٠٨ م الى سنة ١١٦٠ هـ — ١٧٤٧ م

دخل الايرانيون بغداد في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٩١٤ هـ — ١٥٠٨ م ودام حكمهم الى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م وبعدها وبسبب المجاورة وزيارة العتبات أو الاقامة فيها ، لم تنقطع ثقافتهم عنا ولا تأثير ثقافتنا عليهم . اتصلوا بحروب عديدة معنا . وكذلك رعوا التجارة كثيراً . والعراق طريق الحج . والجاليات الايرانية كثيرة . وبعضها تمكن في بلادنا ، والزيارات للعتبات متوالية .

كل هذه الصلات مكنت الثقافة ووثقتها . ولا تزال كتب الطوسي في الفلك معروفة وكذا مؤلفات قطب الدين الشيرازي وآخرون نرى مؤلفاتهم متناقلة لتقوية المعرفة . والمؤلفات الجديدة الخاصة بهذا العهد قد انتشرت وشاعت مثل (حاشية مير أبو الفتح) على شرح أشكال التأسيس لقاضي زاده كما شاعت مؤلفاته في آداب البحث . وتوفي سنة ٩٧٦ هـ — ١٥٦٨ م .

وانتشرت مؤلفات ايرانية أخرى من أهمها (تشريح الأفلاك) للبهاء العاملي المتوفى في ١٢ شوال سنة ١٠٣١ هـ — ١٦٢٢ م ، والصفيحة في الاصطرلاب

٢) كتاب تنبيهات المنجمين . فارسي ألفه سنة ١٠٣١ هـ وكان قد مضت عليه ٢٥ سنة وهو في بلاط الشاه ، وطبع في طهران سنة ١٢٨٤ هـ على الحجر .

٣) مقياس البلدان . في جداول الطول والعرض للأقاليم والبلدان ، واستخراج خط نصف النهار وسمت القبلة .

٤ — الخلخالي :

هو حسين الحسيني الخلخالي من تلامذة ميرزا جان الشيرازي . وله رسالة في معرفة أوقات الصلاة وسمت القبلة . أولها : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد سيد الأولين والآخرين ... بين فيها أوقات الصلاة . استند الى ما جاء في (شرح الوقاية) لصدر الشريعة من فقهاء الحنفية . شرح ذلك شرحاً وافياً واعتمد قواعد علم الفلك واستعان بالاسطرلاب ... وفصل البحث .

أتمّ تأليفها في غرة شعبان سنة ١٠٠٦ هـ — ١٥٩٨ م . وعندي مخطوطتها .

وله (تشريح فلك الخلخالي) . منه نسخة في خزانة برلين ومنها : رسالة دائرة الهندية . عندي نسختها . وهي من نوع سمت القبلة .

وتوفي سنة ١٠١٤ هـ وله مؤلفات عديدة بالفارسية والعربية[١] .

٥ — البهاء العاملي :

من جبل عامل في الشام . وهو بهاء الدين بن الحسين بن عبد الصمد العاملي المعروف بـ (البهاء) . من علماء الشيعة في ايران . ولد في ١٣ ذي الحجة سنة ٩٥٣ هـ في بعلبك . وفي تراث العرب العلمي عدّه من (آمل) وليس بصواب . انتقل والده الى بلاد العجم وهو صغير ، فاشتهر ، وكانت وفاته في ١٢ شوال سنة ١٠٣١ هـ — ١٦٢٢ م وهو الصواب . نال مكانة مقبولة في إيران واشتهر بالعلم . ومؤلفاته كثيرة . ويهمنا ما يتعلق بالهيئة منها . وغالبها مدرسية . راجت كثيراً . وهي متأثرة بالخواجة الطوسي[٢] .

---

(١) « پارس » لسنة ١٢٦٩ هـ — ١٣٢٩ — ش ص ١٤ .

(٢) ترجمته في الفوائد الرضوية ج ٢ ص ٥٠٢ — ٥٢٠ ، وفي خلاصة الأثر ، وفي السلافة ، وفي تراث العرب العلمي ص ٢٤٤ .

١ — البرجندي (البيرجندي) :

من علماء الفلك في القرن العاشر . ذاعت مؤلفاته في إيران وبلاد الترك العثمانيين . وهو عبد العلي بن محمد بن حسين البرجندي الحنفي . ومن مؤلفاته :

١) شرح التذكرة في الهيئة . للخواجة الطوسي . وفي هذا الشرح دفع بعض الاعتراضات الموجهة على الريحاني في كتاب التفهيم . وأزال ما اعترض به أبو الحامد في كفاية التعليم .

٢) شرح بيست باب . وهو أصل ولم يكن شرح كتاب الطوسي . شرحه ملا مظفر الجنابذي (گنابادي) وطبع في ايران .

٣) شرح تحرير المجسطي .

٤) شرح الزيج الجديد السلطاني . شرح به زيج أولوغ بك . ألفه سنة ٩٢٩ هـ .

٥) حاشية على شرح قاضي زاده على ملخص الچغميني .

٢ — مير أبو الفتح :

هو تاج الدين محمد بن سعيد الحسيني السعيدي الأردبيلي المعروف بـ (مير أبو الفتح) من تلامذة المولى عصام الدين المتوفى سنة ٩٤٣ هـ - ١٥٣٦ م . حصل العلم في ماوراء النهر . وله مؤلفات عديدة منها حاشية على آداب البحث وحواش أخرى عديدة . وفي الفلك :

١) حاشية على قاضي زاده في شرح أشكال التأسيس . وهي من كتب الدرس . توفي باردبيل سنة ٩٧٦ هـ — ١٥٦٨ م ودفن هناك [1] .

٣ — ملا مظفر الجنابذي (گنابادي) :

هو ملا مظفر بن محمد قاسم المنجم . وكان أبوه من المنجمين في بلاط الشاه عباس الكبير ، لازم ركابه . ومن مؤلفاته :

١) شرح بيست باب . للبرجندي . وطبع هذ الشرح في ايران سنة ١٢٧٦ هـ .

---

(١) أحسن التواريخ نقلاً عن دانشمندان أذربيجان . وفي كشف الظنون انه توفي سنة ٩٥٠ هـ والصواب ما ذكرنا .

ونظم خلاصة الحساب عز الدين محمد الحسني سنة ١١١٨ ﻫ وسماه (نظم الحساب) وأوله :

الحمـد لله القديم الواحد   حمداً يشق قلب كل حاسد

وقال الناظم في تاريخ النظم سنة ١١١٨ ﻫ :

بلطف هادي الوري   شرحت نظم الحساب

ومستأرخ قال ما اسم الكتاب   قلت له هاك نظم الحساب

١١١٨

وشرح هذا النظم (محسن بن محمد طاهر) وكان معاصراً للناظم شرحه في أوائل جمادى الأولى سنة ١١٢٨ ﻫ كما صرح بذلك . وأوله : الحمد لله الأحد الذي قسم بين عباده ضروب نعمائه .. وسمى هذا الشرح (رشح السحاب في شرح نظم الحساب) ومن هذا الشرح نسخة في خزانة الآثار ببغداد . وأعتقد أنها النسخة الأصلية .

٣ — بحر الحساب . لم يشتهر اشتهار سابقه . وهذا الكتاب ورد في كتاب الذريعة .

٤ — تشريح الأفلاك . أوله : ربنا ما خلقت هذا باطلاً ... وهو كتاب مدرسي شائع منتشر . عندي جملة نسخ مخطوطة منه . ولعلمائنا اشتغال عليه بالشرح والتعليق . حل محل الملخص والتذكرة نوعاً وربما تغلب عليها وعلى الفتحية والزبدة .

وعليه حاشية صدر الدين محمد بن الصادق الحسيني سماها (تفريح الادراك في توضيح تشريح الأفلاك) . منها نسخة في خزانة برلين ج ٥ ص ١٧٧ .

وعليه شروح :

١) التصريح على التشريح . لإمام الدين لطف الله اللاهوري ثم الدهلوي . ألفه سنة ١١٠٣ ﻫ — ١٦٩٢ م . طبع في دهلي سنة ١٣١١ ﻫ .

ومن مؤلفاته :

١ — رسالة تحقيق جهة القبلة : كتبها باللغة العربية . أولها : أما بعد الحمد والصلاة فيقول ... وعندي مخطوطتها موضحة بأشكال فلكية . كتبت في أواخر رجب سنة ١١٧٨ هـ .

٢ — خلاصة الحساب . أوله : سبحان من لا يحيط بجميع نعمه عدد ... قدمه الى أبي غالب السلطان حمزة بهادرخان .

وعليه حاشية للمائي الجلي وهو عمر بن احمد . ويعرف بابن المائي وابن الجلي أولها : يامن عجز عن جميع تضاعف نعمه أقلام أفهام العقلاء ... عندي نسختان منه .

ومن شروحها :

١) حلّ الخلاصة لأهل الرياسة . لرمضان أفندي ابن أبي هريرة الجزري القادري أولها : أحمدك يا من أعداد نعمه لا تحصى ... عندي نسخة بخط سليمان السويدي بتاريخ ٧ جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥ هـ وأخرى قال في آخرها على يد مؤلفها ... برقم ٢٣٧ .

٢) تحفة الطلاب في حلّ خلاصة الحساب لعبد الرحمن بن عبد الله الجلي [١] المشهور بـ (كاك جلي) ابن محمد بن ابراهيم بن حسن . أولها : الحمد لله الذي لا يحصى عدد نعمه ... منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة من كتب الأستاذ السيد نعمان خير الدين الآلوسي . وسماه (تحفة الطلاب في حل خلاصة الحساب) . كتبه سنة ١١٨٦ هـ .

٣) شرح خلاصة الحساب . للطف الله المهندس ابن الأستاذ أحمد المعمار . أولها : الحمد لله الواحد الفرد الصمد الخ .

٤) شرح خلاصة الحساب بالفارسية . سماه (موضع الخلاصة) . وذكر أنه من تلامذة المؤلف . أوله : الحمد لله رب العالمين ...

---

(١) النسبة الى قرية (جِلْ) من كوي سنجق وهو والد الملا عبد الله الجلي ، وحفيده الملا محمد الجلي وتوفي نحو سنة ١٣٦٥ هـ . والجل لفظة مستعملة عندنا ، وتعني أن هذه القرية يوجد فيها الجل فسميت بهذا الاسم .

اسطرلاب الخ . كتب سنة ١٠٠٤ هـ وهذه النسخة مؤرخة سنة ١١٠٧ هـ .

٧ — رسالة في نسبة أعظم الجبال الى قطر الأرض .

٨ — رسالة في أن أنوار سائر الكواكب مستفادة من الشمس .

٩ — رسالة في حلّ اشكالي عطارد والقمر .

١٠ — حواش على الزبدة . للخواجة الطوسي .

١١ — حواش على تشريح الأفلاك .

١٢ — حواش على التذكرة . للخواجة الطوسي .

ذكرنا مؤلفاته وما جرى عليها من شروح وتعليقات لنعلم درجة صلته بعلمائنا فلم نر من اكتسب مكانته في الأوساط العلمية في أقطار عديدة .

٦ — محمد مؤمن السمناني :

وله رسالة في (مسائل حسابية) فرغ من تسويدها ليلة الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٠٤٧ هـ وذكر أنه (محمد مؤمن بن محب علي الصحاف السمناني) .

قال في مقدمتها : « سألني بعض الأصدقاء أن أكتب لهم مسائل حسابية في معرفة مايحتاج اليه المحاسب في بعض أعماله ويعينه على استخراج المجهولات العددية بطريق الجبر والمقابلة فكتبت هذه الرسالة ... » اهـ .

٧ — محمد باقر بن زين العابدين اليزدي :

مرّ أنه كتب حاشية على اكرماناولاوس عند الكلام على الخواجة الطوسي ، وعلّق على رسائل أخرى للطوسي . وله أيضاً :

١ — عيون الحساب . أوله : الحمد لله على ماأولانا من ضروب نعمه المتضاعفة الخ . ومنه نسخة في المجلس .

وكان هذا الأستاذ حياً سنة ١٠٤٧ هـ وكان من مشاهير الرياضيين أيام عباس الثاني شاه ايران .

٨ — ملا محسن الفيض :

هو محمد بن مرتضى ويعرف بـ (محسن الفيض) الكاشاني من تلاميذ الشيخ

٢) شرح تشريح الأفلاك . للسيد عبد الله الفخري الموصلي كاتب ديوان الانشاء ببغداد المتوفى سنة ١١٨٨ هـ . منه نسخة في خزانة الأوقاف العامة من كتب السيد نعمان خير الدين الألوسي .

وعلى هذا الشرح حاشية للشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله السويدي المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ . أولها : سبحانك ما أجل صفاتك ... وأطرى فيها السيد عبد الله الفخري . والظاهر أنها بخطه . لأنها في حالة مسودة . منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة بين كتب الألوسي .

٥ — الصفيحة في الاسطرلاب . أولها : ارتفعت درجات جبروتك ... منه نسخة نقلت من خط مؤلفها . في خزانة دار الآثار ببغداد وعندي نسخة كتبت سنة ١١٠٦ هـ . وعليها :

١) سوانح القريحة في شرح الصفيحة ، للسيد عبد الله الفخري المذكور منها نسخة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد بخط الأستاذ أبي الثناء وأخرى أيضاً .

٢) رسالة في كيفية العمل بالصفيحة . له في الخزانة المذكورة .

٣) نفس الصفيحة : وهو شرح عليها . تأليف أحمد بن محمد بن خضر البغدادي . قدمه الى الوزير داود باشا . بخط مؤلفه كتب سنة ١٢٣٨ هـ . منه نسخة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد بين كتب الأستاذ السيد نعمان خير الدين الألوسي .

٦ — رسالة في الاسطرلاب . فارسية . وهذه مختصرة من (بيست باب) للخواجة الطوسي . نقلها الداغستاني الدمشقي الى العربية . ولم يصرح بالنقل كما أن البهاء لم يذكر اختصاره من الخواجة . ولعل الرسالة الفارسية المسماة بـ (تحفة حاتمي) كتبها لميرزا حاتم بك اعتماد الدولة الأوردباري وزير الشاه عباس الأول المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ وتشتمل على ٧٠ باباً . وأولها :

وبعد چون درين وقت الخ . منها نسخة في خزانة المجلس .

وعندي مختصر في الاسطرلاب فارسي . أوله : باب أول دربيان حد

١٠ – أحمد بن محمد المهدي :

هو الشريف الخاتون آبادي وله :

١ – رسالة في التقويم . أولها : أحمدك يا من الشمس والقمر ...

ألفها أثناء سفره وحين زيارته مشهد الامام الحسين في كربلاء . فرغ منه في أواخر ربيع الأول سنة ١١٢٦ هـ . عندي مخطوطة منه كتبت في المحرم سنة ١٢٩ هـ .

وهذه المؤلفات صفحة كاشفة عن حالة علم الفلك وعلمائه في إيران حتى وفاة نادر شاه سنة ١١٦٠ هـ . وكلّ ما علمناه مدرسي أو مطروق من آخرين . والتبدل جزئي لم يغير في ماهية العلوم . والرصد وقف عند أولوغ بك بل وقف أو جمد في إيران ، ولم يتكون رصد في هذه الديار ، لنتحقق مقدار التقدم والاصلاح في الأزياج .

والملحوظ أن أرصاد الهند كانت عمدة ايران . وعليها يعول الايرانيون . مرّ بنا ذكرها في أخلاق أولوغ بك عند ذكر (زيجه) . ولم ينقطع علماء ايران من العلاقة بها . وتوجه اتصالنا بالترك العثمانيين أكثر .

هذا . في حين أننا نرى الغرب قطع شوطاً في علم البحار والعلوم الفلكية ، واتخذ أرصاداً عديدة ومتقنة لتحقيق ما حدث من تحول أو تبدل سواء في الآلات أو في الطريقة الرياضية التي سلكوها . فكان ذلك نتيجة الدوام في خدمة هذا العلم من جراء علاقته في الحياة ...

(بغداد) عباس العزاوي

يتبع :

البهائي والملا صدرا غلب عليه الغلو في تصوفه بما أخذ من الملا صدرا ، وتأثر بذلك كثيراً ... وله من المؤلفات في التنجيم .

١ — غنية الأنام في معرفة الساعات والايام . وهذه الرسالة في تعيين الأيام والأوقات وساعات السعد والنحس وما ورد عن الأئمة من أخبار في ذلك . كتبها باللغة العربية . رتبها على مقدمة ومقالتين وخاتمة . أتم تأليفها في أوائل ذي القعدة سنة ١٠٢٥ هـ . وأولها : الحمد لله الذي كوّر الليل على النهار وكوّر النهار على الليل ... منها نسخة في خزانة المشهد الرضوي [١] .

٢ — تقويم المحسنين . ويحوي ما ورد عن الأئمة من المأثورات في أوقات السعد والنحس . وهذه الرسالة تشتمل على مقدمة وفصل وخاتمة وتكملة ونصيحة . سماها (أحسن التقويم) أيضاً . طبعت في بومبي في مطبعة الاسلام في شعبان سنة ١٣٠٢هـ [٢] .

٣ — معيار الساعات . وهذا قريب من الغنية الا أنه فارسي [٣] .

توفي سنة ١٠٩١ هـ — ١٦٨٠ م [٤] .

٩ — رضي الدين القزويني :

هو رضي الدين محمد بن الحسن القزويني . وترجمته في الفوائد الرضوية . قال : عالم جليل ، وفاضل نبيل ، ومتكلم ماهر ... وعدّ له مؤلفات كثيرة وفي الفلك منها :

١ — قبلة الآفاق [٥] . بالفارسية . كتبه في ١٩ ذي القعدة سنة ١٠٩٤ هـ . أوله : اللهم كما وليت نبيك قبلةً يرضاها أنزل عليه وآله من الصلوات أزكاها ... ينقل أقوال الفقهاء ، ويورد نصوصاً من رسالة (تحقيق جهة القبلة) للشيخ البهاء العاملي .

---

(١) المشهد الرضوي ج ٥ ص ١٢٥ .
(٢) كذا الرضوي ج ٥ ص ٢٥١ .
(٣) الفوائد الرضوية ج ٢ ص ٦٣٦ .
(٤) ترجمته في الفوائد الرضوية وفي فهرس الخزانة الرضوية في المجلد الرابع وكتب عديدة .
(٥) الفوائد الرضوية ج ٢ ص ٤٦٤ . وروضات الجنّات .

ريب ان اللاحق يرجع بتاريخه الى السابق بحكم المشابهة الخطية بينهما — وعند جهينة الخبر اليقين .

استغرق الشرح نحو ٢٢ ورقة في المجموع ، يبتدئ من ورقة ٨٨ ب الى ورقة ١١٠ ب ، والمقاس للخط «٧ ½ × ٤ ½» وفي كل صفحة ٢٣ سطراً ، إلا أن الأولة والأخيرة ففيهما ٢١ و ١٦ سطراً على الترتيب .

وها أنذا أقدم نسخة الشرح من المجموع للقراء والباحثين واثقاً انها أهم ما احتوى عليه المجموع . واشتدت بها عنايتي باعتبارين . أولاً : إنها منسوبة للشيخ الرئيس . وجلّ ما كنا نعرف عن الشيخ أنه كتب نفس القصة فقط ، ثم إن تلميذه الحكيم ابن زيله[1] شرحها في تأليف معروف ، وكذا عمل لها الفقيه أبو عبيد الجوزجاني[2] شرحاً آخر ، وما سبق لنا علم بأن الشيخ نفسه

---

(١) كنيته ابو منصور واسمه الحسين بن طاهر بن زيلة (تتمة صوان الحكمة ص ٩٢ ، ودرة الأخبار ، طبع طهران ص ٥٨ بحوالة تاريخ علوم عقلي در تمدن اسلامي تا أواسط قرن بنجم ، ج ١ ، تأليف الدكتور ذبيح الله صفا ، طبع طهران ١٣٣١) . أو حسين بن محمد بن عمر بن زيلة (أول رسالة الكافي في الموسيقى الموجودة في المتحف البريطاني ، راجع جهار مقاله ص ٢٥٣ ، كشف الظنون ، طبع المانيا ج ٣ ، عدد ٦١٥ ، ص ٣٩٣) . الاصفهاني ، وكان ابن سينا يخاطبه بـ « الشيخ الفاضل » في رسالته : «فأما كتاب الاشارات والتنبيهات فان النسخة لاتخرج منها إلا مشافهة مواجهة..... فانه لا يمكن أن يطلع عليها إلا هو والشيخ الفاضل ابو منصور بن زيلة » ، أرسطو عند العرب ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) اسمه عبد الواحد كان في الخواص من تلاميذ الشيخ ابن سينا ، شديد الملازمة له ، مع ذلك عابوه بقلة البضاعة . ولم نقف عن نسخة شرحه على خبر يذكر غير ما ورد في كتب التراجم ، راجع تتمة صوان الحكمة ص ٩٤ رقم ٥١ وترجمة التتمة بالفارسية ص ٦٧ رقم ٤٩ ، وترجمة كتاب النزهة للشهرزوري بالفارسية (الورقة الـ ١٨٧ الف ، نسخة المجمع الاسيوي كلكتا ، عدد ٢٧٤ ، كتبت في سنة ١٠٣٣ هـ ، وقد عملها مقصود على التبريزي برسم السلطان جهانكيرپادشاه في سنة ١٠١٤ هـ . وانظر ما كتب عن القزويني في حواشي جهار مقالة ، طبعة تذكار غب (محفوظ المعصومي) . راجع أيضاً ، تاريخ علوم عقلي در تمدن اسلامي تا أواسط قرن بنجم ، تأليف الدكتور ذبيح الله صفا ، ص ٢٨٩ .

رسالة حي بن يقظان

مع شرحها لابن سينا

تمهيد :

بين النوادر التي اتفق لي الوقوف عليها في رحلتي الى اكسفورد ، مجموع في مكتبة بودليانا (عدد ٥٣٤ هنت) يحتوي على بعض كتب ورسائل فلسفية ، منها كتاب النجاة للفيلسوف العظيم أبي علي بن سينا (المتوفى سنة ٣٧٠ هـ — ٩٨٠ م) ، وهو أقدم وأجمل خطاً كُتب في مستهلّ ذي الحجة سنة ست وستين وأربعمائة [1] ، ومنهــا كتاب المباحثات له [2] ، ويتلوه شرح رسالة حي بن يقظان منسوباً الى الشيخ أيضاً ، وهما بخطِ نسخي عتيق ، لا يختلفان فيما بينهما في شيء من مشاقة الخط وطراوة المداد ، حتى كأنهما رضيعا لبان وأثرا قلم وبنان . وانما يخلوان من كل نقط وشكل إلاّ في مواضع يسيرة لا يعتدّ بها . وقد كُتبت نسخة المباحثات في سنة أربع وثلاثين وستمائة [3] . أما الشرح لحيّ بن يقظان فبقي كالخلو العاطل ولكن مما لا يتطرق اليه أدنى

---

(١) مخطوط بودليانا ، عدد ٥٣٤ هنت (Ms Hunt) ، الورقة ٢٥٦ ب : « تمت الالهيات من كتاب النجاة من كلام الامام الأوحد أبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا رضي الله عنه ، وفرغ من نسخه نصر بن منصور بن عدنان ... عشية ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من مستهل ذي الحجة سنة ست وستين وأربع مائة ، وهو يسأل الله تعالى أحسن التوفيق والعاقبة في الدنيا والآخرة بمنه وطوله انشاء الله وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

(٢) نصّ المباحثات في هذا المجموع أطول وأكمل من النسخة التي نشرها الدكتور عبد الرحمن بدوي في مجموعة « أرسطو عند العرب » (ص ١١٩ — ٢٤٩) ، قاهرة ١٩٤٧ م .

(٣) جاء في الورقة ٨٧ الف من المخطوط هكذا : « تم للمباحثات بحمد الله تعالى وحسن توفيقه في شهور ذي الحجة سنة أربع (المخطوط : اربعة) وثلاثين وست مائة » .

أما رسالة حيّ بن يقظان فقد طبعت في مصر مراراً ، وقد نشرها محيي الدين صبري مع شرح مختار في مجموعة « جامع البدائع » (ص ٩١ — ١١٣) ١٩١٧ . وتقدّمه ميخائيل بن يحيى المهرني بنشر الرسالة من باريس مع درسها التحليلي باللغة الفرنسية وتفسيرها المسمى بـ « شرح مختار » تحت عنوان : Traités mystiques d'Abu Ali al Hossain ben Abdallah ben Sina ou d'Avicenne. لائيدن ، ١٨٨٩ م . ولا فرق بين هاتين النسختين المطبوعتين ، والشرح غير معزوّ في كلتيهما . ولعل المهرني لم ينسب الشرح لابن زيله مع أنه منسوب له في نسخة المتحف البريطاني [1] لأنه وجد الشرح منسوباً لابن سينا في نسخة بودليانا ، فرأى الاحتياط في عدم نسبة الشرح الى ابن زيلة .

وقد ظفرتُ بمخطوط ثالث لشرح حي بن يقظان ، وهو شرح مختصر منسوب لابن زيلة ، عنوانه هكذا « مختصر في تفسير معاني رسالة حي بن يقظان من تعليق ابن زيلة صاحب شرح الشفاء » . راجع ضميمة فهرس المخطوطات الفارسية بمكتبة المجمع الآسيوي ، بنغاله ، كلكتا ، ج ١ و ٢ ص ٨٧ عدد ٨٧٥ (٣) [2] . وعند المعارضة ظهر لي أن هذا الشرح المختصر وأيضاً الشرح المطبوع في الأصل ملتقطان من شرح طويل ، فنصّ الشرح المختصر ، وإن كان مختلفاً من الشرح المطبوع بيسير ، موجود كاملاً في مخطوط بودليانا ، كما أن نص الشرح المطبوع أيضاً موجود مندمج كاملاً في مخطوط بودليانا . ولا بدع إن كان ابن زيلة اختصر شرح الشيخ بمعنى أنه حذف التفاصيل والأمثلة واقتبس العبارات الضرورية للشيخ فأثبتها في تأليفه ولم يغيرها . فقد كان اختصر هكذا قسم الطبيعيات من كتاب الشفاء أيضاً ، وهكذا اختصر الشيخ نفسه كتاب النجاة من كتاب الشفاء .

---

(١) راجع فهرس المخطوطات بالمتحف البريطاني :
Cata. Cod. Mss Or. Mus. Br. Vol. ii p. 448 , No. 978 po 16 sq.

(٢) والشرح في المجموع من ورقة ٩٠ ب – ورقة ٩٣ . راجع :
Catalogue of Persian Mss in the Asiatic Society of Bengal, Supplement I. II p. 87, No. 875 (3).

عني بتفسير قصة حيّ بن يقظان — وثانياً : بما أني وجدت النسخة أحفل وأشمل بالنسبة الى الشرح المعروف المطبوع .

نعم قد خلت قائمة الكتب المنسوبة الى ابن سينا عن شرحه لرسالة حي بن يقظان فلم يذكره واحد من أصحاب التراجم كالبيهقي (م ٥٦٥ — ١١٦٩ م) والقفطي (م ٦٤٦ — ١٢٤٨) وابن خلكان (م ٦٨٠ — ١٢٨٢) وأمثالهم ولا ذكره طاش كبرى زاده (م ٩٦٨ هـ) ولا الحاج خليفة (م ١٠١٧ — ١٦٠٩) [1] . غير أنني لا أتردد في القول بأن النسخة السابق ذكرها هي تأليف الشيخ الرئيس ، ولا عجب ان كان الزمان سحب عليه ذيل النسيان — وعندي على ذلك ما جاء في أوّل النسخة الخطية نصاً :

« قال الشيخ الرئيس الأوحد الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، قدس الله لطيفه ولقّاه احسانه » .

ويليه في سطر قوله :

« وبعد فان إصراركم معشر إخواني : على اقتضائي شرح قصة حي بن يقظان هزم لجاجي في الامتناع وحلّ عقد عزمي في المماطلة والدفاع ، فانقدت لمساعدتكم وبالله التوفيق » .

وقد جاء هذا الخطاب الآنف على بُعد عن نص القصة فان القصة تبتدئ بقوله :

« إنه قد تيسرت لي حين مقامي ببلادي برزة برفقائي إلى بعض المنتزهات المكتنفة لتلك البقعة » .

وأضف الى ذلك أن عبارات المتن (القصة) كتبها الناسخ في سطور قصيرة بالنسبة الى عبارة الخطاب السابقة الواضحة الدلالة بطرازها وأسلوبها على أنها لا بد أن تكون من الشرح ولا تكاد تندمج في عبارات المتن ، مع أن المتن في كل من نسختي المتحف البريطاني وخزانة لائيدن يبتدئ بها .

(١) تتمة صوان الحكمة ، طبعة محمد شفيع ص ٤٧ . أخبار الحكماء ، ليبسك ، ص ٤١٨ و ٤٢١ . وفيات ج ١ ص ٤٢٢ ، طبع مصر . مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٤٣ — ٢٤٥ ، طبعة حيدر اباد — الهند . كشف الظنون ج ٣ ص ٣٩٣ .

فكأن الشيخ قسم الملائكة بين السمائية - أي النفوس التي تسبح بكرةً وعشياً -
والأرضية أي النفوس البشرية .

وبمناسبة المقام نقص عليكم ملخص ما تحتويه الرسالة :

«الراوي يخرج مرةً الى منتزهٍ قريب مع رفقائه . فصادف هؤلاء النفر شيخاً في زيّ الشباب ، فالتفتوا اليه وبدأوه بالتحية . ثم سألوه عن اسمه . فقال الشيخ : اسمه حيّ بن يقظان ، وقد شرح ابن سينا ما كنى عنه بهذا الاسم فقال : «حيّ ، أراد به ما جبل عليه من العقلية المجردة وصدور ما بعده عنه ، إذ كان معنى الحيّ ما يتعلق بالحس والحركة ، فجعل الحس مشاراً به الى العقلية وجعل الحركة مشاراً بها الى وجود ما بعدها عنه» .

«وابن يقظان ، دلّ بقوله على أن وجوده ليس هو بذاته بل من غيره ، إذ كان وجود الابن بوجهٍ ما عن الأب . وإن ذلك الغير الذي وجوده عنه هو أجلّ حالاً منه . إذ كان أجلّ أحوال الحي أن يكون يقظاناً . إذ الحي يحتمل أن يكون نائماً وأن يكون يقظاناً . وحال اليقظة منه أجلّ من حال النوم ، إذ النوم أشبه بالقوة ، واليقظة أشبه بالفعل . فدلّ بذلك على أنه كامل على الاطلاق لا يشوبه ما بالقوة بوجه من الوجوه» .

«وكذلك سألوه عن أحواله فقال : هو مشغوف بسياحة الأقاليم وتطواف الأرضين لتحصيل العلم ، ووجهه الى أبيه الذي هو حيّ ، سبحان من لا ينام ! ثم خاضوا معه في العلوم وسألوه عن علم الفراسة (وجاء في الشرح : أي علم المنطق ، وسماه علم الفراسة إذ كانت هي معرفة الأمر الخفي الغير المعلوم من أحوال الشيء بتوسط أشياء ظاهرة من أحواله ، كذلك علم المنطق يتوصّل به من أشياء ظاهرة هي المقدمات الى أشياء خفية هي المطلوبات والنتائج) .

فتعجب الراوي من إصابته فيما أجاب ، ثم جعل الشيخ يصف لهم - مثل

وأما نسبة الشرح الى الشيخ الرئيس فانه جاء في أوّل المجموع المحفوظ في بودليانا ، ثبت المحتويات بخط حسن قديم يختلف من خط الرسائل ، وقد ورد في هذا الثبت ما يلي :

« رسالة حي بن يقظان مع شرحها له (لابن سينا) أيضاً » (ورقة ١ الف)

ثمّ جاء في الورقة الثانية منه بخط « التعليق » ما لفظه :

« وفيه رسالة حي بن يقظان مع شرحها كلاهما لابن سينا »

فلا يبقى مجال للشك في أن الشرح السابق ذكره تأليف للشيخ الرئيس نفسه .

* * *

كتب ابن سينا قصة حيّ بن يقظان في قلعة نردوان (فردجان) قرب همذان ، وقد حبسه بها تاج الملوك ، حاكم همذان ، وكان اتهم الشيخ بمكاتبته علاء الدولة ، حاكم اصفهان سراً [1] . وقد حازت هذه القصة ـ مع قصرها ـ أهمية كبرى في تاريخ الفلسفة في الإسلام . فانها أول قصة أنشئت في الاسلام لإيضاح المطالب الفلسفية . وقد أثبت الشيخ فيها ، كما أثبت في رسالة الطير له أن الأرواح الانسانية لها علاقة خاصة مع العقل الفعال ، ثم بواسطته مع الحضرة الألوهية . والعقل الفعال هو الروح القدس في فلسفة الفارابي وابن سينا وابن باجّة وغيرهم من سائر الفلاسفة المسلمين [2] .

بناءً على هذه الفكرة ذهب ابن سينا الى أن العقل الانساني له أن يصل الى حضرة الحق ، فالعقل موهبة من الله تعالى قد أفيضت على الأرواح الانسانية . وقال في تفسيره « للملائكة الأرضية » ما نصه : « ونعني بالملائكة كل جوهر عقلي مدرك للعقول ، والملائكة الأرضية هي النفوس الناطقة العاقلة البشرية »

---

(١) البيهقي : تتمة صوان الحكمة ، ص ٥٠ . ابن ابي أصيبعة : طبقات ج ٢ ص ١٩ . القفطي : ليبسك ص ٤٢١ .

(٢) السياسة المدنية ص ٣ . قسم النفس من كتاب النجاة ، ترجمة الدكتور فضل الرحمن ، ص ٢٦ بالانكليزية . ابن باجة : مخطوط بودليانا ، بوكك (Pocock) ٢٠٦ عدد ، ورقة ١٣٦ ب . عن نص الشرح ص ٢٣ .

« سألتَ أيها الأخ الكريم ! ... أن أبثَّ اليك ما أمكنني بثه من أسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ ابو علي بن سينا ... »

وليست هذه الكلمات من ابن الطفيل إلاّ شدواً بذكر الشيخ واعترافاً بعلو منزلته .

وكان ممن لهج بطريقة الشيخ الرئيس ، شهاب الدين السهروردي الشهير بالشيخ القتيل [1] وله تآليف كثيرة ما عدا حكمة الإشراق ، منها رسالة باسم حيّ بن يقظان له أيضاً .

والرسائل الثلاث المعلومة باسم حيّ بن يقظان قد نشر الأستاذ أحمد أمين مجموعها بمناسبة المهرجان الألفي لابن سينا .

وكانت رسالة حي بن يقظان لابن سينا من النصوص المختارة عند المتصوّفين أيضاً . فقد اعتنى بتفسيرها الشيخ المقدسي أبو البقاء ، وسمى هذا التفسير بجواهر البيان وجواهر التبيان [2] . وكذا شرحها عبد الرؤوف المناوي الشافعي [3] .

وقد كانت رسالة ابن سينا ذائعـة الصيت بين الفلاسفة العبرانيين أيضاً ، ولها أثر واضح على أدب اللغة العبرية كما نشاهد ذلك في منظومة « حي بن مقيظ » (Khay b. Maqiz) لابن عزرا [4] اليهودي (م ١١٨٤ م) . وكانوا ترجموا

---

(١) نبذة من أحواله في ملحقات تتمة البيهقي (الترجمة الفارسية ص ١١٩ طبعة الدكتور محمد شفيع) ، وله ترجمة ضافية في كتاب النزهة للشهرزوري (الترجمة الفارسية للتبريزي ، الورقة ٢٢٠ ب – الورقة الـ ٢٣٠) وفيها اسمه « أبو الفتوح يحي بن امركا » وفي نسخة من كتاب النزهة « يحي بن أميرك » ، (راجع فهرست اهلوردت عدد ١٠٠٥٥) .

(٢) بروكلمان : Geschichte Der Arabischen Litteratur, Suppl. I P.817.

(٣) الشيخ عبد الرؤوف محمد بن تاج العارفين المناوي ، توفي بالقاهرة سنة ٩٥٢ هـ – ١٠٤٥ م . وله شرح القصيدة النفسية لابن سينا المسمى بنزهة الأطباء « مخطوط بودليانا ، رقم مارش ٣٥ (Bod. MS Marsh 35) » . بروكلمان : Geschichte. Vol. II ص ٣٠٦ .

(٤) راجع : Diwan des Abr. ibn Ezra mit Seiner Allegorie Hai b. Makiz, herasgeg. von Dr. ḡac Egers, Berlin, 1886.

أفلاطون[1] - أحوال الخدم مع المخدوم والرفقة مع الرئيس وكيف ينبغي أن يدبّر أمرهم بتعاملهم على حالة متوسطة بين السلامة والابتلاء .

ثم أخبرهم الشيخ عن كل واحد من الأقاليم ووصف لهم الأقاليم الأرضية المادية والسمائية الروحانية حتى أقاليم الملائكة . ومال الى وصف أبيهم الذي هو أدناهم منزلة من الملك ، وهو العقل الفعال الذي هو المبدع الأول ، ثم وصف الملك الذي هو أبعدهم مذهباً . ولما ذكر الملك توجّه اليه ودعا المخاطب الى الاتباع بقوله : «وإن شئت اتبعتني اليه» ، وهنا انتهت الرواية .

* * *

قد افتتح الشيخ برسالته هذه ، طريقة مبتكرة في تحرير رموز الفلسفة على طراز التمثيل الآخذ بأعماق القلوب ، وقد ازداد المتأخرون شغفاً بهذا المنهاج القصصي حتى نرى بعد ما مضى زهاء قرنٍ ونصف على رسالة الشيخ ، ان ابن الطفيل الأندلسي (م ٥٨١ هـ — ١١٨٥ م) قد أنشأ قصةً بديعةً ، يشرح فيها المسائل الفلسفية على منوال الشيخ الرئيس - ويثبت فيها أن رجلاً عاقلاً يمكن له الاهتداء الى الحق الأوحد الصمد بدون وحيٍ ظاهرٍ يأتيه أو مذهبٍ منزل يؤمن به - وكان ابن الطفيل لم يشارك الشيخ في إنشاء الرسالة فقط بل شاركه أيضاً في اختيار الاسم لرسالته ، فقد سماها بقصة حي بن يقظان ؛ ولما جاءت رسالة ابن الطفيل فوق اختها في سهولة البيان وعذوبة اللسان عَلا قدرها وانتشر ذكرها ، وكأنما هي أبزت برسالة ابن سينا المتقدمة . غير أن ابن الطفيل نفسه يعترف علناً بفضيلة الشيخ حيث يقول في أوّل تأليفه انه تصدى فيه لتفسير المطالب الحكمية التي أودعها الشيخ في رسالته ؛ فها كم نص العبارة للأندلسي[2] :

(١) أفلاطون : فيدروس ،

Phædrus 246 A B, 247 B, 253 C — 254 E, 255 E — 256 A

(٢) راجع رسالة حي بن يقظان ، طبعة غوتييه (L. Gauthier) .

وهي توجد في الطبعتين وفي مخطوط كلكتا أيضاً ، فوضعتها في محلها تعويلاً على النسخ الثلاث .

وكان المخطوط كثير الأغلاط فعنيت باصلاح ما فسد وأفرغتُ الجهد في تصحيح ما تصحّف . وقد أثبتُّ القراءات المتروكة في الهامش ، واخترتُ صورة القوسين المحيطة (...) بعبارات المتن تمييزاً لها عن الشرح ، والألفاظ التي ملأتُ بها الفراغ وضعتها بين العكفين رسمها هكذا < ... > .

جامعة داكة ، الباكستان الشرقية — محمد المدعو بصغير حسن المعصومي

الأستاذ بقسم العلوم العربية والاسلامية

* * *

شرح الرموز

ب : مخطوط شرح حي بن يقظان لابن سينا ، بمكتبة بودليانا ، اكسفورد .

ص : رسالة حي بن يقظان مع شرح مختار ، التي نشرها محيي الدين صبري في مجموع «جامع البدائع» (ص ٩١ — ١١٣) بمصر .

ك : مخطوط الشرح المختصر لابن زيلة ، بمكتبة المجمع الأسيوي بكلكتا .

ل : مخطوط رسالة حي بن يقظان بمكتبة ليدن ، نقلاً عن نسخة المهرني .

م : مخطوط الرسالة وشرحها لابن زيلة بمكتبة المتحف البريطاني .

مه : رسالة حي بن يقظان مع شرح مختار ، التي نشرها المستشرق المهرني بباريس سنة ١٨٨٩ ، وقد عارض نسخته على نسخ ليدن ولندن وبودليانا .

***

الرسالة مع شرحها لابن زيلة باللغة العبرية . وقد نشر البروفيسور دي كافمان هذه الترجمة قديمًا في سنة ١٨٨٦ م من برلين . ولكنها كانت كما يقول المهرني[1]، مشحونة بالأغلاط غير مفيدة في تصحيح وإصلاح النص العربي .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي كتب ابن النفيس المصري (م ٦٨٧ ه) « كتاب فاضل بن ناطق » ، يعارض به رسالة حي بن يقظان للشيخ ، وتصدى ابن النفيس في كتابه للدفاع عن تعاليم الاسلام وعلى الخصوص عن النبوة ، والقوانين الإلهية ، وعن مسائل الحشر وحدوث العالم ، يوجد مخطوط وحيد من كتابه في مكتبة عاشر افندي باستامبول[2] ، (رقم ١ ، ٤٦٦ ، ١) .

* * *

هذا ولم يتفق للمهرني أن يعارض نسخة شرحه المختار على مخطوط بودليانا مباشرةً ، فكلف بذلك أحد أصدقائه باكسفورد ، فلا عجب ان كان مع اطلاعه على هذه النسخة لم ينتبه لأهميتها وبقيت الحقيقة مستورةً عن عيون الباحثين حتى الآن . فلما تبينتُ أنها تشتمل على زيادات غير قليلة وهي أتم نفعًا وأوفى بالمرام معنًى جعلتُ أتفحص عن نسخ أخرى من هذا الشرح فلم أظفر بأية نسخة ما عدا مخطوطٍ من الشرح المختصر لابن زيلة الموجود في كلكتا ، فكلفت بنقله أخي العزيز أبا محفوظ الكريم المعصومي حرسه الله ، فأرسل إليّ بالنقل بعد أن عارضه على الأصل . وقد ساعدني هذا المخطوط (النقل) الى حد كبير في تصحيح نسخة بودليانا ، كما وجدت فيه عبارات كثيرة سقطت من مخطوط لندن ، وقد نبّهت عليها في مواضعها .

وكذلك مخطوط بودليانا سقطت منه عبارة طويلة عن نصّ القصة وشرحها معًا

(١) انظر حي بن يقظان ، طبعة المهرني ، ص ٩ (مقدمة) .

(٢) راجع مجلة (Isis) ، مدير سارتون (Sarton) المجلد الـ ٢٣ ، ص ١٠٨ ، بالتيمور ، اميركا .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

— ٨ —

٢ — المراكشي :

يتكلم المراكشي ـ الذي قال صاحب الكشف في مادة ضياء إنه كان حياً في سنة ٨٣٧ هـ ـ على الإعجاز في كتابه « شرح المصباح » وذكر رأيه السيوطي فقال : « قال المراكشي في شرح المصباح : (الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكير في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها وإلا لكان كل تأليف معجزاً ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام معرب معجزاً ولا مجرّد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً والأسلوب الطريق ولكان هذيان مسيلمة معجزاً ولأن الإعجاز يوجد دونه أي الأسلوب في نحو « فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا » « فاصدع بما تؤمر » ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعرّي وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه في أحوال تركيبه وبها ـ أي بتلك الأحوال ـ أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء فعلى إعجازه دليل إجمالي وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكير في خواص تركيبه ونتيجة العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علماً » .

(ورقة ٨٨ ب) بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الرئيس الأجل الأوحد ، الفيلسوف أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا ، قدّس الله لطيفه ولقّاه إحسانه .

وبعد فإن إصراركم معشر[1] إخواني على اقتضائي شرح قصة حيّ بن يقظان هزم لجاجي في الامتناع ، وحلّ عقد عزمي في المماطلة والدفاع ، فأنقدت لمساعدتكم وبالله التوفيق :

(إنه قد تيسرت لي حين[2] مقامي ببلادي برزةٌ برفقائي الى بعض المتنزهات المكتنفة لتلك البقعة) .

قال المفسر : قوله تيسرت ، دليل على أن الأمور كلها متعلقة بتيسير الله تعالى إياها وإنه مالم يتيسر من الجنبة العالية شيء لم يخرج الى الوجود .

وقوله حين مقامي ببلادي : أي وقت إقامتي ، وبلادُه بدنه وأعضاؤه التي هي محل[3] قواه ، ودلّ بذلك على الوقت الذي كان فيه مباشراً لأحوال البدن ، مقتصراً عليه لم ينبعث[4] فيه إلى ملاحظة الأمور العقلية .

برزة أي نهضة وانبعاث[5] نحو ما يذكره .

وقوله برفقائي ، يريد بهم قواه التي هي له في البدن ، وأراد ههنا ما يحتاج الى الاستعانة به من حملتها[6] خاصة فيما هو بصدده ، وذلك كالتخيل والوهم وما قبلها[7] من القوى المدركة من الحواس الظاهرة والحسّ المشترك .

والمتنزهات هي الأمور < البعيدة >[8] عن الأحوال التي كانت فيها من قبل وهي مع ذلك تستلذّ تأملها والنظر اليها وفيها ، وهي المتعقلات .

المكتنفة لتلك البقعة : أراد قربها مع ذلك لقوة العقل ومتاخمتها إياها إذ المتعقلات مكتنفة بوجه بقوة .

(يتبع)

(١) ل و م : معاشر . (٢) ك : حال . (٣) ك : محال .
(٤) ك : لم ينبعث عنه فيه . (٥) ب : انبعاثا . (٦) م و ص : حملتها .
(٧) في سائر النسخ سوى ك : وما قبلها . (٨) غير موجود في ب فقط .

والعملية بين العرب والقرآن ووصفه الموجز لها ثم يتكلم عن التحدى فيه ما هو أهو الكلام القديم الذي هو صفة الذات ، فيكون العرب قد كلفوا ما لا يطاق وبه وقع عجزهم . ويرد هذا الرأي لأن ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدي به ، أم هو الدال على القديم أي الألفاظ وهو رأي الجمهور الذي يراه السيوطي صواباً ثم يذكر رأي النظام في الصرفة ويرده بما رده به سابقوه من النقد ثم يذكر أقوالاً عدة يقول إنه لا يعتد بها كالقول بأن الكل قادرون على الإتيان بمثله وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به والقول بأن العجز وقع من معاصري النبي وأما من بعدهم ففي قدرتهم الإتيان بمثله . ثم يذكر القول بأن وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الأمور المستقبلة وأن ذلك لم يكن من شأن العرب وقول آخرين بأنه ما تضمنه من الأخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها والقول بأنه ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » « ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله » .

ثم ينتقل الى ذكر خلاصة رأي القاضي أبي بكر الباقلاني في وجه الإعجاز ثم قول الإمام فخر الدين الرازي ثم قول الزملكاني ثم ابن عطية ثم حازم القرطاجني ثم المراكشي ثم الأصبهاني ثم السكاكي ثم رأي بندار الفارسي كما يرويه أبو حيان التوحيدي ثم الخطابي ثم ابن سراقة ثم الزركشي ثم الرماني ثم القاضي عياض ويختم باختلاف العلماء في مقدار المعجز وفي الذين تحداهم القرآن أهم الإنس فقط أم الإنس والجن أم الإنس والجن والملائكة ويذكر قولاً مطولاً للغزالي في معنى قوله تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ، ومنه قول الغزالي بأن القرآن مسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق الى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا الى الدين ثم يذكر السيوطي في آخر فصل الإعجاز ما يبين جمال ألفاظ القرآن فيورد ألفاظاً في القرآن خفيفة على النطق ، موسيقية في

فالمراكشي لا يخرج في رأيه هذا عن رأي صاحب الطراز ويشاركهما في هذا الرأي أكثر المتأخرين إلا أنه يقيد ما يقصده بعلم البيان أكثر من صاحب الطراز فهو يخرج فصاحة الألفاظ هنا من حيّز الإعجاز بينما يثبتها هذا . والذي يهمّه من البيان صحة التأدية والوضوح ومراعاة مقتضى الحال وتحسين الكلام بينما نرى أن مفهوم البلاغة والفصاحة في نظر صاحب الطراز كان أوسع . ونراه ينفي الصرفة التي قال بها الأصبهاني الى جانب البلاغة .

٣ — السيوطي :

يطيل السيوطي الكلام على الإعجاز في كتابه الإتقان (ج ٢ ص ١٩٦ وما بعدها) ويأخذ أقوال من تقدّمه من مصادرها ويضمّ بعضها الى بعض دون أن يتعرّض لها أو لأكثرها بنقدٍ كافٍ فالصرفة إلى جانب القول بالبلاغة إلى جانب القول بالإخبار عن المغيبات ... فلا ندري ما يأخذ به منها وما يدع وكأنه لا يرى ضرورة لأكثر من عرضها .

ونرى له رأياً في الإعجاز يعرضه بتفصيل ويستشهد عليه بالآيات والأحاديث وآثار السلف أثناء كلامه عن العلوم المستنبطة من القرآن وهو أن القرآن مصدر لجميع العلوم : دينية ودنيوية وهنا نراه يتوسع فيما جاء به الغزالي قبله من آراء وأخبار في هذا الشأن وقد رأينا الزركشي يقول بها أيضاً كما رأينا الشاطبي ينكرها أشد الإنكار .

يبدأ السيوطي في الإتقان بنقل كلام ابن العربي في معنى المعجزة والإعجاز ثم كلام العسقلاني (٨٥٢) في كتابه فتح الباري وهو لا يخرج عن كلام ابن العربي الذي رأيناه آنفاً ثم يورد آيات التحدي وترتيبها بحسب النزول . وترتيبه الذي يذكره يوافق التدرج في التحدي من الأكثر الى الأقل ، وقد رأيناه ، ثم يذكر حال قريش وأقوالهم بعد هذا التحدي وحديث الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن ثم قال فيه « إنه سحر يؤثر » ثم رأي الجاحظ في المعركة الكلامية

الحجة على أن الإخبار بالغيب والموافقة لقضية العقل ودقيق المعنى يمكن أن يعبر عنها بلغة القرآن وغيره فليس في ذلك إعجاز ـ « فاللغة العبرية عبرت عن نفس المعاني مثلاً » ـ فيكون رأيه النهائي إذن في المقدمة أن إعجاز القرآن في نظمه وبلاغته قبل ما عداهما وأضعف الآراء عنده الصرفة .

ورأيه فيما عدا الصرفة ينطبق كل الانطباق على رأي الأصبهاني في تفسيره إلا أن الأصبهاني جمع بين الصرفة والقول بالنظم والبلاغة وهما نقيضان وقد سلم قول الألوسي من تناقضهما .

وفيما عدا المقدمة يتكلم الألوسي على أمور تتعلق بالإعجاز عند تفسيره آيات التحدي فيقول في تفسير آية « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » في سورة الطور إن قريشاً كانت تدعى أهل الأحلام ويقرّ لها بالفضل في العقل ويورد قول الجاحظ في هذا وهو يرفض هذه الميزة لقريش لأنهم في ردّهم على النبي وقعوا في التناقض فقالوا كاهن وشاعر وذلك منه يتطلب العقل وقالوا مجنون وهو قول يناقض الأول ويذكر في تفسير آية : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن الخ » في سورة الإسراء أن تحدي القرآن لم إنما جاء لأنهم ادّعوا أن في استطاعتهم أن يأتوا بمثل ما جاء به النبي ولأنهم طلبوا منه معجزات حسية كمعجزات غيره من الأنبياء ثم يقول إن التحدي بعشر سور وقع قبل التحدّي بسورة وذلك أثناء تفسيره آية « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات الخ » في سورة هود وهنا نراه يرد على القول المنسوب الى ابن عباس وهو أن التحدي كان بعشر سور معينة هي العشر الأولى من ترتيب القرآن الحالي فينفيه بأن سورة هود مكية فكيف تحيل العرب على معارضة عشر سور مدنية لم تنزل بعد ثم يذكر ترتيب التحدي في نظر ابن عطية والمبرد وقد ذكرته قبل في الكلام على ترتيب آيات التحدي وخبر ابن الضريس عن ابن عباس القائل بأن التحدي وقع أولاً بسورة مثل القرآن في البلاغة والاشتمال على المغيبات

السمع ، ويقارنها مع مرادفاتها في اللغة لبيان حسن الانتقاء في ألفاظ القرآن وهي ملاحظة موسيقية بحتة تقدر له وتذكرنا بكلام ابن الأثير في المثل السائر على بعض طرق القرآن في تجميل الألفاظ حينما يقارن بين استعمال المتنبي لكلمة تؤذي في شعره وبين استعمال القرآن والحديث لها الى جانب غيرها من الكلمات .

* * *

القرن الثالث عشر

أتخطى بعد السيوطي سنين طويلة ساد فيها الجمود والجهل في ظل الحكم التركي لأصل الى الألوسي (١٢٧٠) .

الألوسي :

يتكلم الألوسي في مقدمة تفسيره أثناء تفسير آيات التحدي على الإعجاز فيذكر في المقدمة وجوه الإعجاز التي قال بها العلماء من إعجاز في الأسلوب وفي النظم من حيث المقاطع والفواصل ومن إعجاز بالبلاغة والفصاحة والإخبار عن الغيب والصرفة والكلام القديم ويذكر حجج أصحابها والردود الناقضة لها بما لا يخرج عما ذكر في الطراز ثم يذكر رأي علي الآمدي وهو أن الإعجاز بجملة القرآن وبالنظر الى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب ثم يقدم رأيه الخاص في الإعجاز وهو « أن القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجز بالنظر الى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى وقد يظهر كلها في آية وقد يستتر البعض كالإخبار عن الغيب ولا ضير ولا عيب فما يبقى كاف وفي الغرض واف » .

ويدلل على رأيه بما ذكره السيوطي من أقوال العلماء الذين أخذوا بهذا الرأي وهو ينقل ما ذكره السيوطي بالحرف تقريباً . ويتم كلامه في المقدمة بأن المشهور عند الناس أن إعجازه في نظمه وبلاغته لأن التفاوت فيهما واضح جداً ثم يورد

في التفسير العلمي وأصبحت فيما يبدو وجهاً من تعليل إعجاز القرآن أو بيان صلاحية الإسلام للحياة وإذا كان هذا التفسير قد ظهر في مثل محاولة الفخر الرازي ضمن تفسير القرآن فقد وجدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر فترى كتاب (كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية) لمحمد بن أحمد الاسكندراني الطبيب من أهل القرن الثالث عشر الهجري وكتاب (تبيان الأسرار الربانية في النبات والمعادن والخواص الحيوانية) له أيضاً وقد طبع الأول في القاهرة سنة ١٢٩٧ هـ والثاني في الشام سنة ١٣٠٠ هـ ورسالة فكري باشا وزير المعارف المصرية سابقاً في مقارنة بعض مباحث الهيئة بالوارد في النصوص الشرعية (طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٥ هـ) ٠

وانحاز الى الفكرة من رجال الاصلاح الاسلامي السيد عبد الرحمن الكواكبي فاستخرج من القرآن مكتشفات حديثة يقول إنه ورد التصريح أو التلميح بها في القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً وبقيت خافية لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن ٠ وتعرض الأديب المصري مصطفى صادق الرافعي لها في كتابه (إعجاز القرآن) وهو يجنح الى احتواء القرآن على جمل العلوم وأصولها إذ ينقل كلمة السيوطي في الإتقان حول أخذ الباحثين علومهم منه ويعلق على استخراج علم المواقيت من القرآن فيقول : «وإذا أطلق حساب الجمل في كلمات القرآن كشف منه كل عجائب العصور وتواريخها وأسرارها ولولا أن هذا خارج عن غرض الكتاب لجئنا منه بأشياء كثيرة من القديم والحديث» (ص ١٥١ من إعجاز القرآن) ٠

ويشير الرافعي الى استخراج محدثات الاختراع وغوامض علوم الطبيعة من القرآن ؛ وأكثر من جمع في هذا وأطال المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره ؛ ومما يتصل بهذا من قرب ما ظهر من مؤلفات علمية عني أصحابها عنايةً خاصةً

والأحكام وما شاكلها فلما عجزوا تحداهم بعشر سور مثله في النظم وإن لم تشتمل على ما اشتمل عليه وقال إن هذا الرأي ضعفه صاحب الكشف لأنه لا يطّرد في كل سور القرآن ولأن السورة ولو كانت متقدمة النزول إلا أنها لما نزلت على التدريج جاز أن تتأخر تلك الآية عن هذه ولا ينافي تقدم السورة على السورة ثم يذكر تأييد الشهاب لرأي المبرد .

ويقول في تفسير آية التحدي في سورة البقرة «وإن كنتم في ريب مما نزلنا الخ» ما معناه أن إعجاز القرآن حجة لرسالة النبي وما عدا ذلك من الآراء خطأ فهو يقول : « بعد أن قرّر أمر التوحيد عقّب بإثبات رسالة النبي من حيث إعجاز القرآن وفي التعقيب إشارة الى الرد على التعليمية الذين جعلوا معرفة الله تعالى مستفادة من معرفة الرسول والحشوية القائلين بعدم حصول معرفته سبحانه إلا من القرآن والأخبار» . وهنا نرى مذهبه الإشاري في التفسير وقوله الضمني بإعجاز القرآن العلمي الغيبي وإلا فكيف يرد القرآن على فرقتين عن طريق الإشارة أو عن طريق التصريح ولم تكونا قد وجدتا حين نزوله ثم نرى أن هاتين الفرقتين تعاكسان رأي السنة في أن إعجاز القرآن حجة الرسالة لا العكس .

* * *

القرن الرابع عشر

١ — النزعة العلمية :

نلاحظ بعد زمن الألوسي قوة النزعة العلمية في تعليل إعجاز القرآن فقد رأينا كيف قال بها الغزالي وحاولها الفخر الرازي في تفسيره وقال بها السيوطي ولكنها لم تشتد أبداً اشتدادها في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين وأترك الكلام لأستاذي أمين الخولي ليتحدث عنها قال (التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم ، الخولي ص ٢٠) : «واستمرت هذه النزعة

التعريف والنقد

محاضرات المجمع العلمي العربي

(الجزء الثاني)

أذكر أن المحاضرات لما شرع فيها مجمعنا من أوّل نشأته كانت الغاية منها تثقيف الجماهير من الناس ، وقد كانت هذه الجماهير شديدة الميل الى الاطلاع والمعرفة فكانت قاعة المحاضرات تغص في كل أسبوع بجماعات المستمعين من شباب وكهول وقد كانت موضوعات المحاضرات مناسبة لأذهان المستمعين لا ترتفع عن مقدرة هذه الأذهان ولا أنسى موضوع محاضرة من المحاضرات فقد كان هذا الموضوع : فوائد المطالعة وليتصور القارئ موضوعاً مثل هذا يلقى في قاعة مجمع علمي ولكن الحالة الفكرية العامة كانت من أربع وثلاثين سنة تستوجب مثل هـذه البساطة واستمرت محاضرات المجمع العلمي حيناً من الدهر لا بأس به وقد جرى مرةً بيني وبين أستاذنا الرئيس تغمده الله برحمته حديث في هذا الشأن فقد كان كثير الرغبة في تثقيف الناس ، قلت له : ان المجمع العلمي ليست الغاية منه هذا التثقيف فان للتربية والتعليم قواعد حديثة تقرّب العلم من عقول النشء ومحاضرات المجمع العلمي جعلت للخاصة وخاصة الخاصة فلا يحسن أن يلقى في المجمع في السنة أكثر من محاضرة أو محاضرتين إلاّ أن الزمن هو الذي يفعل فعله في معظم الأحيان فقد أخذ عدد المستمعين يقل حتى انقطع الناس عن المجيء الى قاعة المحاضرات ووقفت محاضرات المجمع العلمي العربي وانصرف المجمع حينئذٍ الى خصائص أعماله .

وكيف كانتِ الحالِ فقد بقي من تلك المحاضرات ميراث فكري ذو شأن

بهذا الجانب وتوخوا هذا التطبيق كمحاضرات المرحوم الأستاذ محمد توفيق صدقي في سنن الكائنات وما أشبهها » .

وترجع هذه الفورة في التفسير العلمي الى ردّ الفعل الذي أحدثه الاتصال بأوربا وامتزاج الثقافة العربية الإسلامية التي كانت نائمة بالثقافة الأوربية الناضجة وما بهر العلماء من علوم ومخترعات حديثة فحاولوا أن يرجعوا الى تراثهم الاسلامي العربي يستنبطون منه أصول هذه العلوم وخشوا إذا هم لم يفعلوا أن يبدو القرآن ضئيلاً في أعين متبعيه وأنصاره وأن تتزعزع العقيدة فيه من قلوب الناس أمام ما يرونه من معالم المدنية الحديثة فحاولوا أن يبينوا أن القرآن احتوى هذه العلوم وأشار الى هذه المخترعات قبل أن يعرفها أهلها أنفسهم بثلاثة عشر قرناً واستفادوا في هذه الناحية من الكلمات والجمل التي يمكن أن تتحمل تأويلات واسعة ومما في طبيعتها من إمكان اتساع الخيال .

٢ — الشيخ محمد عبده :

وللإمام المصلح الشيخ محمد عبده (١٩٠٥) كلام في الإعجاز أورده في كتابه « رسالة التوحيد » (ص ٩٦ ط بيروت) وهو يرى أن القرآن معجز من عند الله لأنه صدر عن نبي أمي ولأنه يخبر عن الغيب ولتقاصر القوى البشرية دون مكانته فيقول إنه اذا اعترض معترض بأن العجز حجة على من عجز لا على غيره من الناس فقد يجد هؤلاء إلى إبطاله أقرب سبيل ، رُدَّ عليه بأن العجز هنا هو غير العجز في حالة إفحام الدليل فإن إعجاز القرآن برهن على أمر واقعي وهو تقاصر القوى البشرية دون مكانته . وإعجاز القرآن يقوم عنده على بلاغته وليس في رأيه جديد وما هو إلا اختصار لرأي الباقلاّني .

(يتبع) نعيم الحمصي

المدرسية وفي سبيل نظرية جديدة ونظرية الفنون الأدبية ونظرية الجنس ونظرية الثقافات ونظرية المذاهب الفنية والنظرية الإقليمية ومنهج جديد ، وقد بيّن المؤلف في كل مذهب من هذه المذاهب ما يقوم عليه ثم ردّه ووضّح وجوه ردّه على اني أري أن أكثر هذه المذاهب يدخل بعضها في بعض فكيف يستطيع الناقد مثلاً إذا مرّ بنص لابن المقفع يظهر عليه أثر فارسي دون الإشارة الى هذا الأثر أم كيف يستطيع أن يمرّ بنص للمتنبي يستفيض فيه أثر بدوي دون التفسير لهذا الأثر فأكثر مناهج الدراسة الأدبيـة في أدبنا لا يستغني بعضها عن بعض •

أما المنهج الجديد الذي يدعو اليه الدكتور شكري فيصل فسبيله قسمة الشعراء والأدباء قسمة مدارس ومذاهب لا قسمة عصور وفنون وأقاليم ومن جملة الغايات التي توخاها في نهجه الجديد فهم الأدب بمعناه العام واقامة الدراسة الأدبية على هذا الفهم لأسباب كثيرة أولها مجاوزة الأدب اللفظي الذي خمدت فيه القوالب والمزاوجة بين الأدب والفكر حتى يضمن للدراسة الادبية المتعة والفائدة ويضمن للدارسين اللذة والثقافة •

أرجو أن أكون قد تمكنت في هذا العرض الوجيز من التعريف بمحتويات مناهج الدراسة الادبية في الأدب العربي ، واذا كنت ارى أن أكثر هذه المناهج متشابكة متداخلة فاني أرى من جهة ثانية أن دراسة الأدب قائمة على دراسة النص نفسه سواءٌ أكان هذا النص شعراً أم كان هذا النص نثراً ، قد يجوز أن يكون للأدب العربي تاريخ تعرف به أوائله وأطواره وانقلاباته والمؤثرات فيه وما شابه ذلك ولكن الذين يعنون بهذه الأمور كلها لا يغفلون على ما أعتقد عن واجب فهم النص والإلمام بظواهره وبواطنه والوقوف على أسراره وخصائصه وانني أجد في هذا النحو من دراسة النص ضبطاً لمنطق التفكير وتغلغلاً الى باطن صاحبه بحيث ينكشف مزاجه الهادئ أو الثائر وطبعه الرقيق أو الفظ

وهذا الجزء الثاني من هذا الميراث وفيه موضوعات جليلة تدل على عظم أمره واذا كنت لا أحتاج الى التخصيص فان محاضرات مجمعنا على وجه عام تشتمل على موضوعات عالجها أصحاب الاختصاص ولا يسهل على كل واحد منا الخوض فيها وهذه الموضوعات متباينة الآفاق فيها شيء من التاريخ والأدب والعلم والتراجم والفن كتبها رجال المجمع وهي على كل حال تصلح لأن تكون مرجعاً من المراجع .

مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي

شكري فيصل

هذه هي الرسالة التي قدمها الدكتور شكري فيصل لكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول للحصول على درجة « الماجستير » وفي التصدير الذي صدّر به المؤلف رسالته يقف القارئ على مخالفة الأستاذ المشرف عليها لرأي صاحبها ويظهر أنه كان عنيفاً في هذه المخالفة ولكنني أعتقد أن بين الأستاذ وبين طلابه صلة روحية فقد يخالف الطالب آراء أستاذه وقد يخالف الأستاذ آراء طلابه وفي هذين النوعين من المخالفة طرز من حرية الرأي وينبغي أن تنبت هـذه الحرية قبل كل شيء في الجامعة حتى تنمو بعد الجامعة في حياة الأمة كلها وحتى تذوق هذه الأمة لذة الحرية .

لا بدّ للقارئ من تتبع قراءة الرسالة حتى يتحقق عنده ما يهم صاحبها من أنها كل متكامل يفضي بعضه الى بعض ويتم بعضه بعضاً ولكن على الرغم من رغبة المؤلف في نظرته الى رسالته من هذه الناحية ، ناحية وحدتها المتكاملة لا مندوحة لي عن الاشارة الى أقسامها حتى يكون له رأي عام في هذه الأقسام والفصول التي شاع فيها تعمق في الدراسة وجهد في الاستقصاء واستقلال في الرأي .

اشتملت الرسالة على ثمانية أقسام حسبي ذكرها في هذا المقام وهي : النظرية

الدفاع عن فلسطين فالرندي في رثاء الأندلس لم يقتصر على تصوير المصيبة وحدها وانما ندّد بالذين ناموا عن نصرة المسلمين :

يا راكبين عتاق الخيل ضامرةً كأنها في مجال السبق عقبان

وراتعين وراء البحر في دعةٍ لهم بأوطانهم عزٌ وسلطان

ونحن أيضاً في نكبة فلسطين نجد كثيراً من الراتعين في دعةٍ لا يهتمون بقضية فلسطين إلاّ بألسنتهم أما قلوبهم فانها في شغلٍ شاغلٍ عنها فلا بأس بأن يشير الشعراء الذين يبكون على فلسطين الى هذه الفئة ٠

وفي كل حالٍ ان صاحب الفلسطينيات سليمان ظاهر قد قام بواجبه فقد هزّته النكبة فأفرغ نتائج هذه الهزّة في شعر كريم ٠

ليلى العفيفة

عادل الغضبان

– اقرأ – دار المعارف بمصر

اذا كانت للروايات قواعد حديثة وضعها هذا العصر ، عصر التحليل والتركيب فان رأس خصائص الروايات في معتقدي مهارة أصحابها في حبس خواطر القرّاء من أول الرواية الى آخرها فان الروائي الذي يستطيع أن يجعل تنبه القارئ معلقاً بتتبع حوادث روايته من المبتدأ الى المنتهى إنما هو الروائي البارع ٠

ولقد شعرت وأنا أقرأ رواية : ليلى العفيفة بكثير من تعلق الذهن بحوادثها فكنت في كل فصل من الفصول وفي كل حادثة من حوادث عقدتها أسأل هذا السؤال : ماذا يجري بعد هذا الفصل ، أو بعد هذه الحادثة وهو السؤال هو الذي جعلني أذوق لذة الرواية ٠

خطب ليلى بنت لكيز ابن عمها البرّاق فلم يوافق أبوها على هذا الزواج ثم خطبها ملك اليمن وغمر أباها بالتحف والمكارم فرضي لكيز بالزواج ، ولكن ليلى

وروحه الناعمة أو الخشنة فالنص يعين على فهم روح صاحبه أكثر من ترجمته نفسها وقد يجوز أن يكون الأمران متلازمين يتمم بعضهما بعضاً فاذا كان الطالب لا يهتدي الى هذه الأسرار التي ذكرتها في دراسة الأدبية ولا يذوق لذتها أو ينعم بروعتها فما فائدته من كثرة المناهج وإني أظن أن المنهج الذي يفضي بالطالب الى فهم النص على حقيقته انما هو المنهج القويم ولما بنى الدكتور شكري فيصل منهجه الجديد على فهم الأدب بمعناه العام قد أدرك هذه الحقيقة الإدراك كله وهذا ما يجعلني أقدر مجهوده وبحثه وتدقيقه حق القدر .

الفلسطينيات

سليمان ظاهر

هذه قصائد أفصح فيها سليمان ظاهر عن عطف كريم على فلسطين وإذا لم تستثر نكبة فلسطين قرائح شعراء العرب فلست أدري أية نكبة تستثير هذه القرائح وقديماً أشار التاريخ الى مصيبة الأندلس ووصف الشعراء هذه المصيبة ولكنا لم ندرك فدحها الإدراك كله إلاّ لما شهدنا في هذا العصر نكبة فلسطين ، وإذا تعرّضت لهذه الفكرة في مثل هذا المقام فلم أتعرّض لها إلاّ لصلتها بالشعر الذي أتكلم عليه فقد جعل الشعر في المصائب القومية لاستثارة العزائم حتى لا تنام هذه العزائم عن حقوقها ولكني أستحسن في كارثة مثل كارثة فلسطين أن لا يقتصر الشاعر على التنديد بالعدو الذي اغتصب حقاً مبيناً وإنما يلزمه أن يندّد بالذين تهاونوا بقضية فلسطين انقياداً الى المطامع والأهواء والنزعات ، أما الدفاع عن فلسطين باللغة الشعرية وحدها فهو لا يعيد الينا حقاً مضاعاً وإنما غاية اللغة الشعرية في مثل هذه الحال أن تحرّك الهمم النائمة وإذا كان من الصواب أن يشير الشاعر الى أخلاق اليهود من عهد موسى كالمكر والحيلة والشر والمخازي وغير ذلك فمن الصواب أيضاً أن يشير في الوقت نفسه الى تقصير العرب في

لا تخرج روايته البارعة عن حدّ الإمكان وكما ظهرت مهارته في هذه المراعاة فقد ظهرت أيضاً في تصوير طائفة من حالات النفس في قلقها مرةً وفي استقرارها مرةً ، في فرحها حيناً وفي حزنها حيناً ، وهذا ما تفتقر اليه الروايات ، لا بل هذا دم الرواية وروحها ٠

والى هذه البراعة في تركيز الرواية وترتيب حوادثها وتدريج هذه الحوادث تضاف البراعة في لغتها وفنها فان الأستاذ عادل الغضبان لم يغفل عن ألفاظ البادية التي تمثل مآكلها كالبريك والبسيسة والسخينة أو تمثل ملابس ملوك الحضر كالديباج المعصب بالذهب أو الأردية المخططة بسهام الفضة أو الدمقس والحرير أو تمثل نباتها كالشيح والقيصوم والعرار ٠

واذا كان من خصائص الوصف لجوء الكاتب الى الوضوح أي الى استعمال الألفاظ الخاصة بصفة من الصفات فقد نجد في رواية الأستاذ الغضبان الشيء الكثير من هذا الطراز مثل عقص الشعر وثغاء الغنم وغير ذلك وقد تغلب على الأستاذ صاحب ليلى العفيفة نزعته الرومانطيقية في بعض المواطن فتبعد به عن لغة البادية كاستعمال بسمة الفجر وذهب الأصيل المضرّج بجراحات الأبطال الى غير ذلك من اللغة الشعرية التي هي ألصق بقصور الحضارة ولكن سرعان ما يرجع به ذوقه الى الخيال المعقول كتشبيه الحياة الجافة بالهشيم والحياة الكالحة بالظلام والحياة الكدرة بالماء الآسن وقد يهديه هذا الذوق السليم في كثير من الأحيان الى طائفة من الألفاظ تغنيه عن كل تشبيه كقوله : يتمايسون على ظهور الإبل فان هذا الفعل صورة شعرية بنفسه أو الى مطابقة الصفات للموصوفات وهذا ما لا يهتدي اليه كثير من الكتاب والشعراء فان أكثر صفاتهم التي يستعملونها في كتابتهم وشعرهم عامة تطلق على كل موصوف لا على موصوفٍ بعينه ٠

علقت بابن عمها وعلق ابن عمها بها من الصغر فتنازع ليلى عاملان : الوفاء لابن عمها والانقياد الى أبيها فغلب عليها الانقياد الى مشيئة أبيها وبقي قلبها مع ابن عمها ، وبينما أهلها ورسول ملك اليمن سائرون بها الى اليمن إذ خطفها فرسان وذهبوا بها الى ملك فارس لتكون في جواريه ، فكان من حسن حظها أن الملك لم يبن بها وانما جعلها في قصر خاص وأمر بإكرامها إلا أنها عذبت في هذا القصر أشد تعذيب وراودها كاهن المملكة عن نفسها فنجت من ضراوته ثم علم ابن عمها بأمرها فأنقذها من الأسر وعاد بها الى أهلها وكان أبوها لكيز قد وعد البراق أن يزوجه إياها تكفيراً عن سيئاته فزفت ليلى الى ابن عمها وانتهت هذه الحياة التي ملئت يأساً ووحشة وقلقاً وعذابا وخوفاً بسعادة فيها كثير من الأمل والأنس والسكينة والراحة والأمن .

هذه خلاصة ليلى العفيفة بوجه التقريب ليس في هذه الرواية شيء من التعقيد إنها بسيطة وبساطتها تشبه حياة البادية التي جرت فيها ، فما مثل حب ليلى إلا كمثل حب البادية النقي الطاهر ، أما المرأة في عصرنا فان همها الحصول على العقود والأساور والخواتم والقروط والسيارات والتمتع بالسهرات والسفرات وسواء أعلق قلبها بزوجها أم لم يعلق إن الزواج في نظرها إنما هو سبيل إلى إرضاء نفسها من حيث المطامع لا غاية الى سعادة بيتها .

فالرواية بسيطة في موضوعها ، بسيطة في مغامراتها ، مغامرات حب البادية التي يلازمها الغزو والكر والفر وما شابه ذلك ، بسيطة في أكثر نزعاتها وأفكارها وأخلاقها وطبائعها ولقد ظهر هذا النوع من البساطة في موطن من مواطنها من أبلغ المواطن وهو المقطع الذي آثرت فيه ليلى حرية البادية على سجن القصور .

ولقد تجلى مثل هذه البساطة في معتقدات بعض أبطالها كسؤال الآبار عن الأحياء أو كاعتقاد أن شجر الخلاف سبيل القطيعة ورمز الهجران أو كالتطير من الكلب الأبتر ، راعى الأستاذ عادل الغضبان هذه الأمور كلها حتى

وفيها يقول : « ولعمري أية قيمة وأي سرور وأي فأل يجد المتبجحون بانسانيتهم المتخدرة ، في عالم لا حرية ولا حق ولا عدالة فيه ؟ ولئن زعموا أن الانسانية أولى بالتقديم ، فليورثوها أموالهم من دون أبنائهم - إن كانوا صادقين ! » .

ثم يقول : « ويقولون فشلت العروبة . قولوا : بل عُوّقت عن النصر الى حين ، ثم كان المؤتمرون هم الفاشلين . من سار على نور العروبة لم يضل ، ومن عمل بوحيها لم يضر » .

إلى أن يقول في « لغة العروبة » : « هي هذه اللغة الخصبة الخلاّقة المطواع ، لغة أهل الجنة ، اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمان ، اللغة التي بلغت فصحاها ألسنة أفذاذ الأدب العربي ، وألفت بين قلوبهم في كل قطر سحيق ، والتي يتناشد ألحانها بلابل الشعر من الخليج الفارسي (وحبذا لو قال : الخليج العربي كما هو في الواقع) الى المغرب الأقصى ، الى كل مغترب قذيف . فتتجاوب قلوبهم أصداءها ، وتعلو على كل صوت شعوبي نكير . بها التفاهم ، وبها الألفة ، وبها الوحدة . فيها القوة ، فالهيبة ، فالسلم ، فالنعيم المقيم . كل عادل الى العامية عنها مبشر بها دونها ، إنما هو كافر بكم وبها أيها العرب ! دساس عليها وعليكم ، كائد لها ولكم ، عامل على قتلها وقتلكم . فعلّموا القرآن والحديث ونهج البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم ، لتقوم بالفصحى ألسنتكم وتتقوى ملكاتكم ، ويعلو تنفّسكم ، وتزخر صدوركم بالحكمة ، وتشرق طروسكم بساحر البيان » .

* * *

هذا هو الشاعر القروي ، الذي أخرج ديوانه في قرابة الف صفحة ، جيد الورق والطبع ، حسن الترتيب والتبويب . يضم سبعة دواوين هي « البواكير » و « الأعاصير » و « الزمازم » و « المحافل والمجالس » و « زوايا الشباب » و « الموجات القصيرة » ثم « الأزاهير » . وشاعر هذه نزعته القومية ، وهذه روحه العربية ، أتراه يقول غير ما قاله شاعرنا :

واذا شاء القارئ أن ينعم بطائفةٍ من المقاطع التي تجلت فيها البلاغة فلينعم بالمقطع الذي خلت فيه ليلى المغيفة إلى ربها في غمرة عذابها ويأسها بعد أن نجت من الكاهن الضاري ، على ان اتقان هذه الرواية قد يقطع على القارئ سبيل الفطنة الى محاسن اللغة والفن فيها فإن تركيز حوادثها واتقان لغتها قد مشيا جنباً الى جنب فيكاد القارئ يحار في الإعجاب بإتقان الرواية وإتقان لغتها وفنها في وقت واحد فيفرغ من القراءة ونصب ذهنه صورة هذين الاتقانين .

شفيق جبري

الشاعر القروي

هو رشيد بن سليم الخوري البرباري [1] الكسرواني اللبناني العربي القومي . يصور نفسه في مقدمة ديوانه فيقول في « شعوره الوطني » : « أمتي أنا مكثَّراً ووطني أنا مكبَّراً ، إذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعةً فكأنما أكلوا جارحةً من جوارحي ، واذا هدروا عربياً في لبنان أو تطوان ، فكأنما شربوا نغبةً من دمي . وكأن كل بلد قوي من بلادي ، ساعدي مفتولاً . وكل شعب خامل فيها ، زندي مشلولاً . بل ما أعد نفسي إلا خليةً في جوّ أمتي ، أنا واحد من سبعين مليوناً من العرب ، كل واحد منهم أنا . فينبغي أن أحبهم سبعين مليون ضعف حبي لنفسي . من افتداهم فكأنما أحياني سبعين مليون مرة ، ومن خانهم فكأنما قتلني مثلها . ولذا تراني أصب جامات غضبي على الظالمين وصنائع الظالمين والصابرين على الظلم ، بعنف من يدرأ الموت والعار لا عن نفسه فحسب ، بل عن سبعين مليون نفس كنفسه محشورة فيه : وعلى قدر الشعور يكون الألم . ومن فقد الغيرة أنكر الغضب ، وما استكثر اللعنة إلا من استقلّ الخيانة . وما يامر السفاحين ، إلاّ من استهان بدماء قومه ، فحسبها ماء كدمه » .

(١) نسبة الى البربارة وهي قرية من أعمال قضاء كسروان .

وهذه مقطوعة من قصيدته «هنا وهناك» قالها أيام الحرب العالمية الأولى :

قالوا النوائب للأضداد جامعةٌ ... حلت بهم نوب الدنيا وما اجتمعوا
نفيٌ وشنقٌ ، وتجويعٌ وأوبئةٌ ... لو نابت السبع التفت لها السبع
قومٌ اذا قعدوا في منصبٍ شمخوا ... ناسين كم قرعوا باباً ، وكم ركعوا
اذا تولوا على أحبابهم ضربوا ... فان تجلت لهم أربابهم ضرعوا
جورٌ على ذا ، وتعفيرُ الجبين لذا ... كنائم السطح مطروح ومرتفع
من لا يحركهم ظلم يجوّعهم ... أنى يحركهم ظلم اذا شبعوا

وله من قصيدة في فيصل بن الحسين :

سبيلك لم تسلكه الا منورا ... وسهمك لم ترسله الا مسددا
وكنتَ لأشتات البلاد موحداً ... كما كنت في الدين الحنيف موحدا
وكنتَ لأجل المجد في المال زاهداً ... وكنت لأجل العرب في المجد أزهدا
وكم خضت لاستقلال شعبك لجةً ... وكم جبت آفاقاً وكم جزت فدفدا
بعيد المنى لم تلق مرساة مطمحٍ ... الى المجد إلا سامك المجد أبعدا
مشيتَ له تستبطيءُ البرق مركباً ... وأدركته تستوطيءُ النجم مقعدا
أرح كبداً حمّلتها كل فادحٍ ... من الهم يعي الشم لو كن أكبدا
طعامٌ على مضٍّ وشربٌ على قذى ... ومشيٌ على جمرٍ ونومٌ على مُدى
تصبرتَ حتى الصبر كاليأس قاتل ... وحتى ذممنا في الخطوب التجلدا
خيانةُ أحلافٍ وإخلافُ ساسةٍ ... وغدرُ الذي أكرمته متمردا (١)

ومن قوله :

يا سيد الدين هل يدعى معلمكم ... عيسى ابن مريم أم موسى وهارونا
لقد رحمتَ ثعابين اليهود ألا ... فارحم خرافك واحسبهم ثعابينا

(١) اشارة الى مار شمعون الاشوري الذي أعلن الثورة وفيصل غائب عن العراق .

اقرأ قصيدته في عيد الأضحى :

نحن والإسلام في الأضحى سوّاء قــد تقاسمنا الضحايا بالسويه

محصانيتكم ترثي أخاها مثلما تبكي أخاها الخازنيــه

عدّلوا المعنى قليــلاً يلتئم شملنا تحت لواء العربيــه

إن بـ (العظمة[1]) أعلى مثل للفدى تنشده النفس الأبيه

يا معيداً مجدنا الضائع نمْ مستريحاً فــي ظلال الأبديه

وله في عيد استقلال لبنان :

تروي بدجلة مدمعي وفراته يا موطناً لم يبقَ غير رفاته

حسب الحزين عليك أنك مائت قد عيَّدت أحبــابه لمماته

شقّوا له الأعلام من أكنانه وتبادلوا الأنخاب من عبراته

أعلام إذلال كأن خفوقهــا فــي جوه لطم على وجناته

أمدوّن التاريخ مرحمةً ولا تذكر لهم لبنان في صفحاته

لا تمحُ رسم المجد من تاريخه يكفيه عيش بنيه في آياته

لا تخبر الأحفاد أن جدودهم لم يشهروا سيفاً بوجه عداته

* * *

لهفي على صنين تجفوه العلى ويغيب نجم العز عن ذرواته

لهفي على الجبل الأشم مطأطئاً هام الذليل أمام عن غزاته

* * *

قالوا أتعشقه وهذي حاله يا حبذا وطني على حالاته

العيش حلوٌ في سبيل رُقيّه والموت أحلى في سبيل حياته

* * *

(١) يريد الشهيد يوسف العظمة رحمه الله .

رسالة الهدى

نظم الشيخ محمد سعيد صفر المدني ، ومعها ترجمته ،
ومقال في حكم قتال الكفار للامام ابن القيم

أما الأرجوزة فتبلغ نحو مائة وسبعين بيتاً ، وهي داعية الى الاتباع ، ناهية عن الابتداع في الدين ، ناعية على التقليد المميت للعقل والعلم ، وشعرها الماء الزلال سلاسةً وعذوبة . وأما مقال ابن القيم المنقول عن كتابه (هداية الحيارى) فتعرف قيمته من قوله فيه : فلما بعث الله رسوله (ﷺ) استجاب له ولخلفائه بعده أكثر الأديان طوعاً واختياراً ، ولم يكره أحداً قط على الدين ، وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله ، وأما من سالمه وهادنه ، فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالاً لأمر ربه سبحانه حيث يقول : (٢ : ٢٥٦) «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» وهذا نفي بمعنى النهي ، أي لا تكرهوا أحداً على الدين .

هذا وقد وقعت أغلاط يسيرة ، لا يستقيم معها الوزن ، ونحن نصححها ، ونعهد بمراجعة أصلها الى مخرجيها الأستاذين حمزة والصنيع ، في الحجاز :

ص ٣ خمس رسائل . ص ٦ ومسند أحمد . ص ٩ قدم ... قولَ . ص ١١ بلى تبركا و .. في الاقتدا . ص ١٤ (حتما) واعتمد . ص ١٨ كذاك إبقا .. فقد أضاع .

والمؤلف من كبار الدعاة الى السنة في القرن الثاني عشر ، كما ترى في ترجمته . وقد طبعت هذه الرسالة ووزعت على نفقة الأستاذ المحسن الشيخ محمد نصيف ، أثاب الله الجميع خيراً .

فلا تُبيح أيها الراعي مساكنهم وكن رحيماً إذا كانوا مساكينا
قال المسيح لنا حبوا أعاديكم لكنه لم يقل حبوا الشياطينا
الدين قبلتنا لكن تجارتكم بالدين تكرهنا أن نكره الدينا

ويخاطب « شباب العرب » فيقول فيما يقوله لهم :

عشْ للعروبة هاتفاً بحياتها ودوامها
وامددْ يمين الحب يا لبنانها لشآمها
انظر الى آثارها تنبئك عن أيامها
هـذا التراث يحثُّ معظمه الى إسلامها
مالي أراك يرئت من دمها ومن أوطانها
أنسيت أنك ليث نهضتها ونسر بيانها
أتقول لست من الشآم وأنت في أحضانها
أتهد ناطحة النجوم وأنت من أركانها

هذا غيض من فيض ، من هذه الروح العربية الصافية المخلصة الوثابة ، التي أوحت الى هذا الشاعر القومي المبدع بهذه الآيات البينات ، وحبذا الحكومات العربية لو قدرت له جهده ، فاقتنت هذا الديوان بالمئات تدرّسه في مدارسها .
جزى الله الشاعر القروي عن أمته ووطنه خير ما يجزي عباده المخلصين .

عارف النكدي



الأستاذ أحمد أمين

تفسير جزء (قد سمع)

لمدارس المرحلة الأولى

تأليف : محمود محمد حمزة . حسن علوان . محمد احمد برانق

هو تفسير مدرسي بحجم تفسير الجزء الأول الذي وصفناه وبترتيبه [1] ، لا يزيد ولا ينقص ، وهو موافق لأذواق الطلاب ومداركهم ، ويقع بنحو تفسير (جزء عمّ) للإمام الشيخ محمد عبده ، ودون النصف من تفسير الأستاذ المغربي (لجزء تبارك) ، ولا غرو فذانك التفسيران قد جعلا مرجعين لأساتذة التفسير ، وهذا مرجع لطبقات محصليه وطلابه ؛ وقد أبدينا ملحوظاتنا فيما كتبنا على تفسير الجزء الأول ، ولم نرَ في تفسير هذا الجزء ما يقتضي أن تبدل أو تعدّل ، وإنما يزاد عليها هنا أن لا نطلق عليه تعالى ولا نسند اليه من الأسماء والأفعال إلاّ ما ورد مصداقه في الكتاب أو السنة ، ومثاله ما جاء في تفسير آية «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا» من سورة التحريم ، فقد كتب تحت عنوان (مجمل المعنى) ما نصه ص ١٠٧ :

(يطلب الله تعالى الى المؤمنين أن يحافظوا على أنفسهم) الخ .. (ويطلب الله ذلك ليحفظوا أنفسهم من نار يوم القيامة) وفي إسناد الطلب منه سبحانه إلى عباده ضعف في التعبير ، وقصور في التفسير ، لأن الآية جاءت بالأمر الجازم الذي لا هوادة فيه «قوا أنفسكم وأهليكم نارا» فلو قيل : أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمحافظة على أنفسهم وأهليهم الخ لكان أدلّ على منطوق الآية الكريمة .

وقد أورد حديثان في معنى الآية الكريمة ، ولم يذكر من خرّجهما من أصحاب الصحاح أو السنن ، ولا درجتهما من الصحة أو الحسن ، ولا من رواهما من أصحاب النبيّ الكرام ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام .

محمد بهجة البيطار

---

(١) جاء وصف الجزء الأول في الصفحة ٢٧٩ من الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين .

على لجنة التأليف والترجمة والنشر أكثر من ثلاثين عاماً ، وساهم في مجلة الرسالة ، وأدار مجلة الثقافة بنفسه ، حتى بلغت المقالات التي نشرها في المجلات والصحف والاذاعة سبعة مجلدات جمعها في (فيض الخاطر) ؛ وله من التآليف المشهورة : فجر الإسلام ، وضحى الإسلام ، وظهر الإسلام ، وشارك الأستاذ زكي نجيب في كتابي قصة الفلسفة اليونانية ، وقصة الفلسفة الحديثة ، وله قصة الأدب في العالم . وحقق ونشر مع عدد من الأفاضل عدداً غير قليل من الكتب المشهورة كالإمتاع والمؤانسة ، والهوامل والشوامل ، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، والعقد لابن عبد ربه ، وكثير غيرها .

يضاف الى كل ما تقدم اشتراكه في المؤتمرات الثقافية العربية والعالمية ، وعمله المثمر في دار الكتب ومجمع اللغة العربية في القاهرة وغيره . حتى أصبح المرحوم علماً من أعلام الجيل مردداً ذكره في كل بقعة عربية .

وها هو ذا اليوم يفارق الحياة الدنيا بعد أن ترك تراثاً لا يبلى من طيب الأثر والذكر .

آراء وأنباء

الأستاذ أحمد أمين

نعت أنباء القاهرة في ٣٠ أيار سنة ١٩٥٤ العلامة المرحوم أحمد أمين أحد أعضاء المجمع العلمي العربي ، فكان للنبأ وقع شديد على النفوس : في العالمين العربي والإسلامي . ذلك ان المرحوم شخصية فذة في هذا العصر جمع الى سعة العلم براعة الأدب ، وعرف بأسلوبه السهل البليغ وإنتاجه الضخم المنوّع . وقد خلّف من آثاره ثروةً عظيمةً للثقافة العربية .

ولد أحمد أمين في أول يوم من تشرين الأول عام ١٨٧٨ في مدينة القاهرة من أبوين متوسطي الحال ، وكان أبوه مشغوفاً بجمع الكتب واستنساخها بخطه ، فوضع ابنه في مدارس القرآن والمدارس الرسمية ثم أدخله الأزهر ومدرسة القضاء الشرعيّ ، فتخرج بها قاضياً وتعلم الانكليزية وتقلبت به الاحوال فكان مدرساً وقاضياً ، واشتهر ببحوثه الأدبية ومقالاته الممتعة . وفي عام ١٩٤٧ انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً ، وفي عام ١٩٣٦ عين مدرساً في كلية الآداب بالجامعة المصرية ، وانتخب عام ١٩٣٩ عميداً لكلية الآداب ، وانتدب عام ١٩٤٥ مديراً للإدارة الثقافية بوزارة المعارف ، فأنشأ تلك المؤسسة الجليلة (الجامعة الشعبية) لتعليم الكبار من أبناء الشعب . وكان آخر المناصب التي شغلها بعد إحالته على التقاعد منصب مدير الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، كما كان آخر لقب علمي ناله عام ١٩٤٨ لقب الدكتوراه الفخرية مع جائزة فؤاد الأول .

كان المرحوم مثالاً صالحاً لرجال الفكر المنتجين المواظبين ، فقد أشرف

بعض مؤلفات السيد محسن الأمين

(وقد أهداها الى المجمع سنة ١٣٦١)

– لواعج الأشجان (فرغ من تسويده سنة ١٣٣١ والطبعة الثالثة بصيدا ١٣٥٣) .
– اقناع اللائم على إقامة المآتم (طبع ١٣٤٤ بصيدا) .
– الرحيق المختوم في المنثور والمنظوم ١ و ٢ (١٣٣٢ الأول و ١٣٤٨ الثاني) .
– أبو فراس الحمداني (١٣٦٠ = ١٩٤١) .
– معادن الجواهر ونزهة الخواطر ١ و ٢ و ٣ (فرغ من تبييض الأول تبييضاً ثانياً سنة ١٣٤٨) .
– كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب (انتهى منه أواخر ١٣٤٦) .
– أعيان الشيعة ظهر منه ٣٥ جزءاً (الأول قسمان فرغ من تسويد الثاني بشقرا عام ١٣٥٤) .
– الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد (انتهى من جمعه وطبعه للمرة الأولى سنة ١٣٣١) .
– الدر الثمين في أهم ما يجب معرفته على المسلمين (في الفروع) الطبعة الرابعة بدمشق ١٩٤٧ .
– العلويات العشرون (جمعه وشرحه سنة ١٣٦٦) دمشق .
– تبصرة المتعلمين في أحكام الدين (للحسن بن المطهر الحلي وهي بشرحها مطابقة لفتوى السيد محسن أعيد طبعها بدمشق ١٣٦٦ = ١٩٤٧) .
– أبو نواس (١٣٦٦ = ١٩٤٧) .
– دعبل الخزاعي (طبع ١٣٦٨) دمشق .
– الصحيفة الخامسة السجادية (فرغ من جمعها أواخر ١٣٢٣ وطبعت ١٣٣٠) .



السيد محسن الأمين الحسيني العاملي
(توفي في الخامس من رجب سنة ١٣٧١ الموافق ٣٠ آذار ١٩٥٢)

كلمة الدكتور حكمة هاشم (١)

سيدي صاحب المعالي والرياسة ، سيدي صاحب الدولة ،

سادتي أجلاء الأساتذة ،

ليس أصدقَ في أداء الحمد من صوت امرئٍ لا يرى لنفسه عنواناً على فضل مثل ظفره بأصواتكم ؛ فليكن هذا الصدق وحدَه شفيعَ صاحبه إليكم إن عيَّ بيانه تلقاءَ الثناء على كرمكم ، وقصَّر لسانه عن اللهج بشكركم . إني كلما رجعت البصر فيما أوليتموني من شرفٍ سامٍ بدعوتي إليكم — لمزاملتكم أبد الدهر فأنتم أبد الدهر مخلَّدون — كبر على نفسي مبلغ اجترائها . ولولا يدٌ رفيقة محسنة بُسطت إليَّ منذ عامين لتشدَّ أزري في قرع بابكم ، وخيالةٌ حبيبة أثيرة أراها تطلُّ عليَّ من وراء الغيب وهي تُطيف بجمعكم في هذا الأسبوع الذي حال فيه الحول على انتقالها الى الملأ الأعلى (٢) ، لما ظننتُ أن في وسعي الاستئذانَ عليكم والجلوسَ بين يديكم .

إن لهذه القاعة في خاطري صورةً فريدة : فقد نعمتُ فيها ، ضُحى ربيعٍ ضاحك (٣) ، بمجلسٍ أنيسٍ طويل مع علامة الشام الكبير المرحوم محمد كرد علي . ولما انصرفتُ على التفيئة ، لم أجد ما أدونه عنه في مذكرتي غير قولي : « رجل ملء العين والنفس ! » ... لطالما ملأ هذا الشيخ الشابُّ عيني ونفسي بجمالٍ جليلٍ أثناء اختلافي اليه في النادر ، ولكني ما رأيت له كيومئذٍ خدَّين أنضر

---

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٢٥ آذار سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي .

(٢) نعي الأستاذ الجليل أول رئيس لأول مجمع علمي في الشرق العربي يوم الخميس ثاني نيسان ١٩٥٣ = ١٧ رجب سنة ١٣٧٢ .

(٣) أول أيار ١٩٥٢ .

— البرهان على وجود صاحب الزمان (بيضها ١٣٢٨ بدمشق بعد نظم بعضها قبل عشر سنين في النجف) .
— رسالة التنزيه لأعمال الشبيه (فرغ من تسويدها ببيروت ١٣٤٦ وطبعها بصيدا ١٣٤٧) .
— عجائب أحكام أمير المؤمنين (فرغ من جمعه ١٣٦٤) دمشق .
— الدرة البهية في تطبيق الموازين الشرعية على العرفية (فرغ منها مفتتح ١٣٣٠ وطبعت ١٣٣٢) .
— كاشفة القناع عن أحكام الرضاع (فرغ منها ١٣٢٨ بدمشق وطبعها ١٣٣١) .
— ضياء العقول في حكم المهر إذا مات أحد الزوجين قبل الدخول (دمشق ١٣٢٩ وطبعت ١٣٣٢) .
— نقض الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله بن فاطمة التركستاني (آخر كتبه ١٣٧٠ = ١٩٥١) .

يشاء القدر أن يولد زميلكم منذ نحو قرن [١] بشقرا هونين (من أعمال مرجعيون) في جبل عاملة ذلك الذي يُقال إن المتشيع الأول أبا ذر الغفاري اتخذه ملجأً بعد أن أخرجه معاوية الى القرى . ويشاء البخت السعيد أن يتصل نسبه بالحسين «السبط الشهيد ابن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) وبضعته» . فكيف ، والعرق دساس ، لا يفعل الدم النبيل الذي تمورُ به شرايين نابغةٍ كمثله في صوْغ وجوده على النحو الذي صيغ فيه ؟ ولمَ لا يُهيب به هذا الدم إلى موالاة ما اتصل ولم يتراخَ من سلسلة الشرف والمعرفة والرياسة ؟

لقد سمع من ذويه ، وهو في غضارة السن ، أن مما منَّ الله به على العشيرة عدمَ انقطاع العلماء والفضلاء منها في القديم والحديث . أليس فيما رووا له أنه منحدر من صلب «ذي الدمعة» (المدفون بالحلة السيفية) الذي لم تجفّ عبرته من خشية الله ؟ أوَ ليس ذلك الزاهد التقي هو ابن زيدٍ الشهيد ؟ أوَ ليس زيدٌ هذا بولد الإمام زين العابدين الذي بلغ من جلالته أنْ مسلم بن عقبة ، بعد وقعة الحَرّة ، نكص عن أخذ بيعته ليزيد إلا على أنه «أخوه وابن عمه» على حين بايع فيها أهلَ المدينة على أنهم «عبيد رقٍّ ليزيد» ؟ أوَ ليس هو الذي تهيَّبه خمسةٌ من خلفاء بني أمية فلم يجسروا على التعرُّض لمدرسته التي أقامها في داره لتكون خلالَ خمسٍ وثلاثين سنة ينبوع الحديث والعلم والرواية لأمثال الزُّهري وسفيان بن عيينة ونافع والأوزاعي ومقاتل والواقدي ومحمد بن اسحق وكثير من الصحابة والتابعين ؟ ثم ألم يكن أجداد مترجَمنا الأقربون بعد نزوحهم من العراق موضع التقديم والتجلة في قومهم حتى لكانوا أصحاب المنزلة الرفيعة عند أمراء بلاد بشارة الممتدة من الليطاني إلى تخم صفد والمترامية بين شاطئ البحر الشامي

(١) يقول عن نفسه : «كانت ولادتي في حدود سنة اثنتين وثمانين بعد الألف ومائتين» راجع ص ١٣٤ من الرحيق المختوم . وهذا ما يوافق سنة ١٨٦٥ ميلادية .

حمرة ، ولا ناظرين آلق لمعة ! ولطالما أصغيت في النوبات الى محاضراته ؛ ولكني ما أحسست له كتلك الساعة نبرةً أوقع في المسمع ، ولا حديثاً أشهى الى القلب ، ولا سحراً أخلب للب ! وُخيِّل إليَّ ـ وهو يكرمني بلفيفة تبغ مذهبة وُيغريني بصرف دخانها صوْبه ـ أن حجاباً رُفع شدَّما وقف بي التهيب دونه ، وأن جواً من عطفٍ ودودٍ نبيل أخذ يلفُّني بهدوء ودعة ، فأطمئن وُيسرِّى عني كما « ذهب عن إبراهيم الروع » . رحمه الله ! كان مما كاشفني به من طيبَّتِه إذ ذاك عزمه على أن يُزجيَ إلى حلقتكم الحصيفة الرصينة فتيةً يضعون عُصارة هممهم في سراج العلم الذي أوريتم ناره وأعليتم مناره ، ويهبون وقدة حماسهم لإذكاء شعلته التي أمدَّتها شيخوختكم الوقورة بزيت الحكمة والكياسة والفضل .

أعتذر من الاعتراف لكم ، سادتي ، أن قد شاع حينئذٍ في سرّي غرور عذب ؛ ولكنّ أمنية الطامع لم تبلغ بي ـ وأنا من هذا على أتمّ الوثوق ـ حدّ التشوُّف إلى مقعدٍ كان يتبوّؤه قبلي إمام جهبذ ومجتهد فحل مثل رصيفكم الراحل السيد محسن الأمين العاملي رضي الله عنه وطيب ثراه . فلما شئتم ، باقتراعكم المتفضّل ، أن تُحلوا الخلف محل السلف ـ على ما يبدو لديهما من فارق النزعة وتباين القدر ـ لم أتبين سائقاً يحدو بكم على ما صنعتم غيرَ الاستمساك برمزٍ أرجو ألا أكون مخطئاً في استخراج مغزاه : وهو تكريم الأمانة للفكرة ، وتمجيد الوفاء للعقيدة مذ تستهويان قلب من آمن بهما عن إخلاص ووعي وبصيرة ، فلا يصرفه عن « التزامهما » صارف ولا يجد عن الصدع بهما محيداً . وأحسب ، سادتي ، من نافلة القول أن أقرر لكم أن حب آل محمد (ﷺ) هو ـ فيما يتصل بتلك الحياة الغنية الخصبة الفياضة الصالحة التي قضاها زميلكم العظيم ـ نقطةُ البداية وغاية الغاية . فائذنوا لي ما دام عليَّ أن أستثير أمامكم ذكراها ، أن أقف أمامكم أجيل الطرف في بعض حناياها ، واغفروا لي إن عشيت العين الكليلة عن إدراك السنى اللألاء الذي تشعُّ به مزاياها .

في ذلك الجو المليء بالمآسي والمفاخر والمحامد ديناً ودُنيا ، تتفتَّح مُخيلة السيد محسن بن السيد عبد الكريم : أنَّى تلفت ذهن الغلام اليافع لم يُبصر إلا مواكب « الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » ! فبِمَ إذن لا يجتذبه نداء مناديهم وقد قرع سمعَه من أغوار التاريخ ؟ وعلامَ لا يتخذ عُدَّته فيغذَّ السير للحاق بركبهم والوقوف في صفهم ؟ ألا ليَشْرَعْ إلى مدارس ناحيته فلينكبَّ على كتاب الله وحديث رسوله ، وليجهز نفسه بعلوم الآلة التي قيل له إنها لها بمثابة المفاتيح . هذا هو يتأبط ابن الناظم والرضيَّ والجاربردي والملا جامي والدسوقي والدماميني والشيرواني وأمثالَ تلك المتون والشروح الصارمة فيمضي فيها نظراً وتعليقاً واستخلاصاً [1] . وها هو ذا يجوِّد الذكر الحكيم فيرتل خاشعاً قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » ويقف طويلاً عند قوله : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » . ثم ها هو ذا يفتح تفسير الطبريّ فينال من نفسه ما رواه من قول إمام الهدى في عليّ كرم الله وجهه : « إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم » ، وينظر في مستدرك الحاكم فتهتز جوانحه لما خوطبت به فاطمة : « ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فداكِ أبي وأمي ؟ » فإذا قرأ في خطبة الوداع : « إني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله وعترتي أهلَ بيتي » ، استبان له الدرب ، ونذر حياته للسلوك فيه على هُدى الكتاب العزيز وهوى العترة الطاهرة :

« حبي لآل المصطفى خالط لحمي ودمي »
... ...
« هذا لساني دائبٌ في نصرهم وقلمي »
« حتى تُوارى في ضريحي بعد موتي أعظمي »

---

(١) كتب في أثناء ذلك مؤلفاً في النحو ومنظومة في الصرف وحاشية على « المطول » وأخرى على « المعالم » ، وابتدأ في جمع كتابه « معادن الجواهر في علوم الأوائل والأواخر » على نحو الكشكول .

إلى الأُردنّ وطرف البقاع ؟ هذا مسجد قريته الجامع بعيد عليه رسم بانيه جدِّ جدّه الوجيه الفقيه المتقن السيد موسى بن حيدر المكنى بأبي الحسن فيؤخذ بمرآه وهو يؤم الأميرَ الجليل ناصيف بن نصار في صلاة الجمعة ووراءه خلق لا يُحصى من أهل الأصقاع المجاورة . وهذا أبو جدّه الأدنى عمدة الرؤساء السيد محمد الأمين يُروى له عنه أن واليَ عكا أحمد الجزار لم يجد أحداً سواه يفاوضه على عودة أهل البلاد الذين فرّوا في وجهه لما نهب مالهم واستصفى عقارهم وأحرق خزائن كتبهم . لكأني بالصبيّ وهو يستمع الى خبر الشيخ الصافي النحيزة (الذي وضع ابنه رهينةً على وعدٍ قطعه ومع ذلك لم يسلم من أذى الجزار) تغرورق عيناه بالدمع لغدر الطاغية بالذي ما نكث له بعهد ، ولكنه لا يلبث أن تشرق أساريره بشراً ويشمخ عرنينه فخراً مُذ يعلم حسنَ تلطف الفتى الطليق للوالي ونجاحه في فك إسار والده الذي جُزي بنفيه إلى دمشق جزاء سنمّار ... إن هذا الفتى النبيهَ الجريء هو السيد عليّ جدُّ السيد محسن . ولعل الحفيد الصغير كان يداخله زهو بالغ من سيرة الشاب الهمام المقدام . ألم يتلمّح من ثنايا تلك السيرة وجه صاحبها الرائع فيتعرفَ فيما يطالعه منه ما ورثه من مخايل النجابة وبُعد النظر والحزم ؟ أوَلا يُراه ـ في دامس المحنة ـ يضرب بحديد بصره في حاشية الجزار فيتخير لصداقته أميراً مصرياً يعقد به أواصر المودة ويتساقى معه في مكتبه رحيق المعرفة ، حتى اذا دار بالجزار وبخليفته سليمانَ الدهر ألفاه ـ في شخص عبد الله باشا ـ مقتعداً سريرَ عكا فيفدُ عليه ويجد عنده الحُظوة والرعاية ؟ أما الحظوة فأعظم بها بادرةً يوم أعلى الصديق كعب صديقه في الفقهاء : أن كان له الفَلَج عليهم في إيجاد مخرج ليمينٍ كادت تُحرّم على الأمير زوجةً حبيبة ! وأما الرعاية فناهيك بالصوّانة ضيعةً وافرة الغلة زهيدة الخراج يُقطعها الصديق صديقه ؛ وليس من ذنبه بعدَ ذلك ان جاء الحساد على وَغرٍ في الصدر مكنون ـ يدُسون السمّ للمنعَم عليه في قهوة البن ، وأكبادهم تتلظى موجِدةً وكيداً ! ..

ـ سطحاً وخارجاً ـ على أيدي مشيخةٍ أعلام كالهمداني والخراساني والأصفهاني ومحمد طه نجف وغيرهم من أئمة العرب والعجم . بل هو يشرع في التأليف ـ على كثرة الهموم والعيال ـ فيحبر مجلداتٍ في الفقه والتوحيد والأخلاق ، ويجمع كتباً في التاريخ والحديث والجدل، حتى يطبق أساتذته على أنه « ترقى من حضيض التقليد الى أوج الاجتهاد » .

بيد أن لواعج الشوق الى الديار تبرح بزميلكم قبل أن يهدف الى الاربعين ، فلا ضير عليه وقد نال بغيته من دار هجرته ، أن يرجع الى الوطن حاملاً معه مشعل دعوته . ولأمرٍ ما يعزم أن تكون عاصمةَ تلك الدعوة دمشق . مذ ذاك يتخذها سكناً لا يبرحه اللهم إلا لحجٍ أو منسك أو إقامةٍ يسيرةٍ في مسقط رأسه [1] . ومذ ذاك تستعد هذه المدينة السمحة لشهود نشاطٍ شيعيٍ منقطع النظير . فكأنَّ الزمان شاء لبني هاشم ـ خلال خمسين سنة كاملة ـ أن يعيدوا مع بني عمهم من ولد مروان حساب التقاصّ في دار أموية ! ..

* * *

لست أقوى ، سادتي ، على تناول هذا النشاط الهائل في تفصيله ولا مجمله . وبحسبكم لتصوُّر الحرج الذي داخلني من هذا الشأن أن تعلموا أن مجمعكم ـ زاده الله بسطةً في العلم ـ بعث لي من أجل إعداد هذه الكلمة بسبعةٍ وخمسين مجلداً [2] من مؤلفات الشيخ ... أذكر أن قد ورد يومئذٍ على البال موقف

(١) من شعره الحسن في ذكرى دمشق قوله (الديوان ج ١ ص ٩٨) :

لله أيامي بجلق ، والصبا غضٌ ، وعودي للنوى مالانا !
كم في رياض النيربين ودمرٍ مرأىً يروق فيطرد الأحزانا !
حيث الخمائل ناضراتٌ ، بينها بردى تسيل مياهه غدرانا .
أرض يريك الخلد شاذروانها أورأيت مثل الخلد شاذروانا ؟

(٢) جاء في ترجمته التي كتبها بخط يده والتي هي محفوظة في خزانة المجمع العلمي العربي أنه « ألف في أنواع العلوم ما يزيد على مائةٍ وعشرين مجلداً أكثرها مطبوعة » (راجع الجزء الرابع من المجلد السابع والعشرين للمجلة تشرين الأول سنة ١٩٥٢).

ولكن آفاق شقرا وتبنين وهونين ومجد لسليم أضيق من أن تتسع لمطامع الشاب النابه . وهذه نسائم تمر من رأى والكاظمية وكربلاء والنجف الغروي تمرّ رخاء بقلبه فتهيج الشوق فيه وتبثه أمل ساكنيها الأبرار في حلوله بين ظهرانيهم . ما بال الرجل الشخيص الأيّد لا يهجم إذن على شدّ الرحال اليوم ، ولو فتّ في عضده أب هرمٌ أضرّ بعينيه الزمان ، ما دام قد استخار الله بذات الرقاع ؟ إليكم السيدَ ينحدر الى صيدا فبيروت ، ويركب البحر منها الى الاسكندرون ليُلوي على حلب ويخرجَ عنها الى البادية فالفرات فبغداد ، ويلقيَ العصا أخيراً في النجف الأشرف . لكأني به — وقد بلغ الحمى إذ ذاك — يستخفه وجدٌ شديد وهو يصغي إلى هاتفٍ يحمل له نشيد مهيار :

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيه
آأعظماً لا زلتِ من وطفاء ساكبةٍ رويه
وإذا انحنتَ بقبره فأطل به وقف المطيّه
وابك المطهّر للمطهّر والمطهّرة التقيّه
كبكاء ثاكلةٍ أتت يوماً لواحدها المنيّه

نعم إنه ليستجيب فيبكي طويلاً إذ يذكر فاجعة العطش ، وينظم من المراثي المشجية (في الحسين وأمه وأبيه وبنيه) ما يملأ ديواناً كاملاً . ثم إنه ليُطيل وقف مطيته عشر سنواتٍ ونيفاً كي يكرعَ ويعبّ وينهلَ ويعلّ من سُلاف المعرفة «موجّهاً إلى تحصيل العلم — كما يقول — همة أعلى من الضُّراح[1] وعزمةً أمضى من بيض الصفاح» ! ...

في هذا الطوْر من حياة زميلكم تغنى بضاعته ماشاء الله أن تغنى ، وتطولُ باعه في الدراية والنظر . إنه لا يكتفي أن يقرأ المنطق والفرائض والأصول

(١) في القاموس المحيط : الضُّراح كغراب البيت المعمور في السماء الرابعة [كذا ولعله تحريف « السابعة »] .

الجدلي [1] . وأنتم تعرفون ما ربما انطوى عليه هذا الأسلوب من « منطق العواطف » الذي يجعله الميزانيون مرادفاً لـ « تمويهات الغرض والهوى » (أرجو أن تعفوا عن هذه الإشارة ، فالتعبير لمناطقة « پورروياّل ») . والحق أن ذلك الكتاب ـ على الرغم من هذا التحفظ ـ ليروع قارئه بإيمان المجتهد الكبير وسعة إحاطته وقوة حجته ودامغ برهانه . حتى إنه ربما قاده لإعادة النظر في مواقف كان في نفسه منها شيء كأمر « التلاعن والتطاعن » و « عصمة الامام » و « التقية » و « نكاح المتعة » وما الى ذلك . وأشهد أن المرء ، في كثير من المواضع التي يبدو عليها أن ظاهر الحق في جانب الخصم ، لا يلبث أن يخرج ميالاً الى العكس بعد سماع الرد .

---

(١) كان السيد ـ رحمه الله ـ طويل الباع في الجدل . حتى لربما خاض في خصومات المعتزلة والأشاعرة وأبدى رأيه البارع في معضلات فلسفية كتلك التي دارت عليها المناظرة بين الأشعري والجبائي في وجوب الأصلح على الله (راجع معادن الجواهر ج ٢ ص ٢٠ ـ ٢١) . ومن ذلك أيضاً ما جرى له مع نقيب الأشراف بمصر وذكره في رحلته الحجازية : فقد عجب السيد محسن لأهل السنة حين يعلمون أصول الفقه مع أن باب الاجتهاد عندهم مسدود ! فأنكر عليه النقيب ، وجرت بين الرجلين مساجلة . فلما أقام السيد الحجة عليه وبسط شروط الاجتهاد المطلوب توفرها في المجتهد ، قال له الخصم : ولكن من شروط الاجتهاد تسليم أهل العصر لصاحبه . فكانت كلمة الفصل جوابه له : « لو أن نبياً أرسل الى قوم فكذبوه ، اكان يقدح ذلك في نبوته ؟ ولو أن اهل عصر سلموا باجتهاد رجل وهو ليس بمجتهد، أكان ذلك يجعله مجتهداً ؟ فسكت » (المصدر نفسه ص ٣٠٣). ونحن نظن أن هذا من الأساليب الخطابية . ولقد كان في وسع الخصم أن يجيب عن مثل هذا الاستفهام الانكاري بالايجاب وهو مطمئن كل الاطمئنان . وإلا فما المعيار في أهلية الرجل للاجتهاد إن لم يكن تسليم أهل الاختصاص له بذلك ؟ ومع ذلك، نرجو ألا يحمل استدراكنا هذا على محمل الانتصار الذين أوصدوا باب الاجتهاد إيصاداً نهائياً بعد المذاهب الأربعة : فاتخاذ موقف مثل هذا ابعد من ان يرد لنا على بال . كيف لا ونحن ممن لا ينكر « الرأي » و « القياس » و « الاستحسان » و « المصالح المرسلة » . وهي جميعاً اوسع من « الاجتهاد الضيق » الذي هو مقصور على « الاستنباط من ادلة الشرع » المروية ،

جان بول سارتر الفيلسوف الفرنسي المعاصر إذ أحجم عن تلخيص مذهبه « الوجودي » لمجلة « لايف » في مقالٍ مُقتَضَبٍ طلبته اليه . ولكن هل من سبيلٍ للإحجام عن تلبية طلبتكم ؟

تسمحون لي إذن ، أيها السادة ألاّ أخوض في جزء كبيرٍ من ذلك التراث ، وأن أكتفيَ فأقولَ فيه ما قيل في كتب حجة الإسلام الغزالي من أنها : لو وُزّعت على أيام عمره ، لأصاب كلَّ يوم منها عدة كراريس ! بيد أني إن اضطررت للمرور سريعاً بتلك المجاميع اللطيفة [1] التي ضمَّ فيها المؤلف طرفاً الى طرف بعض الأخبار المتصلة بعلَم مذكور أو حادثةٍ شهيرة ـ مهما تحتمل تلك الأخبار من نقد ـ فما يليق بي أن أتجاوز عن كتبٍ ثلاثة تعكس الى حدٍ كبير لُمعةً من طراز تفكيره .

وأحب أن أقدم الكلام على آخر هذه الكتب عهداً في تاريخ حياته أعني كتابَ « نقض الوشيعة » [2] . لمّا خاض موسى جارُ الله التركستاني في « نقد عقائد الشيعة » ، برز له زميلكم ـ رحمه الله ـ يدرأ مطاعنه الجارحة . وكان لا بد ، لدفع ما أُلصق بالمذهب من تهم ووصمات ، أن يجيء الكتاب على الأسلوب

---

(١) مثل رسائله المعنونة : « الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد » (١٣٣١ = ١٩١٣) ، « ابو فراس الحمداني الأمير العربي الشاعر المشهور » (مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٣٦٠ هـ = ١٩٤١ م) ، « ابو نواس » (مطبعة الاتقان ١٣٦٦ = ١٩٤٧) ، « دعبل الخزاعي » (الاتقان ١٣٦٨) وفيها كلام طويل عن تائيته الكبرى الشهيرة في أهل البيت ، وكذلك « عجائب أحكام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقضاياه ومسائله » (الاتقان ١٣٦٦) الخ ... على أنه يجب أن يُخصّ بالذكر كتابه : « لواعج الأشجان في مقتل الامام الحسين » (عدة طبعات ـ لا سيما الثالثة ـ بصيدا ١٣٥٣) وهو مجموع من مصادر تاريخية متفرقة كالطبري وابن الفرج الجوزي والمسعودي وابن نما والصدوق وغيرهم ، ومذيل بكتاب « أصدق الاخبار في قصة الأخذ بالثار » .

(٢) مطبوع بدمشق (ابن زيدون ١٣٦٠ = ١٩٥١) .

في الدول الإسلامية ، ولعقائدها في الأصول والفروع . غير أنه آثر أن يجتزيء باستقصاء أخبار الإمامية الاثني عشرية : علمائها ، ومتكلميها ، وأصوليها ، وفقهائها ، ومحدثيها ، ومؤرخيها ، ونسّابيها ، وجغرافييها ، ومنطقييها ، ومنجميها ، وأطبائها ، ونحوييها ، وصرفييها ، وبيانييها ، وشعرائها ، وعروضييها ، وأدبائها ، وكتابها ، ومصنفيها في فنون الإسلام في كل عصر . على أنه لم ير أن يحشّد بين أولئك من لم يقل في حقه إلا عبارة مختصرة كقولهم : ثقة ، أو عين ، أو صدوق ، أو له كتاب ، أو لا بأس به ، أو ضعيف ، أو من رجال أحدهم عليهم السلام ، أو عالمٌ فاضلٌ معاصر ، أو عالمٌ صالح ، أو يروي عن فلان أو يروي فلانٌ عنه ، أو نحو ذلك .

ليس من المبالغة ها هنا أن يقال عن السيد محسن ـ رضوان الله عليه ـ أنه ارتفع بهذا المؤلَّف الى مصافّ أكابر الرجاليين في تاريخنا كابن عبد البر ، وابن حجر العسقلاني ، وابن سعد وأضرابهم من أمثال الخطيب البغدادي وابن عساكر وياقوت الحموي وابن خلكان والصفدي ومن اليهم . ولئن كان فيه مستقصياً متتبعاً محققاً إلى الغاية التي تنوء بالوسع ، فإن أصالته وميزته ـ على حسب ما أظن ـ في انتصاره الوفيّ لفضلاء أهل البيت ، وإشارته المنصفة الى ما نالهم من ظلمٍ ونسبةٍ باطلة ، ثم في حملته الجريئة على من عرّض لهم بالوقيعة أو التحامل .

تراه اذا ذكر قومٌ أن أبا العيناء ادعى خطبة الزهراء بعد أن منعها الصدّيق فدكاً ، أو أن « نهج البلاغة » هو للشريف الرضي ، لم يحجم أن يحتجّ على النقيض ثم يقرر : « هذا باطل لا يلتفت اليه بعد رواية الثقاة لهم وتصحيحهم إياه »[1] . فاذا ما فرط من ابن قتيبة بسياق رده على الجهمية والمشبهة كلامٌ فيه إشارة الى « علم الغيب للأئمة » لم يملك السيد بعد إقامة الأدلة على الأمر أن يختم له بقوله : « لكن العداوة وإفراط الجهل والغباوة والتعصب للباطل أدت

(١) راجع « مواضع مختلفة في أعيان الشيعة » الجزء الأول .

فأما الكتاب الثاني فهو « كشف الارتياب في أشياع محمد بن عبد الوهاب »[1]، وهو كما يتجلى من عنوانه مخصص لمناقشة المسائل التي يقوم عليها مذهب السلفية الوهابية كتحريم البدعة ، وهدم القبور ، وإنكار الشفاعة والاستغاثة والتوسل والحلف بغير الله والنذر والتبرك والتدخين والاجتهاد وغير ذلك من الأمور المشهورة . ولقد يعجب الناظر في هذا الكتاب لكبرى البوائق يرمي بها السيدُ خصومه مُذ يُنقل له عن مصادر — موثوقة أو غير موثوقة — مثلُ قول إمام مذهبهم : « الربابةُ في بيت الخاطئة أقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي في المنائر ! » . ولقد يداخله الدهش لتشبيه الوهابيين بالخوارج « من ثلاثة عشر وجهاً[2] » ! ولكنه لن يحتاج إلى عناء كبير في كشف السر ، إن هو التفت الى المقدمة فطالعته بالمقطع التالي : « الحمد لله ... وبعد ، فلما ضعفت شوكة ملوك الإسلام ، وكان من ذلك استيلاء الوهابيين من أعراب نجد على ... الحرمين الشريفين وهدمُ مزارات المسلمين ومنها قبةُ أهل البيت عليهم السلام ... وقبابهِ مواليد النبي (ﷺ) ... وجعلُ قبور عظماء المسلمين ... معرضةً لدوس الأقدام ووقوع القذاراتِ وروثِ الدواب والكلاب ... فأحرقوا بذلك قلوب المؤمنين ... جئتُ بهذه الرسالة ... » .

وأما الكتاب الثالث الذي يُعدُّ واسطة العقد في تآليفه والذي أعتقد أنه من الأوابد الخوالد الشوارد في تراثنا الاسلامي فهو « الذريعة في أعيان الشيعة » . لقد كان في مشيئة السيد أن يجعل من معلمته تلك مرجعاً تاريخياً لفرق الشيعة

(١) انتهى منه بشقرا سنة ١٣٤٦ . وقدم له بتاريخ الوهابية نقلاً عن مصادر : بعضها غير حيادي كأحمد بن زيني دحلان (خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام) ؛ وبعضها معتدل — بشهادة السيد المرحوم (راجع ص ٩) — كمحمود شكري الألوسي (تاريخ نجد) ؛ واستمد كذلك من مصادر اخرى كرفاعة بك ناظر مدرسة الألسن (جغرافيته المترجمة عن ملطبرون) وتاريخ الجبرتي الخ ...

(٢) راجع المقدمة ص ١٤ .

لاعتذار لساني أن أقول : لم يكن في حياته ـ غفر الله له ـ من دمٍ مسفوح . لكنّ في إهاب هذا الشيخ الجبار ذي الهامة الهرقلية نفساً كنفوس أولئك « التوابين » بعين الوردة الذين استماتوا في صفوف سليمان بن صُرَد والمسيّب الفزاري ثأراً لدم الحسين !

* * *

وبعد ، أيها السادة ، فإن أسفي شديد لأنّي لم أسعد بلقاء زميلكم والتعرف عليه عن قرب حتى أجلو لكم خصائص خُلُقيه وشخصيته . ولكنّ أصدقاءه وتلامذته [1] يرسمون له صورةً تستهوي الأفئدة في بساطتها وسموها على السواء .

لقد أشادوا بما عرفوا فيه من تواضعٍ وزهد بالجاه وعزوفٍ عن المنزلة واحتقارٍ للمظاهر الباطلة الغرّارة . ذكروا أنه ما بالى قطّ متاع الحياة الدنيا فاجتزأ بما يسدّ البُلغة ويقوم بالأوَد : كان يسعى لشأنه بنفسه ، ويباشر بيده تهيئة طعامه غير حافلٍ برفاهية مأكلٍ أو مشربٍ ، ولا ملتفتٍ الى زينةٍ في شارةٍ أو كسوة ... كذلك شأن العظماء ينكرون ما أسماه نيتشه « فلسفة الخياطين » فلا يؤمنون أن الثوب يخلق الراهب ، ولا أن الزنار المفضّض خير من الذكر الحسن ! ..

ولقد صوّروا ما رأوا فيه من ورعٍ وتقوى وعفةِ يدٍ ولسانٍ ، وشهدوا أن « الآلاف ذهباً كانت ترد عليه فما يمسّها ويحوّلها للحال الى وجوه الخير » بل ربما أنفق ماله على تأسيس المدارس [2] ووقفها في عصرٍ أذلّ فيه الحرص أعناق

---

(١) نخص بالذكر والشكر الأستاذ الأديب وجيه بيضون ، والسادة : صبحي نظام ، الشيخ علي الجمال ، الشيخ احمد صندوق والقائمين على المدرسة المحسنية التي تضم خزائن مكتبة المرحوم .

(٢) اشترى المدرسة العلوية بدمشق ووقفها على تعليم اطفال الشيعة الجعفرية سنة ١٣٢١ هـ . ثم سعى بعد نحو عشرين سنة ، في وقف مدرسة اخرى لتعليم الاناث بذل ثمنها المحسن الكبير الحاج يوسف بيضون من خالص ماله واوصى بما يقوم بنفقاتها .

الى هذه الافتراءات »[1] . وإذا ندّت من ابن حزم تعليقات نابية في قضية « رد الشمس على عليّ » ذهب يسوق اليه البراهين المروية في أكثر من ست صفحات متتالية ثم ردّ عليه السهمَ الى النحر بقوله : « أفيكون في صفاقة الوجه وصلابة الخدّ وعدم الحياء والجهل والتعصب والجرأة على الله ورسوله وأهلِ بيته أكثر من هذا ؟ »[2] . وإذا جرى للرافعيّ في « إعجاز القرآن » لغوٌ غير مهذّب في حق « الرافضة » ، لامه السيد لوماً عنيفاً على « اتقاد نار العداوة والعصبية في قلبه الذي أنطق لسانه بالفُحش وأخرجه الى سوء القول » ، وكذلك فعل بالدكتور أحمد أمين وبالأستاذ محمد ثابت المصري طوالَ مائةٍ وثلاثين صفحةً مرصوصة من كتابه[3] . ومن الطريف أنه لما عتب على أستاذنا المغربي لأنه لم يقرّظ كتبه غير المتصلة بالأدب والشعر ، لم يجد بداً من أن ينهيَ كلامه بالمنافحة الشديدة عن الشيعة ، والتعريض الساخر ـ على طريقة إياكِ أعني ـ بمذهب الحشوية قال : « ولم يُدخلوا في معتقداتهم[4] أن الله ينزل كلّ ليلة جمعة إلى سطوح المساجد[5] ، ولا أن النبي رآه ليلة المعراج بعينيْ رأسه ، ولا أن العبد مجبور على أفعاله ومثابٌ ومعاقبٌ على ما أُجبر عليه »[6] . ولعلكم ، سادتي ، أغضبتم زميلكم ذات مرة إغضاباً شديداً حتى دفعتموه لأن يقول عن مجلتكم ما ليس من الأناقة في هذا المقام إعادة روايته بسمع منكم[7] . وحسبي في

(١) ص ٨٦ ج ١/١ .
(٢) ص ١١٤ المصدر نفسه .
(٣) ص ١٣٣ – ٢٦٤ .
(٤) الضمير راجع للشيعة .
(٥) وفي موضع آخر زاد : « راكباً على حمار بصورة غلام أمرد ... في رجليه نعلان من ذهب » .
(٦) ص ٣٥٦ ج ١ قسم ٢ .
(٧) أثناء إلقاء الخطاب ، أصر الأستاذ الجليل المغربي على ذكر النص ، فسردنا له ماجاء في ص ٣٦٠ بشيءٍ من الاقتضاب ..

كلمة الأستاذ شفيق جبري (١)

سيدي الزميل .

لما عُهد إليّ أن أستقبلك في مجمعنا أصابني ما أصاب ابن المقفّع على تراخي المسافة بين بلاغته وبين حَصَري ، فقد أمسكت القلم وحاولت نثر أفكاري على الورقة فازدحمت الأفكار في صدري فوقف القلم لتحيّره ، فلم أدر كيف أبدأ وكيف أنتهي . لقد شعرت بشيء من تلبّك الأمر ، ولم ينشأ هذا التلبّك عن جهلي بحياتك وانما نشأ عن معرفتي بهذه الحياة ، ولو لم تتوثق أسباب الصداقة بيني وبينك من ربع قرن لاستطاع القلم أن يجول مجاله دون شيء من التحيّر ولكن العلم بمزاجك وأخلاقك قيّدني بعض التقييد فلم أستطع أن أمضي القول في هذا المزاج وفي هذه الأخلاق وفي أدبك وفلسفتك من غير أن أزن الكلام وزناً دقيقاً ، فقد وهب الله لك حساً رقيقاً فلزمني أن أراعي هذا الحسّ حتى لا تتفلّت مني كلمة تهزّ شعورك ، لقد خبرت هذا الشعور في الماضي وان الذي ينظر الى ظاهر بنيانك القويّ يستغرب الاستغراب كله أن يكون من وراء هذا الظاهر باطن ناعم ليّن ، تهيجه أقل إشارة ، من أجل هذا كله استصعبت الكلام عليك وتمنيت أن يتولى هذا الكلام غيري من الأساتذة ، ولو كان لي رأي في استقبال رجال المجمع لأشرت على مجمعنا بأن يكلّف كل طارئ عليه أن يقدّم نفسه ، فإن الانسان أعلم بدخائله وأرجو أن تصل البشرية في يوم من الأيام الى أفق يعينها على كشف دخائلها دون شيء من التقييد .

ولست أدري لماذا أخاف هذا الخوف ، أفلا أجد فيك يا سيدي من كالي

(١) ألقاها في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور حكمة هاشم .

الرجال ... كذلك شأن الزهّد الأصفياء أزكياء النفوس يحقرون الاستكثار ويأنفون من التكالب على الرزق ، لأنهم لا يقيسون الفضل بذلك المقياس العجيب الذي حدثنا عنه يوماً أحدُ عمداء العلم وأسماه « مقياس عدد الاصفار » !

ثم هم أطبقوا على جودة رأيه وشجاعة قلبه وثباتِ جنانه وتحرره من العصبية والجمود ونهوضه بما يعتقد أنه حق .. كذلك شأن الروحانيين المخلصين لا يدارون في فكرتهم ولا يداجون ولا يصانعون ولا يتلمسون مجداً رخيصاً قائماً على تملّق العامة واسترضاء الدهماء . ذلك بأنهم أدركوا سرّ تلك الحكمة العسجدية المنقوشة في صدر تريستان وايزولت والتي تصلح شعاراً للمثاليين جميعاً من كل جلدة : « ما لا يقدر عليه السَّحَرَة ، فباستطاعة القلب أن يأتي به بقوة الحب والبطولة » !

سادتي ،

رحم الله زميلكم ما أروع سحر الانسجام في علمه وعمله ! ألم يكن ذا قلب كبير يفيض بالبطولة وبالمحبة ؟

الدكتور حكمة هاشم

فاني لا أجهل انك عكفت على العلم عكوف رجل صاحب إرادة ، لقد كنتُ في خلال زياراتي الكثيرة لك في دارك الأولى في دمشق ألقي النظر على كتبك ودفاترك وكنت أرى بين هذه الدفاتر صفوفاً من الجزازات قد رُتبت ترتيباً محكماً فيها خلاصة ما كنت تطالعه من الكتب وفيها اشارات الى موضوعات شتى ، لقد دلتني هذه الجزازات على طرز العيشة التى عشتها في باريز ، فلم تُضع وقتك في لهوها ومرحها ، وربما أخذت بعض النصيب من هذا اللهو وهذا المرح فلا يجوز لنا أن نرهق أذهاننا وأرواحنا تحصيلاً ومجهوداً ولكنك لم تأخذ من هذا النصيب إلا بمقدار ما يزيد في نشاط فكرك وهمة روحك ، فلم تشغلك باريز عن أدبك وفلسفتك .

أما أدبك يا سيدي فلم يكن تحفظي من الكلام عليه أقلّ من تحفظي من الكلام على شعورك ولو كان الأدب عبارةً عن الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم بحسب نظر ابن خلدون لهان على كل واحدٍ بيان الرأي في منظوم الأديب ومنثوره ولكنا نعيش في عصر اختلفت فيه النظرات الى الأدب ، لقد أصبح الأدب في بعض الآراء صورة المجتمع أو صورة الحياة ، يأخذ من المجتمع ويعطيه وكثيراً ما يقال في بعض أصحاب الأقلام أنهم أدباء وهم لم يجروا على أساليب العرب ومناحيهم وكثيراً ما يجرّد بعض أصحاب الأقلام من صفة الأدباء وهم لم ينحرفوا عن أساليب العرب في فني المنظوم والمنثور فنحن تدركنا الحيرة في هذا كله ، فلو كان للأدب قواعد ثابتة كما للعلم من مثل هذه القواعد لهان علينا الحكم فيه ولكن الأدب يختلف من عصر الى عصر ، يختلف على اختلاف الأذواق والأفهام والثقافة والأهواء وغير ذلك ولست أنسى كلمة قالها يونس بن حبيب : ما ذُكر جرير والفرزدق في مجلس شهدته قط فاتفق المجلس على أحدهما ، وكما لم يتفق مجلس يونس بن حبيب في الماضي على جرير أو على الفرزدق فما أظن أن مجالسنا في الحاضر تتفق على رأي في أديب من الأدباء .

الخلق ما يضمن لي مسامحتك إذا بدرت مني بادرة تستغضبك ولم أشهد بهذا الكمال وحدي وإنما شهد به كل الذين خالطوك ومازجوك ولكنهم شهدوا به ولم يعرفوا مصدره ، لم يعرفوا أنك ورثته عن أب أجمع اخوانه على محاسنه إجماع إخوانك على محاسنك وعن جدّ أطبق أصدقاؤه على استقامته إطباق أصدقائك على استقامتك ، واذا كنتُ لا أشك في قانون الإرث سواء أصحّ هذا القانون في نظركم معاشر الفلاسفة أم لم يصحّ ، اذا كنت لا أشك في قانون أنت وإخوانك الفلاسفة أدرى مني ببيان الرأي فيه فاني أقول ان الانسان ابن أبيه وان يكن في الوقت نفسه ابن تربيته وبيئته ومجتمعه وغير ذلك ، والناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ولا ريب في أن معدنك من أكرم المعادن وهذه نعمة الله عليك فاحمد الله في كل طرفة عين .

وكأنك ياسيدي لم تشأ أن تقتصر على كمال الخلق وحده فأحببت أن تضيف اليه كمال العقل ، فلم تقنع بدرجة واحدة من التحصيل وبنوع واحد من المعرفة وانما تدرّجت في مراتب العقل حتى بلغت فيها المبالغ ، علمتك نفسك الكرّ والاقدام في هذه المراتب كما علمت عصاماً من قبلك مثل هذا الكرّ ومثل هذا الإقدام ، إنك لم تشبع من التحصيل ولم ترو ، لقد ضاقت دمشق الشام بآفاق عقلك فدفعتك همتك الى ما وراء البحار فقصدت الى أشهر جامعة في فرنسة وعكفت في «السوربون» على دراسة مادةٍ لا أدري هل بين مزاجك وبينها شيء من التناسب وأعني بها الفلسفة ومازلت تتبسط فيها حتى حصلت على أعلى شهادة وأقواها .

لا أعلم كيف قضيت السنين الطوال في باريز وكيف كان أثر هذه المدينة الفتانة في مزاجك وتفكيرك فأنا أعرف شباباً مثلك دخلوا باريز ثم خرجوا منها مثل قلع الضرس ولكنهم لم يخرجوا إلاّ بعد أن تركوا فيها عقولهم وقلوبهم ولكنك والحمد لله لم تخرج من باريز إلا بعقل أكمل وبقلب أوعى وإذا كنت أجهل كيف قضيت حياتك في مدينة يشعر فيها الانسان بقيمة الحياة

عند الحكماء أو المتكلمين أو المفكرين ، ولم يجتزئ بالنزعة الروحانية الخالصة التي تعرفها للمتنسكة والمتصوفة والزهدة ، فهو لم يبتغ صلاح عقله من أجل سداد المنطق ، ولا ابتغى صلاح روحه من أجل سلامة الأخلاق ، ولكنه اعتبر نفسه مسؤولاً عن المنطق وعن الأخلاق ، مطالباً بهذه المسؤولية أمام الانسانية والناس » .

ان صوفية هذا الرجل العظيم لم تحتج الى شيء من زينة البلاغة الكاذبة ولقد أدركت هذا الأمر الادراك كله فصورت صوفية الغزالي في حقيقة خطوطها وألوانها دون الاهتمام بالبحث عن لونٍ زاهٍ أو خطٍ بارقٍ لأن هذه الصوفية قوية بذاتها فهي لا تحتاج الى قوة مطلية فاذا قلت :

« فأضحى ولا أثر فيه لشهوة ولا ظلّ لرغبة ولا مظهر لمطمع في جاه أو مال أو منزلة أو أهل أو ولد أو وطن ، لقد ذابت فيه كل أنانية وانعدم فيه كل اهتمام ذاتي فهو اذا انصرف الى تصفية طويته بالعبادة فليس ذلك مقصوده بالذات وهو اذا اشتغل بتزكية نفسه بالذكر فما الى هذا الهدف رمى ... » .

اذا قلت هذا القول قلت أشدّ قول وأقواه ، هذا هو الغزالي في سطور قليلة لا زخرفة فيها ولا باطل ، هذه هي صوفيته في كلمات يسيرة لا بهرج فيها ولا طلاء ، فاذا كان الأدب بحسب رأي ابن خلدون الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فما انحرفت في أدبك هذا عن هذه الأساليب وهذه المناحي واذا كان الأدب عبارة عن صورة الحياة فقد صوّرت الغزالي ، لا بل صوّرت فيه أسمى مظهر من مظاهره وأنبل مقصد من مقاصده تصويراً فيه كل الصدق وفيه كل الأمانة وفيه كل التنسيق ، ولست أعتقد أن أدب الصورة في عصرنا هذا يفتقر الى أكثر من هذه الصفات : الصدق والأمانة والتنسيق .

هل أنا في حاجة الى الإكثار من الاستشهاد في هذا المعنى فان مثلاً واحداً في بعض الأحيان يلقي الضياء على أدب أديب ، لقد اخترت ياسيدي من أدبك مثلاً حياً ناطقاً ، لقد كشفت في قليل من البيان ما تبعثر في تصانيف

لقد قرأت يا سيدي بعض مقالاتك من جملتها : البيت العربي ، والغزالي ، وأثر الفكر العربي في الحضارة الإسلامية ، والقراءة المبدعة ، والشعلة المقدّسة ، وثورة الدم ، وثورة الفكر ، وثقافة الخلق ، وثقافة الفكر وغير ذلك من نتائج خاطرك ، انك في كل موضوع من هذه الموضوعات الدقيقة التي عالجتها تهتم بالفكر قبل كل شيء ، ثم تُعنى بصيغة هذا الفكر فأنت لا تريد أن تلبس فكرك لباساً يزيد على مقداره أو ينقص عن هذا المقدار وإنما تحاول أن تجعل تناسباً مرموقاً بين فكرتك وبين لباسها فلست تجهد ذهنك في التفتيش عن لباس يزيد في حسنها وما يجهد أذهانهم في البحث عن مثل هذا اللباس إلا الذين يشكّون في حسن فكرتهم فيحاولون أن يظهروا هذا الحسن بزينة خادعة أما أفكارك فانها في غنى عن كل خديعة .

لما صوّرت الغزالي ، أو في عبارة أصح ، لما لخصت صورته وركزتها قلت فيه :

« لقد استهوى الغزالي حب الحقيقة حتى أخذ بمجامع نفسه ، وانقلب هذا الحب الى هوى عنيف استقطبت حوله جميع ميوله وعواطفه ، فأضحى ولا أثر فيه لشهوة ، ولا ظل لرغبة ، ولا مظهر لمطمع في جاه أو مال أو منزلة أو أهل أو ولد أو وطن ، لقد ذابت فيه كل أنانية ، وانعدم فيه كل اهتمام ذاتي ، فهو اذا انصرف الى تصفية طويته بالعبادة ، فليس ذلك مقصوده بالذات ؛ وهو اذا اشتغل بتزكية نفسه بالذكر فما الى هذا الهدف رمى ، تلك سلسلة من الأفعال السلوكية تصلح أن تكون واسطة لا غاية ، وميكانيكيات روحية تمارَس ابتغاء غرض أسمى ، هذا الغرض الأسمى هو الوقوف على حقيقة الفطرة الأولى حتى يدعو اليها عن قناعة ورضى ، هو إدراك كنه اليقين حتى يبشر به عن أمن ووثوق ، فحالته لا تشبه حالة عامة الفلاسفة ولا خاصتهم ؛ وموقفه لا يماثل موقف عامة الصوفية ولا خاصتهم . النظر لديه من أجل العمل ؛ والعمل لديه عن طمأنينة النظر . انه لم يقنع بالنزعة العقلية الجافة المجردة التي نجدها

وهنالك ... ونظرت زوجي اليّ وفي عينيها بعد أن رأت انهيار هذا العالم السحري في نفس الغلام دمعة مترقرقة من الحزن الجارح ، فقالت : سيكون أمام هؤلاء الأطفال زمن يعانون خلاله مرارة الحقيقة ، فلماذا نضن عليهم الآن ولا نحسن اليهم بشيء من الكذب البريء » .

أجل انّ في هذا الكلام خيالاً ولكنه معقول انّ فيه صوراً ولكنها غير بعيدة عن العين فان فلسفتك المجرّدة التي انقطعت اليها زمناً من عمرك غير قصير قد أثرت تأثيراً قوياً في تفكيرك الشعري ولماذا لا أقول قد أثرت تأثيراً محموداً في هذا التفكير ، اني على ميلي الى الشعر لا أحب الاغراق في الصور فأنا أحب صقلها والاعتدال فيها ولقد دلّ عالمك المسحور على هذا الصقل وهذا الاعتدال .

غير أن تفكيرك الفلسفي غلب على تفكيرك الشعري ، ولقد طفقت أشعر ياسيدي بارتباك يفوق كل ارتباك ، فاذا استطعت أن أبدي الرأي في أدبك سواء أكان هذا الرأي صحيحاً أم غير صحيح ، فهل أستطيع أن أخوض في الكلام على فلسفتك ، إلا أني سأخرج من هذه الورطة التي أورطوني فيها فأنا لا أعنى بالفلسفة ، بمذاهبها ومقاييسها ، مقدار عنايتي بنتائجها ، لقد نفضتَ الغزالي من مدفنه ، وسواء أكان الغزالي من أهل الشك أم لم يكن ، وسواء أأعرض عن العقل لتأسيس الدين على أنقاض الفلسفة أم لم يعرض وسواء أكان دينه العدم أم لم يكن وسواء أبحث عن العمل والعلم أم لم يبحث ، اني أمرّ بهذا كله فلست أقصد الى الفلسفة للبحث عن أسرارها ومبادئها ، وقد قدّر لي أن أقرأ من زمن قريب أو بعيد خلاصتها فالذي رأيته أن المشاكل التي شغلت الفلاسفة في أقدم العصور هي التي تشغلهم في يومنا هذا ، فقد عُني القديم بمذاهب المادة والروح والمعرفة والعمل وغير ذلك عناية الحديث بهذه المذاهب كلها وقد يتسع فكر الفلاسفة في هذه الآفاق وأشباهها أو يضيق ، وقد ينقض عصر ما بناه عصر أو يفطن عصر الى ما لم يفطن اليه عصر فأنا أمرّ بهذا كله ولكني

وأظن أن هذا التكثيف الذي ألهمت المقدرة عليه انما هو نتيجة من نتائج مطالعاتك الكثيرة فأنا لما أشرت الى جزازاتك المكدوسة لم أشر اليها عبثاً وإنما رميت في هذه الإشارة الخفية الى خصب قراءتك حتى نشأ عن خصب القراءة خصب التفكير وفي الموضوعات التي ذكرتها ما يدل على طبيعة الميادين التي يجول فيها تفكيرك ولكن هذه الميادين اذا لم يرزق صاحبها لغة تفصّلها أدقّ تفصيل وتوضّحها أكمل توضيح لم تك شيئاً مذكوراً ولقد رزقتَ في في تفصيلها وتوضيحها فنّاً مصقولاً وأعني بهذا الفن المصقول تركيز الفكر وتركيز اللفظ فلم تصور أفكارك في غير حقائق صورها ، إنك من أهل التفكير المجرّد فأنت تستطيع أن تنسلخ من المادة وأن ترتفع الى تصور الفكرة دون أن يسترها ستر أو يغطيها غطاء ، لقد نجّاك الله في أدبك من هذا الداء الذي أصبنا به وهو داء انتفاخ الأفكار اذا صحّ هذا التعبير فكثيراً ما نعبّر عن فكرة بسيطة بلفظة أكبر من هذه الفكرة وما هي نتيجة هذا التعبير ، إن نتيجته إسراع النخر والبلى الى لغتنا وإن له نتيجةً ثانية وهي تباعد ما بين عقليتنا وعقليات الأمم الممتدة من وراء البحار فإنهم في مخاطباتهم العامة يفرقون بين لغة الشعر وبين لغة الأمر الواقع ونحن لا نفرّق بين هاتين اللغتين وهذا ما يبعّد المسافات بيننا وبين هذه الأمم في تفاهمنا .

ولكن على الرغم من تفكيرك المجرّد أفلم يك لك نصيب من التفكير الشعري ؟ إني أظلمك ظلماً فادحاً اذا سلخت الشعر منك فانك في مقالك « العالم المسحور » شاعر كل الشاعر ، معنى هذا أنك ملت الى إفراغ فكرتك في صور يأنس بها الشعراء ، أفليس في الصورة الآتية شيء من الشعر :

« كانت ذُبالات الشموع الصغيرة العالقة بفروع شجرة الصنوبر تلقي بنور مضطرب على أطواق الذهب والقصب التي انتطقت بها الأغصان ، فتنعكس عنها في الظلام ومضات براقة تُشيع خلجة الحياة في الدمى الغريبة الجاثمة هنا

في أسلوب نقي طاهر فما أظن أن الغزالي قعد عن العمل في حياته أو كره الحياة فان خصب إنتاجه لأكبر دليل على نشاطه في العمل وعلى محبته للحياة فنحن نريد صوفية مثل هذه الصوفية ، نريد صوفية تطهرنا من أخلاقنا الحيوانية ونأمل يا سيدي في دخولك مجمعنا اليوم أن تشيع مبادئ الغزالي على قلمك ، لقد اجتمعت فيك قوتان : قوة شرقية وقوة غربية ، أخذت عن العرب هذه اللغة التي أحببتها حباً جماً ملأ شعورك ، هذه اللغة التي اشتملت على لحم وطنك ودمه وروحه وأخذت عن الغرب هذه النظرة الصادقة الى الحياة ، هذا التفكير القوي ، أما وقد دخلت مجمعنا فقد زادت ثروته بأمثالك فاذا توليتُ تقديمك في هذا المساء فما توخيت في هذا التقديم إلاّ التنويه بنزعتك العربية التي تجلت في حبك لأكبر مظهر من مظاهر ميراثنا وهو بياننا المقدّس ، وإلاّ الإعلان بفهمك للحياة وإيمانك بقوة التفكير !

شفيق جبري

اذا بحثت عن الفلسفة فاني أبحث فيها عن دواء لأمراضنا أو عن حلّ لمعضلاتنا والفيلسوف الذي يصف دواء لهذه الأمراض أو يأتي بحل لهذه المعضلات هو الذي يستهويني ويستميلني وما عليّ أن أعرف دقة بحثه وثقوب نظره فاني أذوق العسل ولا أتعب نفسي في معرفة أصله ، كيف حوّلت النحلة زهرها اليه ? ان معرفتي بأساليب هذا التحويل لا تزيد في حلاوة العسل ، وان جهلي بهذه الأساليب لا تنقص من هذه الحلاوة ، لا شك في أنك يا سيدي وأنت الفيلسوف المتعمق لا توافقني على هذه النظرات الشعرية في الفلسفة واذا كنت لا توافقني عليها الموافقة كلها فانك لا تعيب عليّ أن أمرّ بدراستك للغزالي فأستنبط من هذه الدراسة الخلاصة الواقعة التي تنفعنا في حياتنا ، وأريد بهذه الخلاصة صوفيته الطاهرة ، هذه الصوفية التي أشعر بحاجة شديدة اليها في عصرنا هذا ، لقد تكالب الناس على المادّة تكالباً لم يعهده عصر من عصور البشرية واذا بحثنا عن أصول الحروب التي مضت من أربعين سنة ونظرنا الى الحروب التي يبشروننا بها في الآتي وجدنا أن من أسبابها لا بل من أقوى هذه الأسباب الإفراط في التعلق بالمادة ، فكأن هذه البشرية مجرّدة من الشيء المقدّس الذي نسميه : الروحانيات ، فانا لا نحضر مجلساً من المجالس إلا رأينا غلبة النزعة المادية على أحاديثه فالإنسان في هذا العصر لا يشبع ولا يروى فكل شيء يقاس بالمادة وإني أستأذنك يا سيدي في هذه الخطرات القاسية ولكني معذور اذا قلت لك ان بعض الحيوان اذا شبع عاف الأكل وان بعض الناس وبعض الأمم اذا شبعوا أو تخموا قاموا عن السفرة وعيونهم في الأكل .

لما درست الغزالي وكشفت عظمته مهدت لنا سبيلاً الى التمتع بهذه العظمة فنحن نلجأ اليه للاستشفاء بصوفيته في هذا العصر ومعاذ الله أن أعني بالصوفية قعود المرء عن العمل وزهده في الحياة وانما أعني بها محبته للعمل وولعه بالحياة

لئن كنتَ قد بلغتَ عني وشايةً لَمُبلغُك الواشي أغشُّ وأكذبُ[1]

٥ — وجاء في « ص ٤٣ » من المقدمة و « ص ٣٨١ » من الديوان :

وعَوافٍ تترى ولا رؤيت منك ربوع العليا وهنّ عَوافِ

والصحيح أن يكتب البيت كما يأتي ولعل هذا من سبق القلم :

وعَوافٍ تترى ولا رؤيتْ منـــــكَ رُبوعُ العليا وهنّ عَوافِ

والبيت من عَروض الخفيف ، تنتهي « فاعلاتن » بالنون من « منك » .

ومثله ما في « ص ٤ » :

ما بهرْتَ العقول يا معجز الآ يات إلاّ لتجمع الأهواءا

وما في « ص ٥ » :

حُزتَ حكم الجيوش فيهم وما جهّـــــزتَ جيشاً ولا عَقدتَ لِواءا

٦ — وجاء في « ص ١٧ » من الديوان « تصلُ الرَّفاء بصالح الأبناء » .

والمعروف « الرِّفاء » بكسر الراء لأنه مصدر « رافأ » أي داري ووافق .

٧ — وورد في « ص ٢٧ » منـه : « مواهبُ تتلوها وتترى مواهبُ » ،

وكان حسناً أن ينبه على أنه استعمل « تترى » فعلاً وهي صفة أصلها « وترى »

من الوِتر ، ولعله استعملها كذلك في « ص ٣٨١ » .

٨ — وفي « ص ٣٥ » « إلى الموت مما يُكسبُ العار تهرُبُ » كان حسناً

أن يُشار الى اختلاف اللغويين في « كسب وأكسب » .

٩ — وفيها أيضاً « ولست كمن أنحى عليه زمانَهُ » والوجه « زمانُه » لأنه فاعل ،

وخصوصاً بعد تفسيره « أنحى عليه » بـ « أخنى عليه » .

١٠ — أبو الكرم حيدرة بن الحسين المذكور في « ص ٤٢ » ترجمه

ابن الفوطي في « تلخيص معجم الألقاب ، ج ٥ الترجمة ١٣٠١ » قال : « معتزّ الدولة

المؤيد أبو الكرم حيدرة بن الحسين بن مفلح المغربيّ والي دمشق . ذكره الحافظ

---

(١) ويرد على قائل هذا بأن ابن حيوس استعمل « لئن » للماضي فلم يكن له بد من الفاء .

ديوان ابن حيّوس

«ملحوظات عليه»

١ — جاء في الصفحة «١١ من المقدمــة ، س ١» (وفي سنة ٤٦٣ فتح أتسز بن أوق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي القدس) .

قلت : لم يكن في سنة فتحه القدس من أمراء ملكشاه ، لأنه ولي السلطنة السلجوقية سنة «٤٦٥» فهو يومئذ من أمراء أبيه ألب أرسلان السلجوقي .

٢ — الأبيات السينية الثلاثة الواردة في «ص ١٧» من المقدمة ، ذكرها مؤلف الكتاب الذي سميناه «الحوادث الجامعة» كما جاء في «ص ١٩» من المطبوع [1] ، وذلك في ترجمة أحمد بن أبي السعود الرصافي أحد الذين نسخوا «ديوان سحيم» وللأبيات قصة طريفة مذكورة هناك .

٣ — ابن حَبّوس المغربي الوارد اسمه في «ص ١٩» من المقدمة مذكور في «المعجب في أخبار المغرب» أيضاً ، ذكره مؤلفه في خبر عبور عبد المؤمن المتمهدي الى الأندلس قال : «واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداءاً ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك ، إنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم وكان على بابه طائفة منهم أكثرهم مجيدون ، فدخلوا فكان أول من أنشد أبو عبد الله محمد بن حَبّوس من أهل مدينة فاس وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هانئ الأندلسي ...» «ص١٣٧» من الطبعة المصرية ١٣٢٤ .

٤ — ورد في «ص ٢٣» من المقدمة قول ابن حيّوس :

ولئن حنت ظهري السنون ببرّها فالرمحُ ينفعُ وهو غير مقوّم

وكان ينبغي التنبيه على أنّ قوله «فالرمح» غير فصيح لأنّ هذا موضع اللام لا الفاء كما قال النابغة :

---

(١) وذكرت في كامل ابن الأثير «ج ١٠ ص ٣٦» في حوادث سنة ٤٦٩ هـ .

ضفتْ نعمتان خصّتاك وعمّتا فذكرُهما حتى القيامة يؤثرُ
وجودُك والدنيا اليك فقيرة وجودُك والمعروف في الناس مُنكرُ
فلو رام يا يحيى مكانك جعفر ويحيى لكُنْتا[1] عنه يحيى وجعفرُ
ولم أرَ مَن ينوي لك السوء يا أبا الـــمظفر إلا كنتَ أنت المُظفَّرُ

١٦ — وفي حاشية «ص ٢٧٠» ما نصه «فأنشده يمدحه أربعة أبيات الأخيرين منها للخليفة والأولين لابن حيوس» والوجه «الأخيران» و «الأولان» على الرفع بالابتداء ، ابتداءاً في الأول وعطفاً في الثاني ، ولا تصحّ هنا البدلية لاحتياج الجار والمجرور بعدهما الى رافع .

١٧ — وفي حاشية «ص ٣٠٠» ما صورته «واغتيل سنة ٤١١» والصحيح «فاغتيل فقتل» لأن الاغتيال هو المفاجأة على عادة الغول المزعومة[2] .

١٨ — وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد «مج ٤ ص ٢٦٦» بيتان استشهد بهما مؤلفه وهما من قصيدة لابن حيوس «ص ٣١٥ ـ ٦» من الديوان .

١٩ — وجاء في «ص ٣٩٦» ذكر القاضي عين الدولة وفي حاشيتها ترجمته منقولة من «معجم الألقاب» لابن الفوطي . قلت : إن ابن الفوطي ترجمه ثانية في موضع آخر من كتابه المذكور قال في موضع العين من «العين» :

«عين الدولة أبو محمد عبد الله بن علي بن عياض بن أبي عقيل الصوري ، صاحب الساحل ، ذكره أبو الفرج غيث بن علي في تاريخ صور ووصفه بالسخاء والمروءة وروى عن أبي الحسن علي بن الحسن المترفق الطرسوسي . روى عنه سهل بن بشر وأبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الشيرازي والشريف أبو علي الحسن بن احمد بن عبد الله النعماني وابنه الشريف عبد الله . وذكره الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر في تاريخه وقال : وسمع أبا الحسن بن جميع وطبقته وقدم دمشق وحدث بها وروى عنه أبو بكر الخطيب وخرّج له فوائد في أربعة أجزاء وكانت وفاته بصور في شوال سنة خمسين وأربعمائة» .

---

(١) الصواب «لكنتما» .
(٢) أعني أن المفاجأة لا تكفي في الاعراب عن المعنى .

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ٠٠٠» وأحال ناشره في الحاشية على تهذيب التاريخ «٥ : ٢٧» وأنه عزل سنة «٥٥٤» .

١١ — ابن أبي الجنّ فخر الدولة العلوي ، ترجمه ابن الفوطي في «تلخيص معجم الألقاب» «ج ٤ ص ٢٥١» من نسختي الخطية وفي الورقة «٣٢٦» من النسخة المصورة ، إلا أن الترجمة سقطت وبقي الاسم فأكملته من النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة «ج ٥ ص ٣٧» .

١٢ — في ص ١٥٩ «مَنْ رأيه في حوره التقليد» قال في الحاشية «ولعلّ الصواب : في حوزه» . والحور عندي أحق وأجل فالحَوْر النقصان بعد الزيادة يقال : «نعوذ بالله من الحور والكور» .

١٣ — وفي «ص ١٨٤» يكون البيت على النحو الآتي :

وغزّ الغُزّ أن الدين واهٍ هناك وأن ناصره بعيد

والغُزّ هم قبائل طغرلبك التركماني ولا وجه للأصل المطبوع .

١٤ وفي «ص ٢٤٢» (فلا افترقت ما ذبّ عن ناظر شفر) وجاء في الحاشية أن رواية تاريخ ابن الوردي «ما افترّ عن ناظرٍ» وقد ورد في بعض الكتب التاريخية «المنتظم ج ٨ ص ٣٠٤» :

ثمانية لم تفترق مُذ جمعتها ولا افترقت ما فُرّ عن ناظرٍ شفرُ
ضميرُك والتقوى وجودُك والغنى ولفظك والمعنى وعزمك والنصرُ

وورد شيء من أبيات الرائية «ص ٢٤٨» من الديوان في المنتظم أيضاً «ج ٨ ص ٣٠٤» وذكر ابن الأثير في حوادث سنة «٤٦٩» ثلاثة أبيات من القصيدة المذكورة .

١٥ — ذكر هندو شاه الصاحبي في كتابه «تجارب السلف» بالفارسية بيتين من قصيدة ابن حيوس[1] «الديوان ص ٢٧٠» مع بيتين للخليفة المستنجد بالله وهي :

(١) جعله عباس إقبال الأستاذ «ابن حبوس» وهو طابع الكتاب .

مختصرة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ ورقة ١٧١ » قال :
« محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الأمير الشاعر الفصيح ، هذا أحد الشعراء الشاميين وفحولهم المجيدين ، مدح أعيان الأمراء والأكابر وله ديوان مشهور . ولد سنة أربع وتسعين وثلاثمائة بدمشق ومات بها (ب) في شعبان [من سنة ٤٧٣] وقد جاوز الثمانين ، وأنشد له ابن عساكر :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا ... بأنكم في ربع قلبيَ سكان (١)
ودوموا على حفظ الوداد فإنني ... بليت بأحباب اذا حفظوا خانوا
سلوا (٢) الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفانُ
وهل جرّدت أسياف برق سمائكم ... فكانت لها إلا جفونيَ أجفانُ ؟

هذا في الحقيقة كلَف قد ظهر في شمس هذا الديوان الذي جمع نشره بين البراعة والألمعية والإحسان :

وماذا يضرّ الشمس إن قيل أكلفت ... وماذا يضرّ البدر إن قيل أحولا ؟
أنارت ملايين السنين ولم تزل ... تنير وهذا البدر مازال في علا

(بغداد) مصطفى جواد

استدراك

يرجى إصلاح الكلمات الواردة في مقالي « المدرسة العادلية الكبرى » كما يلي :

		الخطأ	الصواب
ص ٥٧	س ٢	الفقه	أصول الفقه
٦١	١٠	الحصري	الحصيري
٦٥	١٨	محمد بن ابي بكر	ابو بكر
٦٦	٨	المؤرخ	والد المؤرخ

محمد أحمد دهمان

(ب) كذا والصواب انه مات في حلب . (خ . م)

(١) الديوان « ص ٦٤٥ » .

(٢) في الأصل « سل » .

وذكره أبو شامة في «الروضتين ج ١ ص ١٢٧» استطراداً قال: «قلت ابن أبي عقيل هذا هو أبو الحسن محمد بن عبـد الله بن عياض بن أبي عقيل صاحب صور ويلقب عين الدولة، مات سنة خمس وستين وأربعمائة، واستولى على صور ابنه النفيس والله أعلم».

وقال ابن تغري بردي في وفيات سنة «٤٥٠» من النجوم الزاهرة «ج ٥ ص ٦٣»: وفيها توفي عبد الله بن علي بن عياض أبو محمد الصوري كان يلقب بعين الدولة، كان جليلاً نبيلاً ولي القضاء بصور وسمع الكثير وخرّج له أبو بكر الخطيب فوائد في أربعة أجزاء وقرأها عليه بصور وهو الذي أخذ الخطيب مصنفاته وادّعاها لنفسه ومات فجأة في الزّيب «قرية بين عكا وصور» في شوال وكان صدوقاً ثقة».

ثم ذكر في حوادث سنة «٤٨٢» (ج ٥ ص ١٢٨) ما هذا نصه: «فيها جهز بدر الجمالي عسكراً من مصر مع نصير الدولة الجيوشي فنزل على صور وبها القاضي عين الدولة ابن أبي عقيل فسلمها اليه ...». فقد أحياه بعد أن أماته باثنتين وثلاثين سنة وهو أمر عجيب[1].

٢٠ — وجاء في «ص ٤٢٠» ذكر «طَرّاد بن محمد الزينبي» والصواب «طِراد» تسميته بالمصدر وهو مذكور في شعر حيص بيص كذلك في مواضع لاتحتمل الشك.

٢١ — جاء في «ص ٥٤٩» ذكر دار عزيز الدولة بغير تعريف به وهو عزيز الدولة أبو الدوام ثابت بن ثمال بن صالح بن مرداس الكلابيّ، ورد ذكره في «زبدة الحلب» (ج ١ ص ٢٩٣) وفي تتمة اليتيمة استطراداً مع شاعره أبي الخير المفضل بن سعيد المعرّي العزيزي «ج ١ ص ٨» وله ألف المعرّي كتاب «اللامع العزيزي»[2].

٢٢ — وردت ترجمة ابن حيوس في «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي

---

(١) المذكور في ص ٣٩٦ من الديوان هو عين الدولة ابو الحسن محمد بن عبد الله بن علي ابن ابي عقيل. والذي ذكره ابن عساكر وصاحب النجوم الزاهرة هو عين الدولة ابو محمد عبد الله بن علي يعني والد المذكور في الديوان. خليل مردم بك

(٢) وله ترجمة في تلخيص معجم الالقاب لابن الفوطي.

النبيذ أو الخمر) من الاستقطار أو البخر والتصعد فكأنما هو روح يتصعّد من صميم النبيذ . وهذا ما حمل الافرنج أن يشرحوا (cohol) بكلمة (subtil) أي البخور ، الطيار المتصعود الخ ، وينقلوا عن العرب جملة بالمعنى نفسه (esprit-de-vin) وباللاتينية (spirito) ومعناها الروح .

بعد هذا لا مجال لوجه الشبه بين (الكُحل) الصلب أو (الكُحَيْل) المائع الغليظ الكثيف حتى يطلق العرب — وهم مشهورون بسلامة الذوق ودقة التشبيه — على (روح النبيذ) كلمة (كحل) أو (كحيل) .

ولو كان (alcohol) منتقلاً عن (الكُحَيْل ، بضم ففتح) لوجب أن تكون في لسانهم (alcohyl) لا (alcohol) التي ليس من شك في أنها عن (كُحْل) .

والأتراك يلفظون الكلمة الافرنجية (alcool) : (كُؤُول) بالهمزة وبضمة ثقيلة مبسوطة كما في لفظ الكلمة (حُؤُول) إذ لا يستطيعون لفظ الحاء من مخرجها الحقيقي من الحلق . ولولا اللبس بكلمة (الكُهُول) — جمع كهل — للفظوها (كهول) كما هي عادتهم في لفظ الحاء العربية هاء . ومنهم انتقلت الى من أخذ عنهم في مدارسهم من العرب (من سوريين ، وعراقيين ، ومصريين) في العهد العثماني السابق . والزملاء المصريون لا يزالون يستعملون كلمة (كحول) ويحسبونها (مفرد) لا (جمع) فيقولون ويكتبون في محادثاتهم ونشراتهم أو مجلاتهم : (كحول صاف ، كحول أبيض) وقد سها عن بالهم ان (كحول) إن صح تسمية (السبيرتو) بها فهي جمع (كحل) وان (كل جمع مؤنث) . فالخطأ مضاعف : ١ً) استعمالهم الكحل لما يوافق (الغول) ، ٢ً) ظنهم (كحول) مفرداً لا جمعاً ووصفهم إياها بصفات التذكير لا التأنيث .

أما قول الأستاذ المغربي الفاضل إن (الغول) هو (الاغتيال) فهو صحيح . وفي القاموس : (الغول ، الصداع والسُّكر) ، ومن أطلق هذه الكلمة على

(غَوْل) أم (كُحُول) ؟

كان الأستاذ المغربي ـ أمدّ الله في حياته ـ كتب في هذه المجلة (الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين ، في الصفحة ٦٤٧ ، من السنة ١٩٥٣) كلمةً حول (الكحول) و (الغول) وأتى بشرح لكلمة (كُحَيْل) وإمكان إطلاقها على ما يقصده العامة من كلمة (اسبيرتو) ذلك المائع اللاذع المستقطر من كل مادة سكّرية تَخمُّر (fermentescible) عانت اختياراً غولياً بفعل خميرة يسميها الكيمياويون (غَوْلاز alcoolase) ، لكن هذا الشرح زاد في الأمر تعقيداً وأضاف الى مرادفات هذه المادة ، كلمةً جديدة نحن في غنى عنها وفي أيدينا كلمة (غول) الملائمة كل الملاءمة للغرض المستعملة له سواء أكانت حديثة الاستعمال لما يوافق (alcool) الافرنجية أم كانت قديمته .

أما ان أصل كلمة (alcool) الافرنجية ، عربي من (al. cohol كما استنبطه الغربيون) فهذا لا ريب فيه باعتراف الفرنجة أنفسهم بذلك . وإنما استعاروا نعومةً خاصةً في الـ (كُحْل) الصلب ، وهو ذرور غاية في النعومة ، يستعمل للتكحيل) ، للطافةِ وبَخُوريةِ (volatilité) في (الغول) المائع ، وهو قُطارة غاية في اللطافة والبخر ، من باب المجاز لا من باب الحقيقة والانطباق على الواقع ، لأنهم يقولون : (al : ألْ ، بالعربيـة ، و cohol : شيء طيار chose subtile) . و (subtil من اللاتينية subtilis : غاية في النعومة والدقة واللطافة الخ . ومنها في الافرنسية مصدر subtiliser : بَخَّر ، صَعَّد ، حوّل الى بخار أو غاز . فالـ (subtil) على هذا بَخُور ، صَعُود ، وزان فَعُول الدالّ على القابلية) .

وعندي أن العرب وهم أول من استقطر (الغول) من النبيذ أو الخمر ، لم يسموه (كحول) ولا (كُحَيْل ، على التصغير) إنما أسموه في البدء (روح

دارم :أخبرني أعرابي من ربيعة أن الدارم شجر يشبه الغضا ، له هَدَب ، ولونه أسود ، ومنابته الرمل بنواحي الشِحر ، ويُتخذ منه المساويك . وله طعم حرّيف . وإذا استيك به حمّش اللثة والشفة . وقد وصفناه في باب السوك .

(قطعة كتاب النبات للدينوري ، طبع Lewin سنة ١٩٥٣ ص ١٧٠)

وقال في ما عسى أن يكون من باب المساويك :

« والدارم شجر شبيه بالغضا ، ولونه أسود ، يستاك به النساء فيحمّر لثاتهن وشفاههن تحميراً شديداً . رواه أبو حنيفة وأنشد :

إنما سلْ فؤادي درَمٌ بالشفتين

والدَرَم ، محركتين ، احمرار في الشفتين عقيب الاستياك » .

(راجع لسان العرب وتاج العروس مادة درم ؛ تهذيب التهذيب للأزهري ، مخطوطة لوندرا ، ص ٢١٧٢)

فاذاً ليس لأخواتنا أن يخجلن أمام الباريسيات لتحمير شفاههن ، نعم نبحث في الدارم ونزرعه في بلادنا كي نستغني عن استيراد البضائع الاجنبية .

* * *

توث : بالثاء . وقوم من النحويين يقولون توت بالتاء . ولم نسمع به في الشعر إلا بالثاء وذلك أيضاً قليل لأنه لا يكاد يأتي من العرب إلا بذكر الفِرصاد . وقد قال بعض الأعراب ورواه الناس :

رَوضةٌ من رياض الحزن أو طَرَفٌ من القُرَيّة حَزنٌ غير محروثِ

أحلى وأشهى لعيني إن مررتُ به من كَرخ بغداد ذي الرمان والتوثِ

وقد روي عن الأصمعي أنه قال : التوث هو بالفارسية ، وهو بالعربية التوت : وقال بعض الرواة : أهل البصرة يسمون شجرته الفرصاد ويسمون الحمل التوث .

(كتاب النبات للدينوري طبع Lewin أيضاً ص ٧١)

(باريز) محمد حميد الله

المائع المستقطر من الخمر قد أصاب لتسميته الشيء بما يؤول اليه ، كما في (إني أراني أعصر خمراً ، الآية ، أي العنب الذي سيحوّل الى خمر ، لأن الخمر لا تعصر . فخمر الجنة (لا غول فيها) . فالصداع والسكر والعربدة و (الاغتيال) وكل ما يبدو من شارب الخمر وغيرها من الأشربة الروحية ، من شذوذ فعلاً وخلقاً ما هو إلا مما تحتوي عليه الخمر أم الخبائث ، من (السبيرتو) المادة التي لا ريب في تأثيرها في العقل والجملة العصبية جمعاء .

فهل من مانع يمنع من إطلاق (الغول) على (السبيرتو) المادة التي تنجم عنها هذه العوارض المرضية والجنونية فهي السبب في كل هذه الحالات الشاذة التي تبدو على السكران جسماً وروحاً ، وهي السبب في تحريم شربها في الإسلام . فالخمر لولا (الغول) أو (السبيرتو) فيها لما أحدثت في شاربها أكثر مما يحدثه الماء الزلال من لذة الارتواء ونقع الغلة .

ومثل الغَوْل كلمة (الغُول ، بالضم) فهي : (الهلكة والداهية) . فكأن شارب الخمر (أو السبيرتو) يشرب الهلاك ، ويتجرع الموت عاجلاً أو آجلاً .

هذا ما رأيت أن أبديه على صفحات مجلتنا استجلاء للحقيقة ، وأنا شاكر لواضع كلمة (الغَوْل) لما يقابل (السبيرتو) كائناً من كان - فهو موفق في إطلاقه هذا - وماض في استعمالها منذ اطلاعي عليها من أمد بعيد ، وعامل على إشاعتها بين طلابي والناطقين بالضاد ، تاركاً الكحل ، للعين - والكحيل ، للنفط والقطران الذي يطلى به الإبل .

الكواكبي

(دارمم) و (تورش)

أتشرف بإرسال ما وقع في خاطري عند قراءة مجلتكم الغراء (الجزء الأول من المجلد التاسع والعشرين ، كانون الثاني ١٩٥٤ ، صفحة ٢٧ ، وصفحة ١٠٨ سطر ١٣) :

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٦ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٧ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية): تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف . جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃
١٨ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الرابع　　　　المجلد التاسع والعشرون



دمشق



١ تشرين الأول سنة ١٩٥٤ م

٣ صفر سنة ١٣٧٤ هـ

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢١ — « « « « (الجزء الثاني) « « « «
٢٢ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٣ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٤ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٥ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٦ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . ستر ستين .
٢٧ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢٨ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٢٩ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٠ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣١ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٢ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٣ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٣١–٣٣) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٤ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٥ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٦ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

الجزء الرابع		المجلد التاسع والعشرون



١ تشرين الأول سنة ١٩٥٤		٣ صفر سنة ١٣٧٤

مقالة أبي العلاء

أو

مذهب العقل

— ٢ —

الروح

رأي أبي العلاء في الروح أنها من أمر الله ، أراد أن تكون سراً محجوباً عن البشر وهي معهم دلالة على العجز عن إدراك كنهها . فاذا كان الإنسان عاجزاً عن إدراكها وهي معه ، فكيف إذا انفصلت عنه :

أرواحنا معنا وليس لنا بها		علمٌ فكيف إذا حوتها الأقبرُ

أما الجسوم فللتراب مآلها		وعييت بالأرواح أنّى تسلكُ

دفناهمُ في الأرض دفن تيقنٍ		ولا علم بالأرواح غير ظنونِ

وروم الفتى ما قد طوى الله علمه		يعد جنوناً أو شبيه جنون

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي ⎫ في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً ⎭ وفي سائر الاقطار ١٠٠٠ قرش سوري

ومن كانت هذه حالهم فكل ما في العالم أفضل منهم حتى الصخر :

أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

إحذر سليلك فالنار التي خرجت من زندها إن أصابت عودها احترقا
وكلنا قوم سوء لا أخص به بعض الأنام ولكن أجمع الفرقا
لا ترجون أخا منهم ولا ولداً وإن رأيت حياءً أسبغ العرقا
والنفس شر من الأعداء كلهم وإن خلت بك يوماً فاحترز فرقا

وهم في رأيه لا دواء لدائهم ولا أمل في إنقاذهم من ضلالهم :

ومن الرزية أن تبيت مكاثماً إصلاح من صحب الغريزة فاسدا

حوتنا شرور لا صلاح لمثلها فان شذ منا صالح فهو نادر
وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ولكن بأمر سببته المقادر
وفي الأصل غش والفروع توابع وكيف وفاء النجل والأب غادر
إذا اعتلت الأفعال جاءت عليلة كحالاتها أسماؤها والمصادر
فقل للغراب الجون إن كان سامعاً أأنت على تغيير لونك قادر

يوفي على المنبر العالي خطيبهم وإنما يعظ الآساد والنمرا
هم السباع إذا عنت فرائسها وإن دعوت لخير حولوا حمرا

رأيه في المرأة

ليس عجيباً أن يكون أبو العلاء حذراً من المرأة لا يأمنها بعد أن علمنا رأيه في البشر عامة . فهو يرى أن تلزم المرأة بيتها وأن يكون حجابها كثيفاً ، وانه يكفيها من التعلم الغزل والنسج مع حفظ شيء من القرآن تتلوه في صلاتها . فمن سوء رأيه فيها قوله :

ولحب الصحيح آثرت الرو م انتساب الفتى الى أمهاته

ولكنه على كل حال ينكر التناسخ :

يقولون إن الجسم تنقل روحه الى غيره حتى يهذبها النقلُ
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلةً اذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

رأيه في البشر

البشر في رأي أبي العلاء شريرون بالطبع ، طبعوا على الأذى ، وجبلوا من طينة فاسدة :

جبلةٌ بالفساد واشجةٌ إن لامها المرء لام جابلها

والطبع في كل جيلٍ طبع ملأمةٍ وليس في الطبع مجبولٌ على الكرم

والشر في الجد القديم غريزةٌ في كل نفس منه عرقٌ ضاربُ

من ادّعى أنه وفيٌّ فلينتسب في سوى الأنام

ويعتقد أن الخير والكرم لم يوجدا على هذه الأرض :

ما كان في الأرض من خيرٍ ولا كرمٍ فضلَّ من قال إن الأكرمين فنوا

وأن الناس كلهم على اختلاف أجناسهم لؤماء أردياء ، سواء في ذلك قديمهم وحديثهم ، أوباش أخساء لأنهم أبناء هذه الدنيا الخسيسة :

بني آدم بئس المعاشر أنتمُ فما فيكمُ وافٍ لمقتٍ ولا حبِّ

خسستِ يا أمنا الدنيا فأفٍ لنا بنو الخسيسة أوباشٌ أخساءُ

مضى الزمان ونفس الحي مولعةٌ بالشر من قبل هابيلٍ وقابيل
لو غربل الناس كيما يعدموا سقطاً لما تحصل شيءٌ في الغرابيلِ

ما أجهل الأمم الذين عرفتهم ولعل سالفهم أضلُّ وأتبرُ

اذا ابتكرت الى العراف فاعرف مكان عصا تصك بها قَراها [١]
وساورها إذا أبدت سواراً وبارئها متى كشفت بُراها [٢]

رأيه في الزواج

من المعلوم أن أبا العلاء لم يتزوج لفرط تشاؤمه بالحياة ، فهو يفضل الرهبانية والتعفف قال :

ويعجبني دأب الذين ترهبوا سوى أكلهم كدّ النفوس الشحائح

وقال :

خصاؤك خير من زواجك حرةً فكيف إذا أصبحت زوجاً لمومس
وإن كتاب المهر فيما التمسته نظير كتاب الشاعر المتلمس [٣]

هذا الذي اختاره أبو العلاء لنفسه ، ولكنه يعلم أن الناس لا يمكن أن يأخذوا أنفسهم بما أخذ به هو نفسه ، لذلك فهو ينصح لمن لا يطيق الرهبانية أن يتزوج بامرأة عقيم لأن التناسل في رأيه جناية :

إذا شئت يوماً وصلةً بقرينة فخير نساء العالمين عقيمها

وهو لا يجيز التزوج بأكثر من واحدة ، ويرى تعدد الزوجات من أسوء الأعمال عاقبة :

وواحدةٌ كفتك فلا تجاوز إلى أخرى تجيءُ بمؤلماتِ
وإن أرغمتَ صاحبةً بضرٍ فأجدر أن تروع بمرمات
زجاج إن رفقت به وإلا رأيت ضروبه متقصمات

ومن جمع الضرات يطلب لذةً فقد بات بالإضرار غير سديد

---

(١) القَرى : الظهر .
(٢) البُرى : الخلاخيل .
(٣) يريد بكتاب المتلمس الصحيفة التي كتبها عمرو بن هند ملك الحيرة الى عامله على البحرين بقتل المتلمس .

وقوله في حجابهـا :

إذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليدُ

فإن خالفتني وأضعتَ نصحي فأنت وإن رزقتَ حجى بليدُ

ألا إنَّ النساء حبال غيٍّ بهن يضيَّع الشرف التليد

وقوله :

لا تجلسنّ حرةٌ موفقـةٌ مع ابن زوج لها ولا ختنِ

فذاك خير لهـا وأسلم للـــــإنسان إن الفتى مع الفتن

ويقول في تعليمها :

علموهنّ الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابةً وقراءه

فصلاة الفتاة بالحمـد والإخـــــلاص تجزي عن يونس وبراءه

ويقولـ :

ولا تحمد حسانك إن توافتْ بأيـدٍ للسطور مقوماتِ

فحمل مغازل النسوان أولى بهن من اليراع مقلماتِ

ليأخذن التلاوة عن عجوزٍ من اللائي فغرن مهتّماتِ

يسبحن المليك بكل جنحٍ ويركعن الضحى متأثمات

فما عيب على الفتيـات لحنٌ اذا قلن المراد مترجمات

ولا يدنين من رجل ضرير يلقنهن آيا محكمات

سوى من كان مرتعشاً يداه ولمتـه من المتثغمات

ويقول :

إن نشأت بنتك في نعمةٍ فألزمنهـا البيت والمغزلا

وقد يقسو عليها فيقول :

وكم مجليل رجاه للجمال أبٌ ... فكان خزياً بأعلى هضبة رُفعا

نصحتك لا تنكح فان خفت مأثماً ... فأعرس ولا تنسل فذلك أحزمُ

أرى ولد والفتى عبئاً عليه ... لقد سعد الذي أمسى عقيما
أما شاهدت كل أبي وليد ... يؤم طريق حتف مستقيما
فإما أن يربيه عدواً ... وإما أن يخلفه يتيما

أرى النسل ذنباً للفتى لا يقاله ... فلا تنكحن الدهر غير عقيم

يا أمة في التراب هامدة ... تجاوز الله عن سرائركم
يا ليتكم لم تطوا إماءكم ... ولا دنوتم إلى حرائركم
إن استرحتم مما نكابده ... فنحن من بعد في جرائركم

لو أن كل نفوس الناس رائية ... كرأي نفسي تناءت عن خزاياها
وعطلوا هذه الدنيا فما ولدوا ... ولا اقتنوا واستراحوا من رزاياها

حتى أبٌ وضع ابناً للردى غرضاً ... إن عقّ فهو على جرم يكافيه

السلام

يخيل للإنسان بعد أن يطلع على رأي أبي العلاء في البشر وسوء فطرتهم ويأسه من إصلاحهم ، وتبرمه بالحياة ، أن يكون قاسياً لا تعطفه عليهم شفقة ولا رقة كأبي الطيب المتنبي الذي عرف الناس نفسا عليهم إذ قال :

ومن عرف الأيام معرفتي بها ... وبالناس روّى رمحه غير راحم

ولكن أبا العلاء ليس كذلك ، بل هو رحيم داعية للسلام ، لا يحب القسوة ولا يبيح سفك الدماء مهما كان سببها قال :

وان يلتمس أخرى جديداً لحاجةٍ فلا يأمنن منها ابتغاء جديد

اذا كنت ذا ثنتين فاغدُ محارباً عدوين واحذر من ثلاث ضرائر
وإن هن أبدين المودة والرضا فكم من حقود غُيِّبت في السرائر
قرانك ما بين النساء أذيةٌ لمن فلا تحمل أذاة الحرائر
وإن كنت غِرًّا بالزمان وأهله فتكفيك إحدى الآنسات الغرائر

متى تشرك مع امرأةٍ سواها فقد أخطأت في الرأي التريكِ
فلو يرجى مع الشركاء خيرٌ لما كان الإله بلا شريك

بغضه للحياة وزهده في النسل

رأي أبي العلاء في سوء نحيزة البشر ، واستحالة إصلاحهم مقدمة نتيجتها
ن يرى الحياة عبئاً ثقيلاً وينصح للناس بأن لا يتناسلوا ، لأن من نجل نجلاً
د جنى عليه بإبرازه لهذا العالم المملوء بالشر :

دعا لي بالحياة أخو ودادٍ رويدك إنما تدعو عليَّا
وما كان البقاء لي اختياراً لو أن الأمر مردودٌ إليا

على الولد يجني والدٌ ولو أنهم ولاةٌ على أمصارهم خطباء
وزادك بعداً من بنيك وزادهم عليك حقوداً أنهم نجباء
يرون أباً ألقاهمُ في مؤربٍ من العقد ضلت حله الأرباء

هـذا جناه أبي عليَّ وما جنيت على أحـد

خير النساء اللواتي لا يلدن لكم فإن ولدن فخير النسل ما نفعا
وأكثر النسل يشقى الوالدان به فليته كان عن آبائه دُفعا
أضاع داريك من دنيا وآخرةٍ لا الحي أغنى ولا في هالك شفعا

فأوصيكم أما قبيحاً فجانبوا وأما جميلاً من فعال فلا تقلوا

اذا طرق المسكين دارك فاحبه قليلاً ولو مقدار حبة خردل

الرفق بالحيوان

أبو العلاء من دعاة السلام بين البشر ، ومن القائلين بالرفق بالحيوان الى حد بعيد ، فلم يكن يجيز ذبح الماشية ولا صيد الطير ولا قتل الحيوان في البر والبحر ليكون طعاماً لهذا البشر الذي خلق الله له أنواع النبات . ويمعن بالرفق فيحرم ما يخرج من الحيوان أيضاً كاللبن والبيض والعسل لأنه حقها وحق أطفالها فلا يجوز غصبها إياه وهي بحاجة اليه ؛ ويأبى أبو العلاء أن يتخذ نعله من جلدها ، ويستنكر قسوة الانسان في معاملة هذه المخلوقات الوديعة ، فيصور ألم الشاة وهي تختلج مذبوحة والجزار يقطع أوصالها ؛ بل لا يرى فرقاً بين ذبح الحمل وذبح الطفل ، فكلاهما مخلوق يحس ويتألم ، ويصف فجيعة الورقاء بنفسها وبأفراخها حين غدت تبتغي الرزق لمن قأتيح لها صياد أوردها حتفها وترك فراخها من غير معين . وتبلغ به الرقة مبلغاً حتى يرى تسريح البرغوث أفضل من التصدق بدرهم . وأقواله في الرفق بالحيوان كثيرة منها :

غدوت مريض العقل والدين فالقني لتسمع أنباء الأمور الصحائح
فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
وأبيض أمات أرادت صريحه لأطفالها دون الغواني الصرائح
ولا تفجعن الطير وهي غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت له كواسب من أزهار نبت فوائح
فما أحرزته كي يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمنائح

يا مشرع الرمح في تثبيت مملكةٍ خير من المارن الخطي مسباحُ

فإن ترشدوا لا تخضبوا السيف من دمٍ ولا تلزموا الأميال سبر الجرائح

فان تتركوا الموت الطبيعي يأتكمْ ولم تستعينوا لا حساماً ولا خرصا[1]

ولو صفا العقلُ ألقى الثقلَ حاملُهُ عنه ولم تر في الهيجاء معتركا

ولا ترهف مُدًى لعبيط نحضٍ ولا تشهر على قرنٍ صقيلا

لا تحدث القطع في كفٍ ولا قدمٍ ولا تعرض مدى الدنيا لسفك دمٍ

وخل من صور الأشباح مقتدراً يحلها فهو رب الدهر والقدم

فعل الخير

أبو العلاء يائس من إصلاح البشر ، ولكنه يريد أن يتكلفوا فعل الخير ليسيغوا هذه الحياة المريرة بعد أن أتوا الى هذه الدنيا مجبرين غير مخيرين ، ويود لو تكون علاقاتهم فيما بينهم علاقات رفق ومساعدة لا علاقات خصام وتكالب ، لأن الدنيا أهون من أن يتعادوا في سبيلها ؛ وليكن فعل الخير للخير لا لغاية سواه :

فلتفعل النفسُ الجميل لأنه خير وأحسن لا لأجل ثوابها

والخير لا يكفر فليحسن المسلم والصابئُ والهائدُ

وافعل لغيرك ما تهواه يفعله وأسمع الناس ما تختار مسمعهُ

(١) الخرص : السنان والرمح اللطيف .

أرى حيوان الأرض يرهب حتفه ... ويفزعه رعدٌ ويطمعه برقُ
فياطائر اتمني ويا ظبي لا تخف ... شذاي فما بيني وبينكما فرق

كم غال طاهيك من عفراء مرضعةٍ ... وذات لونين صارت قوت مكسالِ
وقد ضننت بشاةٍ وهي فاردةٌ ... على أزلَّ فقيدِ المال عسّال
بخلتَ أن يتغذى طفله دمها ... وأنتَ شارب لذِّ الطعم سلسال

روِّح ذبيحك لا تعجله ميتته ... فتأخذ النحض منه وهو يختلجُ

تسريح كفي برغوثاً ظفرتُ به ... أبرُّ من درهم تعطيه محتاجا
لا فرق بين الأسكِّ الجون أطلقه ... وجون كندة أمسى يعقد التاجا
كلاهما يتوقى والحياة له ... حبيبةٌ ويروم العيش مهتاجا

الحكومة

عمل الحكومة في رأي أبي العلاء خدمة الأمة ، والأمراء والحكام ليسوا إلا خداماً لها ، فليس هناك سلطة ولا حق في التسلط إلاّ في حدود خدمة الأمة وحفظ البلاد :

إذا ما تبينا الأمور تكشفت ... لنا وأمير القوم للقوم خادمُ .

والملوك والأمراء عنده أهون من أن يشقى الناس في سبيل نصرتهم والتعصب لهم :

فلا تشقوا بنصركمُ أميراً ... كما شقيت به كلبٌ وعكٌّ

لذلك فهو شديد على الأمراء والحكام لأنهم أجراء ظالمون :

مل المقام فكم أعاشر أمةً ... أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها ... وعدوا مصالحها وهم أجراؤها

ويقول في الرؤساء والساسة :

مسحت يدي من كل هذا فليتني ... أبهت لشأني قبل شيب المسائح

خف الله حتى في جنى النحل شرته ... فما جمعت إلا لأنفسها النحلُ

أبى الله أخذي درّ ضأنٍ وماعزٍ ... وإدخالي الأمر المضر على السخل

لا أشرك الجدي في درٍّ يعيش به ... ولا أروع بنات الوحش والضانِ

لا أفجع الأم بالرضيع ولا ... أشرك هذا الغرير في اللبنِ

جاروا على حيوان البر ثم عدوا ... على البحار فنال الصيدُ ما فيها

لم يقنع الحي منها ما تقنصه ... حتى أجاز أناسٌ أكلَ طافيها

والطير جمعاء ضعفاها وجارحها ... حتى العقاب التي حدت أشافيها

فلا تأخذ ودائع ذات ريشٍ ... فمالك أيها الإنسان يضنته

فاجعل حذائي خشباً إنني ... أريد إبقاءً على الدارشِ [1]

وسيّان أمٌّ برّةٌ وحمامةٌ ... غذت ولداً في مهده وغذت بُجّاً [2]

فلا تبكرنْ يوماً بكفك مديةٌ ... لتهلك فرخا في مواطنه دجّا

وابكِ على طائرٍ رماه فتىً ... لاهٍ فأوهى بفهره الكتفا

أو صادفته حبالةٌ نصبتْ ... فظل فيها كأنما كتفا

بكر يبغي المعاش مجتهداً ... فقص عند الشروق أو نتفا

كأنه في الحياة ما فرع الـ ... ـغصن فغنى عليه أو هتفا

(١) الدارش : الجلد .

(٢) البُج : الفرخ .

تذيع السر من حرٍّ وعبدٍ وتعرب عن كنائز معجبات
وزينت القبيح فباشرته نفوسٌ كنَّ عنه محزّمات

لو كانت الخمر حلاً ما سمحتُ بها لنفسي الدهر لا سرًّا ولا علنا

تفاريق

كان أبو العلاء يساوي بين الناس لا يفضل أمة على أخرى ولا يرى العصمة لأحد منهم :

أتاني بإسناده مخبرٌ وقد بان لي كذب الناقلِ
أذو العصمة العاقل الآدمي إلا كذي العُصمةِ[1] العاقل
ولا فضل فينا ولكنهـا حظوظ من الفلك الصاقل

لا يفخرنَّ الهاشميُّ على امرئٍ من آل بربرْ
فالحق يحلف ما عليٌّ عنده إلا كقنبر

وكان على كثرة ذكره للكواكب والنجوم في شعره يبغض المنجمين ويقطع بتدجيلهم ويحذر الناس منهم ويغري الحكام بقطع دابرهم :

لو كان لي أمر يطاوع لم يشن ظهر الطريق بدَ الحياة منجّم
يغدو بزخرفه يحاول مكسباً فيدير إسطرلابه ويرجم
وقفت به الورهاء وهي كأنها عند الوقوف على عرين تهجم
سألته عن زوج لها متغيبٍ فاهتاج يكتب بالرقان[2] ويعجم
ويقول ما اسمك واسمُ أمك إنني بالظن عما في الغيوب مترجم
فسد الزمان فلا رشاد ناجمٌ بين الأنام ولا ضلال منجم

---

(١) ذو العصمة العاقل : الوعل الصاعد في الجبل .
(٢) الرقان : الزعفران .

يسوسون الأمور بغير عقل ... فينفذ أمرهم ويقال ساسه
فأف من الحياة وأف مني ... ومن زمنٍ رئاسته خساسه

ولكنه يحتمل ظلم الملوك ويرى طاعتهم إذا كانوا حماة للأمة :

واخش الملوك وياسرها بطاعتها ... فالملك للأرض مثل الماطر الساني
إن يظلموا فلهم نفع يعاش به ... وكم حموك برجلٍ أو بفرسان
وهل خلت قبل من جورٍ ومظلمةٍ ... أرباب فارس أو أرباب غسان
خيلٌ إذا سومت سامت وما حبست ... إلا بلجمٍ تعنيها وأرسان

رأيه في الخمر

إذا ذكرت الخمر في دراسة شاعر ، تبادر للذهن الناحية التي اعتاد الشعراء معالجتها من وصف الخمر وألوانها وأقداحها ونشوتها وما الى ذلك على طريقة أبي نواس . أما أبو العلاء فقد نزّه شعره عن كل ذلك ، فعالجها على خلاف ما اصطلح الشعراء عليه ، فهي عنده أم الخبائث تغتال العقل والمروءة وتغري بالفحشاء والمنكر ، ولو لم يحرمها الشرع لحرمها العقل ، ولو أباحها له نبي من الأنبياء لما شربها :

يقول الناس إن الخمر تودي ... بما في الصدر من همٍّ قديمِ
ولولا أنها بالّلب تودي ... لكنت أخا المدامة والنديمِ

البابلية باب كل بليةٍ ... فتوقين هجوم ذلك البابِ
جرّت ملاحاة الصديق وهجره ... وأذى النديم وفرقة الأحباب

أيأتي نبي يجعل الخمر طلقة ... فتحمل ثقلاً من همومي وأحزاني
وهيهات لو حلت لما كنت شاربًا ... مخففةً في الحلم كفة ميزاني

وأما الخمر فهي تزيل عقلاً ... فتحت فيه مغالق مبهماتِ

وربما استحسن بعض عادات الأمم وفضلها على السنن الإسلامية ، منها عادة مجوس الفرس في ترك جسم الميت طعاماً للطيور :

إن صح تعذيب رمس من يحلُّ به ... تجنباني ملحوداً ومضروحا
الوحش والطير أولى أن تنازعني ... فغادراني بظهر الأرض مطروحا
شدا عليّ دريساً كي يواريني ... ثم أغدوا بسلام الله او روحا

ومنها عادة الهنود في حرق موتاهم :

فاعجب لتحريق أهل الهند ميتهم ... وذاك أروح من طول التباريح
والنار أطيب من كافور ميتنا ... غباً وأذهب للنكراء والريح



هذه طائفة يسيرة من آراء أبي العلاء في الدين والحياة والأخلاق ، عرضت على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء ، مصنفة على نسق المقالات والمذاهب . ومصدرها ديوان اللزوميات دون غيره من آثار أبي العلاء في الشعر والنثر .

وهكذا نجد أبا العلاء صاحب مقالة واسعة في الحياة الروحية والمادية ، يشرحها ويدعو اليها بطريقته الخاصة . وتجده سابقاً زمانه في أكثر ما يدعو اليه حتى ليفهم منه ابن هذا العصر ما لم يفهمه القدماء ، وستفهم منه الأجيال الآتية ما لم نفهمه نحن في هذا الزمان .

خليل مردم بك

وكذلك كان يبغض السحرة والمعزمين ومن يكتبون التمائم :

قطع الطريق بمهمهٍ ونظيره في المصر فعل منجّمٍ ومعزّم

وكان ينهى عن اختلاف النساء الى المساجد والكنائس :

إذا ما رامت الصلوات خودٌ فكن البيت أفضلُ مسجديها

هل قبلت من ناصحٍ أمةٌ تغدو الى الفصح بصلبانها
كنائس يجمعها وصلةٌ بين غوانيها وشبانها
ما بالها عذراء او ثيّباً كوردة الجاني بإبّانها
راحت الى القس بتقريبها وبيتها أولى بقربانها
قد جرّبت من فعله سيئاً والطيب جارٍ بجُرُبّانها (١)
وربما تسخط بل زوجها البائس في طاعة ربّانها
وزارت الدير وأثوابها ضامنةٌ فتنة رهبانها

وكان يرى الحوادث الطبيعية كنزول المطر وانحباسه وتساقط النجوم حوادث لا صلة لها بالبشر ولا بأعمالهم ولا بأقوالهم :

قضى الله في وقت مضى أن عامكم يقل حياه أو يزيد به السجمُ
فقولكم رب اسقنا غير ممطرٍ ولكن بهذا دانت العرب والعجم
على كل شيءٌ تهجمون بجهلكم وأعياكم يوماً على رشد هجم

لم يسقكم ربكم عن حسن فعلكمُ ولا حماكم غماماً سوء أعمالِ
وإنما هي أقدار مرتبةٌ ما علقت بإساءاتٍ وإجمال

ولست أقول إن الشهبَ يوماً لبعث محمدٍ جعلتْ رجوما

---

(١) جُرُبّان القميص : طوقه .

العقل . فأما الشرير الذي يستعمل فكره ورويته في فعل الشر فلا يسمونه عاقلاً ، وإنما يسمونه داهياً وماكراً . ذلك لأن الرجل في نظرهم لا يكون مع جودة رويته تام العقل الا اذا اجتمع له العلم والعمل والأدب ، فاذا علم ولم يعمل ، أو عمل بغير أدب ، أو عمل بأدب ولم يعلم ، لم يكن عاقلاً ، حتى لقد فسروا الآية الكريمة : «أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها» بقولهم ان العقل الذي دلت عليه هذه الآية هو العلم ، فقال فخر الدين الرازي في كتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين (ص ٧٢) ، إنه من المحال أن يوجد عاقل لا يعلم شيئاً البتة ، أو عالم بجميع الأشياء ولا يكون عاقلاً .

ولكن المتكلمين فرقوا بين العقل والعلم فقالوا العقل يقال على التصورات والتصديقات الحاصلة للنفس بالفطرة ، والعلم يقال على ما يحصل للنفس بالاكتساب ، ففرقوا على هذه الصورة بين المكتسب والفطري ، فكل موضع ذمّ الله الكفار فيه بعدم العقل فاشارة الى المعنى الثاني ، وكل موضع رفع الله فيه التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الأول ، ولذلك قال القاضي أبو بكر الباقلاني في حد العقل إنه علم ضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ووجوب الواجبات . وقال المحاسبي من أهل السنة : هو غريزة يتوصل بها الى المعرفة . وقال ابو الحسن الأشعري : «العقل علم مخصوص» لا فرق بينه وبين العلم الا بالعموم والخصوص ، وزادت المعتزلة في العلوم التي يشتمل عليها العقل العلم بحسن الحسن وقبح القبيح ، لأنهم يعدّون ذلك في البديهيات . وجملة القول ان العقل يطلق عند هؤلاء جميعاً على القوة المتهيئة لقبول العلم تارةً ، أو على العلم الذي يستفيده الانسان من استعمال تلك القوة تارةً أخرى ، وهو نور في القلب يعرف الحق من الباطل والخير من الشر . وقد قيل العقل والنفس والذهن

معاني العقل في الفلسفة العربية

العقل في اللغة العربية هو الحِجْرُ والنُّهى لأنه يحجر الإنسان وينهاه عما لا يليق به ، فتقول عَقَل فلان الشيء أي فهمه وتدبَّره ، وعَقَل الغلامُ أي أدرك ، وعقل فلان بعد الصِّبا أي عرف الخطأ الذي كان عليه . وقد سمي بذلك تشبيهاً بعقل الناقة ، لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل ، كما يمنع العِقال الناقة من الشرود . وهذا المعنى الأخير مشابه لقولنا عَقَل الدواءُ بطنه أي أمسكه ، وعقلت المرأةُ شعرها أي مَشَطَته ، وعقل القتيلَ أي أدّى ديته ، وعقل الوعلُ أي صَعِد وامتنع في الجبل العالي . وجميع هذه المعاني تشترك كلها في أمرٍ واحد وهو أنّ العقل لجام أو رباط يحتجزُ عن ركوب المناهي ، ويمنع من الاقدام على الشهوات والانقياد للأهواء .

والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه (الغزالي ، معيار العلم) (الأول) يرجع الى وَقار الإنسان وهيئته ، ويكون حده أنه هيئة محمودة للانسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته . (والثاني) يراد به مايكتسبه الانسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معانٍ مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض والمصالح ، (والثالث) يراد به صحة الفطرة الأولى في الانسان (ابن سينا ، رسالة الحدود) فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها . فاذا قالوا في الانسان إنه عاقل عَنَوا بذلك أن عقله يعقله عما لا ينبغي فعله ، فلا يسمونه عاقلاً حتى يكون خيِّراً ديناً يعرف ما ينبغي أن يؤثر من خير أو يجتنب من شر ، لأن الخير والدين عندهم من موجبات

يسمي الجوهر المتبري من المواد من كل جهة عقلاً (الشفاء ٢ : ٤٠٥) . « وهو النفس الناطقة التي يشير اليها كل أحد بقوله أنا » (تعريفات الجرجاني) . وجميع أهل السنة يعتقدون ان العقل والروح من الأعيان وليسا بعرضين كما ظنته المعتزلة . والفرق بين الرأيين لا يخفى على المحقق لأن الذين يقولون بأن العقل جوهر يلزمهم القول بثبوت حقيقته ، أما الذين يقولون بأنه عَرَض فيلزمهم القول بتبدله وتغيره .

٣ — والمعنى الثاني للعقل هو المعنى الذي أشار اليه الفارابي في مقالته ، إذ قال : « إنه قوة النفس التي بها يحصّل الانسان اليقين بالمقدمات الكلية الصادقة الضرورية لا عن قياس أصلاً ، ولا عن فكر ، بل بالفطرة والطبع ، أو من صباه ، ومن حيث لا يشعر من أين حصلت ، وكيف حصلت » (الفارابي ، مقالته في معاني العقل ، ص ٤٠) . وهو المعنى الذي أشار اليه الرازي بقوله : « هو غريزة يلزمها العلم بالأمور الكلية والبديهية » (فخر الدين الرازي ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين ، ص ٧٢) ، أو المعنى الذي أشار اليه المتكلمون بقولهم هو العلم بالمدركات الضرورية . وهذه المدركات نوعان : الأول ما وقع عن إدراك الحواس . والثاني ما كان أصله في النفس ، كالعلم بأن النفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، وأن الكل أعظم من الجزء ، وأن الشيئين المساويين لشيء ثالث متساويان . وهذا النوع من العلم لا يجوز أن ينتفي عن العاقل مع سلامة حاله ، فاذا كان عالماً بالمدركات الضرورية كلها كان كامل العقل . وهم يسمون هذا العقل بالعقل العلمي أو العقل النظري ، ويصفونه بأنه قوة للنفس بها تستعد للعلوم والادراكات (كليات أبي البقاء) ، وانه بالنسبة الى النفس كالملك بالنسبة الى المدينة ، وانه هو الذي يميز الصور المحسوسة ويجزئها ، ويأخذ كل واحد من المعاني مفرقاً ، ويرتب الأخص والأعم والذاتي والعرضي ، وأنه نور في القلب ينتهي اليه

عند النظار شيء واحد ، إلا أن النفس سميت نفساً لكونها متصرفة ، وذهناً لكونها مستعدة للإدراك ، وعقلاً لكونها مدركة .

وليس في هذه المعاني التي يطلق عليها جمهور الناس والمتكلمون اسم العقل تحديد دقيق . فاذا شئت أن تتلمس الدقة والتحديد وجب عليك أن تستقري معنى العقل في كتب الفلاسفة كرسالة الكندي في ماهية العقل والإبانة عنه ، ورسالته في حدود الأشياء ورسومها ، ومقالة الفارابي في معاني العقل ، ورسالة الحدود لابن سينا ، وكتاب التعريفات للجرجاني ، وكليات أبي البقاء وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي . ففي هذه الكتب وفي غيرها من كتب الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد تعريفات واضحة لمعاني العقل وتحديد دقيق لأقسامه . وها نحن أولاء نذكر هذه المعاني مع الاشارة الى النصوص الأصلية التي وردت فيها .

١ — ان أول هذه المعاني هو القولُ بأنَّ العقل « جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها » (رسالة حدود الأشياء ورسومها للكندي ، مادة عقل) . وهذا الجوهر ليس « مركباً من قوة قابلة للفساد » (ابن سينا ، اشارات ١٧٨) ، بل هو « مجرد عن المادة في ذاته ، مقارن لها في فعله » (تعريفات الجرجاني) . أو بعبارة أخرى « هو جوهر مجرد غير متعلق بالجسم تعلق التدبير والتصرف ، وان كان متعلقاً بالجسم على سبيل التأثير » (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) . وهذا القول بجوهرية العقل مع نفي العرضية عنه موجود في أكثر كتب الفلاسفة . فالفارابي عندما يتحدث عن القوى التي تدرك المعقولات يقول « انها جوهر بسيط .. مقارن للمادة ، يبقى بعد موت البدن . ـ وهو جوهر أحدي وهو الانسان على الحقيقة » (الفارابي ، عيون المسائل ص ٦٤) . وابن سينا لا يتحدث عن القوة العاقلة في كتاب الاشارات إلا باسم الجوهر ، كما انه

رأي لأجل عمل . «فغاية النظري هي الحق ، وغاية العملي هي الخير» (ابن سينا ، المصدر نفسه) .

ومن النظار من يقسم العقل قسمين ، غريزي ومكتسب ، ومطبوع ومسموع . فالغريزي هو العقل الحقيقي علمياً كان أو عملياً . والكسبي نتيجة العقل الغريزي . وهو ينمو بالاستعمال وينقص بالاهمال ، فاذا انضم هذا العقل الكسبي الى العقل الغريزي ، واتسعت المدارك بطول التجارب ، ومرور الزمان ، وكثرة الاختبار أصبح الانسان كاملا .

٤ — والمعنى الرابع للعقل هو المعنى الذي ذكره الفلاسفة في كلامهم عن طريق اكتساب النفس للمعرفة ، فانهم بينوا أن الحس لا يجرد الصورة عن المادة ، ولا عن لواحق المادة ، بل يخلطها باللواحق الحسية من كم وكيف وأين ووضع وغير ذلك . وكذلك الخيال والوهم ، وان كانا يبرئان الصورة المنزوعة عن المادة تبرئة أشد ، فانهما لا يستطيعان تجريدها عن لواحق المادة تجريداً تاماً . أما القوة التي تأخذ الصور أخذاً مجرداً عن المادة ولواحقها من كل وجه وتفرزها من كل كم وكيف وأين ووضع مادي فهي العقل .

ولهذه القوة النظرية مراتب مختلفة يطلق على كل منها اسم العقل : كالعقل الهيولاني (Intelligence materielle) والعقل بالملكة (Intelligence habitude) والعقل بالفعل (Intelligence en acte) ، والعقل المستفاد (Intelligence acquise) . وها نحن أولاء نبيّن صفة هذه العقول المختلفة بالاعتماد على أقوال ابن سينا :

يقول ابن سينا ان نسبة القوة النظرية الى الصور المحسوسة تكون على وجهين : فهي اما أن تكون قابلة لها بالقوة ، واما أن تكون قابلة لها بالفعل .

فاذا كانت قابلة لها بالقوة اختلفت نسبتها اليها بحسب درجات القوة . وهي

إدراك الحواس ، وأنه كالشمس الظاهرة في الملكوت . وهذا النور هو الذي أشار اليه الغزالي عند خروجه من الشك وعودته الى الصحة والاعتدال ، فقال «ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف» (المنقذ من الضلال) ، وهو المراد من قول الرسول عليه السلام: «ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ، ثم رش عليهم من نوره» .

٣ — والمعنى الثالث للعقل هو القول بأنه قوة تحصل بها اليقين بمقدمات الأمور الارادية والأفعال الخلقية ، وتسمى المقدمات التي تحصل للانسان بهذا الوجه مبادئ العقل ، ونسبتها الى الأمور الارادية العملية كنسبة المقدمات الكلية الضرورية الى العلوم النظرية . ولما كان هذا العقل يستنبط من هذه المبادئ ما يجب على الإنسان فعله أطلق الفلاسفة عليه اسم العقل العملي (الفارابي ، عيون المسائل ص ٦٤) . وهو يزداد بازدياد العمر ، فاذا بلغ نهايته صار صاحبه ذا رأي . ويتفاضل الناس في ذلك تفاضلاً متفاوتاً . حتى اذا جمع الانسان الى كثرة استعمال هذا العقل إصابة الفكرة ، وحسن الفطنة ، بلغ من الكمال درجة ليس وراءها زيادة لمستزيد . ولقد خلط المتكلمون بين هذا العقل العملي والعقل العلمي الذي قدمنا ذكره فنسبوا الى العقل العلمي مقدمات مأخوذةً من مبادئ الرأي المشترك أي من مبادئ العقل العملي (الفارابي ، مقالة في معاني العقل ، ص ٤٢) مع ان العقلين مختلفان أحدهما ضروري للعلوم النظرية ، والآخر ضروري للحكمة العملية . ولكنهما بالرغم من اختلافهما لا يدلان على انقسام النفس ، بل النفس الانسانية واحدة بالرغم من اختلاف وجوهها . وأنت اذا تبينت أيضاً أقسام الحكمة عند الفلاسفة علمت أن الغاية من الحكمة النظرية هي «حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الانسان» (ابن سينا ، رسالة في أقسام العلوم العقلية) ، وان الغاية من الحكمة العملية ليست حصولَ اعتقاد يقيني بالموجودات وإنما هي حصول

أنها لا تطالها ولا تشاهدها ولا ترجع اليها بالفعل ، ويجوز أن يسمى هذا العقل عقلاً بالقوة بالنسبة الى ما بعده .

واذا كانت نسبة القوة النظرية الى الصور نسبة الفعل المطلق سميت عقلاً مستفاداً وهو أن تكون الصور المعقولة حاضرة فيه لا تغيب عنه ، وهو يطالعها ويعقلها بالفعل ويعقل أنه يعقلها .

تلك هي مراتب العقل الانساني بالقياس الى قدرته على تجريد الصور من لواحقها المادية ، أدناها العقل الهيولاني وأعلاها العقل المستفاد . ولكن العقل بالقوة كما يقول ابن سينا لا يخرج الى الفعل بذاته ، بل يخرج الى الفعل بتأثير عقل آخر هو دائماً بالفعل . لذلك كان من الضروري في نظره أن نقول بوجود عقل مفارق للعقل الانساني يخرجه من القوة الى الفعل ، وهذا الفعل هو العقل الفعّال .

وهذه العقول التي ذكرها ابن سينا ، فبين كيف تتفاوت في قدرتها على انتزاع الصور عن موادها كان الفارابي والكندي قد أشارا اليها قبله . ولكنهما لم يبينا مراتبها على الوجه الذي نجده في كتاب النفس من الشفاء .

فالكندي لم يذكر لنا في رسالة العقل إلا أربعة عقول هي العقل الأول ، والعقل بالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل الذي يسميه بالعقل الظاهر . قال : « العقل على أنواع أربعة : الأول منها العقل الذي بالفعل أبداً ، والثاني العقل الذي بالقوة وهو للنفس ، والثالث العقل الذي خرج في النفس من القوة الى الفعل ، والرابع العقل الذي نسميه الظاهر » ، فالعقل الأول عنده هو عقل بالفعل أبداً . وهو علة لجميع المعقولات والعقول الثواني . وهو الذي يخرج النفس من حالة كونها عاقلة بالقوة الى حالة كونها عاقلة بالفعل . وأما العقل بالقوة فهو حالة النفس التي ليس فيها شيء من الصور . وأما العقل بالفعل فهو حالة النفس التي اتحدت بالصور العقلية وخرجت بواسطة المعقولات من القوة الى الفعل ، والعقل بالفعل

ثلاث : الدرجة الأولى هي القوة المطلقة ، أو الاستعداد المطلق الذي لم يخرج منه الى الفعل شيء . وهي قوة هيولانية كقوة الطفل على الكتابة ، فهو لا يعرف الكتابة ولا يقدر عليها ، ولكن فيه استعداداً مطلقاً لها .

والدرجة الثانية هي القوة الممكنة ، وهي التي حصل معها للطفل استعداد يمكنه من اكتساب الفعل بلا واسطة ، كقوة الطفل على الكتابة بعد أن عرف القلم والدواة وتعلم بسائط الحروف . وهذا الاستعداد الممكن هو حصول المعقولات الأولى للنفس مثل اعتقادنا أنّ الكل أعظم من الجزء ، وأن الأشياء المساوية لشيء واحد متساوية . وهذه المعقولات الأولى هي التي تنقلنا الى المعقولات الثانية .

والدرجة الثالثة هي القوة الكاملة التي لا ينقصها للانتقال الى الفعل شيء ، كقوة الكاتب المستكمل لصناعة الكتابة اذا كان لا يكتب . فهو قد تمّ له الاستعداد للكتابة بالآلة ، وحدث فيه مع الآلة أيضاً كمال الاستعداد ، فهو يفعل متى شاء بلا حاجة الى اكتساب جديد .

فاذا كانت نسبة القوة النظرية الى الصور نسبة القوة المطلقة والاستعداد المحض سميت عقلاً هيولانياً . وهذا العقل الهيولاني موجود لكل شخص من النوع الانساني . وانما ذهب الى الهيولى لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الخالية في حد ذاتها من الصور .

واذا كانت نسبة القوة النظرية الى الصور نسبة القوة الممكنة ، سميت عقلاً بالملكة ، وهذا العقل ليس سوى حصول المعقولات الأولى في النفس ، فهو إذن علم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات . ويجوز أن يسمى العقل بالملكة عقلاً بالفعل بالقياس الى العقل الهيولاني .

واذا كانت نسبة القوة النظرية الى الصور تشبه القوة الكاملة سميت عقلاً بالفعل ، وهو أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم اكتساب جديد . الأ

(materia) مادة وكلمة (potentia) قوة مترادفتان . والعقل بالملكة مطابق للعقل بالفعل ، والعقل الفاعل مقابل للعقل الأول عند الكندي وللعقل الفعال عند الفارابي وابن سينا . ولا يختلف الكندي والفارابي عن الاسكندر الافروديسي الا بالعقل الرابع الذي يسميه فيلسوف العرب بالعقل الظاهر ، ويسميه المعلم الثاني بالعقل المستفاد .

ولأبي حيان التوحيدي في كتاب المقابسات تقسيم ثلاثي للعقل منسوب الى ابي سليمان يدل على أنه نحا في ذلك نحو الاسكندر . قال : « اسم العقل يدل على معان ، وتنقسم تلك المعاني الى أقسام بحسب ما ينقسم كل ذي عقل ، وذلك له ابتداء وانتهاء . واحدها وهو بمعنى الابتداء بالطبع هو العقل الفعال . والثاني بحسب الانتهاء وهو العقل الانساني ، ويسمى هيولانياً ، وهو في نسبة المفعول ، والثالث بحسب معنى الوسط وهو العقل المستفاد . وهو في نسبة الفعل . والعقل الانساني الذي بمنزلة المفعول هو في حيز القوة التي تحتاج أن تخرج الى الفعل . . . . ولما كان الذي بالقوة يحتاج الى شيء موجود بالفعل يخرجه الى الفعل ، كان ذلك الشيء هو العقل الفعال » . (مقابسات ص ٢٨٩) . وهذا كلام واضح يدل على أن أبا حيان لم يتقيد بالتقسيم الرباعي الذي جاء به الكندي والفارابي قبله .

ومن نظر في تطور مشكلة العقل من آرسطو الى الاسكندر ، ثم من الكندي الى الفارابي وابن سينا لم يجد فيها إلا سلسلة من الآراء التي يكمل بعضها بعضاً . واليك الآن جدولاً يبين تطور أقسام العقل من الاسكندر الى ابن سينا .

الاسكندر الافروديسي	الكندي	الفارابي	ابن سينا
العقل الهيولاني	العقل بالقوة	العقل بالقوة	العقل الهيولاني
العقل بالملكة	العقل بالفعل	العقل بالفعل	العقل بالملكة
—	—	—	العقل بالفعل
—	العقل الظاهر	العقل المستفاد	العقل المستفاد
العقل الفاعل	العقل الأول	العقل الفعال	العقل الفعال

في نظره قنية للنفس متى شاءت استعملته ، وهو في الوقت نفسه عقل مستفاد من العقل الأول . وللنفس أخيراً أن تستعمل هذا العقل الذي اقتنته وان تظهره لغيرها أو في غيرها متى شاءت . وهذه المرتبة الأخيرة هي مرتبة العقل الظاهر .

والفارابي يقول أيضاً في مقالة العقل ان اسم العقل الذي يذكره آرسطو في كتاب النفس يقال على أربعة أنحاء : عقل بالقوة ، وعقل بالفعل ، وعقل مستفاد ، وعقل فعال . وليس في هذه الأنحاء الأربعة التي يذكرها الفارابي ما يجعل مذهبه مختلفاً كل الاختلاف عن مذهب الكندي ، لأن كلاً من العقل بالقوة والعقل بالفعل عند الفيلسوفين واحد . أما العقل المستفاد فهو عند الفارابي إدراك العقل لذاته من حيث هو صورة مجردة أفاض عليها العقل الفعال معقولات جديدة بريئة بطبيعتها من كل مادة . وهذا العقل كما حددناه لم يشر اليه آرسطو ، وانما هو من مبتكرات الفارابي نفسه . وأما العقل الفعال فهو نوع من العقل المستفاد ، ولكن صور الموجودات لم تزل ولا تزال فيه على غير الترتيب الذي هي موجودة عليه في العقل الذي بالفعل . وليس بين هذا العقل الفعّال والعقل الأول الذى أشار اليه الكندي إلا فرق واحد ، وهو ان العقل الفعّال عند الفارابي هو عقل الفلك الأدنى ، أما العقل الأول عند الكندي فيشبه أن يكون العقل الإلهي أو الإله نفسه .

ومن قارن اقسام العقل التي ذكرها فلاسفة العرب بالأقسام التي ذكرها الاسكندر الافروديسي في رسالة العقل والمعقول لم يجد بينها كبير اختلاف . لأن الاسكندر يقسم العقل ثلاثة أقسام هي العقل الهيولاني ، والعقل بالملكة ، والعقل الفاعل . وكل عقل من هذه الثلاثة مطابق لمرتبة من مراتب العقل عند الكندي والفارابي . فالعقل الهيولاني مطابق للعقل بالقوة لأن كلمة

بالاسلام ، مع أن الملائكة في الاسلام ليست عقولاً مجردة ، وإنما هي أجسام لطيفة نورانية قادرة على أفعال شاقة متشكلة بأشكال مختلفة ، ولهم أجنحة وحواس (التهانوي) . وهو يرى أيضاً أن عدد العقول المفارقة بعد المبدأ الأول مساوٍ لعدد الحركات السماوية ، وان حركات الأفلاك شبيهة بحركات النفوس الانسانية . فكما ان للفلك نفساً تحركه ، فكذلك له عقل يدبره ، قال : « وأنت تعلم ان هٰهنا عقولاً ونفوساً مفارقة كثيرة ، ولكن العقل ليس محركاً قريباً للفلك ، وانما هو محرك له على سبيل التشويق » . قال : « وأنت تعلم أن العقل المجرد لا يكون مبدأً قريباً لحركة ... وانه اذا كان مبدأً لحركة فيجب أن يكون مبدأً آمراً مثلاً أو متشوقاً » . (نجاة ٣٩٣ — ٣٩٤) . وهو يصف العقل الأول الصادر عن واجب الوجود بأنه عقل محض ، لأنه صورة لا في مادة وهو أول العقول المفارقة ، وهو الملك الإلهي الموسوم بالعقل الكلي .

وما يسميه ابن سينا بالعقل الأول يسميه صاحب الرسالة الجامعة تارة بالعقل الأول ، وتارة بالعقل الفعال ، ويعرفه بأنه أول مبدع أبدعه الباري سبحانه ، وهو جوهر بسيط روحاني محيط بالأشياء كلها (الرسالة الجامعة ، جزء ١ ، ص ٥٦ ، ٣٠٤) ويقابله في العالم السفلي عقل جزئي هو قوة من قوى النفس الانسانية التي فعلها الفكر والروية والنطق والصناعة ، وترتيب الموجودات في الرسالة الجامعة شبيه بترتيب الأعداد ، فالله تعالى هو الواحد ، والعقل هو الاثنان والنفس هي الثلاثة الخ . وهذه تعطف على الطبيعة لترفعها الى منزلتها كما يعطف العقل على النفس ليرفعها اليه ويبلغها درجته .

وفي لسان الصوفية العقل الأول هو مرتبة الوحدة . وفرقوا بين العقل الأول ، وعقل الكل ، وعقل المعاش ، فقالوا العقل الأول هو محل صدور الوحي القدسي ، وأول تفصيل الاجمال الإلهي ، وعقل الكل هو القسطاس المستقيم وميزان العدل للأمر الفصلي ، وعقل المعاش هو الموزون بالقانون الفكري ، فلا يدرك إلا بآلة الفكر ، ولا يحكم إلا بكيفية المادة (التهانوي) .

٥ — العقل المفارق : قلنا عند الكلام عن العقل الانساني ان النفس في مبدأ الفطرة خالية من جميع المعقولات . ولذلك سميت وهي في تلك الحالة بالعقل الهيولاني ، أو العقل بالقوة فاذا حصلت لها صور الأوليات الكلية سميت عقلاً بالملكة ، ثم ترتقي بعد ذلك فتصبح عقلاً بالفعل ثم عقلاً مستفاداً ؛ والشيء الذي يجعل تلك الذات التي كانت عقلاً بالقوة عقلاً بالفعل هو العقل الفعال . وهو أحد العقول المفارقة التي اشتملت عليها نظرية الفيض . وهذه النظرية التي اقتبسها الفارابي وابن سينا من الفلسفة الافلاطونية الحديثة تقول بصدور العقول المفارقة بعضها عن بعض على نظام يجعل العقل الأول أعلاها والعقل الفعال آخرها . فالإله نفسه عقل محض يعقل ذاته ، ثم يصدر عنه لمجرد عقل لذاته عقل أول واحد بالعدد ، وهذا العقل الأول يعقل الإله ويعقل أيضاً ذاته ، فيفيض عنه عقل ثانٍ . ثم يتلوه عقل ثالث ورابع ، ولا يزال هذا الفيض يبدع عقولاً متتالية حتى ينتهي الإبداع الى العقل العاشر وهو العقل الفعال ، أي عقل فلك القمر المدبرُ لعالم الكون والفساد . وهكذا تؤلف العقول السماوية سلسلةً محكمة الحلقات يصدر عن كل عقل منها في مذهب ابن سينا ثلاثة أشياء عقل ونفس وجسم ، وتسمى العقول التسعة الأولى في مذهب الفارابي ملائكة السماء ، ويسمى العقل الفعال بروح القُدس أو الروح الأمين ، ويسمى في لسان أهل الشرع بجبريل ، وهو الذى يصل العالم العلوي بالعالم السفلي . وكذلك ابن سينا فهو يعرّف الملك في رسالة الحدود بقوله : « هو جوهر بسيط ذو حياةٍ ونطقٍ عقلي غيرُ مائت ، وهو واسطة بين الباري عزّ وجل والأجسام الأرضيه فمنه عقلي ، ومنه نفسي ، ومنه جسماني » . وللملائكة عنده ثلاث درجات أولها درجة الملائكة الروحانية المجردة التي تسمى عقولاً . وثانيها مرتبة الملائكة الروحانية التي تسمى نفوساً ، وهي الملائكة العملية ، وآخرها مرتبة ملائكة الأجرام السماوية . وما قال ابن سينا ان العقول المجردة ملائكة الا تسترا

واذا كان من عادة العلماء أن يعرفوا الأشياء بأضدادها فانه من السهل علينا أن نورد هنا بعض أضداد العقل :

— فالعقل مضاد للحس ، لأن الحس يدرك الأمور الجزئية . أما العقل فيدرك الأمور الكلية .

— وهو مضاد للهوى ، لأن الهوى كما يقولون عن الخير صاد ، وللعقل مضاد . ومن أحسن الأمثلة الدالة على هذا التضاد بين العقل والهوى ما جاء في كتاب الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه . « قال أبو حيان : لمَ قيل الرأي نائم والهوى يقظان ، ولذلك غلب الهوى الرأي .. أليس الرأي من حزب العقل وأوليائه ، فكيف غلب مع علو مكانه وشرف موضعه وما معنى قول الأوائل : العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع . ما سبب هذه الصداقة مع هذا العقوق ، وما سبب تلك العداوة مع تلك المتابعة » . فأجابه أبو علي مسكويه : « هذا كلام خرج في معرض فصاحة وخطابة ، فأما معناه فهو أن الهوى فينا قوي جداً ، والرأي ضعيف ، وسبب ذلك أنا معشر الناس طبيعيون وجزء الطبيعة فينا أغلب من جزء العقل ، لأنا في عالم الطبيعة ، والعقل غريب عندنا ، ضعيف الأثر فينا ولذلك نكل عند النظر في المعقولات ، ولا نكل عند النظر في الطبيعيات ذلك الكلال ، والعقل وان كان في نفسه شريفاً عالي الرتبة فان أثره عندنا يسير ، والطبيعة وان كانت بالاضافة الى العقل منحطة الرتبة فانها قوية فينا ، لأنا في عالمها ، ونحن أجزاء منها ، ومركبون من عناصرها ، وفينا قواها أجمع » .

— فالعقل مضاد للطبيعة اذن كما هو مضاد للهوى ، وقد قيل ان الانسان يساق بالعقل الى الحياة وبالطبيعة الى الموت .

— وهو أخيراً مضاد للجهل ، لأنه دعامة العمل الصالح وأساس الفضيلة ،

أما ابن رشد فانه بين في تفسير ما بعد الطبيعة أن العقل الفعال هو كالصورة في العقل الهيولاني ، وان هذا العقل الهيولاني كائن فاسد ، وأن العقل الذي بالملكة فيه جزء كائن وجزء فاسد ، وان الفاسد هو فعله ، وأما هو في ذاته فليس بفاسد ، وانه داخل علينا من خارج ، وان العقل الذي يبقى ليس العقل الذي هو قوة للنفس أو جزء منها ، وانما هو العقل المستفاد أو العقل المكتسب .

* * *

ينتج من كل ما تقدم أن للعقل في الفلسفة العربية معنيين أساسيين أحدهما أن العقل قوة من قوى النفس الانسانية تدرك المعقولات ، وتستنبط منها بالقياس حقائق جديدة ، والثاني أن العقل جوهر مجرد عن المادة مفارق للأمور الحسية والجسمانية .

فاذا اعتبرناه قوةً من قوى النفس الانسانية دل على العلم بالمبادئ الكلية الضرورية ، أو على العلم بمبادئ الأفعال الخلقية . ويسمى العلم بالمبادئ الضرورية عقلاً نظرياً . أما العلم بمبادئ الأفعال الخلقية فيسمى عقلاً عملياً . وتختلف مراتب القوة النظرية في الانسان باختلاف درجة قبوله واستعداده للفعل ، فاذا كانت نسبة العقل الى قبول الصور العقلية نسبة الاستعداد المحض أو القوة المحضة الخالية من كل فعل كان العقل هيولانياً ، واذا حصلت المعقولات الأولى في النفس وحصل معها استعداد لاكتساب النظريات سمي العقل عقلاً بالملكة ، واذا صارت النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث تستطيع استحضارها متى شاءت من غير تجشم اكتساب جديد سميت القوة العاقلة عقلا بالفعل . واذا حضرت النظريات عند العقل بحيث يشاهدها دائماً سمي العقل عقلاً مستفاداً . وأما العقول المجردة فأعلاها العقل الأول أو العقل الكلي ، وأدناها العقل الفعال . وهي كلها جواهر روحانية مفارقة .

* * *

فتقرب أنت اليه بعقلك ، فبقدر عقل المرء تكون عبادته لربه ، ولو كان النجار يسمعون ويعقلون ما كانوا في أصحاب السعير ، وقد فسروا قول أحد الظرفاء « أكثر أهل الجنة البله » بقولهم أنه يعني بالبلاهة هنا البلاهة في أمور الدنيا لا في أمور الآخرة ، وفسروا أيضاً قول أبي العلاء :

اثنان أهل الأرض ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخر ديّنٌ لا عقل له

بقولهم انه يتكلم هنا عن الأمر الواقع لا عما يجب أن يكون . ولذلك قال الحسن البصري : أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوكم لقالوا شياطين .

وفي اللغة العربية الحديثة نقول هذا رجل عاقل ونعني بذلك الرجل المادي المتزن على خلاف الرجل السريع الخاطر ، الحسن البديهة الذي يشتعل فطنةً وذكاء ، وهذا المادي المتزن المعقول فكره كمعقال الناقة ليس محموداً في نظر العوام ، وإنما هو جدير بالرحمة لعجزه عن بلوغ مآربه وتقصيره في إدراك مصالحه وأغراضه .

جميل صليبا

وينبوع الآداب ، فاذا تمّ في الانسان خرج به الى حد الكمال ، كما قال صالح بن عبد القدوس :

إذا تمّ عقل المرء تمت أموره وتمت أمانيه وتم بناؤه

* * *

وهذا التضاد بين العقل من جهة وبين الحس والهوى والطبيعة والجهل من جهة أخرى يدل على شرف العقل وعلو منزلته . فقد قال عليه السلام : «أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك ، بك آخذ ، وبك أثيب ، وبك أعاقب» . وقد قال الفلاسفة : ان سعادة الدنيا والآخرة لا تنال إلا بالعقل وان النفس لا تبلغ الكمال الا اذا اكتملت قواها العقلية ، وعاشت حياة عقلية مجردة من جميع العلائق . واذا كانت قد علقت بها بعض العادات حين اتصالها بالبدن فجعلتها غير مستحقة لمثل تلك الحياة ، فذلك يعني أنها شريرة جاهلة لم تكتسب كمالها العقلي ، وهي في الحياة الدنيا ، وانها تستحق الألم الروحي الدائم جزاءً لما اقترفته . أما النفوس الخيرة التي اكتسبت كمالها العقلي فانها تتمتع باللذات الأبدية ، وتتذوق الخير والجمال . فالسعادة الحقيقية مقصورة إذن على النفوس الانسانية التي فازت بالكمالات العقلية . وكيف لا يكون العقل أشرف الأشياء ، وبه كما يقولون صار الإنسان خليفة الله ، وبه تقرب اليه ، وبه تم دينه . ولذلك قال عليه السلام : لا دين لمن لا عقل له . وقال لا يعجبكم اسلام امرئ حتى تعرفوا عقله . ولهذا قيل من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه . وناهيك بالعقل شرفاً أن الله تعالى شبهه بالنور فقال : «الله نور السموات والأرض» وان الرسول قال لعلي رضي الله عنه : اذا تقرب الناس لخالقهم بأبواب البر

في أجزاء علوم الحكمة . وتلك منزلة في العلم لعمري باذخة ، الا انه اذا كان ابن سينا يتفوق عليه في علوم الطبيعة فلا شك أنه يتفوق هو على ابن سينا في الفلك والرياضيات كليهما .

لقد استطاع ذلك العقل العجيب أن يجمع بين خليط متناقض من العلوم والفنون التي تتطلب كل طائفة منها مواهب خاصة وطباعاً خاصة . فلقد تعمق في علوم الدين واللغة من فقه وحديث وكلام ومنطق وقراآت وسير ونحو وصرف ، ومحفوظ كثير من منظوم ومنثور . وتضلع من علوم الطبيعة ، على اختلاف فروعها المعروفة يومئذ ، تضلعاً عجز عن بلوغ شأوه الكثيرون ممن انقطعوا لها وتوفروا على درسها . ولم يفلت من يده هذا العلم الذي نسميه اليوم علم الأنواء الجوية ، فلقد وضع فيه رسالة أوضح فيها أسباب اختلاف المناخ في مختلف الأمصار . ولا نعلم ما في هذه الرسالة من مبتكرات لأنها ضاعت ، ولكن مجرد تأليفها يدل على أنه قد جاء فيها بعلم جديد لأنه ما كان يؤلف كتاباً إلا أن يأتي فيه بجديد . وقد روى لنا تلميذه النظامي العروضي السمرقندي أنه استطاع أن يتنبأ للسلطان بصحو الجو خمسة أيام كاملة ، مما يعجز عنه الكثيرون من المتنبئين الجويين الجالسين الآن في المطارات الدولية [1] .

ولم ينج من طموح عقله علم الطب على ما فيه من تعقيد وما يتطلبه من وقت وجهد وممارسة ، فكان بالاضافة الى كل ما تقدم طبيباً نطاسياً بلغ من حذقه وبعد صيته أن دعوه لمعالجة السلطان (سنجر) حين أصيب بالجدري في صباه .

وكان عالماً في الفلسفة ، عارفاً بقديمها وحديثها ، اسلاميها وغير اسلاميها . وكان عالماً في التاريخ ، وعالماً في الجغرافيا ، وعالماً في الكيمياء ، وعالماً في كل فن كان معروفاً في زمانه .

---

(١) حكاية التنبؤ بصحو الجو وغير ذلك من علوم الخيام فصّلها الكاتب في كتابه : « ثورة الخيام » وقد لخص هنا ما احتاج اليه تمهيداً للمقابلة بين شهرة الخيام في العلم وشهرته في الأدب .

شهرة الخيام

بين العلم والأدب

الخيام شهرته مزدوجة ذات شقين ، فقد ذاع صيته في حياته ذيوعاً جارفاً بعلمه الغزير ، وذاع صيته بعد مماته ذيوعاً جارفاً برباعياته الباهرة ، وكان في كليهما فذاً منقطع النظير .. ولكنه ما تمتع قط بشهرته كاملة في حياة ولا ممات .
وقد آن له اليوم أن يستوفي حقه ، أو آن لنا على الأصح أن نفيه حقه ، عالماً وشاعراً .

كان شيخنا عمر الخيام عالماً بكل ما في كلمة العالم من معنى عصري ، بل أكثر مما يحتمله أي معنى عصري . فقصارى العالم اليوم أن يتخصص في علم من العلوم أو فصيلة من العلوم ، ثم لا تثريب عليه بعد ذلك أن يلم إلماماً يسيراً بما يدخل في باب الثقافة العامة من سائر أبواب المعرفة . أما الخيام فقد تخصص تخصصاً في كل واحد من علوم عصره ، فكان في كل فرع من فروع المعرفة في الطبقة الأولى من أهلها . وان المرء لتأخذه الدهشة حين يسائل نفسه كيف اتسع وقت الخيام ، وكيف تيسرت له الأداة لكل ذلك .

أما في الرياضيات والفلك فقد جاوز حد الاحاطة بما وصل اليه العلماء من قبله الى درجة الارتياد والاكتشاف . فهو أول من حل المعادلة التكعيبية في كتابه المشهور « الجبر والمقابلة » ، وهو الذي عهد اليه السلطان ملكشاه السلجوقي بإنشاء الرصد لاستطلاع حركات أجرام السماء . ولا ندري ما الذي كشفه من المجهولات بنفسه في هذا الفن إلا أن معاصريه يقولون انه كان فيه رائد جيله وواحد زمانه . ويقول أبو حسن البيهقي أنه كان تلو أبي علي ـ أي ابن سينا ـ

ومدارٍ فيــه جئنا وذهبنا نتقلب
خفيَ الأوّلُ والآخرُ منــه وتحجب
أفما من فطنٍ يأتي برأي صائب
منبئا من أين جئنـا والى أين سنذهب ؟

زيّن الصانعُ تركيبَ طبـاع البشرِ
فلماذا شانهـا بالنقص أو بالوضرِ ؟
إن تكن جاءت ملاحا . . فلماذا خرّبُها ؟
أو تكن جاءت قباحا . . فعلى من عيبها ؟

وبلغ من ذيوع صيته في أقطار المملكة الاسلامية أن كان له أتباع في أصقاعها هنا وهناك ، حتى انه « لما حصل ببغـداد » على حد تعبير القفطي « سعى اليه أهل طريقته في العلم القديم » - أي الفلسفة اليونانية - مع أن الخيام لم يكن زار بغداد قبل ذلك .

وما كان إجلال الخيام وعرفان فضله مقصوراً على العلماء وانما كان ينافسهم في ذلك الملوك والأمراء . وقد كان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء ، وكان الخاقان شمس الملوك ببخارى يعظمه كل التعظيم ويجلسه معه على سريره .

ولئن كان بلوغ هذه الذروة الشامخة في العلم جديراً بإكبارنا ، فأجدر بإكبارنا وإعجابنا ما كان يتحلى به الخيام من أخلاق العلماء ، وأخلاق العلماء نادرة لوعورتها في كل زمان .

فمن أخلاقه ، وهو في هذا المحل الأرفع قادر على تسنم ما شاء من المناصب لو شاء المناصب ، وحشد ما اشتهى من المال لو اشتهى المال - انه كان مؤثراً للعزلة والدرس ، زاهداً في حطام الدنيا ، مترفعاً عن خدمة الرؤساء والازدلاف اليهم :

وقد بلغ من علمه في قراآت القرآن مثلاً أن سئل مرة عن اختلاف القراء في احدى الآيات ، فجعل يذكر وجوه الخلاف ويعلل كل واحد ، ويذكر الشواذ ويعللها ، ثم فضل وجهاً منها على سائر الوجوه ، فما وسع إمام القراء أبا الحسن الغزال إلا أن قال له من فرط اعجابه : « كثر الله في العلماء مثلك ! اجعلني من أدمة أهلك وارض عني ، فاني ما ظننت أن أحداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه ، فضلاً عن واحد من الحكماء » .

وبلغ من فقاهته في الإلهيات أن بعث اليه أحد رجال الدين والقضاء ، وهو الامام القاضي أبو النصر محمد بن عبد الرحيم النسوي ، يسأله عن أمور من صميم فلسفة الدين ، فأجابه عليها برسالة خاصة عرفت برسالة الكون والتكليف .

على أنه ما كان مجهول القدر بين معاصريه ، فقد كان مشهوراً عندهم بعلو المكانة ، مشهوداً له بالتفوق في أندية العلم وقصور الملوك . كان العلماء من معاصريه يسمونه الإمام ، والدستور الفيلسوف ، وحكيم الدنيا ... وما الى ذلك من ألقاب الاكبار والتوقير .

ومن الطرائف أن نجد حتى الشيخ نجم الدين الرازي الذي اتهم الخيام بالضلال ، وسب الدهريين والطبيعيين الذين عدّ الخيام أحدهم ، لم يتمالك نفسه من إغداق صفات المديح عليه قبل أن ينعته بالضلال ، إذ قال ما ترجمته : « أولئك هم الذين يخرجون من زمرة (أولئك كالأنعام بل هم أضل) فيبلغون مرتبة الانسانية ، ويتخلصون من حجاب غفلة (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) فينتهجون بلذة وشوق طريق السلوك . أما أولئك المساكين من الفلاسفة والدهريين والطبيعيين فهم من كلا هذين المقامين محرومون وهم حائرون تائهون ، حتى أن أحد الفضلاء المشهور لديهم بالفضل والحكمة والكياسة والمعرفة ، وهو عمر الخيام ، قد قال من فرط الحيرة والضلالة هاتين الرباعيتين :

واسطة للأخذ ، بل للعطاء . فاذا ظفر من الحقائق العلمية الجديدة بما يعطيه ، أعطاه . وهو لذلك كان قليل التأليف حتى ظنه بعض قليلي البصر ضنيناً بالتأليف بخيلاً بنشر المعرفة .

ومن أخلاق العلماء أيضاً أنه كان حر الفكر كثير المناقشة لما يعرض له من آراء مسلم بها وأحكام متواضع عليها . ومثله يكون أبداً عرضة للاتهامات والمزعجات ، ولهذا كان كالمعري يشكو معاصريه ويندد منهم بالجهلاء الذين لا يفقهون له قولاً ولا يستطيع معهم صبراً .

فصّلت أسرار دنياكم لدينا في الدفاتر
قد طويناها ، ففي النشر وبال ومخاطر
لم نجد في الناس من يعقل من أهل البصائر
فلذا يعجزنا اظهار ما تخفي الضمائر ؟

وامتد سخطه الى هذا الفلك الدائر الجائر الذي لا مكان فيه للأحرار ، فقال :

آه لو كنت على الأفلاك ربّاً في سمائي
لمحوت الآن هذا الفلكَ الضخم البناء
ولأنشأت بنفسي من جديد فلكاً
يدرك الأحرار فيه ما اشتهوا ، دون عناء !

هذا العلامة الفذ هو شيخنا عمر الخيام ، صاحب الرباعيات . أفليس عجيباً ألا نعرفه إلا برباعياته ، ولا نتوهمه إلا عابثاً خليعاً ؟

بلى ، وانه لعجيب أيضاً أن كان أبناء جيله يجهلون من أمر رباعياته الممتعة ما يجهله أبناء جيلنا من أمر علمه الفياض .

كم تُذِلُّ النفسَ في خدمة أوغاد لئام ؟
تنتحي كل طعام ، كالذباب المترامي ؟
كلْ رغيفاً كلَّ يومين بلا مَنِّ الانام
فلأن تطويَ خير لك من خبز الكرام !

وحسبنا تفهماً لروحه العلمية أن نصغي اليه يقول في مقدمة كتابه « الجبر والمقابلة » ما نصه :

« .. فإنا قد منينا بانقراض أهل العلم إلا عصابة قليلي العدد ، كثيري المحن ، همهم افتراص غفلات الزمان ليتفرغوا في أثنائها الى تحقيق واتقان علم . وأكثر المتشبهين بالعلماء في زماننا هذا يلبسون الحق بالباطل ، ولا يتجاوزون حد التدليس والترائي بالمعرفة ؛ ولا ينفقون القدر الذي يعرفونه من العلوم إلا في أغراض بدنية خسيسة ، وان شهدوا انساناً معنياً بطلب الحق وإيثار الصدق ، مجتهداً في رفض الباطل والزور وترك المراياة والخداع .. استحمقوه وسخروا منه ! » .

وما تزال هذه الكلمة الموجزة المرة تفصح حتى اليوم ، في الشرق خاصة ، عما يكابده العقل الممتاز الذي يطلب العلم لذات العلم ، من محن بين من يتشبهون بالعلماء ، بما ينالون من شهادات دراسية مثلاً ، يدلسون بها على الجمهور ، ويتخذونها ذريعة لجر المغنم ، وتسنم المنصب ، وإشباع الشهوة ، ومكافحة الاصلاح والعلم .

ومن أخلاق العلماء أنه ما كان يؤلف كتاباً إلا اذا أتي بجديد من المعرفة يضيفه الى تراث الثقافة الانسانية كما قلنا آنفاً ، فما كان بالذي يكثر من تأليف الكتب ليحشد فيها من معلومات غيره من الأولين والآخرين ما يزخر به ذهنه الحافل ، ليتخذ من ذلك ذريعة للتكسب أو وسيلة للظهور والمباهاة ، أو زلفى الى الأمراء والكبراء . ذلك بأن العلم لم يكن عند خيامنا الحكيم

فاني أميل الى الظن أنها لن تدل بوجه من الوجوه على أن الخيام كان مشهوراً بها شهرته بعلمه . وإنما كان يتلو رباعياته في أغلب الظن على خاصة أصحابه الذين كانوا هم المعجبين بها ، وهم الذين شهروها ونشروها بين الناس بعد وفاته فيما يبدو .

والظاهر أن خمول ذكر الرباعيات في حياته يرجع الى أنه لم يكن بالشاعر المتوفر على القريض توفره على فنه الخاص في الرياضة والفلك ، وانما كان القريض واحداً من هذه الفنون الكثيرة التي ضرب في كل منها بسهم . ويبدو لي أنه كان ينظم هذه الرباعيات في كثير من الأحيان فرادى في المجالس والمناسبات ، يكتبها على هامش كتاب أو غلاف دفتر ، ويتلوها على من حضر . وقد لا يحتفظ بها ولا يحفظها ، بل يحتفظ بها أو يحفظها بعض السامعين . فاذا هو دُعي مثلاً لمعالجة فتاة مريضة فوجدها تذوي وتذوي ، حتى تقضي نحبها بين يديه ، في أيام غضارة الزهر من عمرها ، جاشت نفسه لهذه الفاجعة الكونية الكبرى ـ فاجعة الموت الذي كان أبداً يشغل بال الخيام ويقض مضجعه ـ واذا به يقول لأصحابه يروي لهم المأساة :

كنت أمسى أمس في إثر الحيا والحبيب
فبدت لي وردة ذابلة قرب لهيب
قلت : ما أجرمتِ كي يصلوك ناراً ، يا جميلة ؟
فأجابتني : تبسمت قليلاً في الخميلة !

وإذا رأى ، أو سمع ، أن الأمير أو الوزير أو قائد الجند أو قاضي القضاة فلاناً قد أهان العالم أو الشاعر او البقال أو الشحاذ علاناً ـ جعل يوازن في عقله بين المبتلي والمبتلى من هؤلاء وهو عائد الى داره مثلاً ، فلا يستطيع أن يضع رأسه على الوسادة لينام قبل أن يسطر على هامش احدى صفحات الجبر والمقابلة :

أما معاصروه فلم يصلنا منهم عنه إلا روايات مقتضبات ناقصات للسمرقندي والزمخشري والبيهقي . وكلهم أشاد بعلمه ، وكلهم لم يشر بكلمة واحدة الى رباعياته ، كأن القوم لم يسمعوا بها . أما السمرقندي والزمخشري فمعذوران لأنهما في الواقع تعمدا النقص ، أعني أنهما لم يقصدا الى الاحاطة في بيان حال الشاعر الحكيم ، وانما قصد كل منهما أن يروي خبراً بعينه لا يتعداه الى سواه . وأما البيهقي فقد ذكر من سيرته أموراً مهما تكن مقتضبة فهي متنوعة متباينة تدل على أن جامعها أراد التقصي والاستيفاء . وقد كتب البيهقي ما كتب بعد وفاة الخيام بنصف قرن ، فلا عجب أن يتقصى أخباره لينبئ بها من لم يدركه من أبناء الجيل اللاحق ، ولكن الغريب ألا يذكر شيئاً عن رباعيات الخيام بالرغم من تعداد علومه ومؤلفاته . ولولا نواقص خطيرة أخرى في روايته لكان لنا أن نتخذ من إغفاله ذكر الرباعيات دليلاً طيباً على أن الخيام لم يكن مشهوراً بها في حياته . وقد يتخذ المتنطعون المولعون بالإنكار حجةً من ذلك على أنه لم يكن للخيام رباعيات أصلا . ولكن البيهقي أخفق في التقصي وتوخي الاحاطة والحمد لله ، فكانت هذه النقيصة حسنة غير مقصودة تقطع على المماحكين سبيل إنكار الرباعيات بجملتها على الخيام . ذلك بأن في هذه الرواية ، بالإضافة الى ما فيها مما يبعث الريب أو يستحق التفنيد ، إغفالاً لذكر أمور لا تقل خطراً عن الرباعيات ، ولا سبيل الى الشك في صحة نسبتها الى الخيام . من ذلك أن البيهقي ذكر مؤلفاته ثم فاته أكبرها خطراً وأعظمها قيمة علمية وهو «الجبر والمقابلة» . لهذا كان إغفاله ذكر الرباعيات لا يدل إلا على لا شيء . ولعله لم يسمع بها كما لم يسمع بالجبر والمقابلة . ولكن الأمر الذي يعنينا هنا هو أن الخيام لم يكن مشتهراً بالرباعيات بين أبناء جيله . ولو افترضنا ان الباحثين سيقعون ذات يوم على رواية أخرى لبعض معاصري الخيام فيها ذكر للرباعيات

ولكنه لم يشتهر بعلمه هذه المرة بل اشتهر برباعياته التي تجاهلها معاصروه واستهانوا بأمرها كما تجاهلها هو في أكبر الظن واستهان بأمرها . على أن ناس اليوم لم يعرفوا هذه الرباعيات على حقيقتها ، لأن أغلب الذين ترجموها في الغرب والشرق لم يفطنوا ، أو لم يريدوا أن يفطنوا ، الى أن الخيام بريء من أكثر هذه الرباعيات السادرة الخليعة التي تعزى اليه ، ولهذا لم يكترثوا من شعره ومما نسب اليه من شعر سواه ، الا لما كان أقرب الى المجون والتسيّب ، ولم يأخذوا من شؤون فكره إلا ما كان فيه حبيب أو مدام . فتابعهم سواد القراء على ذلك ، وهو أحب اليهم طبعاً ، حتى أصبح اسم الخيام عند الكثرة الغالبة منهم علماً على اللهو والتهتك . وإذا بناشئة اليوم يكادون يسلكونه في زمرة الوجوديين والوجوديات ممن يقضون أمسياتهم المجنونة في أقبية باريس .

ولا يخافن قرائي الكرام أن أنكد عليهم بأن أزعم لهم أن صديقهم الخيام لم يكن له مجون أو عبث ، فيخيب ظنهم فيّ ، وفيه . فان الأمر يشهد الله غير ذلك ، لحسن الحظ ، ولكن الزعم الذي لا أجد مفراً من إقحامه هنا هو ان للخيام رباعيات فيها تفكير وجد أيضاً ، وانه كثيراً ما اتخذ ابنة العنقود وسيلة للاعراب عن فكرة فلسفية أو تجديفة دينية ، أو إفصاح عن مشاعر قد يكون ملؤها الأسى والتشاؤم . فهو أقرب الى أن يكون فيلسوفاً حزيناً خفيف الروح من أن يكون ماجناً يتكلف الفلسفة والوعظ ، كما كان يتكلفهما أحياناً أبو نواس . ومن الحق أن نعرفه على هذا الوجه فنظهر منه على جانب الجد الصارم والتفكير الثاقب أيضاً .

وهل بي الآن من حاجة الى التحدث عن مدى ذيوع صيت الخيام في عالم اليوم؟ حسبي أن أقول أنه ما من لغة حية الا قد ترجمت اليها رباعيات الخيام عدة مرات وطبعت عدة مرات ، حتى لقد أعيد طبعها بالانكليزية أكثر مما أعيد بها طبع أي كتاب آخر . وحتى لقد بلغ من اشتهاره في أمريكا مثلاً

ان من صاروا عظام الناس من أهل المناصب

سئموا أنفسهم من فرط حرص ومتاعب

واذا هم أبصروا غير حريص مثلهم

لم يروه آدمياً مثلهم .. يا للعجائب !

وهكذا ....

ولا بد لنا من ذكر سبب آخر لخمول ذكر الرباعيات في حياة صاحبها هو تكتمه في أمرها وإخفاؤها الا عن صحابته الأدنين خوفاً على نفسه من تبعة ما فيها من تمرد ، وكفران بالدين والمجتمع ، وبكل ما فرضا على الناس من قيم وتقاليد .

على أن الرباعيات لم تكن مما يتباهى به مثل الخيام حتى ما لم يكن منها ماساً بالدين أو المجتمع ، لأن الشعر لم يكن مشرفاً للعلماء في ذلك العهد . فلعله كان يكتم أمر الرباعيات كلها أحياناً صوناً لمقامه من الابتذال لدى المتزمتين ، وغير المتزمتين .

ولعل من آيات هوان الرباعيات على صاحبها نفسه أنه نظمها بالفارسية وهي يومئذ لغة التخاطب والتفكه ، كالعامية عندنا اليوم يُنظم بها بعض الأزجال ، على حين انه كتب كل مؤلفاته ونظم بعض أشعاره ، بالعربية التي كانت عنده لغة العلم والجد . فلو انه ظن برباعياته خيراً أو أراد لها انتشاراً لكان نظمها بالعربية .

* * *

ومات ذكر الخيام في عصورنا المظلمة كما مات ذكر سواه من أعلام الثقافة في الشرق . حتى اكتشفه الغربيون أخيراً فبعثوه كما بعثوا سواه ، فاذا باسمه يدوي في أوربا فتتجاوب أصداؤه في أنحاء العالم ، واذا بالخبر يصل الى أقطار الشرق ومنها بلده إيران ، فجعل مواطنوه أيضاً يهتمون به أسوة بسواهم من الأغراب .

ولنسائل الآن أنفسنا . ماهو سبب هذه الشهرة المستفيضة التي أصابها الخيام برباعياته اليوم فتهافت الشعراء على ترجمته وترامى القراء على قراءته ، وأنشئت النوادي باسمه ، وقرعت الأقداح على ذكره .. في أرجاء الدنيا العريضة كلها؟ أتراه أشعر شعراء الأرض ، أو أشعر شعراء ايران على الأقل ؟

ان سبب شهرته هذه يرجع الى جملة خصال لا أستطيع أن أعد تفوقه في الشعر واحداً منها ، وان في شعراء الفرس وحدهم لثلاثة أعلام كل منهم يعد عند الفرس وغيرهم أشعر من الخيـام ، وهم حافظ الشيرازي المتفرد بغزله ، وجلال الدين الرومي المتفوق بتصوفه ، وأبو القاسم الفردوسي المشهور بأساطير أمته . ولكن الخيام بذّ هؤلاء الفحول ، كما بذّ غيرهم من شعراء الأمم .. لا بدرجة شعره ، ولكن بنوع شعره .

وأول هذه الأسباب التي رفعته الى القمة بين شعراء الدنيا ، وأجدرها بالذكر فيما أرى ، هو ان الخيام لم يتخصص في الغزل كحافظ ليفتتن به عشاق الغزل وحدهم ، ولا في التصوف كجلال الدين ليعجب به قراء التصوف خلا سواهم ، ولا في أساطير الأولين كأبي القاسم ليقبل عليه هواة الأساطير دون سائر القراء . وإنما عالج الخيام في رباعياته من الموضوعات ما يهم كل انسان ، وما لا بد أن يكون قد فكر فيه كل إنسان ، فلذلك يقرؤه كل إنسان .

ما من أحد لم يفكر في اللذات أينغمس فيها أم يتجنبها ، أيغتنمها اليوم أم يرجئها الى غد ، أيستنفدها في هذه الحياة الدنيا أم يدخرها الى تلك الحياة الأخرى . ما من أحد لم يفكر في هذه الحياة الباطلة ، وفي الحياة الأخرى أحق هي أم باطل هراء . ما من أحد لم يفكر في هذا العمر القصير ما أسرع ما ينقضي ، وفي هذا الشباب الرائق ما أسرع ما يذبل ويزول ، وفي هـذه الحياة كلها كيف تمضي عبثاً كما تمضي ليلة السكران . ما من أحد لم يتلمس وسيلة من وسائل اللهو والترفيه يستعين بها على احتمال أثقال الحياة وتناسي هموم

أنه قلما امتلك أحدهم هنالك بضعة كتب إلا كان أحدها رباعيات الخيام .. وحتى لقد ترجمها الى العربية أكثر من عشرة من شعراء العراق وحدهم ـ كاتب هذه السطور أحدهم .

وهكذا يفشو ذكر الخيام في أقطار الأرض فيغلب أهلَ كل مصر على شعرائهم في عقر دارهم ، حتى زحم شيكسبير عند الانكليز ، وگوتيه عند الألمان ، وپوشكين عند الروس ، ودانتي عند الطليان ، والمتنبي عند العرب .

واذا بالمحدثين يكبرون اليوم من شأن هذا الخيام الشاعر ما كان الأقدمون يكبرونه من شأن ذلك الخيام العالم . واذا بالمحدثين يتجاهلون اليوم من قدر علمه ذلك الجم ما تجاهل الأقدمون من قدر رباعياته هذه الرائعة .. كأنهم ينتقمون لها منهم ، ومن الخيام .

ولكن ما بالنا لا نسأل الخيام نفسه ما رأيه هو يا ترى في علمه ، ثم ما رأيه هو يا ترى في شهرته ؟

أما في شأن علمه فيقول :

إن قلبي أبداً لم يُحرَم العلم لعمري
وقليل ما اختفى عنيَّ من مكنون سر
بيد أني اليوم في السبعين إذ راجعت فكري
صرت أدري كيف أني .. أبداً ما كنت أدري !

وأما في شأن شهرته فيقول :

ألسعيد الحق من لم يك معروف المكانِ
لم يصر في فوطة ، أو جبةٍ ، أو طيلسانِ
فهو كالعنقاء ، قد طار عن الدارين طرا
لم يكن مثلي بوماً بين أطلال الزمان !

احملي الدن مع الأقداح يا سحر حياتي
واخطري بين الأزاهير على شط الأضاة
فلكم أحدث هذا الدهر أقداحاً ودناً
للحميا .. من قدود الغانيات الفاتنات !

وثالث الأسباب أن شعر الخيام ، كما لحظ النقاد ، رباعيات كل واحدة منها قائمة برأسها ، تعالج موضوعاً قائماً برأسه ، ببيان يمتاز بالإيجاز والتركيز ، فهي من أجل ذلك مؤثرة الوقع في النفس ، سهلة الحفظ والرواية .

ورابعها تماجن للخيام يدعو الى اللهو للخلاص من أشجان الحياة ، مع تمرد في طبعه أصيل يدعو الى التحلل من القيود والأباطيل .

فاذا أضفنا الى كل هذا سبباً خامساً يرجع الفضل فيه الى جمهرة المترجمين الذين يميلون على الأغلب الى الاكثار من ترجمة كل ما فيه تمرد وتماجن ، سواء من رباعيات الخيام أو مما نسب اليه من رباعيات سواه ، ويؤثرون الإعراض من رباعياته عن كل ما كان تفكيراً خالصاً خلواً من دعابة أو تحرش - سهل علينا أن ندرك لماذا أحبه القراء في هذا الجيل القلق المشدوه ، واستفاضت شهرته عندهم في كل مشرق ومغرب .

أما لماذا انطفأت شهرته العلمية اليوم فالجواب يسير : أولاً بسبب هذه الشهرة الجائحة التي جنتها عليه الرباعيات ، وثانياً لأن العلم قد تقدم اليوم تقدماً هائلاً عما كان عليه في عهده ، فلم يعد في كتبه ما يستهوي طلاب المعرفة الجديدة من الباحثين . بل ان ما كان الخيام متفرداً في معرفته أو اكتشافه من قوانين الرياضة والطبيعة أصبح اليوم معرفة مشاعة بين طلاب المدارس . وما أكثر ما يعرفه اليوم تلاميذ المتوسطات والابتدائيات من أسرار الكون مما كان يجهله الخيام ، وأفلاطون .

الدنيا - من خمرة أو سواها من الملهيات . ما من أحد لم يفكر في هذه الدنيا أيزهد فيها ويعتزل أبناءها أم يقبل عليها ويتكالب على المال والجاه والسلطان بين أهليهـا .

ما من أحد لم يفكر في هذه الشؤون وأمثالها مما تتناوله رباعيات الخيام ، سواء أكان عالماً أم جاهلاً ، متفائلاً أم متشائماً ، شرقياً أم غربياً ، من أبناء العصر الحاضر أم من أبناء العصور الغابرة . وأنت بعد - أيها القارئ - قد توافق الخيام في رأيه الذي يراه وقد تخالفه . فليس ذلك المهم ، ولكن المهم أن هذا الأمر الذي يعرضه لك الخيام ، قد فكرت فيه وكونت لنفسك رأياً بشأنه ، في يوم من الأيام ، ولعلك ما زلت تفكر فيـه حتى اليوم .. فهو يعنيك في كلتا الحالتين .

وثاني هذه الأسباب ان للخيام في التعبير عن أفكاره طريقة فيها من البراعة والسخرية أحياناً ، وخفة الروح غالباً ، ما يجعل حتى الفكرة الكئيبـة أشبه بالنكتة الشائقة ، فضلاً عما في رباعياته من كثرة ذكر للحسناء والصهباء حتى في معرض التفكير والتشاؤم . فكأن أسلوب الخيام غشاء من السكر يكسو الدواء ويطيب طعمه فيستسيغه من لا يستسيغ ما تحته ، واذا بالعابث اللاهي يقرأ الفلسفة ، أو يتفجع على الدنيا ، وهو يظن أنه انما يعاقر الراح أو يشبب بالملاح :

ما لنا بالله أمرى يسـد العقل العقام ؟
ما حياة المرء يوماً واحداً أو ألف عام ؟
إفتح الراقود واملأ من رحيق الراح جامي
قبل أن نصبح في السوق جراراً للأنام !

فهرست مؤلفات

محيي الدين بن عربي

(٥٦٠ — ٦٣٨ هـ)

بقلمه

عُني بتحقيقه

كوركيس عوّاد

— ٢ —

فصل

في أسماء الكتب التي بأيدي الناس اليوم مما يُنسب الينا

فمنها في الحديث :

٢٧ — كتاب المحجة البيضاء : صنفته بمكة المشرّفة ، أكملتُ منه كتاب الطهارة والصلاة ، في مجلدين ، وبيدي الآن المجلد الثالث أتى في كتاب الجمعة .

٢٨ — ومنها كتاب مفتاح السعادة : جمعتُ فيه بين متون مسلم والبخاري وبعض أحاديث من الترمذي .

٢٩ — وكتاب كنز الأبرار فيما رُوي عن النبي ﷺ من الأدعية والأذكار .

٣٠ — وكتاب مشكاة الأنوار فيما رُوي عن الله تعالى من الاخبار[1] .

٣١ — وكتاب الأربعين حديثاً المتقابلة والأربعين الطوالات .

٣٢ — ومنها كتاب العين في خصوصية سيد الكونين .

---

(١) برلين ١٤٦٩ المكتب الهندي ٦٥٨ (١) المتحف البريطاني ٩١٨ (١٤) أبسالة (السويد) ٣٩٣ (١) باتنا ١ : ٦١ .

والآن أجدني أسائل نفسي : ترى لو عاد صديقنا الشيخ الحكيم الى الحياة فوجد أبناء هذا الجيل يعجبون به كل هذا الاعجاب ، ويحتفون برباعياته كل هذه الحفاوة ، ورأى بنان الفضول يشير اليه حيثما سار ، ووجد رسائل الإعجاب تنهمر عليه من أمريكا والصين والسويد والارجنتين .. من طلاب مال وطالبات زواج ، ووجد الناشرين يلاحقونه لإعادة طبع رباعياته والرسامين يطاردونه لإعادة تزيين صفحاتها ، وحفلات التكريم تقام له هنا وهناك ، وهذه الأضواء الفظيعة تنفجر من آلات التصوير في وجهه بين كل دقيقة وثانية فتؤذي عينيه وتثير أعصابه ، وهذا يطلب توقيعاً في دفتره الذكرى وذلك يلتمس صورة في مجموعته للمباهاة ، وجرس الهاتف يعكر صفوه كلما أوى الى بيته ليرتاح ، والمعجبون يأخذون عليه كل سبيل فلا يدعون له من وقته ما يتطلبه التأمل والدرس . أجل ، لو عاد الى الحياة وقاسى كل هذا ، وهو خليق بأن يقاسي أكثر من هذا من عقابيل هذا الإعجاب الأهوج - على طريقة القرن العشرين - إذن لأعاد علينا قوله :

السعيد الحق .. من لم يك معروف المكان ! ..

ولهرب من حياتنا العصرية المحمومة هذه فانزوى في صومعة على رأس جبل ينشد فيها الخلاص ، والراحة ، والسلام .

عبد الحق فاضل

٣٨ — وكتاب الجلي في كشف الولي .

٣٩ — وكتاب المنهج السديد في ترتيب أحوال الإمام البسطامي أبي يزيد ، رضي الله عنه .

٤٠ — وكتاب مفتاح أقفال الإلهام الوحيد وإيضاح اشكال اعلام المريد في شرح أحوال الإمام البسطامي أبي يزيد ، رضي الله عنه : أمرني الحق تعالى بشرحها في النوم بساحل سبتة ببلاد المغرب ، فقمتُ مبادراً قبيل الفجر ، وكان لي ناسخان ، فأمليتُ عليهما فكتبا . فما طلعت الشمس حتى تقيّد منه كراسان .

٤١ — وكتاب أنس المنقطعين برب العالمين : وضعته لنفسي ولغيري .

٤٢ — وكتاب الموعظة الحسنة [١] : مثله :

٤٣ — وكتاب البغية في اختصار كتاب الحلية [٢] لأبي نعيم الحافظ : مثل ذلك ، وضعته في حق نفسي .

٤٤ — وكتاب الدرة الفاخره في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة [٣] .

٤٥ — وكتاب المبادئ والغايات [٨] فيما تحتوي عليه حروف المعجم من العجائب والآيات .

٤٦ — وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلّةِ الأسرار والنجوم [٤] .

٤٧ — وكتاب الانزالات الوجودية من الخزائن الجودية .

٤٨ — وكتاب حلية الأبدال وما يظهر عنها وعليها [٥] من المعارف

---

(١) الازهر ٣ : ٦٤٢ جون ريلندز ١٠٦ (٢٤) .

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ . طبع في القاهرة سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٨ في ١٠ مجلدات .

(٣) برلين ٢٩٥٨ .

(٤) هو كتاب في التصوف ، طبع في القاهرة سنة ١٩٠٧ . ومنه نسخ خطية في المتحف العراقي ١٦٩٤ الاوقاف ببغداد ٥٣٧٦ (١) و ٦٤٩١ (١١) الظاهرية (حبيب زيات ص ٤٩) الازهر ٣ : ٦٤١ آصفية : تصوف ٥٨ (١) المجلس الملي (طهران) ٥٩٤ (١) الاسكندرية : تصوف ٤٨ برمنكهام ٦٦٧ و ٦٦٨ .

(٥) في بعض النسخ : وما يظهر فيها .

ولا أدري هل خرج عن ذكري منها في هذا الفن شيء أم لا ، لشغل الخاطر وعدم الالتفات للماضي .

* * *

وأما ما بأيدي الناس من كتبنا في طريق الحقائق ، فمنها :

٣٣ — كتاب التدبيرات [٧] الإلهية في إصلاح المملكة الانسانية [١] : حذوتُ فيه حذو حكم الحكيم [٢] ارسطوطاليس في كتاب سرّ الأسرار الذي ألّفه للاسكندر . وبسبب ذلك الكتاب وضعتُ هذا لسؤالي أخينا أبي محمد عبد الله ابن الأستاذ الموزوري [٣] في ذلك .

٣٤ — وكتاب سبب تعشق النفس بالجسم وما يقاسي من الألم عندفراقه بالموت .

٣٥ — وكتاب إنزال الغيوب على مراتب القلوب : فيما لنا من سجع وشعر .

٣٦ — وكتاب الإسرا الى المقام الأسرى [٤] .

٣٧ — وكتاب مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية [٥] .

---

(١) نشره المستشرق نيبرج (ليدن ١٩١٩) . ومنه نسخ خطية في المتحف العراقي ٧٠١ دار الكتب ١ : ٢٧٨ (٤ نسخ) . الجامعة المصرية [مكتبة الأمير ابراهيم حلمي] ٢٣٠٩٩ الاسكندرية (تصوف ١١) برلين ٢٩٠٦ - ٢٩٠٧ أبسالة ٣٩٣ (٥) المكتب الهندي ٦٥٨ المتحف البريطاني Quart VI 55 بدليات (اكسفرد) ٢ : ٢٥٢ (١) الجزائر ٩١١ فاتح ٢٦٣٠ (٨) ٥٣٧٦ (١٤) حالت (استانبول) ٣ باتنا ١ : ١٢٩ . ٢ : ٤٨٩ بانكيبور ٨٨٧ برمنكهام ٦٦٦ ،

(٢) المخطوط : حذوت فيه حكم حذو الحكيم .

(٣) المخطوط : المورزوي . والوجه ما أثبتنا . في معجم البلدان (٤ : ٦٨٠) : موزور اسم المفعول من الوزر . اسم لكورة بالأندلس ، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً .

(٤) الأزهر ٣ : ٥٣٧ (نسختان) دار الكتب ١ : ٢٦٦ تذكرة النوادر ٣٦٦ برمنكهام ٦٦٥ برلين ٢٩٠١ - ٢٩٠٢ فينة ١٩٠٨ .

(٥) دار الكتب ١ : ٣٥٩ الأزهر ٣ : ٦٣١ وعنوانه هناك «مشاهدة الانوار... الخ» جون ريلندز ١٠٦ (١٢) غوطا ٨٨٧ و ٨٨٨ (٢) برلين ٢٩٠٨ فينة ١٩٠٧ باريس ١٣٣٨ (٣) الجزائر ٩١١ (٢) قسطنطينية ١ : ٤٣٧ شهيد علي (استانبول) ١٢٧٧ (٢) و ١٤٣١ فاتح ٢٦٣٠ (٢) و ٥٣٧٦ نافذ (استانبول) ٤٧٠ باتنا ٢ : ٤٨٨ وفي دار الكتب (١ : ٣٢٥) شرح المشاهد القدسية : للسيدة عجم بنت النفيس بن أبي القاسم البغدادية .

٥١ — وكتاب تاج الرسائل ومنهاج الوسائل [١] : مخاطبات بيني وبين الكعبة شرّفها الله تعالى ، وهو سبع رسائل .

٥٢ — وكتاب روح القدس في مناصحة النفس [٢] .

٥٣ — وكتاب التنزلات الموصلية في أسرار الطهارات والصلوات الخمس والأيام المقدرة الأصلية [٣] .

٥٤ — وكتاب إشارات القرآن في عالم [٩] الانسان [٤] .

٥٥ — وكتاب القسَم الالهي بالاسم الرباني [٥] .

٥٦ — وكتاب الجلال والجمال [٦] .

٥٧ — وكتاب السر المكشوف في المدخل الى العمل بالحروف .

٥٨ — وكتاب المقنع [٧] في إيضاح السهل الممتنع [٨] .

---

(١) نشرها الشيخ محي الدين صبري الكردي ضمن « مجموعة الرسائل » (مطبعة كردستان — القاهرة ١٣٢٨ هـ) وهي آخر ما في المجموعة . ويشتمل تاج الرسائل على : (١) الرسالة الالهية القدسية . (٢) الاتحادية . (٣) الربانية . (٤) المشهدية . (٥) الفردوسية . (٦) العلوية . (٧) الوجودية .
ومن تاج الرسائل ، نسخ خطية في الازهر ٣ : ٥٤٧ دار الكتب ١ : ٢٧٤ (نسختان) مكتبة المشهد الرضوي ٤ : ٢٨٩ الرقم ١٨٧ برلين ٢٩٥٧ .

(٢) طبع على الحجر في القاهرة سنة ١٢٨١ هـ . ومنه نسخ خطية في : بدليان ١ : ٣٢٠ المكتب الهندي ٦٥٩ (٢) [= رسالة القدس في مناصحة النفس] بانكيبور ٨٩٠ وفي كشف الظنون (٣ : ٤٨٣) : « روح القياس » قال وهو على منوال الرسالة القشيرية .

(٣) دار الكتب ١ : ٢٨٢ مراد ملا (استانبول) ١٢٣٦ شيخ مراد (استانبول) ١٨٧ .

(٤) جون ريلندز ١٠٦ (٤) برلين ٢٩٤٩ .

(٥) جون ريلندز ١٠٦ (٣) برلين ٢٩٥٤ تذكرة النوادر ٣٧٥ .

(٦) طبع في مجموعة رسائل ابن العربي (حيدر اباد ١٣٦٣ هـ ، ١٧ ص) وهو ثالث ما في المجموعة ، ومنه نسخ خطية في : جون ريلندز ١٠٦ (٢٣) برلين ٢٩٩٤ (٤) (بعنوان : الجمال والجلال) تذكرة النوادر ٣٧٠ .

(٧) في بعض النسخ : المقتنع .

(٨) عندي منه نسخة خطية قديمة في خمس ورقات . ومنه أيضاً نسخة في برلين ٢٩٦٩ .

والأحوال(١) : وهو كتاب ساعة . وضعته بالطائف بدرب أبي أمية . تكلمتُ فيه على الجوع والصمت والسهر والعزلة .

٤٩ — وكتاب أنوار الفجر في معرفة المقامات والعاملين على الأجر وعلى غير الأجر : وانما سميته بهذا ، لأني لا أقيد منه حرفاً إلا في وقت الفجر الى أن يكاد يبدو حاجب الشمس .

٥٠ — وكتاب الفتوحات المكية(٢) : وهو كتاب كبير في مجلدات ، مما فُتح به عليَّ في مكة المشرّفة . يحوي على خمسمائة باب وخمسة وستين باباً في أسرارٍ عظيمة وحكم جسيمة من مراتب العلوم والمعارف والسلوك والمنازل والمتأولات والأقطاب وشبه هذا الفن . وأظنُّ ـ والله أعلم ـ ما صُنِّف مثله ولا يُصنَّف ، لأني حذوتُ فيه حذواً غريباً وأسلوباً عجيباً .

---

(١) الاوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٢١) ٩٦٧٩ (٢) دار الكتب ١ : ٢٩١ (٧ نسخ) برمنكهام ٦٧١ — ٦٧٢ الظاهرية (حبيب زيات ص ٥٠) الفهرس التمهيدي ص ١٢٩ تذكرة النوادر ٣٦١ آصفية : تصوف ٥٦ جامع بكر افندي بالموصل (مخطوطات الموصل . ص ٧٥ الرقم ٧٤ (٤)) برلين ٢٩٣١ — ٢٩٣٢ باريس ١٣٣٨ ، ٦٦١٤ للمكتب الهندي ٦٩٤ (٢) أبسالة ٣٩٣ (١٦) ولي الدين (استانبول)١٥٢٠ فاتح ٢٦٣ (٧) ٥٣٧٨ نافذ ٣٨٤ جون ريلندز ١٠٦ (٢٠)

(٢) طُبع مرتين في بولاق سنة ١٢٧٤ و ١٢٩٣ هـ ، وثالثة في القاهرة سنة ١٣٢٩ ، وكل منها في ٤ مجلدات . ومنه نسخ خطية في : الاوقاف ببغداد ٤٧٦٥ ، ٧١١٠ ، ٧١٥٢ وقطعة منه برقم ٤٨٨٧ (١٥) وعندي قطعة مخطوطة منه . ومنه نسخ اخرى في : القادرية ببغداد (نسختان) الازهر ٣ : ٦١١ الاسكندرية : تصوف ٢٦ الظاهرية (ص ٦٤ ، ٣ نسخ) برلين ٢٨٥٦ — ٢٨٧٣ غوطا ٨٨٤ برمنكهام ٦٥٠ — ٦٥٥ للمتحف البريطاني (Suppl.) ٢٣١ قوله ١ : ٢٥٥ پاتنا ١ : ١٣٩ مكتبة للمشهد الرضوى ٤ : ٢١٢ — ٢١٣ ، الرقم ٩٠٨ — ٩١٠ جامع الباشا (مخطوطات الموصل . ص ٢٥ الرقم ٨٠) خزانة العزاوي ببغداد دار الكتب ١ : ٣٣٧ (٥ نسخ فيها التامة وغير التامة) . وفي ١ : ٣٦٨ نبذة منه . جامعة هرفرد (أميركة) ٨٦ . ولعبد الغني النابلسي ، كتاب « سواطع الانوار القدسية فيما صدرت به الفتوحات المكية » (دار الكتب ١ : ٣١٩) جمع فيه الابيات التي صدرت بها أبواب الكتاب المذكور باشارة منامية من صاحب الفتوحات ابن عربي .

٦٥ — وكتاب الحجب المعنوية عن الذات الهوية [١] .

٦٦ — وكتاب إنشاء الجداول والدوائر والدقائق والرقائق والحقائق [٢] .

٦٧ — وكتاب الأعلاق في مكارم الأخلاق [٣] .

٦٨ — وكتاب روضة العاشقين .

٦٩ — وكتاب ستة وتسعين : تكلمنا فيه على الميم والوو والنون [٤] ، لانعطاف أواخرها على أوائلها هكذا : ميم ، واو ، نون .

٧٠ — وكتاب المعارف الإلهية واللطائف الربانية : في بعض ما لنا من النظم .

٧١ — وكتاب المبشرات : ذكرتُ فيه ما يذكر به من رؤيا رأيتها تفيد علماً وتحرّض على الخير .

٧٢ . وكتاب ترتيب الرحلة [٥] : ذكرتُ فيه ما لقيته في رحلتي الى بلاد المشرق ، وجردتُ جزءاً فيه ذكر مشايخنا الذين رأيناهم وسمعنا عليهم : أذكرُ الشيخ رضي الله عنه وأذكر عنه حديثاً [١٠] عن النبي ﷺ ، وحكايةً مفيدة أو أبياتاً من الشعر إما له وإما من روايته .

٧٣ — وكتاب فيه مما رويته من الأحاديث العوالي ، ولم أشترط فيه الصحة .

* * *

(١) دار الكتب ١ : ٢٨٦ (٣ نسخ) الاسكندرية : تصوف ٣٣ برلين ٢٩٢٧ — ٢٩٢٨ ، ٢٩٣٥ المكتب الهندي ٦٩٣ عمومية (استانبول) ٣٧٥٠ آصفية : تصوف ٥٢ برمنكهام ٦٧٠ .

(٢) طبعه المستشرق نيبرج H. S. Nyberg في ليدن سنة ١٩١٩ . ومنه نسخ خطية في : دار الكتب ١ : ٢٦٩ و ٣٤٤ (٣ نسخ) مكتبة المشهد الرضوي ٤ : ٣١ الرقم ٣٦٥ برلين ٢٩١٨ — ٢٩١٩ ا بساله ٣٩٣ (٩) المكتب الهندي ٦٥٨ (٣) فاتح ٢٦٣٠ (٢) جار الله (استانبول) ٢٠٦١ (٢) عمومية ٣٧٥٠ .

(٣) لعلها رسالة « الاخلاق » التي طبعت في القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ في ٦٠ ص . ومنها نسخة خطية في الازهر ٣ : ٥٥٥ . وفي برمنكهام (الرقم ٦٧٤) : « تهذيب الاخلاق » .

(٤) في كشف الظنون (٣ : ٤٤٧) : « رسالة الميم والواو والنون » . برلين ٢٩٧٠ . تذكرة النوادر ٣٧٤ .

(٥) لها مختصر في ليبسك ٢٣١ (١) .

٥٩ — وكتاب الأمر المحكم المربوط في معرفة ما يحتاج اليه أهل طريق الله تعالى من الشروط (١) .

٦٠ — وكتاب رسالة الأنوار فيما يمنح (٢) صاحب الخلوة من الأسرار (٣) .

٦١ — وكتاب عنقاء مغرب (٤) .

٦٢ — وكتاب المعلوم بين عقائد علماء الرسوم .

٦٣ — وكتاب الايجاد (٥) الكوني والمشهد العيني بحضرة الشجرة الانسانية والطيور الأربعة الروحانية (٦) .

٦٤ — وكتاب الاشارات في أسرار الأسماء الإلهية والكنايات .

---

(١) طبع في مجموعة « التحفة البهية والطرفة الشهية » (مطبعة الجوائب — استانبول ١٣٠٢ هـ الرقم ١٨) وطبع مع كتاب (ذخائر الاعلاق) لابن عربي ، في المطبعة الانسية — بيروت ١٣١٢ هـ . وطبع مع ترجمة تركية في استانبول سنة ١٣١٥ هـ . ومنه نسخ خطية في : الأزهر ٣ : ٥٣٩ (نسختان) الظاهرية (حبيب زيات ص ٤٩) برلين ٢٩٤٢ غوطا ٩١٤ (٣) فينه ١٩٠٩ أبساله ٣٩٣ (١٣) باريس ١٣٣٧ (١٤) ٦٦١٤ (٣) برنستن ١٥٧٤ (١) .

(٢) في بعض النسخ : فيما يُفتح على .

(٣) طُبع في القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ . ومنه نسخ خطية في : الظاهرية (حبيب زيات ص ٥٠) الازهر ٣ : ٥٤١ برلين ٢٩١٣ — ٢٩١٤ ليبسك ٢٣ باريس ١٣٣٧ (٣) ٢٤٠٥ (٧) المتحف البريطاني ٨٨٦ (٢٦) برنستن ١٥٧٤ (٢) الاسكندرية : تصوف ٨ و ٣٧ دار الكتب ١ : ٢٦٩ (٨ نسخ) .

(٤) طبع ضمن « مجموع الرسائل الالهية » لابن العربي (القاهرة ١٣٢٥ هـ) وهو رابع ما في المجموعة . جون ريلندز ١٠٥ (٢) برمنكهام ٦٦٣ آصفية : تصوف ٣٩ برلين ٢٤٩٤ — ٢٤٩٧ فينه ١٩٠٦ عاشر (استانبول) ١ : ٤٨٣ دار الكتب ١ : ٣٣٣ (٣ نسخ) باتنا ١ : ١٣٧ باريس ١٣٣٩ مكتبة المشهد الرضوي ٤ : ٢٠٨ الرقم ٨٩٧ بانكيبور ٨٨٨ عمر الواعظ (فهرست سباط . القسم الاول . الرقم ٦٥٩) وفي دار الكتب (١ : ٣٢٤) شرح لها للشيخ قاسم ابي الفضل الشافعي . وفي الاسكندرية (تصوف ٣٥) شرح لها لشارح مجهول ، عنوانه « الاغرب من المجالة الاعجب ، لمن نظر فيه وتعجب ، وتجنب عن التعرض والتعصب ، في بيان ديباجة عنقاء مغرب وشمس المغرب » .

(٥) في بعض النسخ : الاتحاد .

(٦) جون ريلندز ٦ : ١ (٧) آصفية : تصوف ٤٧ .

٨٠ — وكتاب الذال : وهو كتاب الجود . ويُشار فيه الى العطاء والوهب والمنح والكرم والسخاء والرشا والهدايا .

٨١ — وكتاب الجيم : وهو كتاب القيومية .

٨٢ — وكتاب الشين : وهو كتاب [١١] الاحسان .

٨٣ — وكتاب اللام : وهو كتاب الفلك والسماء .

٨٤ — وكتاب الدال : وهو كتاب الحكمة والمحبوبية (١) .

٨٥ — وكتاب الميم : وهو كتاب العزة . ويُشار فيه الى المن والقهر والغلبة والحما والعجز والقصور .

٨٦ — وكتاب التاء : وهو كتاب الأزل (٢) .

٨٧ — وكتاب الهاء : وهو كتاب النور . ويُشار فيه الى الضياء والظل والظلمة والاشراق والظهور .

٨٨ — وكتاب النون : وهو كتاب السر .

٨٩ — وكتاب الثاء : وهو كتاب الابداء والاختراع .

٩٠ — وكتاب الواو : وهو كتاب الأمر والخلق .

٩١ — وكتاب الزاي : وهو كتاب الصادق والوارد .

٩٢ — وكتاب السين : وهو كتاب القدم .

٩٣ — وكتاب الطاء : وهو كتاب القدم (٣) .

٩٤ — وكتاب العين : وهو كتاب الملك .

٩٥ — وكتاب الراء : وهو كتاب القدس .

٩٦ — وكتاب الحاء : وهو كتاب الحياة .

---

(١) لعل الاصل : الحكمة المحبوبة .

(٢) الاوقاف ببغداد ٣٠٤٠ (٤) الازهر ٣ : ٥٣٧ تذكرة النوادر ٣٦٥ : ٣ ، جار الله ١٠٨٠ (٤) آصفية : تصوف ٤٦ برلين ٢٩٤٧ .

(٣) كذا ، بتكرار العنوان المتقدم .

وأما الكتب التي أمرني الحق تعالى في قلبي لوضعها ، ولم يأمر الى الآن باخراجها الى الناس وتبينها في الخلق ، فمنها :

٧٤ — كتاب الألف ، وهو كتاب الأحدية [١] : ويتضمن هذا الكتاب الوحدانية والفردانية والأولية والوترية والأحدية ونفي الكثرة من الوجود العددي ، وان الواحد يظهر في مراتب فتنشأ الأعداد وتغيب فيبقى .

٧٥ — وكتاب الباء : وهو كتاب الهو [٢] : ويتضمن هذا الكتاب معرفة الضمائر واضافات النفس .

٧٦ — وكتاب القاف : وهو الكتاب الجامع . يتضمن معرفة الجلالة بما يدل عليه من الجمع والاطلاق بما يدل عليه من التقييد مثل قول الملهوف : يا الله .

٧٧ — وكتاب قب : وهو كتاب الرحمة . ويتضمن معرفة التخصيص فيها والتعميم والعطف والحنان والرأفة والشفقة .

٧٨ — وكتاب الغين : وهو كتاب العظمة [٣] . فيه إشارات من الجلال والكبرياء والجبروت والهيبة .

٧٩ — وكتاب الياء : وهو كتاب المجد والبقاء .

---

(١) طبع ضمن « مجموع الرسائل الالهية » لابن عربي (القاهرة ١٣٢٥ ﻫ) وهو أول ما في المجموعة . كما طبع ضمن « مجموعة رسائل ابن عربي » (حيدر اباد ١٣٦٣ ﻫ ، ١٣ ص) وهو رابع ما في المجموعة . ومنه نسخ خطية في : الاوقاف ببغداد ٧٠٧١ (٣) الازهر ٣ : ٥٣١ (نسختان) القادرية ببغداد الظاهرية (حبيب زيات ص ٤٩) برمنكهام ٦٧٧ دار الكتب ١ : ٣٠١ و ٣٤٤ آصفية : تصوف ٥٤ برلين ٢٩٧١ أيساله ٣٩٣ (٨) المكتب الهندي ٦٥٨ (٤) المتحف البريطاني ٨٣٦ (٢١) الفهرس التمهيدي ١٤١ .

(٢) دار الكتب ١ : ٣٤٧ آصفية : تصوف ٤٥ و ٥٣ تذكرة النوادر ٣٦٤ جار الله (استانبول) ١٠٨٠ (٦) برلين ٢٩٧٣ .

(٣) جار الله ١٠٨٠ جون ريلندز ١٠٦ (١٤) المكتب الهندي ٦٩٣ (٢) برلين ٨٠٨ ٢٩١١ — ٢٩١٢ .

جولة لغوية في كتاب النبات

لأبي حنيفة الدينوري

— ٢ —

(نموذجات من نوادره وفرائده)

[ص ٥] : ذكر أن (قُرّى) اسم لماءة (كان عندها يوم من أيام العرب أي حروبهم) قال ذو الأصبع العدواني :

(كأنا يومَ قُرّى إنـــما نقتـل إيّانا)

يريد الشاعر أن المتقاتلين إخوة من دم واحد فقاتل أخيه كأنما يقتـل نفسه . وهذا المعنى من مستحسن معاني العرب الشعرية ومنه قول الحماسي :

(ونبكي حين نقتلهم عليهم ونقتلهم كأنا لا نبـالي)

[ص ١٤] : (الأدوات المنزلية الخشبية) وتسمى صناعتها في عصرنا صناعة (الموبيليات) كما يسمى نجارها (نجار افرنجي) . وقد ذكر الدينوري في كتابه جملة أشجار يُتخذ من جذوعها وأخشابها أدوات وأواني على نمط اتخاذ ذلك في عصرنا الحاضر من حيث طريقة العمل والتحضير . والظاهر أن مزاولي هـذه الصناعة هم عرب الجزيرة أنفسهم الذين توجد تلك الأشجار في جزيرتهم . ولا سيما سلسلة جبالها المشهورة باسم (السَّرَاة) يقول الأصمعي ان (الشِيزى) الذي تذكره العرب في أشعارها ومنه قول ابن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان (الى رُدُح من الشيزى مِلاء) يفسرون الشيزى بالخشب الصُلب الذي تُتخذ منه الجفان أي القصاع الرُدُح ـ يقول الأصمعي ليس المراد بالشيزى خشب

٩٧ — وكتاب الفاء : وهو كتاب العلم ٠

٩٨ — وكتاب الضاد : وهو كتاب المشيئة ٠ ويشار فيه الى التمني والارادة والشهود والهاجس والعزم والنية والقصد والهم ٠

٩٩ — وكتاب الظاء : وهو كتاب الفهوانية [١] ٠ وربما وقع اسم كلمة الحضرة ، وربما وقع اسمه القول يشار فيه الى الكلام والنطق والحديث والسمر وشبه هذا ٠

١٠٠ — وكتاب الطاء : وهو كتاب الرقم ٠ يشار فيه الى الخط والكتابة والاشارة والحروف الرقمية و كتاب الرقم والرقيم ٠

١٠١ — وكتاب ياء [٢] : وهو كتاب العين : يشار فيه الى الرؤية والمشاهدة والمكاشفة والتجلي واللمح واللمع والطالع والذوق والشرب والباده والهاجم وشبه هذا ٠

١٠٢ — وكتاب فا : وهو كتاب الباه ٠ يشار فيه [١٢] الى التولد والتناسل ٠

١٠٣ — وكتاب غا : وهو كتاب كن [٣] يشار فيه الى حضرة الأفعال والتكوين ٠

١٠٤ — وكتاب غب : وهو كتاب المبدئيين والمبادئ ٠ يشار فيه الى أن الاعادة مبدأ وأن العالم في كل نفس في مبدأ ٠

١٠٥ — وكتاب يج : وهو كتاب الزلفة ٠

١٠٦ — وكتاب فج : وهو كتاب الدعاء والاجابة [٤] ٠

١٠٧ — وكتاب عج : وهو كتاب الرمز ، في حروف أوائل السور ٠

١٠٨ — وكتاب غد : وهو كتاب الرقبة ٠

(يتبع)

---

(١) برلين ٢٩٣٨ ٠

(٢) الأزهر ٣ : ٦٠١ (الياء) ٠

(٣) خزانة العزاوي ببغداد ٠

(٤) لعله كتاب « الدعاء » ٠ ومنه نسخة في دار الكتب ١ : ٢٩٧ ٠

أن يُخرط منه الأواني . أقول فشجر الكرم المذكور هو في غالب الظن نوع من شجر الزيتون البرّي وهو الذي اشتهر بيت المقدس بصناعة الأواني المختلفة منه فتكون بعد صقلها ومعالجتها بالدَّسَم صفراء اللون موشّاة بالسواد فيها تعريق وتوليع وتخطيط . وما زالت هذه الصناعة الجميلة في بيت المقدس الى اليوم . وما قلناه في شجر الكرم هذا يدل عليه قوله : وأخبرني رجل من اهل المعرفة أن الكرم الذي ينسب الناس اليه الصِحاف هو شجر ليس بالباميق (؟) ولكنه غليظ وله ورق مثل ورق الإِجَّاص وخشبه موشّى بسواد وصفرة وربما كان بحمرة ينبت في جبال الدُروب وربما عملت منه السروج اه . قوله (جبال الدروب) يعني بها الجبال الفاصلة بين آسيا الصغرى وسورية وهي المداخل الى بلاد الروم .

هذا ملخص صفحات ملأها الدينوري بوصف صِلاب الأشجار التي تُصنع منها الأدوات الخشبية المنزلية . وهذا النوع من الأشجار يسمى (النُضار) بضم النون . ومنه الأَثل والفرفار والكرْم والخلنج والآبِنُوس والساج . وفي جذوعها عُقَد وعُجَر وسِلَع وحُبَر يعمدون الى هذه العُقد فيخرطون منها الأدوات حتى الموائد والزوارق ويصقلونها ويعالجونها بالدَّسَم فتظهر موشاةً بتواليع وأساريع وتعاريق سود أو حمر برّاقة وتكون (أرضية) الخشب صفراء . كل ذلك يدل على أن صناعة الخراطة في جزيرة العرب كانت ناهضة لدى أهلها . ولا سيما جبل (السراة) حيث تنبت تلك الأشجار . وتشبه هذه الصناعة في زمنهم حسبما وصف المؤلف صناعة الأواني والأدوات في بيت المقدس . ولم نتحقق ما اذا كانت صناعته فيه من خشب الزيتون المعروف أو خشب شجر آخر سمي بالزيتون تسامحًا كما قال الأصمعي في الشيزي وقد نقلنا قوله آنفًا .

وفي [ص ٢١] : وصف شجرًا وسماه (الأشكل) وقال هو كالعُنّاب في في شوكه وعقف أغصانه . وله (نُبَيْقَة) حامضة شديدة الحموضة . ونُبيقة

الشيزى نفسه وانما المراد خشب الجوز الذي تُنحت ألواحه و تُصقل وتُسوّد بالدسم حتى يصبح محاكياً لخشب الشيزى ويسمونه باسمه ، ويريد الأصمعي بالدَّسَم نحو الزيت والشحم مما تعالج به أخشاب الكراسي والمقاعد والموائد لتلميعها وقد قام مقامها في زماننا هذا أدسام أخرى : الزيت المعدني ثم السبيرتو والكمليكا . قال الأصمعي وشجر الشيزى (ويقال له الشيز أيضاً) لا يغلظ حتى تُتخذ من أخشابه جفان وقصاع . قال المؤلف (الدينوري) والأمر كما وصف الأصمعي .

[ص ١٦] عاد الأصمعي الى الأشجار التي تُتخذ من أخشابها الصُلبة الجفان والموائد فذكر منها عدا الجوز (العُتمة) و (الفرفار) قال واذا تقادمت (الفرفارة) اسود خشبها سواداً شديداً . ويكون قبل أصفر . والأقداح (جمع قَدَح بالتحريك) التي تتخذ منه رقاق خفاف طيبة الرائحة . ولشدة صلابته قال الشاعر (والبَلط يبْري حُبَر الفرفار) (البَلْط) حديدة الخرّاط و (الحُبَر) جمع حُبرة وهي العقد والمُجَر والسلع ويراد بها مكان الصلابة من جذع الشجرة فهي اذا خرطت ثم نحتت وصقلت وسُوِّدت بالدَّسَم خرجت آنيتها موشّاة أحسن وشي . قال وأخبرني بعض الأعراب أنهم ينحتون بالسّراة صحافاً من سِيقان الكرم (وهو شجر غير كرم العنب) ومن عُجَر تظهر في تلك السيقان فتجيء خلنجاً موشاةً حساناً جياداً . وقوله فتجيء خلنجاً يريد بالخلنج (وهو اسم فارسي) شجر اشتهر أيضاً بصلابته وصلاحيته لاتخاذ الآنية منه ثم سموا كل شجر يشبهه خلنجاً . بدليل قوله (وأجناس الخلنج كثيرة وهذا - أي الكَرْم - أكرمها) ونريد اليوم بالخلنج في لهجتنا العامية الشيء الجديد الذي لم يُستعمل بعدُ . وكأن وجود صلاب الأشجار في (السّراة) جعله مركزاً لصناعة الخراطة وتصدير مصنوعاتها الى الخارج . قال : والكَرْمُ تغلظ ساقه عندهم غلظاً شديداً . وأخبرني بمثل ذلك رجل من أهل الشام لأن الكَرْم يعبُل (أي يضخم) بأرض بيت المقدس خاصة حتى يكون

[ص ١٧٤] : وصف (دم الغزال) بأنه نبات يشبه الطرخون . وقال ان له عرقاً أحمر تخطط الجواري بمائه مسَكاً في أيديهن حمراً . فقوله بمائه أي بعصارته التي تسيل من عروقه بعد دقها أو شدخها . والمسَك بالتحريك الأسورة والدمالج تتخذ من الذَّبْل أي عظام السلاحف . فنساء الأعراب يعمدن الى تلك العصارة الحمراء فيجعلن منها حول معاصمهن دوائر على شكل السوار يتحلين بها كما يفعل أعرابيات اليوم بزينة الوشم في معاصمهن وعلى وجوههن .

[ص ٢٠٣] : قال الأصمعي : حدثني عبد الملك بن صالح بن علي (من أمراء بني العباس وكأنه كان والياً على الشام) قال : تبقى شجرة الزيتون ٣٠٠٠ سنة وكل زيتونة بفلسطين من غرس اليونانيين قبل الروم (يريد كتاب العرب من الروم ملوك القسطنطينية المشهورين باسم البيزانطيين) وذلك البناء العجيب بناؤهم (يريد بذلك البناء بعلبك وأمثالها) قال ورأيت الزيتون يعاوم (أي عاماً يحمل وعاماً لا يحمل) ورأيت كنيسةً بالشام عتيقة ليس فيها صليب فسألت عجوزاً فقالت : كانت هذه الكنيسة قبل أن تكون النصرانية كأنها من بناء اليونانيين اه . وإذا قال كتاب العرب الشامَ أرادوا بها سورية الطبيعية الممتدة على ساحل البحر المتوسط بين طورس والعريش .

[ص ٦٩] : (التين الجلداسي) ووصف الدينوري ثمر (التين) وعدد أجناسه وقال هو كثير في أرض العرب . قال : وأخبرني رجل من أعراب (السَّراة) وهم أهل تين ، قال التين عندنا كثير جداً . وهو مباح ونأكله رطباً ونزبّبه فندّخره (في لهجتنا اليوم استعمال التزبيب للعنب خاصة أما التين اذا جفف فهو تين يابس ولا نقول تين زبيب أما في اللغة فالتزبيب لهما معاً كما سمعت) قال ومن أجناس التين عندنا (الجلدامي) وهو أجوده ولونه أسود ليس بالحالك (أي ليس بالشديد السواد وكأنه يضرب الى حمرة أو بياض) فيه طول واذا بلغ انقطع بأذنابه (أي أنه اذا انتهى نضجه لم يعد يحمله ذنبه أي عودته

تصغير نَبِقَة واحدة النَبِق . وهو ثمر شجر السِدر والأَشكل من فصيلة السدر . ووصفُ ثمرته بشدة الحموضة يذكرنا بثمر على شكل ثمر العُنـاب في حجمه واستطالته لكن حمرته قانئة مُشرقة لا قاتمة كحمرة العُنّاب ، كنا نراه يُباع في أسواق دمشق ذقناه ولا نكاد نسيغه لشدة حموضته . ويسمونه (أجلجق) وقيل لنا ان اسمه هذا محرف من (قِزلجق) وتفسيره بالتركية (أُحيمر) تصغير أحمر . ولا جرم فان الثمر المذكور حُبيبات حُمر صغيرة . فهل يكون ثمر الأشكل الذي وصفه الدينوري هو الأجلجق أو القزلجق يا ترى ؟ ولا يعزب عن بال القارئ أن الشُكلة في اللغة بياض يضرب الى الحمرة . ومنه شُكلة العين لحمرة تكون في بياضها .

وفي [ص ٣٢] : يذكر نباتين : الأجرد والقصيص وقال إنه لم يعلم من نعتهما أكثر من أنهما ينبتان بين ظهراني الكمأة فيستدل بهما على مواضعها من بطن الأرض . وهذا ما عناه الراجز (مهاجر النهشلي) يصف كمأة اجتناها :

(جنيتها من مُجتنىً عويص من منبت الأجرد والقصيص)

و (العويص) التربة الصُلبة والمكان الغليظ .

وفي [ص ١٠٤] وصف شجر الحَرْمل وروى عن بعض أعراب (السَراة) قوله : والحَرْمَلَة شجرة لها لبن كثير ثم حكى عن ذلك الأعرابي ما نصه : (ويؤخذ لبنها في صوف أو قطن ما حَمَل (أي بقدر ما تستطيع أن تتشربه الصوفة أو القطنة) ثم يُسغبل بالزُبد حتى يُروّى منه (ومعنى يسغبل يغمس بالدسم فيمتصه الى آخر حد) ثم يغمل عشرة أيام حتى ينتن (ومعنى يُغمل يُغمّ ويغطّى) ثم يحك بالصوفة أو القطنة جرب الإنسان الأجرب حكاً شديداً ويقام في الشمس فيُدلك جربه بتلك الصوفة فيجد مضيضاً (أي ألماً) شديداً ويبرأ . انتهى قول الأعرابي ومنه يفهم أن عرب البادية هُدوا الى المعالجة بالعفونة والنتانة قبل أن يهدى اليها مخترعو البنيسلين بأكثر من الف سنة .

السداد أي المواد النباتية التي تسد الفروج بين الخيوط وتشبّك بينها . فتبقى الخيوط قائمة سالمة فتعمل حبالاً على كل نحوٍ . وتُفتل دقاقاً وغلاظاً .

[ص ٢١] : وذكر الدينوري الأُرز فقال واحدته أرزة وليس هو من نبات أرض العرب . وقد جرى في كلامهم وأشعارهم قال (ﷺ) : مثل الكافر مثل الأَرْزة (المُجذية) (أقول معنى المُجذية الثابتة في مكانها . ومعنى الحديث أن الكافر قد يثبت على الضلالة فلا يهتدي الى الإيمان) ووصف الشاعر قوائم ناقته فشبهها بدعائم الأُرز فقال : « دعائم أرز بينهن فُروج » . والأُرز مما يطول طولاً شديداً ويغلظ . وأخبرني الخبير أن الأُرز ذكر الصنوبر وانه لا يحمل شيئاً ولكن يُستخرج من أعجازه وعروقه الزفت . ويُستصبح بخشبه كما يُستصبح بالشمع ويقال لخشبه الذي يستصبح به « الداذين » وهو كلام رومي اهـ . أقول : والعرب من أهل (السَّمْراة) يسمون الخشب الذي يستصبح به مناور . ويسميه الأَتراك چراغ وهي التي يستعملها العرب المعاصرون .

وذكر الآس فقال : الواحدة آسة وهو بأرض العرب كثير ينبت في السهل والجبل . وخضرته دائمة أبداً . يَسْمو حتى يكون شجراً عظاماً . وللآس بَرَمة بيضاء طيبة الريح وثمرة تسود اذا أينعت وتحلو وفيها مع ذلك عليقمة « أي مرارة قليله » وتسمى ثمرته أيضاً « الفَطْس » أقول : ومراده بِبَرَمَة الآس ثمرته أول ما تبدو وهي بعدُ في زهرتها ثم قال وزعم قوم أن الآس يسمى الرَّنْد . وأنكره العلماء وزعموا أن الرند شجر طيب الريح وليس بالآس .

المغربي

أو نياطه الذي يعلق به في أصل الغصن فيتساقط) قال : وبطونه بيض (يريد بطونه لبه الباطن الذي يؤكل) قال : وهو أحلى تين في الدنيا . واذا تمـلأ منه الآكل (أي اكتظ) أسكره . وما أقل من يقدم على أكله على الريق لشدة حلاوته اهـ ، والجمال في قول هذا الأعرابي جدة تعبيره في وصفه للتين واختيار الفاظ فصيحة نحن في حاجة إلى احيائها . ونعيد لفت النظر الى جبال (السَّراة) وانها مصدر زراعي وصناعي في جزيرة العرب ولا نعرف شيئاً من أخبار السراة اليوم وحبذا لو عرّفنا من يعرف .

[ص ١٤٤] : (صنع الحبال) قال الأصمعي (في المدينة المنوّرة سوق تسمى سوق الخزّامين) وهي بمنزلة سوق الحبالين التي تباع فيها الحبال بدمشق . وحبال الشام تتخذ من نبات القِنَّب أما الخزامون في بلاد العرب فحبالهم من نبات الخَزَم وهو شجر قريب الشبه من شجر الدّوم وفي سلسلة جبال (السَّرَاة) جبلان يسميان (قَمْلَى (١) ونُقَمِّل) لا ينبتان شيئاً الا شجر الخَزَم التي تتخذ منه الحبال . والغربان حريصة على أكل بُسرة المر الفمص . فهي تنتابه أسراباً أسراباً . فاذا رآها الناس صاحوا (تريد قَمْلَى ونُقَمِّل) أي إنها تقصد ذينك الجبلين لترعى الخَزَم فيها . والحبال تتخذ من خوص الخَزَم كما تتخذ منها الخُطُم أيضاً جمع خطام وهو زمام البعير . فترى الخزامين يجلبون ذلك الخوص من منابته وينقعونه في الماء . فاذا صلح ولان دقّوه بالمياجين على الفرازيم (والمياجين جمع ميجنة وهي المدقة والفرازيم جمع فرزوم الخشبة التي يقطع عليها الحذّاء جلود أحذيته ويسميها أهل المدينة الجبأة) واذا دقوا الخوص على هذه الصورة تساقط ما في خلال خيوطه من السداد وتخلص الخيوط من تلك

---

(١) كذا ضُبطا في كتاب (النبات) ولم نظفر باسم (نقمّل) أما (قَمْلَى) فقد ذكره صاحب معجم البلدان واللسان وقالا انه اسم موضع وضبطاه بفتح الميم .

القاموس وذكر المؤلف ثلاثة ممن خص بالذكر من شعراء الكتاب ـ وقد بوّب ابن رشيق في العمدة باباً لأشعار الكتاب فذكر الصولي وبعضاً من جيد شعره وذكر أيضاً محمد بن عبد الملك الزيات . والحسن بن وهب . وسعيد بن حميد الكاتب . وذكر الوزير أبا الحسن بن الخلال المهدي وزير بني عبيد وأقول من شعراء الكتاب لسانُ الدين بن الخطيب الأندلسي .

والصُّولي منسوب الى صُول ضيعة من جرجان وهو تركي الأصل نشأ في الدولة العباسية في مدة المعتصم واتصل بالوزير الفضل بن سهل وتوفي سنة ٢٤٣ له نثر بليغ وشعر رقيق غير طويل ترجمه ياقوت في ارشاد الأريب .

وأبو علي البصير هو الفضل بن جعفر النخعي الكوفي الضرير سكن بغداد في خلافة المعتصم شاعر وكاتب توفي سنة ٢٥٥ ترجمه الصفدي .

والعتّابي هو كلثوم بن عمرو العتابي بفتح العين وتشديد التاء منسوب الى بني عتاب من بطون تغلب ولد بالشام وسكن بغداد واختص بالبرامكة ومدح الرشيد وهو شاعر مجيد وكاتب حسن الترسل توفي سنة ٢٢٠ ترجمه في إرشاد الأريب . ونظير ما ذكر فيمن جمع الشعر والترسل ما ذكره الجاحظ فيمن جمع الشعر والخطابة وعدّ منهم بضعة عشر في كتاب البيان والتبيين[1] .

(وانا ان شاء الله وبه الحول والقوة أورد في كل فصل من هذه الفصول ما يحتمله هذا الموضع ويمكن الاكتفاء به اذ كان لتقصي المقال فيه موضعٌ آخر . من غير أن أنصب لما تصوره النعوتُ الأمثلةَ تفادياً من الإطالة لأنه اذا وضح السبيل وقمت الهداية بأيسر دليل والله عزّ وجل الموفق للصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل) .

النعوت فاعل تصوره — والأمثلة مفعول أنصب وأصل النصب إقامة الشيء منصوباً ومنه سمي التمثال من الصخر ونحوه نصباً واستعار المؤلف فعل أنصب

(١) صحيفة ٥ جزء طبع المطبعة التجارية الكبرى بالقاهرة سنة ١٣٤٥ .

مقدمة المرزوقي

لشرح لحماسة أبي تمام

شرح هذه المقدمة وضبطها

— ٢ —

(وقلتَ أيضاً اني أتمنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتاب البلغاء والعذرَ في قلة المترسلين وكثرة المُفْلِقِين والعلةَ في نباهة أولئك وخمول هؤلاء ولماذا كان أكثرُ المترسلين لا يفلقون في قرض الشعر وأكثرُ الشعراء لا يبرعون في إنشاء الكتب حتى خُصَّ بالذكر عدد يسير منهم مثلُ ابراهيم ابن العباس الصولي وأبي عليّ البصير والعتّابي في جمعهم بين الفنين واغترازهم ركاب الظَّهْرين ونظامُ البلاغة يتساوى في أكثره المنظوم والمنثور) .

هذا تمام مجاراة المخاطب المحكية في قول المؤلف « فانك جاريتَني » وقوله « ثم سألتَني » وقوله « وقلتَ » وقوله « وزعمتَ » .

ووقع في كلام المؤلف « والعذر في قلة المترسلين وكثرة المفلقين » .

فالمترسلون هم أصحاب الترسل وهو صناعة انشاء الكلام النثري فان الانشاء يطلق عليه اسم الترسل اطلاقاً شائعاً وقد سمى شهاب الدين محمود الحلبي كتابَه في صناعة الانشاء حسنَ التوسل الى صناعة الترسل .

والمفلقون بضم الميم وكسر اللام هم فحول الشعراء يقال أفلق الشاعر اذا نبغ في الشعر وهذا اللفظ مشتق من الفِلق بكسر الفاء وسكون اللام وهو الشيء العجيب وهذا اللفظ من الكلمات التي ذهل عن إثباتها صاحب الصحاح وصاحب

إذا بعد . والأقطار جمع قطر وضم القاف وسكون الطاء وهو الناحية المعينة من الأرض والبلدان . والمظان جمع مَظِنة بفتح الميم وكسر الظاء على خلاف القياس في بناء اسم المفعلة أي المكان الذي يظن وجود شيء ما فيه .

والمعالم جمع معلم بفتح اللام وهو اسم المكان الذي يعلم أنه كان منزل قوم ومعالمُ القوم منازلهم التي بها آثارهم وهي مشتقة من العلم فلذلك حسن جمع المؤلف بينها وبين المظان إيماء الى مراتب المعرفة بين علم وظن فأراد بالمظان القواعد النظرية التي أنتجها غلبة الظن وبالمعالم القواعد القطعية التي هي قواعد الفن الناشئة عن استقراء الأدب العربي . و(على) من قوله : (على اتساعها) هي بمعنى مع وهو معنى يعرض كثيراً في حرف على يعني أن تفاوت الأقدار تابع لاتساع أساليب الأدب ولمقدار إحاطة الأديب بتلك الأساليب وذلك أن حق (مع) أن تدخل على المتبوع فكذلك (على) التي هي بمعناها .

والتصاريف جمع تصريف وهو التغيير أي تغيير المتكلم كلامه من أسلوب الى أسلوب ومن كيفيــة الى أخرى بحسب اختلاف مواقعه . فالمراد تغيير طريقة الكلام التي يسلكها بأن يسلك مرة طريقة وأخرى طريقة غيرها لا تغيير الكلام الواحد وتبديله . وعرفه عبد القاهر [1] بقوله : (والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيــه) وهذا هو المعبر عنه بالأساليب جمع أسلوب وقد ذكرناه آنفاً . واطلاق التصريف على ذلك من إطلاق المصدر على اسم المفعول كالخلق بمعنى المخلوق .

والتضاعيف جمع تضعيف وهو تكرير الشيء أراد بها الفنون الكثيرة فجمعها لأن كل فن في الكلام هو تكرير للجنس الأعلى أعني جنس الخصوصيات البلاغية فهو تكريرُ مظاهرَ لا تكرير شيء معين . وقوله (اتسع مجالــب الطبع الخ) هو خبر عن قوله (ولأن تصاريف المباني الخ) .

---

(١) صفحة ٣٢٨ دلائل الاعجاز .

لمعنى أذكر أو أورد • ومراده بالنعوت التوصيفات الموضحة للحقائق والقواعد التي توضع لطرق النقد والاختيار — والتفادي التحامي وهو يتعدّى بمن غالباً لا نعلم ضمنوه معنى التباعد •

وقوله ـ لأنه اذا وضح في النسختين التونسيتين ونسخة الأستانة ولأنه ـ •

(اعلم ان مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف بأعطافها وارادفها مفترقة وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها وتنازح أقطار مظانها ومعالمها ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي كالأمتعة في المنثور اتسع مجال الطبع فيها ومسرحه وتشعب مراد الفكر فيها ومطرحه) • هذا شروع في إجابة أسئلة الذي جاراه •

المذاهب أصلها جمع مذهب وهو مكان الذهاب الى الطريق وتطلق كثيراً على الآراء والأفكار وسمّوها مذاهب لأنها كالطرائق يذهب فيها الفكر فمثلوا حركة الفكر في معلومات خاصة بمشي الماشي في طريق وذهابه فيه • فهـذا الاطلاق استعارة ثم شاع عند أهل العلوم فصار حقيقة عرفية علمية في مجموع المسائل العلمية النظرية التي أخذ بها طائفة من علماء علم ما فيقال مذهب مالك ومذهب أبي حنيفة ويقال مذهب البصريين ومذهب الكوفيين •

والأعطاف جمع عطف بكسر العين وهو قارعة الطريق ـ والأرداف جمع ردف وهو التابع الموالي وكأنه أراد بها أرداف الأعطاف أي الطرق المتفرعة عنها فصار ذانك اللفظان استعارتين لأصول أساليب الإنشاء ولما يتبع تلك الأصول من المحسنات كما يشير اليه قوله الآتي : ومنهم من لم يرض بالوقوف على هذا الحد • وقوله : ومنهم من ترقي الى ما هو أشق • قال السكاكي في مفتاح العلوم عند انتهاء كلامه على محسنات البديع : وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني أعني أن لا تكون متكلفة • والمنادح جمع مندوحة وهي الأرض المتسعة والتنازح التباعد مشتق من نزح عن المكان

(ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة ـ الى قوله ـ ومطرحه) .

وأراد المؤلف بهذين مواضيع المعاني البلاغية التي يعمل فيهما الفكر لاستخراج دقائقها .

والمراد بضم الميم موضع رياد الابل وهو تنقلها في المرعى مقبلة ومدبرة . ووقع في النسختين التونسيتين ونسخة الأستانة (مراد الفكر لها) وهو أحسن .

والمطرح مكان الطرح أي البعد وكل هذه تفننات من المؤلف .

وقوله (في المنثور) يتنازعه (تصاريف وتضاعيف) . قيّد موضوع بحثه هذا بالكلام المنثور لأنه سيخص الشعر ببحث آخر يجيء عند قوله (وكان الشعر قد ساواه)[1] .

ومعنى كلام الامام المرزوقي أن تنوع كيفيات مواقع الكلام البليغ مع دلالته على المعاني التي يقصد اليها البلغاء قد كان تنوعًا يتجاذبه اعتبار ألفاظ الكلام واعتبار المعاني التي قصدها البلغاء من صناعتهم في البلاغة ، هو الذي كان سببًا في اختلاف أذواق علماء الأدب في شروط محاسن إيقاعها اختلافًا ناشئًا عن اختلاف أميال الناقدين والمختارين بحسب ما ألِفوه من ممارسة ما يُعجَبون به ويروق لديهم من نتائج أهل اللسان . وهم مع ذلك متحيرون في تعيين سبب مدخل الاستحسان أو ضده الى أذواقهم أهو من جهة اللفظ أم هو من جهة المعنى ويوضحه قوله فمن البلغاء الخ .

وقد أشار المؤلف الى جهة الاختلاف الأولى إذ قال (وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها وتنازح أقطار مظانها ومعالمها) وأشار الى معذرتهم عن التحير في تعيين مدخل الاستحسان وضده بقوله (ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة الى قوله — ومطرحه) .

---

(١) صحيفة ٨٧ من جزء مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

والطبع الوجدان الذهني والمراد به هنا وجدان البليغ وطبعه وهو المسمى عندهم بالذوق وهو الذي يحصل للبليغ من ممارسة كلام البلغاء ومن تطبيق القواعد والضوابط التي يتلقاها في تعلم الصناعة حتى تحصل له ملكة تميز بها أصناف الكلام في الجودة والرفعة ودونها بحيث تحكم بأن هذا الكلام حسن وهذا أحسن وهذا دون ذلك قال الجاحظ [١] (والانسان بالتعلم وبطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن أدبه وهو لا يحتاج في فساد البيان الى أكثر من ترك التخير) . وقال السكاكي [٢] (ليس من الواجب في صناعة أن يكون الدخيل فيها كالناشئ عليها في استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة مستندة الى تحكمات وضعية واعتبارات إلفية . ثم قال : وقد كان شيخنا الحاتمي [٣] ذلك الامام الذي ان تسمح بمثله الأدوار ما دار الفلك الدوار يحيلنا بحسن كثير من محسنات الكلام اذا راجعناه فيها على الذوق ونحن حينئذ ممن نبغ في عدة شعب من علم الأدب) اهـ . وبهذا يتضح أن الذوق والتطبع مترادفان ولذلك تسمع أئمة الأدب يقولون : (هذا يشهد به الذوق السليم والطبع المستقيم) ونحو هذه العبارة .

والمجال مكان الجولان وهو الطواف .

والمسرح مكان السروح وهو انطلاق الأنعام في المرعى . وقد أشار المؤلف الى جهة الاختلاف الأولى إذ قال (وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها وتنازح أقطار مظانها ومعالمها) .

وأشار الى معذرتهم عن التحير في تعيين مدخل الاستحسان وضده بقوله :

---

(١) في البيان والتبيين صفحة ٧٤ — ٧٥ جزء أول طبع التجارية الكبرى .

(٢) في القسم الثالث من المفتاح في القانون الأول من الفصل الأول منه .

(٣) الحاتمي هذا لم أقف من ترجمته على سوى أنه يلقب بشرف الدين وانه تلميذ عبد القاهر الجرجاني وانه شيخ السكاكي وقد ذكره السكاكي في المفتاح غير مرة وهو غير الحاتمي عصر المتنبي الذي ألف كتاب نقد المتنبي .

وكان ذلك الإدراك انفعالاً ذهنياً يؤول بالدُّربة الى ملكات ذوقية فلما حاولوا أن يستدلوا عليه عند المجادلين أو أن يصفوه للمتعلمين عند المدارسة ، ضاقت الأفكار عن الإحاطة بأسبابه . والعبارةُ عن الدلالة على منابعه ، فاحتاروا في أن مثار ذلك الادراك الحاصل لهم من أين نشأ ، أهو من جانب مباني الألفاظ وانتظامها أم من جانب المعاني وصورها ثم احتاروا في شرح أسباب حصول ذلك في أحد الجانبين أو في كليهما فاستعان كل واصف على إبانة الأوصاف التي تعقلها إبانةً بما حضر لديه من التقريب والتشبيه والتمثيل عسى ان يبلّغ ما في نفسه الى نفوس المجاذبين والمسترشدين فشبهوا المعاني تارةً بأحوال الاناسي والحيوان من الجواري ، والظباء وأحوال المتاع النفيس من حلي أو نحو ذلك . ثم استتبعوا تلك التشبيهات بالبناء عليها فجعلوا للجواري معارض ومطارف وجعلوا للحيوان وحشياً وأنسياً ووصفوا اللفظ المقبول بالنبيه وبالشريف وضدّه بالهجين وبالردي والمستكره .

ووصفوا المعنى المقبول بالرفيع وبالكريم . وضدّه بالحقير والفاسد والدني والساقط (1) .

ثم عززوا ذلك كله بالمقارنات بين منشئات البلغاء . والموازنة بينها وقد تصدى المؤلف الى تقريب ذلك كله والجمع بين مختلفه بما تفنن في أوصافه مع الحرص على الاختصار فقال : (اعلم أن مذاهب نقاد الكلام في شرائط الاختيار مختلفة وطرائق ذوي المعارف بأعطافها وأردافها مفترقة وذلك لتفاوت أقدار منادحها على اتساعها وتنازع أقطار مظانها ومعالمها ولأن تصاريف المباني التي هي كالأوعية وتضاعيف المعاني التي هي كالأمتعة . في المنثور اتسع مجال الطبع فيها ومسرحه . وتشعب مراد الفكر فيها ومطرحه) . وكان الخائضون في هذا الشأن فريقين ففريق وهم الأكثرون هم من أصحاب الذوق والبلغاء من الأدباء ولكنهم غير متمرسين في علوم المعاني والبيان فكانوا اذا وصفوا الكلام البليغ وصفوه بالأساليب

(1) ص ٧٤ الجزء الأول من البيان والتبيين للجاحظ طبع الرحمانية بمصر ،

وليس مراد أصحاب هذا المذهب اهمالَ الالتفات الى جانب المعاني ولكنهم جعلوا الاهتمام بالألفاظ في الدرجة الأُولى . فأول ما يُقصد من اهتمام البليغ عند أهل هذا المذهب هو الكلام الذي هو قوالب للمعاني كما أفصح عنه المرزوقي في آخر كلامه بقوله (فأكثر هذه الأبواب لأصحاب الألفاظ إذْ كانت للمعاني بمنزلة المعارض للجواري فأرادوا أن يلتذ السمع بما يدرك منه ولا يمجه ويتلقاه بالاصغاء اليه والإِذن له فلا يحجبه) .

ثم بقوله «ومن البلغاء من قصد فيما جاش به خاطره الخ» وحاصل ما أشار اليه المؤلف اختلاف أئمة النقد في تعيين الناحية للكلام التي منها يكون فضله أو ضده وبها يستحق اختياره أو رده .

وسبب هذا الاختلاف في مرجع التفضيل أن أهل النقد والاختيار وجدوا في أنفسهم إدراكاً للتفاضل بين كلامات البلغاء تفاضلاً توافقوا عليه في الغالب واختلفوا فيه تارات بين مختار ومنتقد فأيقنوا أنهم ما اتفقوا على الكلام الذي اتفقوا على تفضيله إلا لخصال اشتمل عليها موجبةٍ لتفضيله متساويةٍ في الثبوت عندهم وأنهم ما اختلفوا في الكلام الذي اختلفوا فيه إلا لخصال تخالف الخصال التي اعتادت نفوسُ أهل الاختيار استحسانَها وتوافق الخصالَ التي اعتادت نفوس أهل النقد كراهتها . فأيقنوا أن من خصال الكلام ما هو حقيق بأن يكون مناط اختيارٍ وضده فكان ذلك الإِدراك في اتفاقهم واختلافهم حافزاً لهم للبحث عن جوامع تلك الخصال ومقوماتها .

وعلموا أن إدراكهم وفاقاً وخلافاً يرجع الى معتادهم من مزاولة مختلف أحوال كلام البلغاء في مراتبه أعلاها وأدناها فبعثهم على وصف ما يسمونه بحسنٍ أو بدونه .

وكان لكل كلام بليغ مبانٍ أي ألفاظ بُني عليها في حسن التئام وانتظام ، ومعانٍ لها صور في العقل يستجيدها السامع ويغتبط بها .

تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقاته بالأقطار الاسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م الى سنة ١٣٣٥ هـ — ١٩١٧ م

— ٤ —

الفلك في الشام

في هذا العهد كانت الشام تابعة للدولة العثمانية متأثرة بثقافتها . وعندها غذاء عظيم في تقوية هذا العلم . ولم تنقطع عن مهمة التوقيت في الجامع الأموي وغيره مما ثبّت علم الفلك من الناحية العلمية ولم يكتف بالمهمة التعليمية . جاءت المؤلفات الكثيرة مشعرة بذلك وتبين العلاقة بالمؤلفات السابقة إلا أننا لم نشاهد تجدداً عظيماً ، ولا تبدلاً بارزاً في الأوضاع وان كان لا يخلو الأمر من اشتغال قل أو كثر . فلم تنقطع علاقة أكابر العلماء بالمؤلفات القديمة ونرى فيها خطوط أكابر العلماء . منها جملة صالحة لدى الأستاذ أحمد عبيد صاحب المكتبة العربية بدمشق قد اعتز بها . وله ملء الحق . واننا نذكر المشاهير الذين أبدوا قدرة في التأليف .

ومن هؤلاء العلماء :

١ — الطرطوسي : من أهل طرطوس من ربوع الشام .

وله : ١) كفاية المتورات في العمل بربع المقنطرات . عندي نسخة منه كتبت سنة ١٠٩٠ هـ وذلك تاريخ الفراغ من تبييضها .

٢) رسالة في العمل بربع المقنطرات وهي غير سابقتها . أولها : الحمد لله رب العالمين ...

التي اعتادوها وهي الابانة عن محاسن الكلام بالتقريب بأساليب التشبيه والمجاز والكناية فيبرز وصفهم الكلام في صورة إنشاء بليغ ولكنه لا يشفي غليل الطالب ولا يبلغ به الواصف قصده وهذا كما وصف البحتري وقارن فقال :

في نظام من البلاغة ما شك امرؤٌ أنه نظامٌ فريدِ
وبديعٍ كأنه الزهر الضا حك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يخـ ـلقه عوده على المستعيد .
ومعانٍ لو فصلتها القوافي هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركـ ـن به غاية المراد البعيد

وفريق هم أصحاب علوم العربية من المعاني والبيان غير أنهم لم يكمل عندهم ذوق صناعة البلاغة وهؤلاء قصاراهم بيان خصائص الكلام البليغ بياناً كلياً وتمثيله بشاهد أو شاهدين مما فيه تلك الخصوصية ولا يحفلون بأن تكون شواهدُهم مستكملةً شروط الجودة بأكثر من اشتمالها على ما يحقق القاعدة .

وأحق الناس بإطلاق العنان في هذا الميدان هم الذين استكملوا عدة الفريقين وتكلموا باللسانين مثل الجاحظ والآمدي وعبد القاهر والسكاكي والمرزوقي وابن الأثير وان كان هذا الأخير دونهم ذوقاً [1] .

(تونس) محمد الطاهر ابن عاشور

يتبع :

(١) سيأتي ترجمته .

منه . ولا شك أن ربوع الشام كانت متأثرة بالترك العثمانيين كالعراق إلا أنها فاقت بالمدارس الأجنبية .

الفلك في مصر

لم يخل العهد من علماء أكابر في الفلك بل لم ينقطع هذا العلم بوجه . وانما استمر في سيرته التعليمية والعلمية الا أنه حرم من التجدد ، فلم يبذل فيه الجهد لتقدم هذا العلم الا أن الرغبة العلمية ، والتوقيت في الجوامع داما في اتقان هذا العلم كما وصل الينا .

ولم تحصل فيه زيادة ، ولا حدث تجدد بل بقي على ما هو عليه . وعلاقتنا في هذا العهد بمصر قليلة .

ومن مشاهير علمائها :

١ — تقي الدين بن معروف الراصد : هو الشيخ تقي الدين ابن الشيخ محمد ابن زين الدين معروف الراصد . كان قد ولد في القاهرة سنة ٩٢٧ هـ — ١٥٢١م . ولقب بالراصد لشدة عنايته ومعرفته بالرصد . وكان أخذ عن أبي الخير طاش كبرى زاده بعد أن أخذ عن علماء القاهرة مبادئ العلوم والفنون ، وبعد أن ولي التدريس في بعض مدارسها . ثم ولي نيابة نابلس . وبعدها ورد استنبول في أيام السلطان مراد الثالث . انتسب هناك الى معلم السلطان الخواجة سعد الدين ، فكان قد عدّ من خواصه والملازمين له .

وفي سنة ٩٧٠ هـ توفي رئيس المنجمين (منجم باشي) مصطفى چلبي وبسعي من الخواجة سعد الدين ولي رئاسة التنجيم . وفي هذه الأيام وجد أن زيج أولوغ بيك قد ظهر فيه نقص وان الأمر يحتاج الى رصد جديد ، فالضرورة داعية الى تأسيسه . ومن ثم أمرت الدولة ببناء الرصد على حسابها وذلك سنة ٩٨٧ هـ في أوائل أيام السلطان مراد فقامت بالأمر بسعي من الخواجة أيضاً . وشرع في الرصد وقام بمهمته . فأمر بعمله في الطوبخانه (المدفعية) وسمي بـ(چاه رصد)ـ

٢ — الداغستاني : هو الملا علي (علاء الدين) بن صادق الداغستاني نزيل دمشق . اشتهر في الاسطرلاب .

وله : ١ — رسالة في أعمال الاسطرلاب المسماة الداغستانية . نقل بها رسالة بهاء الدين العاملي بالفارسية . وهي مختصرة من رسالة كبيرة للنصير الطوسي بالفارسية هي (بيست باب) . كذا بخط كمال الدين الغزي . أولها : الحمد لله رب العالمين ... ولم يذكر أنه عرّبها . وجعلها مشتملة على ٦٠ بابًا وخاتمة .

وعليها (حاشية) من تأليف صلاح الدين ابن الصفاء خليل بن عبد السلام ابن محمد الكاملي الدمشقي الشافعي . عندي مخطوطة من هذه الحاشية .

٣ — أبو الرضا عبد اللطيف بن أحمد الدمشقي :

وله : ١) أرجوزة منظومة في المساحة . وشرحها وفرغ من شرحها في ذي القعدة سنة ١١٧١ هـ عندي نسختها ضمن مجموعة بخط الخاني كتبت في رمضان سنة ١٢٧٨ هـ .

والملحوظ أننا لم نتوغل لما رأينا من تجدد هذا العلم بما ظهر من أزياج جديدة ورصدات وأعمال فلكية واتقان آلات . فالعلم عندنا لم يهمل في التدريس والتوقيت حتى بدت الاشتغالات الجديدة وتأثرنا بها .

ولما ترجمت الأزياج من الفرنسية الى التركية نقلت الى العربية في آب سنة ١٢٦٠ رومية في حلب وحوّلت الى درجات طول حلب بجداول ولم يتعين لنا اسم ناقلها الى العربية . وهذا الزيج منه نسخة في الخزانة الظاهرية برقم ٤٣ فلك .

ثم أخذ علم الفلك الحديث في الانتشار من طريق المدرسة الحربية ودار الفنون ومن طريق المدارس الأجنبية مثل الكلية الأميركية في بيروت وغيرها .

وأبرز من ظهر في هذه العلوم الأستاذ كرنيليوس فانديك فقد ترك مؤلفات عديدة مثل أصول الهندسة وأصول الهيئة ومحاسن القبة الزرقاء ... وهكذا توالى الاشتغال ، جاء ذلك موضحًا في كتاب آداب اللغة العربية في المجلد الرابع

٧) بغية الطلاب من علم الحساب .

٨) ريحانة الروح في رسم الساعات على مستوى السطوح . كتبه سنة ٩٧٠ هـ في نابلس أيام نيابته .

٩) الكواكب الدرية في البنكامات الدورية ذكره في كشف الظنون .

١٠) خلاصة الأعمال في مواقيت الأيام والليال . وجاءت ترجمته في الآثار الباقية للأستاذ صالح زكي ونقل عن تاريخ عطائي أن المترجم كان من المهرة في الفلك والرياضيات والتنجيم . وله الأفاعيل العجيبة فنال رئاسة التنجيم ورأى الخلل في أرصاد القدماء وأزياجهم فعرض الأمر الى وكلاء السلطنة فعمل الرصد في سنة ٩٨٧ هـ في أوائل دولة السلطان مراد فبقي في الطوبخانة في قلة جبل هنالك وسمي (چاه الرصد) أي بئر الرصد فقامت الدولة بعمله من كيسها [1] .

٢ — شهاب الدين أحمد القليوبي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ . وله :

١) الهداية من الضلالة في معرفة الوقت والقبلة بغير آلة . منها نسخة في خزانة برلين ج ٥ ص ١٧٨ .

٣ — رضوان الفلكي :

وهو معروف مشهور . توفي سنة ١١٢٢ هـ — ١٧١٠ م . وله من المؤلفات :

١ — دستور أصول علم الميقات ونتيجة النظر في تحرير الأوقات . أوله : الحمد لله الذي زين السماء بالكواكب ... عندي مخطوطة منه بخط حسين زائد كتبها في ١٨ رجب سنة ١٣٠١ هـ .

٢ — الزيج الرضواني على أصول الزيج الجديد السمرقندي . ذكره في كشف الظنون .

٤ — نتيجة الأفكار في أعمال الليل والنهار . في التقويم منه نسخة في برلين ج ٥ ص ١٨٠ .

(١) آثار باقية ج ١ ص ٢٠٢ .

أي بأمر الرصد . وبينما كان أتم رصداته أو كاد إذ أمر شيخ الاسلام قاضي زاده احمد شمس الدين بتخريبه وتولى ذلك قليج علي باشا قبودان دريا استناداً الى خط همايوني ٦ في ٤ ذي الحجة يوم الخميس من السنة المذكورة وذلك بعد أن أكمل الراصد الموما اليه قسماً من لوازم رصده . وقد شاهد الأستاذ صالح زكي هذه الرصدات التي أتمها الراصد المذكور . وتأسف لما وقع مما يعدُّ وصمة على الدولة وعلى المشيخة الاسلامية .

قال ذلك في الآثار الباقية ج ١ ص ٢٠٢ . وله :

١) سدرة منتهى الأفكار في ملكوت الفلك الدوّار . أوله : اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ... باشر فيه كتابة محصول الرصد الجديد الى تاريخ هدمه . وأطرى فيه السلطان مراد وذكر الخواجه سعدي . ونقل صاحب كشف الظنون مباحث مهمة من كتابه هذا في (الآلات الرصدية) . والحق أنه مهم جداً . وهو زيج جديد . ومنه نسخة في نور عثمانية برقم ٢٩٣٠ .

٢) الدر النظيم في تسهيل التقويم . أوله : الحمد لله واهب المنن ... ذكر فيه أنه استخرج زيجاً وجيزاً من زيج أولوغ بك وجعله مدخلاً في استخراج التقويم . ذكره في كشف الظنون .

٣) خريدة الدرر وجريدة الفكر . ومنه نسخة في خزانة برلين ولدى صالح زكي . وهو زيج صغير ألفه سنة ٩٩٢ هـ .

٤) رسالة في الربع الشكازي . أولها : الحمد لله حق حمده ... وهي وجيزة تشتمل على ١٠ أبواب . أوردها في كشف الظنون .

٥) تحرير أكرثاوذوسيوس اليوناني المهندس . ذكره في كشف الظنون ج ١ ص ١٤٢ الطبعة الجديدة .

٦) دستور الترجيح لقواعد التسطيح . أتمه سنة ٩٨٤ هـ . أتحف به خزانة الخواجة سعد الدين .

١ — الشيخ حسين زائد : عرف بالفلك . ومن مؤلفاته :

١ — كتاب المطلع السعيد في حسابات الكواكب على الرصد الجديد .
وهذا الكتاب طبع على الحجر في المطبعة البارونيه بمصر في شعبان سنة ١٣٠٤ هـ .

قال في مقدمته : «وضع المتقدمون فيه (في الفلك) كتباً عديدة ...
ولم يحذ المتأخرون في هذا الصنع حذوهم ... حتى تحولت المعارف الفلكيـة
الى البلاد الغربية ولم يبق في الشرق الا بقايا كتب ... فوجب على من يتوخى
الوقوف على الحقيقة نبذ هذه الأرصاد العتيقة والاعتماد على ما تجدّد في هـذه
الأعصار القريبة . ولم يخل مأخذه من الصعوبة .

وطالما حدثتني نفسي بوضع كتاب على الأرصاد الجديدة ... غير أنه كان
يثنيني ... توقعي اقدام أحد على هذا العمل من عارفي اللغات الاجنبية ...
ولم أزل في غياهب هذا التردد ... حتى يئست نفسي من الانتظار . واهتديت
الى من به الكفاية في ترجمة مثل هذه الأسفار . وهو النحرير الفائق ناظر
مدرسة المحاسبين حضرة أحمد أفندي حاذق .

وقبل الشروع في العمل استشرت ... شيخي العلامة الشيخ خليل الغرازي
تغمده الله برضوانه ... فحتم عليّ الشروع وعيّن عليّ الدخول في الموضوع
فاستعنت الله في وضع هذا الكتاب ... وكان الاعتماد في أخذ غالب أصوله
على (زيج لالند) الشهير لما فيه من الدقة وزيادة التحرير وأسست حسابه على
خط نصف النهار المار بمصر القاهرة واعتبرته مبدأً لجميع أطوال العامرة وجعلته
على التاريخ العربي تسهيلاً للفائدة ... وقد بذلت غاية الجهـد في تسهيله على
الطالب ... ورتبته على مقدمة وتسعة أبواب وخاتمة ...» اهـ .

ومن هنا علمنا مبدأ دخول الرصد الجديد في الديار المصرية كما عرفنا دخوله
قبل هذا في الديار التركية والديار الشامية .

وهكذا مضت علوم الفلك والرياضيات على اطرادها حتى عهد محمد علي باشا الخديو فانه بعث بعثة الى باريس للتحصيل ، فكان من نتاجها الاتصال بعلوم الغرب . ومنها الرياضيات عندهم . فكان ذلك بدء عهد الاصلاح ... فانتعشت (النهضة العلمية) أيام رفاعة بك ومعاصريه .

ويهمنا أن الحكومة المصرية أسست المدرسة الحربية سنة ١٨٢٥ م ، ومدرسة الهندسة سنة ١٨٣٤ م . فكان لمتخرجي هذه المدارس المكانة في تكوين الثقافة الجديدة أو نوع منها . فتمكنت العلوم الفلكية والرياضية . ومن مدرسي الهندسة الأستاذ محمود باشا الفلكي . وكانت بعثت به الحكومة الى باريس سنة ١٨٥١ م لإتمام التحصيل ، بقي تسع سنوات فاشتغل في رصد باريس ولازمه مدة إلا أنه لم تظهر له آثار في الموضوع وكتب عدة مؤلفات . وتوفي سنة ١٣٠٣ هـ — ١٨٨٥ م [1] .

والجدير بالذكر أن الجامعة المصرية كان قد وضع حجرها الأساسي سنة ١٩٠٦ م واحتفل بافتتاحها في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ م فكانت أصل المعرفة ومنها الفلكية والرياضية .

وكان من جملة محاضراتها موضوع مهمّ في تاريخ علم الفلك . قام به الأستاذ نللينو فأخرجه في كتاب «علم الفلك وتاريخه عند العرب» . فكان أعظم تحفة للبلاد العربية جمعاء .

ودام علم الفلك والرياضيات في نموّ وتكامل . ولا ينكر فيه عمل الأشخاص وان كان فردياً ، فالرغبات لا حدود لها . وتكوّن لنا مجموع كبير من هذه المؤلفات منها ما جاء في الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية (ص ٢٠٩) .

وهذا هو الطريق العلمي الا أننا لا نشعر بفوائده الملموسة لعدم الاتصال في الأعمال الحياتية إلا قليلاً . ولهذا لم يتمكن . ومع هذا نرى اشتغال بعض العلماء لإدخاله في طوره الجديد والملاقة بالغرب . ومن هؤلاء :

(١) مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٧٠ .

الفلك في الحجاز

لم تصل الينا الا بعض المؤلفات . وهذه لا تعين مقدار الاشتغال وانه على قلته كان مهماً ومن أجلّ ما عرف :

١ — براعة استهلال فيما يتعلق بالشهور والهلال . للشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد الدين الحنفي المكي مفتي الحنفية في مكة المشرفة . وهو عمري . قتل سنة ١٠٣٧ هـ . قال ذلك في كشف الظنون . والكتاب ألفه في شعبان سنة ١٠٠٥ هـ .

أوله : ما بزغت من مطالع الألفاظ أهلة المعاني وما برحت منازل الوعاظ أهلة المغاني بأسنى من حمد من أشرف من أفق الرسالة بدراً حفته من النبوة هالة الخ .

قدمه الى شريف مكة المشرفة المولى السيد الشريف ادريس بن الحسن ابن أبي نمي بن بركات الحسني .

والكتاب اخترع فيه طريقة دائرة يستخرج منها غرة الهلال من سني الهجرة الى غير النهاية . رتبه على ثلاثة أبواب وخاتمة ضمنها، فوائد كثيرة مما يتعلق بذلك . عندي مخطوطة منه ، وان الورقة الأخيرة منها ناقصة . والكتاب جليل الفوائد مهمّ في موضوعه .

علم الفلك في نجد

بعد أولاد ماجد وسليمان المهري انعدم الاشتغال بهذا العلم أو كاد ينعدم من جهة أن الغربيين انتزعوا سلطة البحار منهم ، فنرى مؤلفاتهم قليلة . ومما وصل الينا :

١ — سلم العروج الى علم المنازل والبروج . ذكر فيه مؤلفه وهو محمد بن عبد الرحمن بن حسين بن عفالق أنه ألفه في سنة ١١٥١ هـ . أوله :

٢ — الشيخ عبد الحميد المرسي :

وكان ممن أتقن الفلك . وكان أخذ عن أستاذه الشيخ حسين زائد الفلكي . فتكامل هذا العلم . فان الشيخ حسين نقل (زيج لالند) فكان متأخراً عن العثمانيين في الزمن بكثير .

قال الأستاذ مرسي : ان علم الفلك علم جليل القدر ، عظيم المنفعة ، جم الفوائد ، أس العبادات الشرعية . لذلك أحله الغربيون من نفوسهم المرتبة الأولى حتى صارت تصانيفهم فيه ومؤلفاتهم لا تعد ولا تحصى . ومع هذا لم تفتر هممهم في البحث والتنقيب لكشف أسرار غوامضه وتقريبه الى الأفهام بطريقة ترغب فيه وتكثر من طلابه ، فيتسع نطاقه وتعم فوائده .

وقال : « يموت عالمنا يدفن علمه معه ، وتقبر ثمرة جهاده طول حياته ... أصبحنا ولم يوجد في أيدينا كتب من هذا العلم الا القديمة المطولة التي لا تأتي بالفائدة فضلاً عن عدم صحة جداولها والتي لا يصح العمل بها الآن ... » اه .

ومن ثم وضع كتابه (الزيج المصري الجديد) . وقد بنى أصوله في التواريخ والأطوال على أصول (المطلع السعيد) تأليف شيخه الشيخ حسين زائد الفلكي . وكان هذا قد بنى أصول كتابه على أصول (كتاب لالند) . وجعل حسابه على خط نصف نهار مصر ، واعتبر مبدأ الأطوال منها . وسهله ما استطاع ... ومن ثم سمى كتابه (المناهج الحميدية في حسابات النتائج السنوية) طبع في مطبعة السعادة في مصر وتم في منتصف شعبان عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) .

وهكذا توالى العلماء وزادت المؤلفات حتى تكونت ثروة علمية مما يطول ذكره . وغالب ثقافتنا من مصر .

الفلك في المغرب

أما في المغرب فان علاقتنا بهم غير مشهودة ولم يعرف لهم من المؤلفات ما شاع في ربوعنا .

رسالة حي بن يقظان

مع شرحها لابن سينا

-٢-

(فبينما نحن نتطاوف إذ عنّ لنا شيخ بهيّ قد أوغل في السنّ [ورقة ٨٩ الف]
وأحنت عليه السنون وهو في طراءة العزّ . لم يهن منه عظم ولا تضعضع له ركن .
وما عليه من المشيب إلاّ رُواء من يشيب .)

قوله نتطاوف ، أراد به ما توجهوا إليه من الحركة العقلية[1] ، وجولان النفس لطلب المعقولات وتأملها .

وقوله : عنّ لنا شيخ بهيّ : أراد به ما يعرض لقوة العقل عند التأملات من هداية العقل الفعّال لها وإفاضة نوره عليها . وأراد بالشيخ البهيّ العقل الفعّال الذي هو الهادي بالحقيقة للقوة العقلية التي تتصوّر المعقولات على ما عرفته في الموضع الذي بيّن فيه ، ودلّ بقوله الشيخ البهيّ على تقادم عهده وطول بقائه وأبهة شيخوخته ، وعلى هذا المعنى بعينه دلّ بقوله « قد أوغل في السن وأحنت عليه السنون » .

وهو في طراءة العزّ أي لم يغيره الزمان بل حاله ثابت دائم لا يتغير كما يتغير العنصريات لبراءته من مخالطة العنصر وتنزهه[2] عن[3] خروج من قوة الى الفعل .

لم يهن منه عظم ولا تضعضع له ركن أي لم تنقص قوة من قواه ، ولم يعرض له ضعف عن ما لم يزل عليه من خاص فعله كما ينقص بالضرورة العنصريات

---

(١) مه و ص : التعقلية .   (٢) ب : تنزيهه .   (٣) مه و ص : من .

« الحمد لله الذي جعل في السماء بروجاً الخ. » اه ليس فيها تاريخ سوى ماذكرت.

٢ — رسالة في البروج والمنازل. وفيها جداول متقنة. لأحد أهل الاحساء. أولها: الحمد لله مدبر الأفلاك ومديرها، ومزينها بالدراري ومنيرها. وهذا المؤلف اعتمد الشيخ محمد بن عبد الرحمن صاحب الرسالة السابقة.

٣ — تقويم عربي. ألفه محمد بن سليمان العارضي. أخذه من مؤلفات كثيرة بعد ما قابله بالأمهات من مؤلفات مختلف اللغات. طبع في المطبعة الصفدية في بومبي سنة ١٣٠١ هـ.

وأكثر الاتصالات بثقافة الهند. وكانت معرفتهم مجردة خالية من علاقة عملية. وهذه المؤلفات لمختلف الأقطار الاسلامية والعربية كونت ثروة لا يستهان بها ولكننا نحتاج الى ما يضارع ثقافة الغرب. ولنا من ماضينا خير مشجع.

خاتمة

مما مرّ يظهر نوعاً الاشتغال في الفلك والرياضيات وفي آخر أيامنا عرف كثيرون في الهيئة الجديدة والرياضيات ولم تبن هذه العلوم على ما سبقها. والمصطلح لم يتغير كثيراً من جراء انه كان قد روعي المصطلح القديم في بداية تأسيس كلية (المهندسخانه) والوسائل المسهلة للمعرفة قليلة فلم يوجد لدينا رصد ولا كتب منقولة مفصلة من كتب الأجانب الا أننا نرى النهضة في مصر كبيرة ومثلها في الشام (سورية ولبنان) إلا أنها بعيدة عن أبنائنا من جراء العلاقة بالترك، مشهودة أكثر من غيرها بل غالب المشتغلين مشغولون بالتركية ولا يعرفون العربية. فلا مجال لذكر الأثر والتأثير بهذا العهد في الأقطار المجاورة.

وعلى كل حال هذا ما كانت عليه العلوم الفلكية وما يتصل بها. وما فات ينبئ عنه الموجود.

أكتفي بهذا، والله وليّ الأمر.

عباس العزاوي

وافترّ عن لهجة مقبولة أي كان الذي ألقاه إلينا من التعريف الروحاني الذي دلّ عليه بقوله « لهجة » كان لهجة وكلاماً مقبولاً أي تعريفاً مناسباً حقاً وصدقاً مطابقاً لما عليه وجود ما عرفنا إياه . فإن معنى الحق هو هذا والصدق هوهذا .

(وتنازعنا الحديث حتى أفضى بنا إلى مسائلته عن كنه أحواله ، واستعلامه سننه وصناعته ، بل اسمه ونسبه وبلده .)

التفسير : قوله وتنازعنا الحديث أي اتصل منا الاستمداد ومنه الإفاضة والتعريف . حتى أفضى بنا الى مسائلته عن كنه أحواله أي نزعنا الى تحقيق ماهيته وسير أحواله عن كونه مجرداً عن المادة أو مخالطاً لها بوجه . فان كنه أحوال الشيء هو حقيقته التي يكون بها هو ما هو .

واستعلامه سننه .... بلده أي وأردنا مع معرفة كنه حقيقته الذاتيه أن نعرف أيضاً الأشياء العرضية له الخاصية به وغير الخاصية . وأراد [ورقة ٩٠ الف] بقوله نسبه وصناعته الأمور التي تجري مجرى العرضيات ، إذ كان الاسم دلالته دلالة الحد ، إلاّ أن دلالة الاسم على الشيء دلالة مجملة ودلالة الحد دلالة مفصلة .

(فقال أما اسمي ونسبي فحيّ بن يقظان ، وأما بلدي فمدينة بيت المقدس ، وأما حرفتي فسياحة في أقطار العوالم حتى أحطت بها خبراً ، ووجهي الى أبي وهو حيّ وقد عطوتُ منه مفاتيح العلوم كلها فهداني الطرق السالكة الى نواحي العالم حتى زويتُ بسياحتي آفاق الأقاليم .)

قوله أما اسمي فحي ، ابتدأ بما دل على حقيقته .

وقوله حي أراد به ما جبل عليه من العقلية المجردة وصدور ما بعده عنه . إذ كان معنى الحيّ < ما > يتعلق بالحسّ والحركة فجعل الحس مشاراً به الى العقلية وجعل الحركة مشاراً بها الى وجود ما بعدها[1] عنه .

---

(١) ب : ما بعده .

ويعرض لها الضعف عن حالتها الأولى . وأشار بذلك كله الى عقلية المجرّد بالفعل وعدمه السببَ الموجبَ للتغيير .

وما عليه من المشيب إلا رُواء من يشيب : دلّ به على أنه مع بعده عن النقصانات (١) التي تحدث لمن يأتي عليه الزمان الطويل من الكائنات ، فقد سعد بما يوجبه تقادم العهد في المشايخ من البهجة والبهاء وحصول الكمال (٢) .

(فنزعت الى مخالطته (٣) . وانبعث من ذات نفسي متقاض لي بمداخلته ، ومحاورته . فملت برفقائي اليه . فلما دنونا منه بدأنا هو بالتحية والسلام وافترّ عن لهجة مقبولة .)

(التفسير : قوله فنزعت الى مخالطته أي عرفت المناسبة التي بين العقل الإنساني وبين العقل الفعّال [ورقة ٨٩ ب] فدعتني الى مراعاتها وحفظها .

وانبعث من ذات نفسي متقاض بمداخلته ومحاورته ، أشار الى ما في طباع العقل بالقوة من الميل الى الخروج إلى الفعل بالاتصال بالعقل الفعال إذ (٤) كان كمال العقل الانساني الذي هو بالقوّة يتعلق باتصاله بالعقل الفعال ، وفيضان النور من جهته عليه ، وذلك يحصل بما دلّ عليه بقوله « مداخلته ومحاورته » ومعناه الإقبال عليه والانصراف عن سائر القوى اليه .

فملت برفقائي اليه أي أخرجت هذه الحاجة الطبيعية التي للعقل الإنساني من القوة الى الفعل . قوله فلما دنونا منه أي توجهنا اليه وتوفرنا بالكلية عليه .

بدأنا هو بالسلام والتحية ، + أي أنه وان كان الإقبال منا عليه يكون (٥) أولاً ، فان الافاضة (٦) التي دلّ عليها بقوله « السلام والتحية » + تكون منه ابتداءً . فان الاستعداد يكون من المنفعل والتكميل يكون من الفاعل .

---

(١) مه و ص : من النقصان . (٢) أيضاً : حب . (٣) أيضاً : مخاطبته .
(٤) ب : واذ . (٥) غير موجود في مه و ص . (٦) مه و ص : الافادة .
+ ... + بالهامش في ب .

حتى زويتُ الخ أي اكتفيت بهذه الهداية عن السياحة الزمانية ، بل كأنّ الموجودات كلها جمعت لي جمعاً حتى عرفتها دفعة من غير مصير من شيء منها الى شيء بل مجموعاً مجملاً استغنى فيه عن التفصيل .

(فما زلنا نطارحه المسائل في العلوم ونستفهمه غوامضها ، حتى تخلصنا الى علم الفراسة ، فرأيت من إصابته فيه ما قضيت له آخر العجب ، وذلك أنه ابتدأ لمّا انتهينا الى خبرها . فقال : إن علم الفراسة لمن العلوم التي تُنقد عائدتها نقداً فيعلن ما يسرّه كل من سجيته فيكون تبسطك اليه وتقلصك عنه بحسبه ، وإن الفراسة لتدلّ منك على عفو من الخلائق ، ومنتقش من الطين ، ومُواتٍ من الطبائع ، واذا مسّتك يد الاصلاح أتقنتك ، وإن خرطك العار في سلك الزلة انخرطت .)

فما زلنا .... علم الفراسة [1] أي علم المنطق وسماه علم الفراسة إذ كانت هي معرفة الأمر الخفيّ الغير المعلوم من أحوال الشيء بتوسط أشياء ظاهرة من أحواله كذلك علم المنطق يتوصل به من أشياء ظاهرة هي المقدمات إلى أشياء خفية هي المطلوبات والنتائج .

فرأيت من اصابته .... ومواتٍ من الطبائع ، أشار به الى ما يحصل للإنسان بقوة هذا العلم من تميز الصدق من الكذب والحق من الباطل والى ما جُبل عليه الإنسان من الاستعداد للعلوم والمعارف والتهيؤ لاكتساب الأخلاق الجيدة .

واذا مسّتك يد .... انخرطت > (*) .. . أشار به الى أنه مع ذلك مستعد للرذائل وأنه يصير الى كل واحد من الحالتين أعني حالتي الفضيلة والرذيلة بموجب الدواعي من العادات والأفعال وغير ذلك على ما شرح في موضعه .

(١) ك : وأراد بعلم الفراسة علم المنطق لأن الفراسة هي معرفة الأمر الخفي من أحوال الشيء بتوسط أشياء ظاهرة ، وكذلك المنطق يتوصل به من المقدمات الى النتائج .

(*) هنا ينتهي ما أضفته من م و ص و ك .

ابن يقظان ، دلّ بقوله على أن وجوده ليس هو بذاته بل هو من غيره ، إذا كان وجود الابن بوجه ما عن الأب . وإن ذلك الغير الذي وجوده عنه هو أجلّ حالاً منه . إذ كان أجلّ أحوال الحيّ أن يكون يقظاناً إذ الحي يحتمل أن يكون نائماً وأن يكون يقظاناً وحال اليقظة منه أجلّ من حال النوم إذ النوم أشبه بالقوة واليقظة أشبه بالفعل ، + فدلّ بذلك على أنه كامل على الاطلاق لا يشوبه ما بالقوة + بوجه من الوجوه .

وقوله أما بلدي فبيت المقدس ، أراد بالبلد ما يجري مجرى [١] الجنس إذ كانت ..... (*) < أراد ببيت المقدس العالم العقلي المقدس عن التدانس بأحوال الحسيات والعنصريات ، وأراد بالسياحة في أقطار العوالم ما يتبع كنه حاله من تعقل ما بعده من الموجودات ، التابع لتعقله للمبادي الأول ولتعقل ذاته .

وقوله ووجهي الى أبي أي كنه إرادتي وحقيقة غرضي معرفة أبي . ودلّ بقوله «أبي» على مبادئه الأول من الحق الأول والعقول الفعّالة التي هي متوسطة بينه وبين الأول الذي دلّ عليه بقوله فهو حيّ .

قد عطوت منه مفاتيح العلوم أي إني مستمد علومي من أبي . وأشار بذلك الى أن تعقله ليس هو له من ذاته بل من مبدئه .

ودلّ بقوله مفاتيح العلوم للجنس من التعقل الذي له وهو التعقل المبدئي الخلاّق للصور الفعّال لها لا الذي يكون منفصلاً مرتباً نفسانياً إذ كان هذا النوع من التعقل هو الخاص بتلك الأمور كما قال سبحانه «وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو» .

+ .... + موجود في مخطوط ب و ك فقط . (١) م و س : مجرى .

(*) لقد سقطت عن هذا الموضع عبارة طويلة من الشرح والمتن . والأغلب انها لم توجد في النسخة الأصلية التي نسخ منها مخطوط بودليانا . وقد نقلت ما وجدت في نسختي مهرن وصبري ومخطوط كلكتة مما يناسب الموضع وقد أشرت الى هذه الاضافة في التمهيد .

منه . فربما أخذ التوفيق بيدك ، ورفعك [ورقة ٩١ الف] عن محبط الضلالة .
وربما أوقفك التحير ، وربما غرك شاهد الزور .)

أما هذا الذي أمامك أشار به الى قوة التخيل ووصفها بالبهتان لما يحكم به من الباطل ، وبالمذر لكثرة ما يتصرف فيه من أحكام غير مفيدة ولا حق .

ودلّ بقوله يلفق الباطل .... اختلاقاً ، على ان من سوسها وطبيعتها هذا الفعل وذلك أنها مجبولة على تشبيه الشيء بالشيء من دون أن يشبّهه كما يشبّه المعقول بالمحسوس وعلى محاكاة الشيء من غير أن يكون ما يحاكيه به مثالاً له كما تحاكي حرارةً تحدث في البدن مثلاً بالأشياء الحمر ، وسوداء تحصل فيه بالأشياء السود القبيحة المنظر ، وفزعاً يعرض للنفس بصورة الاشياء الهائلة . ويأتيك بأنباء ما لم تزوده أي ان أحكامها والاخبار التي يخبرك بها ليس مما يطابقها من خارج ما أخبر به عنها .

ودلّ بقوله قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب على أنها وإن كان في جملة أحكامها ما هو حق ومطابق لما عليه الأمر الذي حكم بأنه لا يخلو البتة حقها من باطل يشوبه . ولا صدقها من كذب يشينه ، ولا يكاد يخلص أحكامها من الباطل والكذب .

ودلّ بقوله على أنه عينك وطليعتك على الحس المشترك وهو القوة التي تتأدى اليها المحسوسات كلها الذي كأنه هو ، وهذه القوة شيء واحد . وهذه القوة بالحقيقة عين وجاسوس وطليعة للنفس تأتيها بخبر ما غرب عنها من جنابها وعزب عنها من مقامها أعني المحسوسات وأحوالها إذ كانت بعيدة عن مقام القوة العقلية ، فاذا انتهى من جهة هذه القوة تصرفت فيها التصرفات التي توجبها أحكامها من تصيّد الكليات منها واستنباط الماهيات بتوسطها .

وانك لمبتلى أراد به أن من فعل القوة تليين صدق ما يورده الحس المشترك والتخيل من كذبه واجتباء صدقه وصوابه للتصرف فيه والتعويل عليه ، وتزييف كذبه وخطائه فيرده ولا يعتمد عليه .

(وحولك هؤلاء الذين لا يبرحونك [1] إنهم لرفقة سوء [ورقة ٩٠ ب] ولن تكاد تسلم عليهم [2] ، وسيفتنونك أو تكتنفك عصمة وافرة .)

وقوله وحولك .... وافرة : أشار به الى القوى البدنية التي لا تفارق القوة العقلية التي هي الإنسان بالحقيقة وهي المخاطبة [3] وحدها من العقل الفعّال .

وقوله وحولك : ما دامت مدبرة للبدن متعلقة به التعلق المعلوم .

ودلّ بقوله إنهم لرفقة سوء على أن أحوالهم وأغراضهم ومقاصدهم مباينة منافية لأحوال القوة العقلية ، فان كل مناف لشيء فهو شيء بالقياس اليه .

وقوله ولن تكاد تسلم عليهم أي لا تخلص الى الفعل الخاص بك مادمت [4] معهم وذلك أن جميع التعقلات الانسانية مشوبة بالتخيلات . لا يكاد يتخلص تعقل من شوب يتخيل .

وأراد بقوله وسيفتنونك : ان القوة العقلية معرّضة بالهيج والاضطراب ومعرضة للاختلاط بسائر القوى واتباعها في كثير من الأحوال لها .

أو تكتنفك عصمة وافرة أي الا أن تعصم عصمة تامة بما تكتسبه من قوة مستجدة تقوى بها على قمعها ودفعها والترأس عليها واستتباعها إياك في سائر أفعالها كلها وهذه القوة هي قوة الحكمة العلمية والقوة العملية .

(أما هذا الذي أمامك فباهتٌ [5] مِهذارٌ يلفّق [6] الباطل تلفيقاً ويختلق الزور اختلاقاً [6] ، ويأتيك بأخبار ما لم تزوّده قد درن حقها بالباطل وضرب صدقها بالكذب ، على أنه هو عينك وطليعتك ، ومن سبيله أن يأتيك بخبر ما غرب عن جنابك وعزب عن مقامك . وإنك لمبتلى بانتقاد حق ذلك من باطله . والتقاط صدقه من زوره . واستخلاص صوابه من غواشي خطائه ، إذ لا بدّ لك

---

(١) مه و س : لا يبرحون عنك . (٢) مه و س : عنهم . (٣) أيضاً : المخاطب .
(٤) ب : ما دامت . (٥) ك : وأراد بالباهت الذي أمامه من قوة التخيل .
(٦) مه : يلفف .... تلفيفا .... ويختلف .... اختلافا .

(وهذا الذي عن يسارك فقذرٌ شرهٌ قرمٌ شبِقٌ لا يملأ بطنه إلا التراب . ولا يسدّ غرته إلا الرغام[1] ، لعقة لحسة طعمة [ورقة ٩٢ الف] حرصة ، كأنه خنزير أجيع ، ثم أرسل في الجلّة .)

قوله وهذا الذي عن يسارك : يشير به الى القوة الشهوانية ووصفها بما طبعت عليه من القذارة والقرم والشبق أي شدة الميل الى المنكوح والمطعوم .

ودل بقوله لا يملأ بطنه إلا التراب ولا يسدُّ غرته إلا الرغام على أنها لا تفتر < عن > من[2] خاض فعلها من موجبات القرم والشبق على طول ما تباشره بل هي دائمة العمل الخاص بها .

وقوله لعقة لحسة وحرصة[3] وطعمة : أراد به أصناف ما يصدر عنها على سبيل ما هي منطبعة بها ودوام صدور تلك الأصناف عنها من اللعق واللحس والطعم والحرص ، وشبهها بخنزير أجيع ، ثم أرسل في الجله . بحمله الجوع الشديد على الاستعصاء على من يريد أن يمنعه عن ذلك .

(ولقد ألصقت يا مسكين ! بهؤلاء إلصاقاً ، لا يبريك عنهم إلا غربة تأخذك الى بلاد لم[4] يطأها أمثالهم ، واذلات حين تلك من غربة[5] ولا محيص لك عنهم . فلتُطِلْهم يدُك ، وليغلبهم سلطانك ، وإياك أن تقبضهم زمامك ، أو تسهل لهم قيادك ، بل استظهر عليهم بحسن الإيالة ، وسمهم سوم الاعتدال ، فانك إن متنت لهم مخرتهم ولم يسخروك ، وركبتهم ولم يركبوك .)

وقوله ولقد ألصقت .... إلصاقاً : أراد بذلك ما عليه القوة العقلية من شدة ملازمة هذه القوى لها والضرورة في مجاورتها إياها لأجل البدن ولأنه لا مبرء[6] لها ولا مخلص منها ما دامت مع البدن ، بل إنما يتوقع لها الخلاص بغربة .

---

(١) ب : لرغام . (٢) أيضاً : عن . (٣) أيضاً : حرصه ولحسه .
(٤) أيضاً : لن . (٥) م و ص : تلك الغربة . (٦) ب : متبرأ .

إذ لا بدّ لك منه أي ان القوة [ورقة ٩١ ب] العقلية محتاجة اليها وإلى ما يورده عليها ، والاستعانة بها في خاص أفعالها .

وأشار بقوله فربما أخذ التوفيق بيدك الى الأحوال التي تعرض للنفس من جهة هذه القوة ، وذكر أقسام هذه الأحوال ، وذلك أنه اما أن يقوي النفس على السلامة من ضلالة هذه القوة فتسلم لها قوتها الخاصة بها ، واما أن يحصل من جهتها على تحير وقلة اهتداء الى الحق منها ، واما أن تعجز عن ذلك عجزاً ويغترّ بها اغترار فيعتقد في باطلها أنه حق ، وفي كذبها أنه صدق .

(وهذا الذي عن يمينك أهوج اذا انزعج هائجه ، لم يقمعه النصح ، ولم يطأطئه الرفق ، كأنه نار في حطب ، أو سيل في صبب ، أو قرم مغتلم ، أو سبع ثا كل .)

قوله وهذا الذي .... أهوج ، أشار به الى القوة الغضبية .

وأراد بقوله عن يمينك الإشارة إلى < أن > رتبة الغضب أعلى من رتبة (*) القوة الأخرى الشهوانية التي وصفها بأنها على اليسار ، إذ كان اليمين أقوى من الشمال ، وذلك أن من سوسها ما وصفها به من الموج وهو ركوب الرأي من غير يقين [1] ولا معرفة وإتيان ما يتفق من دون تدبير ولا تأمل [2] . ودل بقوله إذا انزعج هائجه لم يقمعه النصح ولم يطأطئه الرفق على أن هذه القوة شديدة الشكيمة عظيمة الشوكة إذا اهتاجت صعب الأمر في ردها الى الواجب بنصيحة أو برفق . وشبهها في حالتها هذه بنار تلتهب فيشق إطفاؤها ، وبسيل في صببٍ ينحدر بقوة فلا يوجد سبيل الى ردّه ودفعه ، وبفحل قرم مغتلم فتَهم على وجهه في طلب الأنثى لا يصدّه عن ذلك صاد . وسبع ثا كل أي لبوة تفقد أولادها ، فتنبعث في طلبهم فلا يقاومها مقاوم ولا يدفع وجهها [3] دافع .

(*) ك : أعلى رتبة من الأخرى . (١) ب : يمين . (٢) أيضاً : الا" تأمل
(٣) مر وص : في وجهها .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

— ٩ —

٣ — الرافعي :

وللأديب مصطفى صادق الرافعي كتاب مطوّل في الإعجاز اسمه « إعجاز القرآن » عرض فيه لشتى المذاهب التي قيلت فيه ونقدها كما عرض فيه عدة مسائل تتعلق بهذا البحث وأبدى رأيه فيها وهو يعالج الموضوع بروح المسلم المتحمس للإسلام الثائر على من يعانده ولهذا يصم من يخالف عقيدة المؤمن الصادق بألفاظ تحطّ منه ، ويميل الى نصرة كل رأي يناصر الاسلام ولو كان بعيداً عن الروح العلمية الصحيحة ، ويقدم أخيراً رأيه الخاص في الإعجاز . وتتلخص الأفكار التي وردت في كتابه بما يلي :

١ — يعرّف الرافعي معنى الإعجاز فيقول : إنه ضعف الإنسان عن مزاولة المعجز واستمرار هذا الضعف مع الزمن .

٢ — يعرض لأول من طعن في الإسلام وهو لبيد بن الأعصم ومن خلفه ممن ذكرتهم سابقاً ولفتنة خلق القرآن وظهور طبقة المعتزلة وتأثرها بالفلسفة ومزجها بين هذه وبين الدين .

٣ — يعرض لفكرة الصرفة وبعض الذين قالوا بها كالنظام والمرتضى وابن حزم والجاحظ ويرفضها .

٤ — يتعرض لمذاهب مختلفة ، كالقول بإعجاز القرآن من ناحية النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مقاطعه وفواصله ومطالعه ، وكالقول بأنه في سلامة الألفاظ مما يشين اللفظ ، والقول بأنه في خلوّه من التناقض واشتماله على

الى بلاد لم[١] تطأها أمثالهم أي مفارقة البدن بالكلية والمصير الى العالم العقلي الذي هو منزّه عن أن يكون موطناً لأمثال تلك القوى ٠

واذلات حين [ورقة ٩٢ ب] تلك من غربة أي ما دمت لم تحن لك حين تلك الحالة ولا معدل لك بعد عن هذه القوى فدبّر أمر نفسك تدبيراً تسلم معه من غائلة عن غوائلها ومعرّاتها ـ وذلك بأن يكون يدك فوق أيديهم وسلطانك وقوتك غالبة بسلطانها وقوتها من غير انقياد لها بوجه من الوجوه ، أو تخضع لغلبتها بسبب من الأسباب ٠

بل استظهر عليهم بحسن الإيالة أي كن رئيساً عليها وسائساً لها ، ومرتباً لأفعالها وحاملاً إياها على لزوم الاعتدال في متصرفاتها ٠ فانك اذا قويت عليها استعبدتها وسخرتها لك ولم تستعبدك ولم تسخرك وعلوتها لغلبتك إياها ولم يغلبك ٠

(ومن توافق[٢] حيلك فيهم[٣] أن تتسلط بهذا الشكس الزعر على هذا الأرعن النهم ، تزبره زبراً ، فتكسره كسراً و[٤] أن تستدرج غلو[٥] هذا التائه العسر بخلابة هذا الأرعن الملق فتخفضه خفضاً ٠)

ومن توافق حيلك فيهم : أراد به أنّ وجه تدبيرك حتى تصل الى المراد المقصود أن تستعين بالقوة الغضبية الموصوفة بالشكاسة والزعارة على التسلط على القوة الشهوانية الموصوفة بالرعونة والنهم فتدفع غائلتها بها دفعاً فتكسر بذلك من قوتها كسراً ٠

وأن تستدرج غلوّ هذا التائه العسر أي وأن تستعين[٦] بالقوة الشهوانية على إبطال القوة الغضبية لتخضع لك خضوعاً وتستكين[٧] لتدبيرك استكانة ٠

(يتبع) محمد المدعو بصغير حسين المعصومي

(١) أيضاً : لن ٠ (٢) أيضاً : نوافق (٣) أيضاً : فيها ٠ (٤) ايضاً : أو ٠
(٥) م و ص : غلواء ٠ (٦) ب : تستعن ٠ (٧) أيضاً : تستكنّ ٠

وابن أبي الإصبع والزملكاني ويقول إنها كتب أخذ بعضها من بعض ثم يذكر كتاب ابن سراقة ويعده من أعجب الكتب التي سمع بها .

١٠ً — ويتكلم بعد ذلك على التدرج في آيات التحدي وأنه كان بالأكثر فالأقل وبجواب المشركين على هذا التحدي بوصف القرآن والرسول بعدة صفات ذكرها القرآن نفسه ثم يورد قول الجاحظ في كيفية تحدي القرآن للعرب وما دار في ذلك من جدل .

١١ً — وينتقل من هذا الى الكلام على المتنبئين والمخالفين الذين عارضوا القرآن ويذكر بعضاً من أخبارهم وأقوالهم وهم مسيلمة والأسود العنسي وطليحة ابن خويلد وسجاح بنت الحارث والنضر بن الحارث ويذكر ممن اتهموا بالمعارضة ابن المقفع وابن سينا وقابوس بن وشمكير وابن الراوندي والمتنبي والمعري ويدافع عن بعض هؤلاء المتهمين ويحمل على ابن الراوندي ويقف موقفاً حيادياً من آخرين وقد ذكرت ذلك عند الكلام على كل واحد منهم في ترتيبه الزمني .

١٢ً — يذكر عجز العرب عن مجاراة القرآن لأنهم كانوا يدركون في أنفسهم علو كعب القرآن عن متناولهم وذلك بقوة طبعهم وذوقهم الفني .

١٣ً — ويقدم بعد ذلك رأيه الخاص في سبب الإعجاز فيقول إن أسلوب الأديب نتيجة لمزاجه الخاص وإن إعجاز القرآن في أسلوبه راجع الى أنه ليس من مزاج البشر ولولا ذلك لأشبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم الى هذا العهد ولهذا خلا من التناقض . ونلاحظ هنا أن الرافعي يجعل السبب مسبباً والعلة معلولاً فبدلاً من أن يسعى لإثبات أن القرآن من عند الله بإثبات أنه معجز نراه يثبت بأنه معجز لأنه من عند الله وذلك بأن يعلل بأنه انفرد عن أساليب العرب بأسلوبه الخاص لأنه ليس وضعاً إنسانياً ألبتة ولو أنه أثبت قبل ذلك أن أسلوب القرآن فوق طاقة البشر لكانت طريقته في البرهنة صحيحة لا غبار عليها . والقرآن في رأيه معجز أيضاً بهذا الضرب الخالص من الموسيقى

المعاني الدقيقة ، والقول بأنه في اجتماع هذه الأمور كلها وهو يرفض هذه الآراء جميعها متهكماً .

٥ — يذكر مذهب عبد القاهر في الإعجاز وأنه ليس السابق اليه بل تقدمه فيه الواسطي والرماني .

٦ — ثم يذكر مذهباً آخر يقول إنه لطائفة من المتأخرين وهو في الحقيقة مذهب يحيى بن حمزة اليمني صاحب « الطراز » وأضرابه وهو القائل بأن الإعجاز في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني وحسن النظم .

٧ — ثم يذكر أن بعض الطاعنين على القرآن قد ذكروا سفاسف تكلف بعض العلماء الرد عليها مع أنها لا تحتاج الى ردّ لسخفها ويضرب عليها أمثلة ويقول بعد ذلك إن إنكار الإعجاز لم يقل به أحد من المتأخرين .

٨ — يذكر جماعة ممن ينكرون الإعجاز كعيسى بن صبيح المزدار وأصحابه والحسينية .

٩ — يذكر تأليف الجاحظ « كتاب نظم القرآن » ويذكر نقد الباقلاّني له وقد سبق هذا النقد ثم يذكر بعض الكتب التي ألفت في الإعجاز ككتاب الواسطي الذي يعدّه أول هذه الكتب وكتاب الرمّاني وكتاب الباقلاّني ويقول فيه إن المتأخرين أجمعوا على أنه باب في الإعجاز على حدة ثم ينقد كتاب الباقلاّني بما نقد به هذا كتاب الجاحظ (ص ١٥٢ من إعجاز القرآن للرافعي) وبأنه جمع فيه بين جنس وجنس من القول وحشر اليه أنظمة من كل قبيل من النظم والنثر واستراح الى النقل . ولا ينكر قيمة الكتاب من حيث وفاؤه بكثير مما قصد اليه من أمهات المسائل ويقول إن الباقلاني ما زاد على أن ضمن الكتاب روح عصره وأنه أقنع معاصريه في كتابه بما يتعلق بذوقهم إذ ذاك ولكنه لا يكفي لبيان إعجاز القرآن في كل جيل ثم يذكر الرافعي بعد ذلك أن ممن ألفوا في الإعجاز على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما اليها الإمام الخطابي والرازي (فخر الدين)

ويذكر أخيراً اختلاف أعداء النبي في الصفة التي يجب أن ينعتوا بها القرآن إذا حضر العرب الموسم واتفاقهم آخر الأمر على وصفه بالسحر .

ويحسن الرافعي في أن يجعل سبب الإعجاز قائماً في الأسباب الثلاثة الأولى ولو أنها لا تكفي في بيان الإعجاز لأن كلام المخلوقين لا يخلو من هذه الصفات ، ولكن الرافعي يخطئ إذ يجعل من القرآن موسوعة دينية دنيوية لعلوم الأرض .

٤ — عبد العليم الهندي :

وننتقل من كتاب إعجاز القرآن للرافعي الى مقالة ضافية متعمقة في تطور فكرة الإعجاز لعبد العليم الهندي نشرها في مجلة الثقافة الإسلامية التي تصدر في الهند باللغة الانكليزية في العدد الأول والثاني من أعداد سنة ١٩٣٢ .

(The Islamic culture N° 1 and 2, 32 th year).

يصف الباحث في هذه المقالة حالة العرب زمن النبي وبيانهم وأميتهم وعدم معرفتهم النثر الفني ويعلل ذلك ثم يصف مخالفة القرآن في أسلوبه لأساليب العرب حينئذ ويقول بأن القرآن تعبير عن التجربة الدينية في نفس محمد ثم يذكر آيات التحدي والتدرج في نزولها ويعلل عجزهم عن معارضة القرآن وكيف نتجت فكرة أن القرآن فوق الطاقة من هذا التحدي ثم يتكلم على الحوادث الاجتماعية والسياسية التي أدت الى تفكير المسلمين في القرآن ونشوء الأفكار الحرة والزندقة وبدء الكلام في الإعجاز .

ثم يتكلم على ظهور ثلاث طرق في مناقشة مسألة الإعجاز في هذا الزمن : طريقة التفسير وطريقة علم الكلام التي تقول بضرورة وجود فكرة المعجزة لإثبات النبوة وطريقة المعتزلة وعلى العوامل التي أدت الى وجود كل منها وعلى اتصال كل واحدة من هذه الثلاثة بالأخرى ثم على انبثاق طريقة رابعة من هذه الثلاث وهي طريقة علم البيان في الأدب ويقول بأن أولها ظهوراً طريقة

اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعاً مقطعاً ونبرةً نبرةً كأنها توقعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوة ويذكر بهذه المناسبة أثر موسيقى القرآن في نفس عمر بن الخطاب حين أسلم وأثرها في نفس بعض المشركين وأن من عارضه كسيلمة لاحظ هذا الجانب الموسيقي فقلده وطوى عما وراءه من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني ثم يقول : « ولا يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي وهذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت » (ص ٢٢٢ إعجاز القرآن للرافعي) .

وخلاصة رأي الرافعي في هذا الموضوع أن القرآن معجز :

١ — بهذه الموسيقى التي فيه .

٢ — بهذه الروح المستشفة من نظم القرآن والتي تخاطب الروح وهي ليست ألفاظاً ذات معنى فقط بل هي حياة تضطرم وهي خلق روحي (فيه صوت النفس الطبيعي في تركيب اللغة العربية وصوت الفكر أو العقل وقد توفر للعرب ويمتاز القرآن بصوت ثالث هو صوت الحس في الألفاظ والمعاني الممثلة) .

٣ — خلو القرآن من الألفاظ التي تكون كتكاً وهذا المتكأ يشاهد في كلام البلغاء وهو يرى أن كلمات القرآن كلها ضرورية في تأدية المعاني التي يريدها .

٤ — في اشتمال القرآن على مبادئ العلوم وعلى كثير من المخترعات والنظرات العلمية الحديثة وقد ذكرت رأيه في ذلك قبل قليل كما أورده الأستاذ الخولي وذلك حين الكلام على نظرية الاعجاز العلمي .

ويذكر الرافعي بمناسبة الإعجاز العلمي كلام ابن رشد في احتواء القرآن على طرق التعليم المنطقيـة وقد ذكرت ذلك أثناء الكلام على ابن رشد وبينت رأيي فيه .

ارتباطاً بالمعتزلة ثم يذكر ان عمل المتأخرين من المتكلمين كالقاضي عياض والآمدي والشهرستاني هو مجرد شرح وإيضاح لأدلة المتقدمين ثم يتحدث عن الراغب الأصفهاني وابن حزم ٠

ثم يتحدث عن المنكرين لفكرة إعجاز القرآن وعن الذين عارضوه كالنضر ابن الحارث ومسيلمة وابن المقفع وأصحابه وأبي الطيب المتنبي وقابوس بن وشمكير وأبي العلاء ويذكر سبب اتهامهم بالمعارضة وأثر الخيال الشعبي في اتهامهم ولم توسع خياله في هذا الاتهام ويتكلم على اتهام القاسم بن إبراهيم الرازي وغيره ابن المقفع ويدفع عنه تهمة القاسم هذا وينتقل بعد ذلك إلى ظهور فتنة خلق القرآن زمن المأمون وأثرها في مناقشة هذه القضية ثم على مراسلة بين مسلم يدعو الى الإسلام ويؤيد دعوته بإعجاز القرآن ومسيحي يرد عليه وينكر هذه الفكرة ثم على ابن الراوندي وطعنه على القرآن والإسلام ثم على رد علماء الكلام على من انتقدوا القرآن ويذكر تأليف كتاب واف في الدفاع عن الإسلام لأبي الحسن عبد الجبار الهمذاني الأسد آبادي (٤١٥) واسمه « تنزيه القرآن عن المطاعن » ويختم مقالته بقوله : « ومن المفيد جداً لدارس تاريخ الإسلام الديني وتاريخ اللغة العربية الأدبي أن تجمع هذه الانتقادات كلها مع الردود عليها وأن تنظم تنظيماً علمياً » وبأنه ربما بحث هذا الموضوع على انفراد ٠

(يتبع) نعيم الحمصي

المعتزلة ثم المتكلمين ثم المفسرين وأخيراً أرباب البلاغة ؛ ويذكر بعد ذلك المعتزلة الذين لهم رأي في الإعجاز وأول من بحث هذه المسألة من المتكلمين وهو علي ابن ربن الطبري وأول من بحثها فيما علمنا من المفسرين وهو ابن جرير الطبري وبعده القمي وأشار الى اتصـال التفسير بالكلام والفلسفة ثم تكلم على ظهور الكلام في هذه القضية في الأدب ووضع بعد ذلك جدولاً بأسماء من ألفوا كتباً أو أبحاثاً مستقلة في الإعجاز ثم تكلم على كتاب الباقلاني منها بخاصة وبورد ما انفرد فيه والخطة العامة التي اتبعها في دراسة الموضوع ثم يذكر أسفه لضياع كتاب الشريف الرضي في الإعجاز وفرحه لبقاء بعض المقالات التي تؤدي صورة عن أقواله في الموضوع ويتكلم بعد ذلك على أثر فكرة الاعجاز في إيجاد علوم البلاغة وأن الناس انقسموا منذ البدء الى قسم . يقول بإعجاز القرآن في بيانه وقسم ينكرونه ويضعون أسباباً أخرى للإعجاز الى جانب أنهم يرون القرآن بليغاً ، ثم يتكلم على المؤلفين في الإعجاز من أهل البيان كالجاحظ ، والجرجاني في كتابيه الدلائل والأسرار وشرحيه الأكبر والأصغر على كتاب الخطابي ، وفخر الدين الرازي ، وابن أبي إصبع القيرواني ، والزملكاني ، وحازم القرطاجني – وهو يذكر أسماء هؤلاء وأسماء كتبهم فقط – ثم يتكلم على أطوار مدلول كلمة إعجاز ثم يذكر أسماء المفسرين الذين تكلموا في الموضوع ثم يتكلم على الفكرة لدى علماء الكلام وأسماء من نعرف أنهم ألفوا فيها منهم .

ويتحدث بعد ذلك عن كلمة الاعجاز ونشوئها من لفظة عجز وأطوار الفكرة ثم عن حجج المتكلمين في إثبات إعجاز القرآن ثم عن رأي النظام في الاعجاز ثم الجاحظ ثم ابن ربن الطبري ثم الرماني ثم القمي ثم الخطـابي ثم الباقلاني ثم يتكلم على تكامل علم الكلام في نهاية القرن الرابع وعلى اتكال المتأخرين على المتقدمين ثم على رأي الشريف المرتضى وبهذه المناسبة يذكر أن الصرفة لدى المتكلمين الشيعة أكثر منها لدى المتكلمين من أهل السنة لأنهم أكثر

ولقد اطلعت على نسخة منه مأخوذة بالآلة الكاتبة عن نسخة دار الكتب المصرية منذ نحو سبع سنوات عند الأديب المصري الأستاذ عبد العزيز الاهواني وكنت لقيته بالاسكوريال من اسبانيا فتصفحتها ونقلت منها بعض الفوائد وهناك تمنيت أن لو قيض الله له أديبًا مغربيًّا يهتم بهذه الآثار القيمة فيعمل على نشره وتحقيقه وقلت للأستاذ الاهواني : ومن له غيرك ؟ ...

وحقيقة فان هذا النص الأدبي النفيس يجب أن يتوفر ناشره على ثقافة أدبية واسعة وأن يكون مطلعًا على أدبيات المغرب وتراجم رجاله فضلاً عن الثقافة العامة التي يلزم أن يتحقق بها كل ناشر .

ولحسن الحظ فقد أتيح له ناشر من الطبقة الرفيعة من أدباء مصر هو الدكتور شوقي ضيف المعروف بأبحاثه الأدبية القيمة وآثاره الطائلة في عالم التأليف والنشر ولقد سلك في تحقيقه والتعليق عليه الطريقة العلمية التي هو بها قمين ، فقام أولاً بإعداد النص الكامل للكتاب وكان ينقص مخطوطته التي توجد بدار الكتب قطعة مهمة وقع العثور عليها مؤخراً بمكتبة في احدى القرى المصرية ، وذلك فضلاً عن اضطراب أوراق المخطوطة وعدم تنظيمها كما يجب ، فعمل الناشر الفاضل على الحاق القطعة المذكورة بمكانها وترتيب أوراق المخطوطة الترتيب اللازم . ثم أخذ في مقابلة النصوص الأدبية والتاريخية بالمراجع والمظان العديدة التي ذكرها في مقدمته واستعان كثيراً في هذا الصدد بنفح الطيب الذي يعد المغرب من مصادره المهمة وقد صحح بهذه المقابلة كثيراً من الخطأ الذي كان يوجد في نص المخطوطة وكمل النقص ونسق الكتاب على الترتيب الذي وضعه عليه المؤلف مستدلاً في الترتيب خاصة بالفهارس التي توجد بآخر المخطوطة .

وبعد ذلك جاء دور الضبط والتعليق فضبط الكتاب كله بالشكل التام ، وعلق عليه تعاليق مفيدة جداً ؛ منها ما هو من قبيل اختلاف النسخ بحسب الأصول التي اعتمدها في المقابلة والتصحيح ، ومنها ماهو شرح لبعض الكلمات اللغوية

التعريف والنقد

المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي

حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

طبع دار المعارف بمصر (٤٤٨) صفحة

هذا الكتاب هو من أمهات كتب الأدب والتراجم التي خلفها الأندلسيون وقد تعاقب على تصنيفه في مدة مائة وخمس عشرة سنة ستة أعلام من أهل الأندلس : ابو محمد الحجاري وأبناء سعيد الخمسة : عبد الملك وولداه احمد ومحمد فموسى بن محمد ثم علي بن موسى الذي هو في الحقيقة جامع شتاته وناظم درره ٠

وأهمية هذا الكتاب في التعرف الى أدب المغرب والأندلس لا تخفى على أحد ممن يعاني هذه المباحث بحيث يصح وضعه في مقابل المجموعة الكبيرة من الكتب المؤلفة في هذا الصدد والتي تشمل الحدائق لابن فرج الجياني والبديع لأبي الوليد حبيب وقلائد العقيان ومطمح الأنفس للفتح بن خاقان والذخيرة لابن بسام وزاد المسافر لصفوان بن ادريس وتحفة القادم لابن الابار وغيرها لأن هذه المؤلفات انما تتناول أدباء العصور التي ألفت فيها على حين ان المغرب يتضمنها جميعاً ويزيد عليها بمن روى عنهم وعاصرهم الى أواخر القرن السابع أعني الى وفاة علي بن موسى آخر المؤلفين للكتاب ٠

وكان المغرب من نفائس الأعلاق التي تدخرها دار الكتب المصرية وتنفرد بها فلم نكن نعرف له وجوداً هنا في خزائن المغرب ولا في مكاتب اسبانيا وهي مظنة وجوده والبلاد التي ألف في أدبها وتراجم أبنائها ٠ وغاية ما كنا نعرفه منه هذه النقول التي تصادفنا في الكتب التي استمدت منه وخاصة نفح الطيب للمقري ٠

وبرغم أن تحقيق الكتاب وضبطه قد بلغا الغاية الممكنة من التحري والاعتناء فان هناك هنوات لا يسلم من مثلها كتاب وهفوات لا يخلو من نظيرها كاتب وإني لما أنشده من التعاون على نفض الغبار عن آثار أسلافنا الكرام وعرض إنتاجهم الخصب بالمظهر اللائق به من التحرير والاتقان أحب أن أنبه عليها وأرجو أن تقع من حضرة الدكتور موضعها حتى اذا نشر (المغرب) في طبعة ثانية قريباً ان شاء الله أخذ بها أو بما كان منها صواباً إذ ما أبرئ نفسي من الخطأ أيضاً .

فمن ذلك أنه في أول الصفحة ٢٩ من المقدمة وقع اسم ابن زاكور بالذال المعجمة بدل الزاي وهو خطأ مطبعي في الغالب لأن اسم هذا الأديب قد جاء في أثناء الكتاب[1] على الوجه الصحيح ولكن بما أن القارئ قد يشتبه عليه الأمر ولا يدري أيهما الصواب وجب التنبيه عليه هنا .

وكذلك ابن الشمر ضبط في ص ٤٧ بفتح الشين وكسر الميم على وزن كتف وفي ص ٥٠ ترك بغير ضبط ولما جاءت ترجمته في ص ١٢٤ — ١٢٧ ضبط بسكون الميم وقد تكرر اسمه في الترجمة وضبطه كذلك وأظن هذا هو الصواب فيه فكان الأولى ضبطه من أول وهلة بهذا الضبط .

وفي ص ٥٨ يقول المؤلف وهو يترجم لبعض الزهاد : (وكان أكثر دهره مفكراً وجهه على ركبته ثم يرفع رأسه فيقول : أي وحله ؟) وقد علق الناشر الفاضل على هذه الكلمة بقوله ـ هكذا في الأصل ـ وهي عبارة تقتضي التخطئة أو التوقف . وأرى أن العبارة منسجمة مع حال الرجل التي وصفها المؤلف فهو يفكر في الحياة والمصير ويطرق ويطيل التفكير وحين يرفع رأسه يقول : أي وحلة : بفتح الهمزة وتشديد الياء يعني أيّ ورطة هذه التي وقع فيها الانسان أو بكسر الهمزة وسكون الياء بمعنى نعم أيْ أجلْ ! هي ورطة ! والمعنى على القسم وان لم يذكر في اللفظ . وعلى كل حال فوحلة اسم للمرة من

(١) ص ٢٧٤ .

والمعاني الخفية في الأشعار أو الأسجاع التي يتضمنها الكتاب ، ومنها تراجم الأشخاص المذكورين في الكتاب أو اشارة الى المراجع التي ترجمتهم ، تعين الراغب في التوسع واستكمال معلوماته في هذه الناحية ، وهو يذكرها بالجزء والصفحة ان كان الكتاب المرجع مطبوعاً وبالورقة إن كان مخطوطاً مع ذكر مكان وجوده طبعاً .

ولعل هذه الخطة هي أكمل خطة في نشر نص من قبيل كتاب المغرب له أهمية تاريخية وأدبية ، فالتعاليق التاريخية لإكمال التعريف بالشخص أو الحادث الذي لم يستتم المؤلف الكلام عليه والتعاليق الأدبية إما لتصحيح النص أو تفسير بعض الغموض الواقع فيه من غير توغل في ذلك ولا إكثار بنقل ما قالته المعاجم اللغوية في اللفظ أو قررته كتب القواعد في التركيب لأن ذلك يخرج عن حد التعليق الى الشرح المبسط الذي يكون قراء هذه الكتب غالباً في غنى عنه .

ولقد صدّر الناشر الكتاب بمقدمة ومدخل يقعان في أكثر من ٣٠ صفحة تحدث فيهما عن الكتاب ومؤلفه وفكرة نشره والطريقة التي اتبعها في تحقيقه ، وألمّ إلماماً طيباً بتاريخ الشعر الأندلسي أو قل المغربي والكتب المصادر التي يرجع اليها فيه ، وهكذا لم يقدّم الكتاب غفلاً من التعريف بل لم يترك شاذة ولا فاذة مما يتعلق بالموضوع إلا أحاط بها أو أشار اليها .

وإني لا أكتم شعوري في إعجابي بعمله وتقديري لجهوده ، وقد كنت أعتقد أن هذه الكتب المغربية قلما يتمكن من خدمتها غير مغربي ـ والآن يقترب أبناء العروبة بعضهم من بعض ويعودون كما كانوا أسرة واحدة فلا يجهل المغربي أحوال أخيه المشرقي ولا يخفى عن المشرقي أمر من أمور أخيه المغربي ولا سيما اذا كان الأمر متعلقاً بهذا التراث الأدبي الضخم الذي يعد مفخرة للجميع والذي يجب أن تتضافر جهود الجميع على إبرازه من العدم الى الوجود وتجليته للناس على منصة الفخار .

وفي صفحة ٨٩ فصل في ذمّ مؤاخ ، وقد جاء فيه : « بيض الأنوق من رفده أمكن » وضبط لفظ لأنوق بفتح الهمزة وسكون النون وضم الواو وهو الأنوق بضم النون وسكون الواو للعقاب الطائر المعروف ويضرب به المثل في العزة فيقال هو أعز من بيض الأنوق لأن العقاب تضع بيضها في شواهق الجبال فلا يوجد اليه سبيل :

وفي ص ٩١ جاء هذا البيت :

بدت ريح الصبا لؤلؤه فانبرى يوقد عنه سرجا

وضبط الصبا بالكسر وهو خطأ مطبعي لا شك فيه ، لأن الصبا : الريح الشرقية ، مفتوحة الصاد ،

وفي صفحة ١٠٧ شعر في المجبنات منه :

هات التي ان قربت جمرة فهي على الأحشاء كالماء

وقربت مبني للمفعول فجمرة ينبغي أن يكون منصوباً على الحال لا مرفوعاً كما وقع في الطبع ، وقد جاء بعد هذا البيت :

وكلما عض بها لاثم تبسمت عن ثغر حسناء

ولا يخفى أن لاثم مصحفة عن لائم ،

وفي الصفحة نفسها أورد المؤلف بيتين في قضيب آس وصل الى الشاعر من محبوبه ، وثاني البيتين هو هذا :

أتى كاسمه آس لما بي من الجوى فحل حلول السعد والمال واليمن

وقد كتب الناشر الفاضل على كلمة آس قوله : « هكذا في الأصل » فان كان يعني أن حقها النصب أي أن يقول الشاعر أتى كاسمه آسيا فذاك ، وإلا فلا موجب لهذا التعليق ، على أن النصب في الكلمة ليس ضربة لازب إذ لا يمتنع توجيه رفعه بحسب القواعد ، وقد يقال انه باق على نصبه وأجري الوصل مجرى الوقف ،

وحل يحل اذا وقع في الوحل وهو الطين ويتوسع في معناه فيستعار للوقوع في الورطات التي لا مخلص منها ٠

وفي صفحة ٧٦ وردت هذه الأبيات في مليح مسرح من حبس :

صفح السرار عن القمر وبدا وقد كان استتر
كتب السرور لناظري لما رآه قد ظهر
هذا أمان للجفو ن من المدامع والسهر

وقد شكلت كلها على الوجه الصواب إلا كلمة السرور فانها جاءت منصوبة وحقها الرفع لأنها فاعل كتب ويحق وضع نقطتين بعد لفظ ظهر في آخر البيت الثاني لأن ما بعده هو المكتوب فيدل على ذلك بالنقطتين المذكورتين على ما اصطلح عليه أهل الاملاء الحديث ٠

وفي ص ٨١ ثلاثة أبيات أولها :

ولرب حان قد أدرت بديره خمر الصبا مزجت بصفو خموره

وقد علق الناشر الفاضل على لفظة حان بما يلي :

« حان : خمار أو الحانة نفسها ٠ وفي الذخيرة : خان بالخاء ولا معنى لها » ويظهر لنا أن ما في الذخيرة هو الصواب لأن المراد بالخان النزل والفندق وهو قد يكون له دير فيه رهبان وفيه خمر فأوى اليه الشاعر على عادتهم وأما الحان فما عهد أن يكون فيه دير وليس ذلك من شأنه ٠

وفي صفحة ٨٤ وقع هذا البيت :

كأن هامته والريج يحملها غراب بين على بان النقا نعقا

هكذا جاءت كلمة الريج بالراء والياء والجيم ولا معنى لها ٠ وظاهر أن البيت في وصف رأس مقطوع محمول على رمح والرمح يسمى الزج بضم الزاي وتشديد الجيم فصواب البيت حينئذ أن يقال : كأن هامته والزج يحملها ٠٠٠٠

وفي ص ١٥٩ وهي خاصة بترجمة القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله بن الصفار من بني مغيث ما نصه : «واستخلف على القضاء ابنه مغيث بن محمد» ولا يصح هذا وقد علم أن اسم والده يونس فيجب التحقق منه .

وفي ص ١٦٢ في ذكر أحد القضاة : «وهو مقيم على حاله الى وقت املاء هذا الكتاب وقد نيف على الثمانين . حسن البقيــة» وضبط حسن بضم الحاء وسكون السين ولعل الصواب فتح الحاء والسين معاً .

وفي ص ١٦٨ زجل لابن قزمان منه هذا الشطر : «قد حط فيه السيف حطاً لا يفهم» بالحاء المهملة في الفعل والمصدر ولا يخفى أن المقام للخاء لا للحاء لأن المراد تشبيه أثر السيف بالكتابة وهي الخط . وبدون ريب هذا خطأ مطبعي .

وفي الصفحة التي تليها في زجل آخر للمذكور هذا البيت :

والرياض تلبس غلالاً من نبات فحل زمرد

وضبط لفظ فحل بفتح الفاء وسكون الحاء ولا معنى للفحل هنا وإنما المراد أن النبات (في حال) الزمرد يشبه به في حسن خضرته وجمال نضرته فضبط فحل بسكون الفاء وفتح الحاء . ولا زال هذا اللفظ مستعملاً عندنا في العامي بهذا المعنى فهو من قبيل النحت في الفصيح .

وفي ص ١٧٠ بيت من زجل له أيضاً هو هذا :

ونجوم السعد تطلع ونوار اليمن تفتح

وضبط تفتح بفتح التاء الثانية مع التخفيف وأرى تشديدها فيكون بصيغة الماضي لأن النوار مذكر في العامي والفصيح فاذا لم تشدد التاء الثانية وجب رد تفتح الى يفتح .

وفي ص ١٨٣ ورد هذا البيت لعبد الله بن الناصر :

أتاك تعبيري ولما يحل مني على أضغاث أحلام

وكان شاعر أهدى اليه ياسميناً ابيض وأصفر مع شعر يقول فيه :

وفي ص ١١٦ قطعة شعرية منها هذا البيت :

أو ما ترى أوتارها قصد القنا   وحبالهن ذوائب الفرسان

وهو يصف خيام قوم محاربين . وقد وقع ضبط كلمة قصد بفتح فسكون . ويظهر لي أن الصواب كسر الصاد مع فتح القاف فانه يقال رمح قصد بوزن كتف وقصيد بمعنى منكسر وعلى هذا يفسر البيت .

وفي ص ١٢٢ فقرة نصها : « زففتها بنت ليلتها عذراء . وجلوتها عليك كريمة فكرها حسناء » وعلق على فكرها بقوله : في هامش الذخيرة : « فكرتها » وأياً كان فان كريمة مضافة الى ما بعدها وقد جاءت في الطبع منونة وهو ولا شك خطأ مطبعي .

وفي ص ١٣٣ وردت هذه العبارة : « وفي ابن حفص المتقدم الذكر يقول » وصوابها : « وفي أبي حفص » على ما تعطيه الاشارة الى المذكور قبلها .

وفي ص ١٤٣ ورد هذا البيت :

ولادة قد صرت ولاده   من دون بعل فضح الكاتم

وقد ضبطت ولادة في أوله بضمة واحدة وحقها التنوين محافظة على الوزن وان خولفت قاعدة نداء المفرد العلم . وقد ورد مثله منوناً في شواهد العربية كما هو معلوم .

وفي ص ١٤٥ وقعت هذه العبارة في وصف قاض : « وكان يدخل المسجد وعليه رداء معصفر وحذاء صرار » وضبط صرار بكسر الصاد وفتح الراء مع التخفيف وأظن أن صوابها فتح الصاد وتشديد الراء بصيغة المبالغة .

وفي ص ١٥٣ وردت هذه العبارة والكلام على أحد القضاة : « ومدار فتياه على بقي وعبيد الله بن يحيى » وقد ضبط اسم بقي بشدة على الياء وفوقها فتحة ولا يخفى أن الصواب في ضبطه الكسر والتنوين مع التشديد ان كان أصله الصفة والفتح فقط بدون تشديد إن كان أصله الفعل .

وقد وقع شكل يشتكي بفتح الياء وكسر الكاف والصواب ضم الياء وفتح الكاف لتنسجم العروض مع نظائرها في السموط الأخرى . وظننت أولاً أنها غلطة مطبعية فاذا بي أرى كمد وذل في العجز منصوبتين وحقهما الرفع .

وفي ص ٢٨١ زجل منه هذا الشطر :

وانا ذاب نحسوها ليل نهار

وقد ضبط فيه انا بكسر الهمزة وتشديد النون وأثبتت ذا بلصقها وهي معجمة وب مكسورة بازاء نحسوها ولعل الناشر الفاضل تصورها مثل هذه الباء المصرية التي تدخل على الفعل المضارع في درج الكلام . والذي يظهر لي أن يضبط انا بفتح الهمزة والنون مخففاً على صورة ضمير المتكلم وحده وداب كلمة واحدة بدال مهملة وباء مفتوحة أصلها دأبا ثم خففت بتسهيل الهمزة وحذف الألف وكذلك نستعملها في اللفظ العامي والمراد على كل حال معناها اللغوي وهو الاستمرار والعادة والشأن أي وأنا شأني وعادتي أو على الاستمرار نحسوها ليل نهار . ولا يعكر علينا كون الفعل ــ نحسوها ــ مفتتحاً بنون المتكلم ومعه غيره لأنه كذلك يستعمل في العامي حالة الافراد والجمع فيقال انا نكتب وانا نقرأ وهكذا .

ويصح كسر الباء من كلمة دأبي أي عادتي كما لا يخفى على الاستعمال الفصيح فيكون التقدير وأنا دأبي أي عادتي نحسوها ، ولكن عدم همز الألف وحذف الياء التي بعد الباء يرجح أن أصلها كان دأب بفتح الباء كما قلنا .

وفي ص ٢٨٣ زجل جاء فيه :

قاضي يعطي عطية الامرا

رد غرناط مكة الشعرا

وضبط رد بضم الراء وسكون الدال بدون تشديد ومكة بكسر التاء المربوطة والصواب فتح الراء من رد وتشديد الدال على صيغة الماضي وفتح تاء مكة على أنه مفعول رد الثاني أو تسكينها جرياً على الاصطلاح العامي ، للتخفيف .

من ياسمين كالنجوم تبرجت بيضاً وصفراً . والسماح يعبر

فكان تعبير هذا الأمير ان اجازه بدراهم ودنانير ولم يحل على أضغاث الأحلام . فيحل حينئذ بضم الياء وكسر الحاء من أحال الرباعي الذي مصدره الاحالة والاسم منه الحوالة لا من حال يحول كما ضبطه الناشر الفاضل .

وفي ص ٢٠١ لغز في المجمرة وهو هذا :

وجاثمة لها ابن مستطار يفارق جسمه عند افتراق

ولم أر قبله من ذي نسيم يحرق جسمه والروح باق

إذا صاحبته لم يبد شخصاً ولا يخفى عليك لدى التلاقي

ويظهر لي أن صواب عجز البيت الأول : « يفارق جسمه عند احتراق » . فالفاء واقعة مكان حاء والا فتعبير « يفارق جسمه عند افتراق » لا طائل تحته والتصويب وان كان يؤدي الى هذا المعنى أيضاً فان فيه تفنناً في اللفظ مع موافقته للصورة التي تضمنها البيت الثاني بل ان هذا البيت لا يعدو أن يكون مفسراً للأول .

ثم ان يحرق في الكتاب وقع ضبطه بصيغة المبني للفاعل والصواب ضبطه بفتح الراء على المبني للمفعول . كما أن التلاقي كتبت بدون ياء والصواب اثباتها .

وفي ص ٢٠٣ هذا البيت :

رجعت على رغم الوفاء الى الصبـــــر كما صبر الظمآن في البلد القفر

وقد ضبطت فيه كلمة صبر بكسر الباء والصواب فتحها وهو غلط مطبعي لاشك .

وفي ص ٢٢١ وقع هذا البيت من قطعة :

هـذا هو السيل البهيم بدا على القمر المنير

هكذا بوضع الميم من كلمة البهيم في حيز الشطر الأول وبضبطها بالسكون والصواب رفعها وجعلها في مبدأ الشطر الثاني ليستقيم البيت .

وفي صفحة ٢٦٧ موشحة منها هذا السمط :

مثل حالي حقه أن يشتكي كمد اليأس وذلـ الطمع

وفي ص ٣٤٩ : « وكان له فيها مقام محمود » بضم الميم من مقام وأظن أن الأولى فتحها لأن المراد بالمقام هنا المنزلة والمكانة لا الاقامة والنزول .

وفي ص ٣٥٥ : « الى أن انتهوا به منقطع أثره بقرية بلده » وعلق الناشر الفاضل على قوله بقرية بلده فقال : « وفي الذخيرة بتربة . وهو تحريف » . وأظن أن الصواب هو ما في الذخيرة لأن بلده هي القرية فاضافة القرية اليها من إضافة الشيء الى نفسه بخلاف التربة فان فيها مغايرة وقد درجوا على استعمال التربة في هذا المعنى فلا موجب لإنكاره . قال الشاعر :

بلاد بها نيطت على تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

وفي ص ٣٦٥ : « وليس يحمد قبل النضج بحران » وقد ضبط يحمد بفتح الياء مبنياً للفاعل وعلق الناشر الفاضل على بحران بقوله « البحران الجائع » ولا يخفى ما فيه . وهذا مثل ضربه صالح بن عبد القدوس في قصيدته النونية المشهورة إذ يقول :

فلا تكن عجلاً في الأمر تطلبه فليس يحمد قبل النضج بحران

فيحمد بصيغة المبني للغائب والبحران من الاصطلاحات الطبيعية يراد بها ما يطرأ على البدن دفعة من التهييج حالة المرض . قال الشيخ داود الانطاكي في كتابه التذكرة [1] : ــ واحمده ما وقع بعد النضج ــ وقال في كتابه « النزهة » [2] : والمراد بالنضج اعتدال الخلط فليعرف .

وفي ص ٤١٠ عند ذكر تقسيمات مملكة لشبونة وقع ضبط النسرين بفتح النون وكذلك في صفحة ٤١٧ والمعروف أنه بالكسر فلينظر .

وفي ص ٤١٣ : وقع هذا البيت :

عيرتني بسقام وضنى ان هذين لزين العاشقين

بصيغة الخطاب للأنثى أي بسكون الراء وكسر التاء من عيرتني وهو كذلك لا يتزن فالصواب فتح الراء وسكون التاء . وربما كان هذا الخطأ من المطبعة .

---

(١) ص ٤٥ ، ج ني ، المطبعة الأزهرية بمصر .
(٢) النزهة المبهجة . بهامش التذكرة ص ٤٦ ، ج ني .

وفي ص ٣٠٠ زجل يقول صاحبه فيه :

حبيب اياك تبعد عن عيني

فاني بعدك يولد حيني

وقد ضبط فعل يولد بضم الياء وفتح اللام وتركت كلمة بعدك بدون ضبط وهي ان قرأتها بفتح الباء فكانت ظرفاً هزل المعنى وتفه وان قرأتها بضم الباء وهو الواجب كان يولد بضبطه المذكور لا ارتباط بينه وبينها · والصواب ضبطه بتشديد اللام على صيغة المبني للفاعل ويكون هو الخبر عن بعدك ·

وفي ص ٣٠٥ بيتان في تفاحة :

تفاحة بت بها ليلتي	أبثها سري والشكوى
أضمها معتنقاً لاثماً	اذذكرت مرة من اهوى

وعلق الناشر الفاضل على اذذكرت بقوله : «في نفح الطيب اذا وهو تحريف» ولا تحريف فيه اذا قُرئت اذ بسكون الذال وجعلت الألف من الفعل فهمزت وفتحت وسكن ذال الفعل وخففت كافه فكان أَذْكَرَتْ ·

وفي ص ٣١٣ وقع هذا البيت من قطعة :

تبين فقد وضح المعلم وبان الأمر لو تفهم

وضبط فيه المعلم بضم الميم والصواب فتحها لأن المراد واحد المعالم وهي المعاهد وأمارات الطريق بخلاف المعلم المضموم الميم فانه من أعلم الشيء جعل له علماً والثوب المعلم المخطط أو المطرز وذلك هو علمه ·

وفي ص ٣٤٤ : «والقت بمسقط الرأس جرانها» وضبط الناشر الفاضل كلمة مسقط بفتح القاف ، والمفعل بالفتح للمكان من سقط صحيح قياساً ولكنهم لم يذكروا مسقط الرأس إلا بالكسر فلعلهم خصوه بذلك والسماع في هذا الباب أولى كما هو معروف ·

لا فائدة فيه خصوصاً والناشر الفاضل اذا عدل عن الوجه العامي في ذلك فانه يقرب من الوجه الفصيح ·

وختاماً لقد رأى القارئ العزيز أن هذه الملاحظات منها ما نشأ عن خطأ مطبعي ومنها ما كان سببه السهو فقط ومنها ما يتعلق بنطق جهوي خاص فجميعها ليس فيه غضاضة على الكتاب وتحقيقه · وانا قبلها وبعدها لنُبدي إعجابنا بحضرة الدكتور ضيف الذي استطاع أن يخرج هذا الأثر النفيس بهذه العناية الكاملة التي قلّ من يضطلع بها من بين الناشرين المحققين وإنا لنهنئه من صميم الفؤاد على توفيقه ونجاحه ·

عبد الله كنون

كتاب نسب قريش

لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري
(١٥٦ — ٢٣٦ ھ)
عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه
ا · ليفي بروفنسال
استاذ اللغة والحضارة العربية بالسوربون ومدير معهد الدروس الاسلامية بجامعة باريس

ان هذا الكتاب الذي نشره المستشرق ليفي بروفنسال قد فقدت نسخه المخطوطة من الشرق الاسلامي مع أنه أُلف في ربوعه ، ولولا حرص العلاّمة السيد عبد الحيّ الكتاني على هذه المخطوطة اليتيمة لضاع من النسب علم كثير ، ولما أُخرجت هذه الدرّة النفيسة من خزانة كتبه ، لينشرها هذا المستشرق الذي نشر من قبل كتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم الذي ردّ على من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضرّ ، ولا حاجة بنا الى إثبات فضل علم النسب على العرب خاصة والعلم والأدب عامة ، وقد عدّ من علوم الأدب

وفي صفحة ٤١٨ : « ومن نثره في كتاب الذخيرة [ما] يدل على طبقته »
وما هذه التي بين المعقفين من زيادة الناشر من ما يظهر ولا داعي لهـا وليقرأ
يدل بالبناء للمفعول .

وفي الصفحة التالية لهذه شعر منه :

أما الرياض فانهن عرائس لم يحتجبن حذار عين الكالي
جاد الربيع لها بنقد مهورها دفعاً ولم يبخل بوزن الكالي

وقد فسر الفاضل الكالي من البيت الأول بالمراقب وأصاب وفسره في البيت
الثاني بقوله : « الكالي هنا كلا : مقلوب كال » فأبعد النجعة وانما هو من كلأ
الدين اذا تأخر دفعه فهو كالئ وكان الأصمعي لا يهمزه .

ويكثر استعمال هذه الكلمة بين الموثقين خصوصاً في عقود الزواج فيقولون
في الصداق : جملته ما بين نقد وكالئ كذا وكذا وذلك لأنه يستحب تأخير
جزء من الصداق الى ما بعد الدخول على قول العلماء .

هذه هي جملة الملاحظات التي عنت لنا أثناء مطالعة الكتاب وأمكننا التنبيه
عليها وبقيت ملاحظات أخر لم نتمكن من تحقيقها لأنا بحال هجرة وكتبنا ليست
معنا . وأهم هذه الملاحظات ما كانت له علاقة بالتاريخ وتحقيق شخصية ما كهذا
(المبدورة) بالباء الموحدة المذكور في صفحة ١٧١ فقد وقع في وهمنا أنه ربما
تصحف عن الميدورة بالياء المثناة والميدورة في العامية المغربية اسم لجلد الخروف
الذي يتخذ للجلوس والشخص بما وصف به من شذوذ جنسي ربما كان لقبه هذا
لقوة الشبه بينه وبين جلد الخروف في الاستعمال ولكننا الآن لا نجزم بشيء
في هذا الاسم لا سيما والأسماء لا تعلل كما يقولون .

وثم من الملاحظات ما لم نعره اهتماماً كبيراً وهو ما يتعلق بضبط الأزجال
فان كثيراً من هذا الضبط مخالف للنطق العامي في المغرب الذي يتشابه مع
ما كان عليه في الأندلس ولكننا رأينا أن التعلق بذلك من التعمق الذي

الرواية واللغة والنحو والعروض فضلاً عن أغلاط مطبعية قلما نجا كتاب منها ،
فمن أخطاء الرواية قول جرير بن عبد الله (ص ٧) حين نافر الفرافصة الكلبي
الى الأقرع بن حابس :

يا أقرع بن حابسٍ يا أقرعُ إن يُصرع اليوم أخوك تصرعُ

والرواية المشهودة ، والموافقة لقواعد النحو هي :

يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إنك ان يُصرعْ أخوك تصرعُ

لأن جملة تصرع خبر (إن) ، وعلى رواية كتاب النسب يجب كسر عين
الروي لأنها جواب الشرط .

وعجز بيت الحاشية (ص ٤٣) الأول : «والعلم قد يلقى لدى السائلِ» ،
ولعل صوابه قد (يلفى) ورواية قول الوليد بن عقبة (ص ١٤٠)
و (ص ١٢١) :

قطعت الدهرَ كالسوم المعنى تهدّر في دمشق وما تريم

هي : (كالسدم) بكسر الدال أي المهموم النادم ، لأن السدم كالندم لفظاً
ومعنى ، ولكنه ندم مقرون بالهم ، وقلما يفرد السدم من الندم ، وقيل السدم
المتغير العقل من الغم ؛ وأما السوم وزان القوم فهو عرض السلعة على البيع
كالمساومة ، والرواية الصحيحة ، هي رواية اللسان ، وصحة المعنى على السدم ؛
ثم يقول الوليد بعده :

يمنّيك الخلافة كل ركب لأنضاء العراق بهم رسيمُ

ورواية اللسان :

يهنيك الإمارة كل ركب من الآفاق سيرهم الرسيمُ

ويروي أيضاً : (لأنضاء الفراق بهم رسيم) ، فما هي الرواية الصحيحة ؟
ثم يقول الوليد :

فانك والكتاب الى عليّ كدابغةٍ ، وقد حلِم الأديمُ

التي لا يستغني عنها أديب عربيّ بارع ، والشعر العربي في الجاهلية والاسلام مفعم بأسماء القبائل والأعلام ، وكثيراً ما يتوقف فهم كثير من الشعر على معرفة قارئه بأنساب العرب ؛ وكان لقومنا العرب في الجاهلية مزيد عناية بحفظه وضبطه لأنه من أسباب التناصر والتفاخر ، وما حفظوا أنسابهم الا ليتضافروا بها على أعدائهم ، لأن معرفة الأنساب مما يبعث على التعاطف والتآلف وصلة الأرحام التي حثّ عليها القرآن بقوله : « والذين يصلون ما أمر الله أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » . قال أئمة التفسير : هي الرحم التي أمر الله بوصلها ، ويخشون ربهم في قطعها ، ويخافون سوء الحساب في المعاقبة عليها ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، ويقول عمر بن الخطاب : « تعلموا أنسابكم ولا تكونوا كنبطيّ السواد إن سئل عن أصله قال من قرية كذا ! » ، وقد بلغ من حرص قومنا العرب على العناية بالنسب أنهم كانوا ينسبون حتى الخيل والإبل والكلاب والحمام .

ويعد المصعب الزبيري مؤلف هذا الكتاب من أوثق النسّابين الذين يجمعون بين النسب والمعرفة بأيام العرب ، حدّث في بغداد عن مالك بن أنس ، وابرهيم ابن سعد ، وعبد العزيز بن أبي حاتم وغيرهم ، وكتب عنه يحيى بن معين وأبو خيثمة ، وروى عنه ابن أخيه الزبير بن بكار وأحمد بن أبي خيثمة وابرهيم الحربي ، وموسى بن هرون وعبد الله بن احمد بن حنبل وأبو القاسم البغوي ، وذكر يحيى بن معين أن الزبيري أخذ النسب عن الواقدي وانه ثقة ، وسمع سليمان بن الأشعث أحمد بن حنبل يقول : مصعب الزبيري مستثبت .

وفي هذا الكتاب من نصوص الشعر الصحيحة ما لا يوجد في غيره ، ومن الفوائد التاريخية ما يندر العثور عليها ، ويظهر أن المخطوطة مشوهة المحاسن بأغلاطها الناشئة عن مسخ النسخ ، فانه على الرغم مما بذله الفاضلان أحمد محمد شاكر وعادل الغضبان من الجهود في مراجعة النص وتصحيحه لم يخل من أخطاء

فصددت عنهم، والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مُرصِد
وهنالك رواية أخرى وهي (••• يوم سرمد) : أي يوم طويل يمتد بلاؤه ، قال التبريزي : وأيام الغم والمحنة توصف بالطول ؛ وكان ينبغي أن يشار في الحاشية الى هذه الروايات ، والنشر العلميّ الصحيح يقتضي مثل ذلك •

وجاء في (٣/٣١٣) البيت الأول معزوّا للحارث بن هشام ، وهو الصواب ، وإن عزاه الزمخشري في أساسه لعمر بن أبي ربيعة ، ويقول الحارث في الصفحة عينها (س ١١) لعبد الملك بن مروان : (••• يكفيك بُؤسَى أو لديك نعيمها) ، ولعل الصواب (بُؤسي) بكسر السين •

وجاء في الحاشية (٢) من هذه الصفحة : مغرورق مأخوذ من اغروراق العين بالدموع ، والعربيّ لا يقوى على النطق بغير (اغريراق) ، والتعليل الصرفي معروف •

وجاء في الصفحة (٣٦٥) : « وأبقى آخرين بيَسَرٌ قوم » والصواب : (بيسِرٌ •••) بكسر الباء •

وأما أخطاء اللغة فمنها ما جاء في (٩/٢٤) : « فهذه أشرّ كلمة فحش سمعتها منه قط » على اللغة الرديئة ، ولعل الأصل كان : « فهذه شر كلمة ••• » لأن الحسن كان من أفصح الناس ، فقد جاء في لسان العرب : (وهو شر منك ، ولا يقال أشر حذفوه لكثرة استعمالهم اياه ، وقد حكاه بعضهم) • وقال الجوهري : (ولا يقال أشرّ الناس إلاّ في لغة رديئة) •

وجاء في (٧/٢٨) : « وأمها جويريَّة ••• » والصواب (جويريَة) بالتخفيف لأنه تصغير جارية •

وجاء في (٥/٥٩) قول الحسين بن علي في الرباب وسكينة :

لعمرك إنني لأحب داراً تُضيّفها سكينة والربابُ

والصواب على المعنى : (تَضَيَّفَهَا) أي نزل بها ضيفاً سكينة والرباب : تقول

والصواب ، وهي رواية اللسان وغيره : (والكتـابَ) بفتح الباء للعطف ؛ وصواب العجز : (كدابغةٍ وقد حَلِم الأديم) : (دابغة) بالغين لا بالقاف ، و (حَلِم) بكسر اللام لا ضمها ، وقد جاء في اللسان مادة (حلم) ما نصه : والحلم بالتحريك أن يفسد الإهاب في العمل ويقع فيـه دود فيتثقب ، تقول منه حلم بالكسر .

من أبيات يحضّ فيها معاوية على قتال عليّ عليه السلام ، ويقول له : أنت تسعى في إصلاح أمرٍ قد تمّ فساده كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذى وقعت فية الحَلَمة فنقّبته وأفسدته فلا ينتفع به ا هـ . وعلى قول صاحب اللسان تكون (كدابقة) مصحّفة ، يدلُّ على تصحيفها : (وقد حلم الأديم) .

وفي الصفحة (٦/٢٠٨) يعود ضمير (وقال) الى ورقة بن نوفل ، ويعزى هذا الشعر أيضاً الى أمية بن أبي الصلت كما عزاه اللسان : وعجز البيت الرابع : (وقبل سبّحه الجودي والجمد) يروى : (وقبلنا سبح الجودي والجمد) .

وجاء في الصفحة (٢/٣٠٢) لحسان بن ثابت يعيّر الحارث بن هشام بالفرار :

ترك الأحبة لم يقاتل دونهم ونجا برأس طِمرّة ولجام

وصواب الرواية على ما في ديوان حسان (... أن يقاتل) ، وكذلك رواية الحماسة .

وبعد هذا البيت يعتذر الحارث بن هشام ، وحدث الأصمعي أنه لم يسمع بأحسن من اعتذاره ذلك من فراره ، وهو :

القوم أعلمُ ما تركت قتالهم حتى رَموا فرمي بأشقرَ مُزبدِ

وصواب الرواية على ما في الحماسة (الله يعلم ...) ، والتعبير الشعري بذلك أقوى . وعجز البيت الثاني : (أقتل ولا ينكي عدوي مشهدي) ، وصواب الرواية على ما في الحماسة : (أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي) ، وجاء البيت الثالث بعده :

فصدرت عنهم ، والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم مفسدِ

وبيت الحماسة أصح وأفصح ، وعجبت كيف لم يرجع اليها ، وهذا البيت هو :

والصواب (مقوقِيَة)، لانكسار البيت بتشديد الياء ، ولأنها اسم فاعل للمؤنث ، قال ابن سيده : قَوْقَت الدجاجة تُقوقي قِيقاء وقَوقاة صوَّتت عند البيض فهي (مقوقية) .

وجاء في (٧/١٤٨) : «وهو الذي عمل السقاية بسَرِفة» بكسر الراء ، والصواب بفتحها ، وهي كعرفات موقف الحجيج المعروف .

وجاء في (٤/١٩٥) :

الواهب البَخت خُضعاً في أزمّتها والبيضَ فوق تَراقيها الدنانيرُ

بفتح باء (البخت) والصواب بضمها ، وهي الإبل الخراسانية تُنتَج من بين عربية وفالج ، وهو البعير ذو السنامين ، بُختيّ والناقة بُختية ، ويجمع على بُخت وبَخات ، وقيل الجمع بخاتيّ غير مصروف .

وجاء في (٥/٢١٣) : « قتله المجذَر بن ذياد بن البلويّ » والصواب بحذف (بن) الثانية [1] ، على ماجاء في تاج العروس (جذر) ، وعلى أسلوب النسب عند العرب .

وجاء في (٥/٢١٤) قول المجذر البلوي هذا حين قتل العاصي أبا البختري يوم بدر :

أنا الذي أزعَمُ أصلي من بَلِي
أطعَن بالحربة حتى تنثني

وصواب النطق العربيّ : (أزعُم) بضم العين ، و (الحَربة) بفتح الحاء لا كسرها .

وجاء في (٤/٢١٧) قول طلحة بن عبد الرحمن بن الأسود يوم قتل اصبهانيًا بارزه :

أوجرته صَعدةً موقّمة سِنانها كالشهاب في الظُلُمه
وضعت من السنان في موضع الـمِسعل بين الشُرسوف والحَلَمه

(١) ويُراجع طبقات ابن سعد (٢/٣ ، ٩٨ — ٩٩) ، والاشتقاق (ص ٣٢٢) .

بلسان العرب (تضيَّفته نزلت به ضيفاً) ويؤنس بهذا رواية هذا البيت في (مقاتل الطالبيين) ص ٩٠ : « تكون بها سكينة والربابُ » .

وجاء في (١١/٩٠) قول الفضل بن العباس بن عتبة الشاعر :

من يُساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو الى عقد الكُرَبْ

هكذا بضم كاف (الكرب) ، والصواب بفتحها ، كما في اللسان ، وقال ابن سيده : « الكرب حبل يشد على عراقيّ الدلو ، ثم يثنى ثم يثلث والجمع أكراب » ومعنى البيت على ذلك واضح ، والشواهد عليه جمة .

وجاء في (١٠/١١٨) قول العرجيّ وهو في السجن :

ياليت سلمى رأتنا لا قُراعَ بنا لما هبطنا جميعاً أبطحَ السوقِ

بضم قاف (قراع) ، ولعل الصواب بكسرها ، لأن القراع والمقارعة المضاربة بالسيوف ، وعليه قول النابغة : (بهن فلول من قراع الكتائب) ، ويكون المعنى : رأتنا ونحن لا قراع بنا أي لا نقوى في السجن على المجالدة بالسيوف ، ومع ذلك نبتسم لشدائد السجن ، ويقوّي هذا المعنى قوله بعد ذلك :

وكشرنا وكبول القين تنكبنا كالأسد تكشر عن أنيابها الرُّوق

فان الكشر بمعنى التبسم والافترار .

وجاء في (٣/١٢٩) قول عبد الله بن همّام السلولي في معاوية بن يزيد :

فإن دنياكم بكم اطمأنت فأوُلوا أهلها خُلقاً سديدا

والصواب : (فأوْلوا) ، يقال : أوليت فلاناً خيراً ، وأوليته معروفاً ، أو خلقاً سديداً اذا أسديت ذلك اليه كما في اللسان ، ولعلها من أغلاط الطبع ؛ وليته كان لها ولسائر الأخطاء فهرس للتصويب .

وجاء في (٢٠/١٤٦) قول عبد الله بن الحجاج الثعلبيّ في أحيح بن خالد ولم يحمد قِراه :

كأني إذ نزلت على أحَيح نزلت على مُقوقيةٍ بَيوضِ

قتلوا ابن عفان الخليفة مُحرِماً ومضى فلم أر مثله مخذولا

وجاء في (٦/٣٨٢) للنعمان بن عديّ العدويّ :

اذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصغر المتثلَّم

بفتح اللام المشدّدة من (المتثلَّم) والصواب بكسرها لأنه على صيغة اسم الفاعل ، وبذلك ضبطه اللسان (جذا) .

وجاء في (١٧/٤٤٧) من قول شُريح بن الحارث في عجز البيت الأول : (مروّته) بتسهيل الهمزة ، والأفصح (مروءته) كما في الاستيعاب (١/٣٢٩) .

وأما ما عثرنا عليه من أخطاء النحو فقد جاء البيت الثالث من شعر احمد بن أبي خيثمة (مقدمة ١٩) :

من يلقني يلقَ مرهوناً بصَبوته متيَّماً لا يُفكّ الدهرُ قيداه

وقد رُفع (الدهرُ) فاعلاً لـِ (يفك) ، فيجب أن يكون ما بعده مفعولا (قيديه) ، والصواب أن ينصب (الدهرَ) على الظرفية ، ويرفع (قيداه) على على أنه نائب فاعل لـ (يفك) المبني للمجهول .

وجاء في (٨/٤١) قول سليمان بن قتّة يرثي الحسين بن عليّ رحمه الله :

ألم تر أن الأرض أضحت مريضةً لفقد حسينٍ والبلادُ اقشعرّتِ

برفع (البلادُ) والصواب نصبها عطفاً على الأرض في الصدر .

وجا في (٩/١٧٩) عجز البيت الرابع من شعر يحيى بن الحكم بن أبي العاصي : (كانَّ على أثباجنا فلَقُ الصخر) والصواب (فِلقَ) بالنصب اسماً لكأن .

وجاء في (٦/٢٣٢) من قول زينب بنت العوام ترثي ابنها عبد الله بن حكيم :

وقد هدَّني قتل ابنُ عفان قبله وجادت عليه عبرتي بسُجوم

و (ابنُ) مرفوعة ، والصواب (ابنِ) على انه مضاف اليه .

وجاء في (٤/٢٣٣) من قول أبي دَهبل الجمحي يرثي عثمان بن عبد الله بن حكيم:

هو التاركُ المال النفيس حمية ولِلموتِ من بعد المعيشة أروحُ

والصواب (ولَلموتُ) بفتح اللام القسمية وضم التاء على انه مبتدأ و (أروح) الخبر.

وصواب البيت الأول : (سنانها كالشهاب ...) ، و (المسعل) في البيت الثاني بفتح الميم لا بكسرها ، ففي اللسان : « والمَسْعَل موضع السعال من الحلق ، وليس فيه (مِسْعَل) بكسر الميم لأنه آلة ، والمعنى على الموضع .

وجاء في (٩/٢٣٤) عجز البيت لأبي دَهبل الجمحي : (جلد القُوى مِرُّ المريره) بكسر ميم (مِرّ) والصواب بضمها .

وجاء في (٩/٢٧٧) لعبد الله بن أبي بكر الصديق قوله في مطلّقته المترجمة :

أراني وأهلي كالعُجول تروّحت الى بوّها قبل العِشار الروائمِ

بضم عين (العجول) فتصبح جمع عِجل بكسر العين ولد البقرة ، والصواب أنها بفتح العين وهي من النساء والإبل ـ كما في اللسان وغيره ـ الواله التي فقدت ولدها الثكلى لعَجلتها في جيئتها وذهابها جزعًا قالت الخنساء :

فما عَجول على بَوٍّ تطيف به لها حنينان إعلان وإسرارُ

وجاء في (٩/٣٢١) من الرجز : (فرُدَّ بعضَ القوم لو تخلَّفا) ، ولعل الصواب لاستقامة المعنى : « يَوَدُّ بعضُ القوم لو تخلَّفا) ، ومن النسخ ما هو مسخ .

وجاء في (١٣/٣٢٧) قول خالد بن المهاجر يلعن بني أمية وهو من الاحذّ المضمر من الكامل :

صبّ الإله عليكم عُصَبًا أبناء جيش الفتح أو بدرِ

ولعل أصل التعبير الشعري في الصدر كان (صبّ الإله عليكم غضبًا) على المجاز كما ورد في سورة الفجر : « فصب عليهم ربك سوط عذاب » ، وفي الأساس : وصبّ الله عليه صاعقة ، ومثلها : غضبًا ؟ .

وجاء في الصفحة عينها والسطر ١٨ لخالد بن المهاجر في قتلى مكة بعد أن نصب يزيد الحرب لابن الزبير :

فإن يُقتلوا بها ، وإن كنتُ مُحْرَمًا وجدِّك أشدُدْ فوق رأسي عمامتي

بضم الميم وفتح الراء من (مُحرَمًا) والصواب بكسر الراء يقال أحرمنا : أي دخلنا في الشهر الحرام أو البلد الحرام وهو كما قال الراعي :

وجاء في الصفحة (٤/٢١٧) من المنسرح (سِبنانُها كالشهاب في الظُّلُمه) ، وهو من خطأ النسخ أو الطبع ، ويستقيم الوزن مع التصحيح (سنانها ...) ، وجاء بعده :

يُمني بكتْني عليّ فلم تَخوّله بعد طعنتي كَلِمَهْ

ولم تجيء التفعيلة الأولى من المنسرح على (مفاعيلن) مثل (تخوّله) المضارع المجزوم بلم ، فالبيت مكسور على ذلك ومصحف .

وجاء في (٦/٢٣٠) رجز صفية بنت عبد المطلب في الزبير بن العوّام وهو صبيّ : (من قال لي أني أبغضه فقد كذبْ) وهو مكسور بزيادة (اني) .

وجاء من الرمل المحذوف في (١٢/٢٤٠) قول موسى شهوات في حمزة ابن عبد الله بن الزبير :

حمزة المبتاع بالمال الندى يَرى في بيعه أن قد غبنْ

وصحة الوزن : (ويرى في ...) .

وجاء في (١٤/٣٠١) قول كعب بن الأشرف في الحارث بن هشام :

نبّئت أن الحارث بن هشام في الناس يبني المكرمات ويجمعُ

وهو من الكامل ، والصدر مكسور لمجيء التفعيلة الثالثة منه على (فعلاتن) بدل متفاعلن .

ومن الأخطاء الشبيهة بالمطبعية التي نذكرها حبًّا بكمال طبع مثل هذا السفر الجليل ماجاء في (٣/٩) : (بن عمير بن بن أسامة) ، منها (بن) زائدة ، وجاء في (١٤/٢١) : (ثم ولدت له مارية بنت شمعون بن ابراهيم) والصواب حذف (بن) لأن مارية القبطية ولدت للرسول ﷺ ابراهيم .

وجاء في (١٠/٣٠٢) : «أما كنا نستبدل دار بداو ...» والصواب داراً بدار ، وهنالك نقط طارت اثناء الطبع قلّما نجا منها كتاب ، ولو كان لهذا السفر فهرس للخطأ والصواب لدنا من الكمال ، والكمال معجز ، وهو مالايدفع المنصف عن الاعتراف بفضل الناشر واحسانه للعلم والأدب ، وخزائن كتب العرب .

التنوخي

وجاء في الصفحة عينها والسطر التاسع قول أبي دهبل لعبد الله بن عثمان .

قضت وطراً من أهل مكة ناقتي سوى أملي في الماجدِ بنِ حزامُ

والصواب (حزامِ) مضافاً اليه .

وجاء في (٢٥٥/١٠) من قول قتيلة بنت النضر ترثي أباها :

مني اليـه وعَبرةً مسفوحةً جادت لمانحُها وأخرى تخنقُ

والصواب (لمانحِها) .

وجاء في (٣١٧/١٧) قول ابن الزبعرى يمدح بحيراً بن أبي ربيعة ذي الرمحين :

بحير بن ذي الرمحين قرّب مجلسي يروح علينا فضلهُ غيرُ عاتمِ

والصواب (غيرَ) بالنصب على الحال .

وجاء في (٣٦٤/١٣) قول زيد بن عمرو بن نفيل :

عذتُ بمـا عاذ به ابراهمُ مستقبلُ الكعبة وهو قائمُ

والصواب (مستقبل) بالنصب على الحال أيضاً .

ومن أخطاء العروض ما جاء في (١٥٥/١١) في قول يزيد لأم هاشم وقد تزوج عليها :

مالكِ أمَّ هاشم تبكِين من قدرٍ حلَّ بكم تضجّين

وصحة الوزن على (تبكّين) بتشديد الكاف ، وجاء البيت الخامس من هذا الرجز : (زارتك في يثرب في حواريّين) ، وهو مكسور صوابه العروضي على رواية الأغاني (٨٥/١٦) هو (... في حوارين) ، على أن الرواية الأولى أصح .

وجاء في (٢١٦/٧) قول عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود على المتقارب :

أمن أم طلحة طيف ألمّ ونحن بالأجزاع من ذي سلم

والصواب وصل همزة (الأجزاع) للوزن ، وجاء عجز البيت الثالث :

هي الركن ركن النساء اذا خرجت مشهداً يستلم

مكسوراً ويصح وزنه ، ولعله الأصل ، اذا قلنا : (خرجن الى مشهد يستلم) ، والله أعلم .

وأما الجزء الثاني ففي عهد السيرة المدني ، وفي كل فصل من فصوله الستة مباحث أولها (فصل) في أدوار وسير انتشار الدعوة وفيه مباحث ، منها انتشار الدعوة في منطقة مكة وما وراءها ، وفي منطقة المدينة ، وصور متنوعة للمسلمين في العهد المدني ، وفي مباحث الفصل الثاني : اليهود ومواقفهم ودسائسهم ، وفي وفي مباحث الثالث : مواقف النصارى من الدعوة النبوية ، وحجاجهم فيهما ، وما ورد في شأنهم وشأنها ، وفي فصل المنافقين مباحث في صفاتهم وأحوالهم ، ومواقفهم الكيدية والساخرة والتآمرية ، ومواقفهم من الجهاد ووقائعه ، وفي الفصل الذي عقده في الجهاد بحثان : (١) الدعوة الى الجهاد بالمال والنفس ومواقف المسلمين منها . (٢) في وقائع الجهاد وسيرها ونتائجها .

وختم الفصول بالتشريع القرآني وصلته بالسيرة النبوية ، ومباحثه في أنواع التشريع ، فمنها التعبدي ، والسياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والتشريع العائلي والآداب البيتية .

هذه كلمات في الأمهات من فصول الكتاب ومباحثه التي بلغت (٧٢٠) صفحة ، وهذه المباحث المهمة في التشريع الاسلامي هي من الفوائد الزوائد على ما كتب في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام . وطريقة المؤلف في سيرة الرسول أنه يكتب في صدر كل بحث ـ بالحرف الدقيق ـ عناوين ما اشتمل عليه البحث ، ومثاله من مقدمة المؤلف ما نصه : « الباعث على كتابة الكتاب ، إمكان كتابة فصوله في نطاق القرآن ، كتب السيرة القديمة ، كتب السيرة في العهود المتوسطة ، كتب السيرة الحديثة ، سداد وفائدة وطرافة السيرة في نطاق القرآن ، فصول الكتاب واتساقها ، اعتراف المؤلف بالعجز عن الاحاطة ، اعتذار عن كثرة الآيات وتبرير لها ، الروايات في الكتاب » ويأتي بعد هذه الكلمات الدقيقة البدء بمسائلها ، ويستشهد بكل ما ورد في الذكر الحكيم على كل مسألة أو دعوى أو مطلب ، لأنه الغرض من التأليف ، والباعث عليه ، ويعدّ الآيات بالأرقام ، ويذكر اسم السورة معها .

سيرة الرسول

صور مقتبسة من القرآن الكريم ، وتحليلات ودراسات قرآنية

مؤلفها : محمد عزة دروزة

امتازت هذه السيرة النبوية على غيرها من كتب السير القديمة والحديثة ، بكونها أخذت من آيات القرآن الكريم وسوره وفسرت بها ، وقد ألفها الأستاذ الجليل (دروزة) في جزأين ، يبلغ الأول منهما (٣٢٠) صفحة ، والثاني (٤٠٠) صفحة ، وركب كل جزء منهما من ستة فصول ، ورتب كل فصل منهـا على عدة مباحث ، وقسم كل مبحث الى مسائل (أو مقالات) معدودة بالأرقام عدا تمهيدين في مقدمة الجزأين .

وهذه الفصول الاثنا عشر هي : التنويه بأخذ السيرة من القرآن ، شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ، العهد المكي ، مواقف العرب غير الكتابيين من الدعوة في هذا العهد ، مواقف العرب الكتابيين منها فيه ؛ العهد المدني ، سير انتشار الدعوة بين العرب في هذا العهد ، اليهود ومواقفهم فيه ، النصارى أيضاً ، المنافقون في عهد النبوة ، الجهاد في هذا العهد ، وختام هذه الفصول في التشريع القرآني .

وهذه مباحث الجزء الأول : (فصل في شخصية النبي عليه السلام) : عروبة النبي ﷺ ومكيته وقرشيته ، شخصيته ونشأته وسيرته قبل البعثة ، أخلاقه وفضائله ، حياة النبي الزوجية والبيتية ، صور لسلوك المسلمين معه ، الوحي وأولياته .

(عهد السيرة النبوية المكي) : دور الخطوات الأولى ، موقف زعماء مكة من النبي ، مشاهد وصور متنوعة بين النبي والزعماء ، مشاهد التحدي ، محنة الأذى والفتنة ومشاهدها ونتائجها ، الأزمات النفسية النبوية ، صور متنوعة للمسلمين في العهد المكي ، فصل في موقف العرب الكتابيين في العهد المكي .

تقريره . قال : «على أننا توخينا في هذا أيضاً ما توخيناه في الكتاب السابق أي عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ، وقد طبع في دمشق الشام) من تجديد الصلة بين القرآن وبين ناشئتنا ـ تلك الصلة التي تكاد تكون مبتوتة ـ لا سيما أن هذا الكتاب مجموعة دراسات وتحليلات قرآنية ، من شأنها أن تساعد الناشئة العزيزة على تذوق القرآن وفهم دلالته وملهماته ، وقراءته وظروف نزوله ومراميه المعاصرة والخالدة» .

أقول : هذا حق فنوجه الى هذا الكتاب النفيس أنظار الجامعة السورية ، بل الجامعات ومدارس التجهيز أيضاً ، في العالم العربي كله ، فقد كتب بلغة العصر ، ورسمت فيه الآيات الكريمة على نحو ما في المصحف العثماني مشكولة شكلاً تاماً ، وفسرت بالظاهر المتبادر منها ، ولخصت مباحثه أحسن تلخيص ، وقد اجاب المؤلف عما يقوله في عهدنا هذا بعض الأجانب من أن اليهود في المدينة لم يعطوا حريتهم الدينية والاقتصادية ، بل أجلوا عنها ، وتجد جوابه السديد (ج ٢ ص ١١٣ وما بعدها) ، وقال في مباحث الجهاد بالنفس والمال : « وأطلق تعبير الجهاد على الجهاد البدني والمالي معاً ، بل قدم الثاني بالذكر في كل موضع ذكر فيه الاثنان تنهويهاً بخطورته» الخ ... قلت : إلا آية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» التوبة الآية : ١١٠ فقد قدمت فيها الأنفس على الأموال .

هذا وليس من غرض الأستاذ أن يفسر الآيات القرآنية في الرسول العربي بكتب العهدين ، وإن وصف فيهما كقوله تعالى « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل» (الآيتان ١٥٧ و ١٥٨ من الأعراف) وقد بيّنا ذلك مفصلاً [1] .

وقد عدّ الأستاذ (في ج ١ ص ٩٨ و ٩٩) : ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى) الآية ١١١ من الأنعام ، «ولو أن قرآناً سيرت به الجبال»

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢٨/٤٠٤ ـ ٤١٩) .

وقد بذل المؤلف جهده أثابه الله تعالى في استقصاء ما في القرآن الكريم من آيات مكية ومدنية ، متصلة بالسيرة النبوية ، وصنفها في مجموعات متناسبة ، يقول هذا في معرض تعيين أدوار السيرة من القرآن . ويرى أن القرآن جميعه يمثل هذه السيرة ، وليس فيه آية الا وهي تشير الى دور أو موقف من أدوار ومواقف النبي ﷺ فيما بلغه عن ربه من وعد ووعيد ، وأمر ونهي ، وتعليم وتشريع ، وتأديب وأمثال وقصص ، ودعوة وجهاد ، وجدال وحجاج ... » الخ ...

ويمكن القول بأن سيرة الرسول بأجمعها هي التي تمثل القرآن أو تمتثل أمره ، ولم يكن جهاده وجداله وحجاجه إلا بعد نزول الأوامر الإلهية في ذلك ، وهكذا التعليم والتشريع ، والترغيب والترهيب ، وقد قالت أم المؤمنين عائشة في وصفه : « كان خلقه القرآن » فهو ﷺ يمثل في هديه القرآن الكريم أصدق تمثيل ، واذا عمل باجتهاده في أمر قبل نزول الوحي عليه جاء الوحي مصدقاً له ، أو معاتباً في ما كان خلاف الأولى .

والأستاذ (دروزة) لم يبخس كتب السيرة حقها ، بل ذكر محاسنها ومزاياها ، لكنه رأى فيها اختلاف الأقوال واضطراب الروايات ، فجاء بما لا يحتمل الجدل من كتاب « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » وكتب فصولاً خالية من الأسماء والأعلام والأرقام والتواريخ ، لتكون خطوطاً عامة ـ وهي الجوهر الباقي ـ أصدق وأوثق وأقوى من الوجهة المذكورة كما قال . واذا اختلفت الأقوال في ترتيب التنزيل ، وفي العهدين المكي والمدني ، رجّح بعضها على بعض بمرجحات قامت عنده ، كالزمان والمكان ، وسياق الآيات وسباقها ، واستعان بأسلوبها أيضاً .

وقد اعتذر عن كثرة ما أورده من الآيات في الموضوع الواحد ، بأن القرآن هو سند الكتاب (أي مصدره الوحيد) ولا حاجة الى الاعتذار عن الاكثار منها ، ما دام يجيب عنها بأنها تحتوي بعض الفروق التي تحمل دلالات ومعاني فيها بعض التفاوت ، مما يكون في إثباته تقوية للدلالة أو المعنى المراد

آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ٢٦ حزيران سنة ١٩٥٤ برئاسة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ستة أعضاء مراسلين وهم السادة :

١ — الدكتور قسطنطين زريق .	لبنان .
٢ — الأستاذ قدري حافظ طوقان .	فلسطين .
٣ — الاستاذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي .	الجزائر .
٤ — الدكتور كارل اشتولز .	النمسا .
٥ — الدكتور يوسف شخت .	هولاندة .
٦ — الدكتور رجيس بلاشير .	فرنسا .

وقد صدرت بإقرار انتخابهم وتعيينهم ستة مراسيم جمهورية أرقامها من ١٨٨٤ الى ١٨٨٩ بتاريخ ١٤ ايلول سنة ١٩٥٤ .

(٣١ من سورة الرعد) من الأسلوب اللين خطاباً للمعتدلين ، ونرى أنها خطاب قوي موجه للمصرّين المستكبرين .

وكتب في ذيل (ص ٤٦٥) عند قوله تعالى « وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ، وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » : من أمهات متعددة وأب واحد ، وهو سبق قلم بلا شك ، وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم ، أي الإخوة للأم الواحدة .

ونختم هذه الكلمة بما أشار اليه المؤلف الكريم من كتب السير التي وضعت في عصور الانحطاط ، وما حشيت به من الضعاف والموضوعات ، حتى خرجت بها « من صفة الكتاب التاريخي الى صفة الكتاب التعبدي » وما استمد من قصص المولد الشريف التي تتلى في الحفلات لمقاصد تعبدية وتبركية[1] » . أقول : للأستاذ المؤلف أن ينكر هذه المظاهر اللاهية ، والآثار الواهية ، التي اعتاد الناس روايتها وسماعها في مثل هذه المواسم والمراسم ، وإن الأخبار التي تخالف العقل والنقل الصحيحين يخشى من ضررها في عقائد المتعلمين أضعاف ما يرجى من نفعها عند بعض العوام ، دع ما ورد فيها من الوعيد الشديد ، وإن في هذه القصص التي تتلى في المحافل الكبرى من غرائب النقول ما يصرف أذهان المستمعين عن حياة الرسول (ﷺ) إلى تصورات خيالية لا أثر لها في عالم الحس والحقيقة .

فجدير بالعلماء العاملين والحكام العادلين أن يجعلوا درس السيرة النبوية في هذه المجتمعات العامة ، شذرات من لبابها ، ملائمة لروح المجتمعين ، مغذّية لعقولهم ، باعثةً على حسن الاستماع والاتباع .

وإنا لنشكر العلامة (دروزة) على هذا النوع الفريد من السيرة الذي أخرجه للناس ، ونسأله سبحانه له مزيد العناية وأن يبارك في عمره وعمله .

محمد بهجة البيطار

(١) انظر الفصل الثاني الذي عقده في شخصية النبي ﷺ (ص ٢٣) .

الرثية الحادة : Acute arthritis

قلت هي التهاب المفصل الحاد والرثية ترجمة (روماتيزم) وليس كل التهاب مفصل رثية ٠

كُلاء سَدَوى حاد : Acute interstitial nephritis

قلت ان وزن فُعال من « كلي يكلى اذا أُصيبت كليته وآلمت » حسن لأن وزن فعال يدل على المرض غير أننا نفضل أن يحتفظ بهذه الكلمة للدلالة على ألم الكلمة (néphralgie) وان نترجم كلمة (nephritis) بالتهاب الكلية ولنعد الآن الى سدوي من السَدَاة أو السَدَى ترجمة (chaine) الفرنسية وهي خلاف اللُحمة (trame) ان هذا المصطلح لا يوافق معنى (interstice) ومعناه الفاصل أو الخلاء بين شيئين والخِلال أصح جاء في المعاجم « خلال الديار ما بين بيوتها » يستنتج مما تقدم أن الترجمة الفضلى هي « التهاب الكلية الخِلالي الحاد » ٠

برانية الأوعية : adventitia

قلت لا حاجة الى برانية ما زال الغِمْد يفيد المعنى جاء في المعاجم « غِمد السيف أو غُمْدانه غِلافه » وما (الادفنتيس) سوى غلاف العروق ٠

بول زلالي : albuminuria

ان ترجمة البومين بزلال خطأ فالماء الزلال هو الماء العذب الصافي وأما الالبومين فهو آلاح أو بياض البيضة ثم ان بول هو ترجمة (urine) ونفضل استعمال الاسم (بيلة) فنقول (بيلة آحية) ٠

القُلاء : alkalosis

ان ما ذكرته في حُماض يصح ذكره هنا فيفضل اشتقاق فعل جديد من القِلي وهو شيء يتخذ من حريق الحامض (القاموس) فيقال في (alcaliniser)

ملاحظات على مصطلحات طبية

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية في جزئها السابع مصطلحات في علم الأمراض وطلبت إبداء الرأي فيها وقد سألني معالي رصيفنا العلامة الأمير مصطفى الشهابي أن أقوم بهذا العمل فلبيت الطلب وكتبت هذا المقال مبيناً رأيي في بعض من تلك المصطلحات ٠

إجهاض : Abortion

قلت جاء في المعاجم «أجهضت الناقة ألقت ولدها وقت نبت وبره فهي مجهِض ، والمِجهاض هي الناقة التي من عادتها إلقاء الولد لغير تمام» ٠ وجاء فيها أيضاً «سقط الولد من بطن أمه خرج وأسقطت الأم ولدها وضعته لغير تمام ٠

يتبين مما تقدم أن الاسقاط خاص بالنساء والاجهاض بالحيوانات واذا جاز استعمال الاجهاض في المرأة توسعاً لشيوع هذه الكلمة كان علينا أن نقدم الاسقاط عليها فنقول في الترجمة (إسقاط ، إجهاض) ٠

الحموضة : Acidtiy

قلت يجب حذف التعريف وهذا ما يقال في جميع المصطلحات المعرفة ٠

الحُماض : Acidosis

قلت ان استعمال وزن فُعَال للدلالة على حموضة الدم لا يفي بالمعنى المراد واشتقاق فعل جديد أفضل وهو "تحَمْضَنَ" ومصدره "تحَمْضُن" ويستحسن إضافته الى الدم ليستقيم المعنى فنقول («تحَمْضُن» الدم» (واذ لم نرغب في اشتقاق فعل جديد فلنقل (احمضاض الدم) ٠

التهاب شرياني حاد : Acute artiritis

والأصح التهاب الشريان الحاد ٠

جاء في المعاجم « مصراع الباب أحد غلقيه وهما مصراعان الى اليمين واليسار »
وأما الصمام فهو السداد فقد جاء صمام القارورة سدادها فلنقل « مصراع الوتين » •

روماتزم مفصلي : articular rheumatism

قلت هي رثية مفصلية كما ذكرت آنفاً •

رثية : arthritis

قلت هي التهاب المفصل •

جرثمة الدم ، بكتريميا : bacteraemia

قلت ان استعمال مصدر من الفعل اللازم أصح لأن الدم يتجرثم بدخول الجراثيم فيه فلنقل تجرثم الدم ولا حاجة الى التعريب •

دويمات عظيمة : bone trabecula

قلت ان دويممة تصغير داعمة موافقة للمعنى • والجائز ج • اجوزة وهو الخشبة المعترضة بين الحائطين تفي بالمراد أيضاً وهي أخف لفظاً فلنقل أجوزة العظم أو دويعماته •

متابولسم الكلسيوم : metabolism calcium

قلت لا حاجة الى التعريب ، فان كلمة تصرف أو تطور تفي بالمعنى المراد من متابولسم •

عظم اسفنجي — المشاش : Cancellous bone

قلت ان ترجمتها بعظم اسفنجي هو الصحيح وأما المشاش ج مشاشة فهي ترجمة (épiphyse) والمشاش وان تكن عظماً اسفنجياً ببنائها فليست وحدها اسفنجية بل ان معظم العظام القصيرة هي اسفنجية أيضاً فلتحذف كلمة المشاش وليكتف (بعظم اسفنجي) •

تنكرز جبني — نخر جبني : Caseous necrosis

قلت ان الاكتفاء بنخر جبني أفضل •

قَلْوَنَ وفي (alcalinisation) قَلْوَنة وفي (alcalose) الفرنسية أو (alkalosis) الانكليزية « تَقَلْوُنُ الدمِ » ولا يخفى أن هذه الكلمات جميعها عربية الأصل ·

السلى : amnion

قلت ان السلى ترجمة (delivre) أو (arrière faux) الفرنسيتين أو (secundines) الانكليزية وأما الامنيوس فهو السابياء كما أن الحُوَلاء هي (poche des eaux) والصاءة هي le liquide amniotique de la poche des eaux) والسُخد هو (placenta) والمشيمة هي (chorion) والنُخط هو (le liquide amniotique) ·

انيمية ، فقر الدم : anaemia

قلت نحن في غنى عن التعريب فلنكتف بفقر الدم ·

تفمم الأوعية الدموية : anastomosis of blood vassels

قلت ان اشتقاق هذا المصدر من فم لا حاجة اليه لأن الفَغْم هو الفم والمفاغمة هي أن يقبل الشخصان كل منهما الآخر بأن يضع فمه على فم رفيقه وهذا ما يصنع في مفاغمة العروق أو الأمعاء فلنقل « مفاغمة العروق الدموية » ·

انيمية الانكلستوما : Ankylostoma aneamia

قلت ان فقر الدم خير من التعريب كما ذكر آنفاً والانكلستوما هي اللَقواء أو الجَلَنْقوة الفم ولا حاجة الى تعريب الكلمة ·

الأورطى ، الوتين : Aorta

قلت فليكتفَ بالوتين ، ومثلها في قوس الوتين التي تليها ·

صمام الاورطى ، صمام الوتين : aorta valva

قلت ان معنى كلمة (valva) اللاتينية (battant de porte) أي المصراع

فلنطلق كلمة (فَسْخ) على (dislocation) جاء في المعاجم « فَسَخَ العودَ : أزاله عن موضعه وكذا المفصل عن موضعه وفسخَ يدَه فك مفصلها من غير كسر » .

التصلب المنتشر : disseminated sclerosis

قلت أما وقد ترجمنا كلمة (diffuse) بمنتشر فلنضع كلمة أخرى لـ (disséminé) فان اللغة العربية غنية بالمترادفات ولنقل (تصلب منثر) .

تشنج حملي — اكلبسية : eclampsia

قلت ان الاكلبسية ليست خاصة بالحوامل بل ان الأطفال تعتريهم اختلاجات لا يختلف مظهرها عن اكلبسية الحمل ويحسن بنا أن نختار كلمة للدلالة على هذا النوع من الاختلاجات التي تصيب الحوامل والأطفال على السواء وكلمة « إرجاج » توافق كل الموافقة المعنى المراد .

داء الفيل : elephantiasis

قلت ان تسمية هذا المرض بداء الفيل غير صحيحة فقد يتبادر منها الى الذهن أنه داء يصيب الفيلة مع أن الأمر خلاف ذلك كما لا يخفى فهو مرض يصيب الانسان فيضخم طرفاه السفليان ضخامة شديدة حتى انهما يشبهان ساقي الفيل ولو ان هذه التسمية تصح لكان سبقنا اليها أطباء العرب الأقدمون فسموا الكَلَب مع انه داء يصيب الكَلْب « داء الكَلْب » جرياً على خطة السلف اقترح زميلنا الأستاذ صلاح الدين مسعود الكواكبي تسمية هذا الداء بالـ « فَيَل » وقد وافقنا عليها وأثبتناها في معجمنا الماثل للطبع .

التهاب الدماغ السباتي : encephalitis lethargica

قلت ان السبات هو النوم أو خفته أو ابتداؤه كما ذكرت آنفاً ولا يصح في ترجمة (léthargie) وهي حالة موت ظاهر لشدتها بل يحسن اختيار كلمة (نُوَام) فيقال (التهاب الدماغ النُوَامي) ولا يخفى أن من مترادفات مرض النوم الافريقي أو (النُوَام) باللغة الفرنسية (léthargie d'Afrique) .

الخلوروز : Chlorosis

قلت ان معنى كلمة خلوروز المخضر وهو مرض يتقع به لون الجلد فلنسمه الخَضَر من خَضِرَ الشيء خَضَراً صار أخضر وهذه اللفظة العربية الخفيفة تغني عن الكلمة الأعجمية الثقيلة ولنقل في (clorotique) الخَضُور أي ذو الخضرة أو اللون الأخضر [1] .

القوقعة : Cochlea

قلت وهي الحلزون (limaçon) .

سبات السكر : diabetic coma

قلت السبات هو النوم وقيل خفته وقيل ابتداؤه وأصله الراحة ومنه في القرآن الكريم « وجعلنا نومكم سباتا » و (coma) حالة تتصف بزوال الوظائف النفسانية وبقاء الدوران والتنفس فهي حالة نوم شديد، فسبات لا يصلح لترجمة (coma) .

والتسبيخ والسَّبْخ هو النوم الثقيل الشديد فلنقل (تسبيخ سكري) وليس سبات السكر .

التهاب كلوي تقيحي : diffus suppurative nephritis

قلت ان كلمة (diffuse) لم تترجم كما ان المترجم عدل عن "كلاء" هنا الى التهاب الكلية وهذا ما ذكرناه آنفاً فلنقل التهاب الكلية المنتشر المتقيح .

خلع : dislocation

قلت لا ينكر ان (dislocation) و (luxation) مترادفان وان كلمة خلع تصلح للدلالة على الأولى والثانية معاً غير أن أمامنا كلمتين أجنبيتين ويحسن بنا أن نضع لكل منهما كلمة خاصة بها وقد شاع اطلاق كلمة خلع على (luxation)

---

(١) والخلوروز في النبات هو اليرقان والارقان وهو داء يصيبه لكثرة الكلس (الجير) في التراب أو لفرط الرطوبة فيه ، فيصفر النبات ويسمى ميروقا ومأروقا (المخصص ، التاج ، اللسان ، معجم الألفاظ الزراعية) .

(angiome simple) والثاني متكهف (caverneux) متصف بانتعاظه فيحسن بنا أن نسمي (angiome) بالورم الوعائي وأن نطلق على (hémangiome) الورم الوعائي المتكهف تمييزاً له من النوع الأول ·

بول دموي : haematuria

قلت هي « بيلة دموية » كما ذكر آنفاً ·

ارتفاع ضغط الدم — التبيغ : high blood pressure

قلت باغ الدم وتبيغ ثار وهاج فالتبيغ ترجمة (hyperémie) ويجب حذف هذه الكلمة والاكتفاء بارتفاع ضغط الدم ·

السدفسة : hilum

قلت ان (hilum) اللاتينية أو (hile) الفرنسية هي نقرة صغيرة في البزرة يتم بها اتصال البزرة بأغشية الثمرة وهي في جسد الانسان مدخل الأوعية الدموية في كل عضو من أعضائه فلا يختلف معناها في النبات والانسان · والسدفة لغةً « سترة تكون على الباب تقيه من المطر واخ » · ولا تفيد المعنى المراد من (hile) بيد أن النَقير هي الترجمة الصحيحة فقد جاء (النقير النكتة في ظهر النواة) ·

استسقاء دماغي : hydrocephalus

قلت ان معنى الكلمة اليونانية (ماء ورأس) لا ماء ودماغ فلنكن أمناء في الترجمة والنقل فضلاً عن أن الرأس هو المستسقي وليس الدماغ ·

فرط الدُرَاقية : hyperthiroidism

قلت ان استعمال دُرَاق للدلالة على حالة مرضية في الدرق جائز وحسن كما يقال قُلاب في داء للقلب وكُباد في ألم الكبد · ويعني هذا الوزن الاطلاق ولا يفيد التخصيص فلفظة كُباد مثلاً تعني ألم الكبد سواء أنجم هذا الألم عن خراج أو رمل أو سرطان أو غير ذلك واذا قلنا دراق تبادرت إلى ذهننا

رهابة الغضروف الحنجري : ensiform cartilage

قلت الغضروف الحنجري خطأ مطبعي وهي الخنجري نسبة الى الخنجر واذا شئنا ترجمة صحيحة لمعنى الكلمة الأعجمية قلنا « السيفي » لأن الكلمة اللاتينية مركبة من « (ensis) ومعناها السيف ومن (forme) ومعناها الشكل ·

المنطقة الشراسيفية : épigastric région

قلت ان ترجمة (region) بناحية أو رجا أصح لأن المِنْطقة أو المِنْطق لا تفيد معنى الناحية ثم ان النسبة الى المفرد أفضل فلينسب الى شرسوف وليس الى شراسيف ولنقل (الناحية الشرسوفية) ·

نكروز دهني : fat necrosis

قلت نخر دهني كما ذكرنا آنفاً فلماذا التعريب ·

بول سكري : glycosuria

قلت الصحيح بيلة سكرية كما ذكر آنفاً ·

الجوتر goitre

قلت هي السلعة جاء في المعاجم « السلعة الضواة وهي كالغدة في البدن وقيل خراج في العنق أو غدة فيه أو زيادة في البدن كالغدة تمور بين الجلد واللحم اذا ضغطت وتكون من قدر حمصة الى بطيخة تقول ما هذه سلعة انما هي سلعة أي غدة دائصة » ·

رثية سيلانية : gonorrheal arthritis

قلت هي التهاب المفصل السيلاني كما ذكر آنفاً ·

ورم وعائي دموي : haemangioma

قلت ان (angiome) أي الورم الوعائي و (hémangiome) كلمتان مترادفتان باللغة الفرنسية ويصح إطلاق الورم الوعائي على كل منهما · ولا يخفى أن لهذا الورم نوعين يمتاز أحدهما عن الآخر ببنائه فالأول بسيط

جوانية الأوعية : Intima

قلت هي البطانة .

شحمية الدم : Lepaemia

قلت والأفضل تَشَحّمُنُ الدم .

شحمة الأذن : Lobe of ear

قلت ان الترجمة صحيحة ولكننا نفضل استعمال كلمة مرادفة لشحمة لئلا يتبادر الى الذهن أنها شحمة حقيقية وكلمة (حَنَجَّة) هي المختارة .

جيب الخشاء : Mastoid antrum

قلت ان الجيب ترجمة (poche) أو (pocket) أو (pouch) الانكليزيتين ولا يصلح لترجمة (antrum) فجيب الأرض مدخلها وجيب القميص ونحوه طوقه والخ . بيد أن الغار هو الكلمة الموافقة فالغار الكهف وقيل كالبيت في الجبل وقيل ما ينحت في الجبل شبه المغارة فاذا اتسع قيل كهف .

الشلل الطرفي : Monoplégia

قلت هو شلل طرف (أي طرف واحد) .

تنكرز مومي ، نخر مومي : Mummification necrosis

قلت ان حذف تنكرز واجب كما ذكرنا آنفاً ثم إن المومي أو المَوما والموماة هي المفارة الواسعة الملساء وقيل الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس وأما اذا أردنا النسبة الى موميا فلنقل مومياني أو مومياوي دفعاً للالتباس هذا اذا لم نستعمل كلمة تحنيط العربية مكان الموميا اليونانية .

الفساد الكلوي : Néphrosis

قلت ليس (النفروز) فساداً في الكلية بل داء متصفاً بآفات استحالة في نسيجها بدون حالة التهابية فيه وترجمتها الصحيحة «حؤول كلوي» .

عَصَبَة Neurone

قلت ان عصبة هي واحدة العصب فهي ترجمة (Nerf) وأما (النورون) فهي عنصر عصبي مؤلف من خلية عصبية واستطالات متصلة باستطالات الخلايا

الحالات المرضية التي تطرأ على الغدة الدرقية إجمالاً فاذا شئنا التخصيص وهو ضروري في كل علم وفي الطب بالخاصة كان علينا ألا نستعمل هذا الوزن مكتفين به والا اضطرب المعنى ثم ان زيادة الياء المصدرية لا تزيد المعنى ايضاحاً وتخصيصاً . ولست أظن أن طبيباً يستطيع أن يفهم من كلمة (دراقية) أنها تعني الافراز الدرقي لكي يستنتج منها اذا تقدمتها كلمة (فرط) أو (نقص) أنها تعني فرط الافراز أو نقصه فعلينا أن نوضح المعنى المراد فنقول (فرط إفراز الدرق) في (hyperthyroidism)ونقص افرازالدرق في(hypothyroidism) .

الورم الكلوي : hypernephroma

قلت ان هذا الورم ليس كلوياً وترجمته بالورم الكلوي خطأ علمي . فان الورم يقع في المحفظة فوق الكلية أو ما سميناه (الكظر) فالترجمة الصحيحة هي (ورم كُظْري) .

شلل الطفولة : Infantile paralysis

قلت ان شلل الطفولة ترجمة (paralysie de l'enfance) والطفولة لا تُشَلّ بل الطفل ويستقيم المعنى اذا قلنا (شلل طفلي) .

العدوى Infection

قلت ان العدوى ترجمة (contagion) ويجوز أن تترجم كلمة (Infection) بعدوى أيضاً في قولنا عدوى بالهواء (Infection par l'air) وعدوى بالأغبرة (Infection par les poussières) غير أن المراد عادة من كلمة (Infection) هو انسمام البدن بالجراثيم أو الذيفانات التي تدخله واستعمال العدوى في هذه الحالة لا يوافق المعنى المراد فعلينا أن نستعمل كلمتين في ترجمة (Infection) للدلالة على معنييها (عدوى) او (خمج) فقد جاء «خَمِجَ خَمَجاً فتر من مرض أو تعب فهو خَمِج أو خَميْج والأول أعرف .

الاذن الداخلة : Internal ear

وأظنها الداخلية أو الباطنة .

ملاحظات على ديوان علي بن الجهم المطبوع

١ — جاء في «ص ٤» من المقدّمة أن أخا علي بن الجهم الأكبر هو محمد بن الجهم وكان عالماً أديباً يذكره الجاحظ كثيراً في كتبه ويروي عنه ويستشهد بكلامه وكان مقرباً عند المأمون ولاّه عدة ولايات في بلاد فارس . وأحلتم في ذلك على الأغاني «١٣ : ١٥» طبعة ساسي .

والذي نعلمه أن محمد بن الجهم الذي يذكره الجاحظ هو «محمد بن الجهم البرمكي» لا أخو علي بن الجهم ، أما أخوه ولعله «عبد الله» الذي ذكرتموه فلم يعرف اسمه الخطيب ، لأنه قال «ج ١٤ ص ٤٣٠» :

«أخو علي بن الجهم بن بدر السامي الشاعر، لم أعرف من أمره إلا ما أنا ذاكره : أنشدنا الحسن بن عليّ الجوهري قال أنشدنا اسماعيل بن محمد بن زنجي الكاتب قال أنشدني أخو علي بن الجهم :

كريم له نفس تثير بلينها ليرفع عن سلطانها سنن الكبر

إذا نازعته نفسه عظم قدره دعاه الى تسكينها عظم القدر» .

وكيف يصح أن يكون «محمد بن الجهم» أخا علي بن الجهم وهو فيلسوف مصحفه كتب أرسطاليس كما نقلتم في «ص ٦» من المقدمة ، مع أنّ علي بن الجهم سلفي متحنبل مشهور الديانة ؟ ولا يكون مثل هذا بين أخوين نشأا في بيئة واحدة وبيت واحد إلا شاذاً .

على أن الخبر الطريف الذي نقلتموه في «ص ٨» و«ص ١٣٠» هل فيه تصريح بأن اسم أخي علي هو «محمد» ؟(أ) وإلا فقد ذكرنا أن الخطيب ذكر له أخاً شاعراً لم يعرف اسمه ؟

(أ) نعم في الخبر تصريح بأن اسم اخي علي «محمد» ولعيد هنا نقل الخبر كما ورد في ربيع الأبرار للزمخشري ج٤ ص١٨٧ المخطوط المحفوظ في دار الكتب الظاهرية —

العصبية الأخرى . فليست النورون والحالة هذه عصباً عادياً بل مجموعة مؤلفة من استطالات أعصاب عديدة وقد سميناها (جامعة عصبية) .

تعادل التوكسين : neutralisation of toxin

قلت هو التعديل من عدّل وليس التعادل من عادل لأن المقصود هو جعل التوكسين متعادلاً وأما التوكسين فلست أرى ضرورة الى تعريبها فان الذيفان أو السّمين يفيد معناها فلنقل « تعديل الذيفان » .

وعاء غاذي : neutrient vessel

وصحيحه وعاء غاذٍ أو مغذٍّ .

تكيس الكلوة القيحي : pyonephrosis

وهو بالأحرى « استسقاء الكلية المتقيح » .

الكساح : rickets

ليس (الريكاتز) كساحاً فالكساحة هي الزمانة في اليدين والرجلين وأكثر ما يستعمل في الرجلين وهي الترجمة الفضلى لـ (paraplégie) وأما الراخيتس فهو الخَرَع فقد جاء « خرُع الرجل لانت مفاصله واسترخى . وخَرِع : استرخى وضعف ولان » . ففي هذا الفعل ما يدل على الاسترخاء والضعف والليان كما يحدث للمخروع .

الاسقربوط : scurvy

قلت لماذا التعريب جاء في مادة حفر حَفَرَ فمُهُ حَفَراً وحُفِر بالبناء للمجهول ، فسدت أصول أسنانه من الحَفَر وهو سلاق في أصولها « فالحَفَر » حسن في ترجمة الاسقربوط وقد سبقنا الأتراك الى تسميته « بداء الحَفَر » . ونحن نفضل الحَفَر لكونه كلمة واحدة .

عقدة سمبثاوية : sympathetic ganglion

قلت هي عقدة ودية ولا حاجة الى التعريب فاللفظة العربية ألطف على السمع من الأجنبية .

الدكتور مرشد خاطر

فالتفسير الذي ذكرتموه لا يحتمله قول الشاعر ، وتفسيره بالإذالة عموماً يضادُّ المعنى المراد ، فلذلك استرجحتُ « الاذالة » وقد نبهتم في « ص ١١ » على أن ناسخ الديوان كثيراً ما يهمل نقطة الذال .

٤ — وجاء في — ص ٦ — قول الشاعر :

أعاذل ما أعزَّكِ بي اذا ما أتاح الليلُ وحشي الكلام !

وقلتم في الحاشية « في الأصل : ما أغرّك .. وما ذهبنا اليه أرجح وللشاعر نفسه مثل هذا التركيب ... » .

وعندي أن الأصل هو الصحيح المليح ، وهو الذي يقتضيه المقام فانه يتعجب من غرور عاذلته على قول الشعر لأنها مغرورة في أمره ، ولا موضع للعزّ ولا كان العذل للعز ولا العاذل عزيزاً بمذوله حيناً من الأحيان . ولا وُجد هذا المعنى الذي تريدونه في سيرة اجتماعية ، أما أن يكون « للشاعر نفسه مثل هذا التركيب : بأبي أنت ما أعزّ بك الحق ... » فمن طريف الاحتجاج » فذاك عِزٌّ وحق وهذا غرور وعَذْل ، و « ما أعزّ » مدح و « ما أغرّ » لوم وتأنيب ، و « ما أعزّ » مفعوله معه و « ما أغرّ » لا مفعول معه .

٥ — وفي ص ٧ « تهافتت المطيُّ من السئام » والمعروف « السآم » بمدة على الألف كالسآمة لفتح الهمزة وفتح ما قبلها ، جاء في « سأل » من القاموس قول بلال بن جرير :

إذا ضفتهم أو سآيلتهم وجدتَ بهم علة حاضره

هكذا كُتب لا « سئايلتهم » .

٦ — وصف « القاطول » في « ص ٧ » مبهم والأحسن الرجوع الى « مَراصد الاطلاع » ولا يزال مجراه فوق سامرّا ، وهو مما يلي سامرا لا مما يلي بغداد ، والتحقيق أنّ في العراق عدة قواطيل .

٧ — وورد في « ص ٢١ » قول ابن الجهم :

لعلّ بني العباس يأسو كلومهم فيجبر مسفي هاشم ما تهشما

٢ — لم تذكروا في مراجع نفي علي بن الجهم « بدائع البدائه » لابن ظافر الأزدي ، قال « ص ١٩١ » :

ولم يكن بين اغتباط المتوكل بعلي هذا الاغتباط وبين نفيه إلا نحو سنة لأنه نفاه الى خراسان في سنة ثمان وثلاثين » (ب) .

٣ — جاء في ص ٤ س ١ :

لأسرع ما أدالتك الليالي وأخلت عنك عائرة السوّام

وفسرتم « الادالة » بجعل الشيء متداولاً ، والصواب « أذالتكِ » أي جعلتكِ مذالة أي مُهانة . قال الجوهري « الاذالة : الاهانة يقال : أذال فرسه وغلامه وفي الحديث نهى عن اذالة الخيل ... » .

وقال « وأدالنا الله من عدوّنا : من الدولة والإدالة : الغلبة يُقال : اللهم ادلني على فلان وانصرني عليه » .

وقال الزمخشري في الأساس « وأذاله : أهانه ... وأذال فرسه وغلامه : لم يحسن القيام عليهما فهزلا وفسدا » . وقال : « أدال الله بني فلان من عدوّهم : جعل الكرة لهم عليهم ، وعن الحجاج : ان الأرض ستُدال منا كما أُدلنا منها » وفي مثل : « يُدال من البقاع كما يُدال من الرجال وأُديل المؤمنون على المشركين يوم بدر وأُديل المشركون على المسلمين يوم أُحد » .

— وهو : (محمد بن الجهم : دعاني المأمون يوماً فقال : قد نبغ لك أخ يقول الشعر فأنشدني له ، فلم أذكر إلا قوله في الكتاب :

أوصيك خيراً به فان له سجيةً لا أزال أحمدها
يدل ضيفي عليّ في غسق الليـــل اذا النار نام موقدها

فقال قد أحسن الموصي بالكتاب وأمر لي بمال » .

(ب) لازم علي بن الجهم الخليفة المتوكل منذ بويع سنة ٢٣٢ الى أن غضب عليه وأمر بحبسه سنة ٢٣٨ ثم أمر بنفيه سنة ٢٣٩ « الأغاني ٢٠٦/١٠ . الطبري ٤٩/١١ . ابن الأثير ٢٣/٧ » .

خليل مردم بك

١١ — جاء في « ص ٥٥ » ذكر قصر وضاح ، وذكرتم أنّ « قصر وضاح » قصر بُني للمهدي قرب رصافة بغداد ثم ذكرتم قول الخطيب إنه كان قرب الكرخ ، وشعر ابن الجهم يؤيد قول الخطيب فكان ينبغي الإعراض عن القول الأول ، لأن بين الرصافة والكرخ دجلة في الأقل فضلاً عن المسافات الطويلة الأخرى .

١٢ — وورد في الصفحة المذكورة « س ١٠ » والسَّراة والصحيح «الصَّراة» بالصـاد .

١٣ — وجاء في — ص٦٣ — :

أتتنا القوافي صارخات لفقده مصلّمةً أرجازها وقصيدُها

وقلتم في الحاشية « في الأصل مسلّمة ... » قلت والأصل أقرب الى الحقيقة ، لأن المراد « مسلّبة » من تسليب المرأة أي موت ولدها أو إلقائه لغير تمام فاستعار الشاعر الفعل باسم فاعله لأرجازها وقصيدها . ولو كانت مصلّمة ما قال في البيت الثاني « ارجعي موفورة » . لأنّ الوفر يدل على التمام .

١٤ — وفي ص ٦٧ قوله :

وإذا أسرّ هوًى أشاد به دمع يُصرّعه ويحـدره

ولعلّ الأصل « يصرّيه » فليس لتصريع الدمع مكان عند العرب ، ويُصرّي منه تصرية الشاة وهي أن لا يحلبها حتى يمتلئ ضرعها لبناً ، فكأنه أراد أنه يحدر دمعه بالجملة لا شيئاً فشيئاً بحسب المناسبات والحوادث . أو لعله « يصرّده » أي يقلّله ومنه تصريد الشراب .

١٥ — وفي ص ٦٦ « أغلقتها مسالحه » وقلتم في الحاشية « وفي الأصل مصالحه » وهو تصحيف ، قلت : وهي لغة عراقية قديمة تعني « السدّ » على الأنهار ومن ومن ذلك ما جاء في تجارب الأمم ج ٧ ص ٦٩ « وعمد الى مصالح بغـداد فأوجدها بعد العدم وأعادها الى ريعانها بعد الهرم » وهي تحريف « المصنمة » الفضيحة .

وأنا أرى أن الأصل «لعلّ فتى العباس» أو «لعل بني العباس تأسو» والأول أقوى عندي .

٨ — وفي ص ٢٥ : «وتصولُ الأرضون حين يصول» بفتح الراء من «الأرضون» والصواب «الأرْضون» بتسكين الراء لئلا ينكسر الوزن من بحر الخفيف ، قال الجوهري «... وأرضون بفتحها أيضاً وربما سكنت» فأرضون ابن الجهم من هذا المسكن الراء .

٩ — وفي «ص ٢٧» :

يا شهر ذي الحجة قد أصبحت تُشبهك الأيام والأشهرُ

والصوابُ «تشنؤك» لأنه شهر مُبارك عزيز على الشاعر ، ولو كان مشبهاً لغيره من الأشهر لم يكن للبيت معنى ولا لذكر ذي الحجة مقام :

١٠ — ورد في كتاب الطرائف واللطائف لأبي نصر أحمد بن عبد الرزاق المقدميّ «ص ٤٦» بيتان من قصيدة ابن الجهم الواردة في «ص ٣٨» من الديوان وهما[1] :

وما زلت أسمع أنّ الملوك تبني على قدر أخطارها
فلما رأيتُ بناء الامامِ رأيتُ الخلافةَ في دارها

وفيها تصحيح ثان لما في الديوان و «رأيت» بدل «رأينا» .

ووردت فيه أيضاً «ص ١٥١» الأبيات السجنية الواردة في «ص ٤١» من الديوان . ومما فيه بعض الخلاف «أوما رأيت الليث بألف غابة» بدل «غيلة» وضبط فيه «مَتَعَقَّب» بدل «مُعقب» في قوله ص ٤٤ «ولكل حال مُعقبٌ ولربما» . و «السجن» بدل «الحبس» في قوله — ص ٤٥ — «والحبس ما لم تغشه لدنيَّة» و «تجلَّة» بدل «كرامة» في قوله «بيت يجدّد لكريم كرامة» . و «يقصد» بدل «يحفد» في قوله «ويُزار فيه ولا يزور ويُحفد» .

---

(١) في الأصل «ومن أحسن ما قيل في الدُور قول علي بن الجهم ...» .

البدائه «لم أنس ليلاً ضمّنا بعد هجعة» قال «وذكر ابن أبي طاهر في أخبار بغداد عن محمـد بن عبدوس الفارسي أنه قال سرت يوماً الى علي بن الجهم فأنشدني لنفسه في العناق : ولم أنس ليلاً ...» .

٢١ — وجاء في — ص ١٠٥ — «وكلما انسكبت في الكأس آنيـة» وفسرتم آنية بـ«متناهية في الحرارة» والذي أرى في معنى آنية «ناضجـة» ولا محلّ للحرارة [أ] في الخمر وانما المراد نُضجها بمرور الزمان عليها وإدراكها قال ابن فارس «وأما ادراك الشيء فالأنى تقول انتظرنا إنى اللحم أي إدراكه» . وقال الجوهري «وأنى أيضاً : أدرك قال الله تعالى : غير ناظرين إناه» . أما «أنى الحميم . انتهى حرُّه» فذلك معنى آخر .

٢٢ — وجاء في «ص ١١٣» بيت ذكر فيه الحارثي ، وقد ورد في أخبار أبي تمام «ص ١٨٤» ولم تشيروا الى ذلك ، وقد ورد ذكر الحارثي هـذا وهو زياد بن عبيد الله ، في أخبار أبي تمام أيضاً «ص ٣٨ ، ١٤٠ ، ١٨٤» .

(يتبع) مصطفى جواد

(أ) من أسماء الخمر الحميا واشتقاقها من الحمو . وتوصف الخمرة بالحرارة والتوقد والتلهب إما لطعمها أو للونها أو لفعلها . قال ديك الجن :

فقام تكاد الكأس تحرق كفه من الشمس أو من وجنتيه استعارها

وقال أبو نواس :

كدنا على علمنا بالشك نسأله أراحنا نارنا أم نارنا الراح

وقد شربوها سخنة" وفاترة كما شربوها مشمولة باردة قال عمرو بن كلثوم التغلبي :

مشعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

وقال الوليد بن يزيد :

نشربها صرفا وممزوجة بالسخن أحياناً وبالفاتر

خليل مردم بك

وحرفت «المسلحة» في اللغة القديمة العامية الى «مصلحة» أيضاً وسمي الرجل المسلحي «مصلحياً» رأيته في المنتظم لابن الجوزي ولا أذكر الموضع وسأبحث عنه إن شاء الله تعالى ·

وجاء في ـ ص ٧٦ ـ :

وهـذه أنت تلافيتهـا فعاد ما قد كاد لا يذكر

وعندي أن الأصل «ما قد كان لا يذكر» لأن معناه على ما ورد في الديوان أنه يذكر مع صعوبة مع أن مراد الشاعر أنه لم يكن يذكر قطّ كما قال ـ ص ٢٧ ـ :

ما مثـل نُعماك علينا به إلا الذي كان ولا يذكر

١٧ — وفي ص ٧٧ :

لئن جلّ ذنب ولم أعتمـده فأنت أجلّ وأعلى يدا

وذكرتم في الحاشية رواية «لأنت» وهي الصواب كما قال النابغة :

لئن كنت قد بُلّغت عني وشاية لَمُبلغك الواشي أغشُّ وأكذبُ

فالجواب للقسم لا للشرط ·

١٨ — وفي ـ ص ٨٧ ـ :

وكذا ··· الملك في تدبـيره والعزُّ دونـ فنائه والسؤددُ

قلتم «بياض بالأصـل» وما هو إلاّ «يموت» فيكون «وكذا يموت الملك في تدبيره» ·

١٩ — وجاء في ص ٩٠ «فبادرته يد المشتاق تَستَنْدُهُ» والصحيح «تُسْتَنِدُهُ» ومنه الاسناد ، أما «تَستَنْدُهُ» فلازم قال ابن فارس في المقاييس «يقال : سندتُ الى الشيء وأسند سنوداً ··· وأسندتُ غيري إسناداً ··· والاسناد في الحديث أن يُسْنَدَ الى قائله» ·

٢٠ — وجاء في ـ ص ٩٥ ـ «سقى الله ليلاً ضمّنا بعد فُرقة» وفي بدائع

بعض الهواة المولعين بلغة الضاد العاملين على التأليف والنشر ووضع المصطلحات وما أقل عددهم إذ ذاك ، أخص بالذكر منهم الأساتذة : مرشد خاطر ، وحمدي الخياط ، والمرحوم جميل الخاني الذين كانوا يكتبون في مجلة المعهد الطبي العربي (أسست في مستهل عام ١٩٢٤) ولولا هممهم العالية التي خصهم الله بها وتضحيتهم بأوقاتهم الغالية للعمل في هذا الحقل – على ما فيه من جهد ومشقة بالغة – غيرةً على لغة العلم العربية ، أقول لولا ذلك لما كانت الآن بين أيدينا هذه الشكيكة البديعة الحافلة بالمئات العديدة من الثمرات اليانعة ، جزاهم الله عن اللغة العلمية العربية خير جزاء وأطال عمر من لا يزال منهم في قيد الحياة ليجودوا على دائرة المعارف العربية من قرائحهم الوقادة الخصبة ، وهي بحق أجمل مثال للنشاط الفكري المتدفق ، بما يسجل لهم بمداد الفخر والإعجاب والإكبار .

ولم أقم بطبع مصطلحاتي العلمية للمرة الأولى (١٩٣٦) رسالةً صغيرة بعد ما نشرت تباعاً في مجلة المعهد الطبي ، إلاّ لأضم عملي الى أعمال من سبقني في هذا المضمار ليسهل انتقاء الأصلح من كلمات عربية عديدة لكلمة افرنجية واحدة ، حتى اذا قيض الله لهذه الأمة العربية لجنة علمية رسمية عامة قامت بإقرار الأوفق من هذه المصطلحات الجاهزة في شتى العلوم والفنون وطبعها على شكل معجم كما هي عليه المعاجم الافرنجية العلمية ، فيتيسر بذلك للأساتذة والطلاب التعليم والدراسة بمصطلحات علمية صحيحة موحَّدة في جميع الأقطار العربية .

وغايتي من إعادة نشر مصطلحاتي مزيدةً بما تيسر لي وضعه أو نحته أو اشتقاقه لكلمات بجدد ، لا تختلف أبداً عن مقصدي الأول وهو فسح المجال للغيورين على لغة الضاد العلمية للنظر فيها والعمل على ايجاد ما هو أصح وأصلح . واني لأتقبل بقبول حسن كل نقد لا يستهدف به الناقد النزيه غير الحقيقة والصواب .

(وفوق كل ذي علم عليم) .

(مَرْخَمَة) أم (مِخْضَنَة) ؟

كنت أهديت الى الزميل الفاضل الأمير مصطفى الشهابي نسخة من مصطلحاتي العلمية (من طبعتها الرابعة ١٩٥٠) فأبدى رأيه في بعضٍ منها في كلمة له نشرت في هذه المجلة (مجلد ٢٥ سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ١١٦) تحت عنوان (نظرة في : مصطلحات علمية) . ولا ريب عندي أن الرصيف الحصيف لم يتوخّ من نظرته هذه إلاّ البحث عن الحقيقة التي ينشدها كل عالم محقق مثله . وكان محقاً في نقده ومنصفاً في حكمه ، فأشكره ههنا وقد سنحت لي الفرصة ، على عنايته بمطالعة مصطلحاتي وإبدائه ملاحظاته على ما كان منها متعلقاً بالفنون الزراعية وهو من فحول هذا العلم وأحق من يبدي فيها رأياً .

واني مع الزميل الكريم بأن على المؤلف ألاّ يتجاوز في وضع المصطلحات الى علوم أخر هو غير إخصائي فيها لئلا تزلّ به القدم . ولكن ما قول العلامة ، في مؤلِّف أراد أن يكتب مقالاً أو يؤلف كتاباً فوقع على كلمات أفرنجية لم يجد لها مصطلحات في المعاجم التي بين يديه ؟ أيقف عن عمله يائساً ، من أول عثرة أم يتابع السير ويضع من الكلمات ما يراه ـ بعد الاجتهاد ـ موافقاً ، غير مدّعٍ بصوابية ما وضع إنما ألجأته الحاجة الى استعماله لئلا تقف الكلمة حائلاً في سبيل إتمام مقاله أو مؤلَّفه ، ثم هو يعرض مصطلحاته بعد ذلك في رسالة خاصة على أنظار الغيورين على اللغة العلمية ليمحصوها ويبدوا فيها آراءهم لعلهم يهتدون الى ما هو أكثر ملاءمة منها للمعنى المطلوب ؟

هذا ما كانت حالي عليه يوم بدأتُ بالنشر والتأليف (سنة ١٩٢٤) والنهضة العلمية العربية في سورية آنئذ يصح أن يطلق عليها أنها كانت في بدء النشوء إذ لم يمض على خروج سورية من حكم العثمانيين بضع سنين واللهجة التركية غالبة على الألسنة ، وليس من يعني بوضع المصطلحات في تلك الآونة ، إلاّ

فارسية معناها ، المرضيع والتي تتولى العناية بالولد . والترك يستعملونها بمعنى المربية أيضاً) .

فالحاضنة إذن هي من تتولى حضن الولد وتربيته فأولى أن تخصص للمربية . والمَرْخَمَة تخصيصاً ، للحيوانات وللأجهزة في المخابر أو في دور الزراعة . المَحْضَنَة أولى أن تخصص للدار التي تحضن فيها اللقطاء .

ويقيني بعد هذا أن الأمير الصديق يوافقني على ما يلي :

حاضنة لما يقابل nourrice .

مَحْضَنَة لما يقابل asile des enfants naturels des ou bâtards .

مَرْخَمَة لما يقابل couveuse .

الكواكبي

مختصر (جمهرة النسب)

كنت وصفت مخطوطة نفيسة مجهولة الأب هي (مختصر جمهرة النسب) . في الجزء الأول من المجلدة السابعة والعشرين من مجلة (المجمع العلمي العربي) (ص ٤٠ — ٥٠) فكتب العلامة المحقق الدكتور مصطفى جواد ـ عضو المجمع ـ في الجزء الرابع من المجلدة الثامنة والعشرين « ص ٦٥٧ » مقالة يرجح فيها أن يكون المؤلف هو كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر بن حمدان ابن أحمد بن علوان الموصلي المتوفى سنة ٦٥٥ هـ . وقال : (وأما عز الدين شيخه فيتبادر الى الذهن أنه عز الدين علي بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ . . وإلا فهو ـ مع بعض التسامح ـ عز الدين أبو القاسم عبد الله ابن الحسين الأنصاري الحموي الشافعي المتوفى سنة ٦٤٦ هـ) .

ولقد أيد حضرة الباحث المحقق رأيه ودعم حجته بما يدل على سعة اطلاع ، وينم عن خلق نبيل ، هو تقوية الصلات العلمية بين أقطار العروبة فحياه الله من عالم عامل ، وأكثر من أمثاله . وإن كان لي ما أعلق به على كلمة حضرة

ولأنتقل الآن الى صدد الكلمتين (مَرْخَمَة) و (مِحْضَنَة) .

قال الأمير الصديق ، في نظرته ، حول كلمة مرخمة : (لو راجع المؤلف معجم الألفاظ الزراعية لوجد أن أصلح الأسماء لآلة التفريخ هذه هو ـ المِحْضَنَة ـ ثم الحاضنة ثم المِرْخَمَة وباسم الآلة . ولوجد ان الدجاجة التي تحضن بيضها هي الحاضن والراخم والرَّقاء . وان العش أو السلة أو القصعة أو الصندوق التي توضع فيها الدجاجة الحاضن هي المفرخ couvoir . في المعاجم ، المفارخ مواضع تفريخ الطير . وفي التاج لم يذكروا له مفرداً ، قلت وقياس مفرده على اسم المكان أو اسم الآلة) ا . هـ .

قلت : couveuse (من اللاتينية cubare : نامَ) هي آلة لتفريخ الدجاج في دور الزراعة أو دور النسج لدراسة تطور الأجنة . وهي صندوق من خشب مستطيل ذو عيون حولها خزّان الحرارة وهو غالباً الماء ، يسخّن لدرجة ثابتة بمصباح البترول أو بغيره من ينابيع الحرارة .

وفي كتب اللغة : أرخمت الدجاجة على بيضها ورَخَمَته وعليه رَخْماً ورَخَماً ورَخَمَةً وهي مُرْخِم وراخِم : حضنته . ورخّمها أهلها ترخيماً ألزموها إياها . فاشتقاق كلمةٍ من (رَخَمَ) هذه وزان مَفْعَلَة (وكنت أول من أشار الى هذا الوزن وأدخله المصطلحات العلمية) أي مَرْخَمَة ، يدل على المكان (صندوق أو ماشئت) الذي توضع فيه البيوض لتفريخها دجاجاً في دور الزراعة ، أو في دور النسج لدراسة تطور الأجنة .

على هذا ، فأصلح الأسماء لآلة التفريخ هي التي وضعتُها أي المَرْخَمَة (وكذا المِرْخَمَة) على صيغة اسم الآلة .

فالرَّخْم والإرخام والترخيم كل هذا خاص بالدجاج وشرح المعاجم صريح .
أما الحَضْن فقد جاء في مادة حَضَنَ : حَضَنَ الصبيَّ حضناً وحضانة ، جعله في حِضْنه أو ربّاه كاحتضنه . والحاضنة الداية . (قلت ، والداية

الفهرس العام

لمواد المجلد التاسع والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

الدكتور القيمة فهو انني قد اطلعت على كتاب (المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي) وهم ابن جني والواحدي وأبي العلاء والتبريزي والكندي . ومؤلف هذا الكتاب هو أبو العباس احمد بن علي بن معقل الأزدي المهلبي الحمصي عز الدين . المولود سنة ٥٦٧ والمتوفى سنة ٦٤٤ في شهر ربيع الأول منها . وهو الذي يغلب على ظني أنه شيخ مختصر الجمهرة - بكسر الصاد - فقد رحل الى بغداد وأخذ النحو عن أبي البقاء العكبري وغيره . وله ترجمة في الشذرات (ج ٥ ص ٢٢٥) وفي البغية (ص ١٥١) . كتابه (المآخذ) يوجد منه نسخة في (معهد المخطوطات) التابع للإدارة الثقافية في الجامعة العربية مصورة على شريط رقمه (٦٩٢ و ٦٣٢ و ٦٣٣) من مكتبة (فيض الله) باستنبول ورقم الأصل في هذه المكتبة ١٧٤٨ . ويقع في ٣٧٨ ورقة وفي آخره نقص . وفي الورقة ٢٥٦ : (سمع جميع هذا الكتاب على مصنفه الشيخ الامام العالم العلامة عز الدين حجة العرب افتخار أهل الأدب أبي العباس أحمد بن علي ابن معقل الأزدي المهلبي بقراءة الامام الفاضل جمال الدين أبي العباس احمد بن عبد الله بن شعيب التميمي (كلمة غير واضحة) شرف الدين أبو عبد الله الخطيب بن ابراهيم الاربلي و ... و ... وذلك في يوم الأربعا السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربعين وستمائة بمنزل المسمع بدمشق وأجاز للجماعة جميع ما تجوز له روايته ..) .

(الرياض) محمد الجاسر

هدية من كريمة السلطان عبد الحميد

أهدت الأميرة نائلة كريمة السلطان عبد الحميد الثاني الى دار الكتب الظاهرية بدمشق نسختين مذهبتين بخط جميل من القرآن الكريم ، كتب الأولى السيد حسن الحسني سنة ١٢٨٤ ، والثانية بقلم السيد حسين الزهدي المعروف بقوجاقلي زاده سنة ١٢٦١ ، ومعها نسخة مذهبة بخط حسن من دلائل الخيرات بقلم محمد وصفي المعروف بكبجي زاده ، فلها الشكر الجزيل .

(حرف الكاف)

(حرف الميم)

(حرف النون)

فهرس الاعلام

أي أسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد

مرتبة على حروف الهجاء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٦ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٧ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كردعلي
١١ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية): تأليف الأستاذ محمد كردعلي
١٢ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كردعلي
١٣ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃
١٨ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
٢١ — 〃 〃 〃 〃 (الجزء الثاني) 〃 〃 〃 〃 〃
٢٢ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الدكتور يوسف العش
٢٣ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
٢٤ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٥ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
٢٦ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد
٢٧ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .
٢٨ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢٩ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
٣٠ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
٣١ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٣٢ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٣٣ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٣٤ — بحر العوّام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٣٥ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي
٣٦ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
٣٧ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني